

دار الكتب المصرية

القسم الأدبي

كتاب الأَخاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني

الجزء العاشر

المطبعة

طبعة دار الكتب المصرية

١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م

الطبعة الأولى بمطبعة دار الكتب المصرية

جميع الحقوق محفوظة لدار الكتب المصرية

بيان

بحمد الله وحسن توفيقه ، وفي عهد مليكتنا المعظم نصير العلم ورافع مناره ، وحامل لواء الأدب وحامى ذماره ، حضرة صاحب الجلالة "فاروق الأول" أدام الله على البلاد ظله ، وأعلى بعنايته العلم وأهله ، تم هذا الجزء بعد مقابلته بأصوله المخطوطة والمطبوعة ، وبعد تصحيح ما وفّقنا له ، وضبط ما ينبغى ضبطه من لغة وأسماء ، وتحري وجه الصواب جهد الطاقة فيما وضعناه من شروح وتعليقات .

والأصول التي اعتمدنا عليها في المراجعة هي الأصول التي اعتمدنا عليها في مراجعة الأجزاء السابقة ، وقد تقدّم وصف هذه الأصول جميعا في تصدير الجزء الأول . وتقدّم في هذا التصدير أن النسخة التي اصطّلحنا على أن نرمز لها بحرف « ا » مكتوبة بخطوط مختلفة .

والمجلد الذي راجعنا عليه في هذا الموضع من هذه النسخة مكتوب بالخط المغربي ، كتبه — كما هو وارد في آخر صفحة منه — بنغر الجزائر محمد بن محمد المدعو السلاوى الحسنى الفاسى المنشأ والدار فى أواخر جمادى الثانية من سنة ست وتسعين ومائة وألف هجرية . وهو أكبر حجما من سائر مجلدات هذه النسخة ؛ إذ يبلغ طول صحفه ٣١ سنتيمترا ، وعرضها ٢٠ وطول ما رسم من الكتابة فى الصحف ٢٢ بعرض ١٣ وفى كل صفحة ٢٩ سطرا . أما سائر الأجزاء فهى دونه فى الحجم وفى عدد السطور . وأول هذا المجلد محلى ومجدول بالذهب ، ويقع فى ٣٠٣ ورقة وباقى الصحف مجدول بالمداد الأحمر .

ويتبدى هذا المجلد بأخبار عنتر بن شداد العبسى التى تقع فى أول صفحة ٢٣٧ من الجزء الثامن من هذه الطبعة ، وينتهى بأخبار أبى زبيد وتقع فى الجزء الثانى عشر من هذه الطبعة .

بيان

وهذا الاختلاف بين هذا المجلد وسائر المجلدات يدل على أنه ليس من أسفار
النسخة التي في دار الكتب المصرية والمرقومة برقم ١٣١٨ أدب، وإنما جمع معها
وسلك في رقمها . وفي آخره ما يدل على ذلك صراحة إذ ورد فيه : « تم السفر
الثالث من كتاب الأغاني ... » وهذا السفر يصل إلى قريب من نصف الكتاب
مع أن هذه النسخة تقع في أربعة عشر مجلدا كما قلنا في وصفها في تصدير الكتاب .
وواضح من هذا أن هذا المجلد لا بد أن يكون جزءا من نسخة أخرى لا تعدو
أسفارها ستة أو سبعة على الأكثر .

وقد اطلع على هذا المجلد كما اطلع على سائر مجلدات هذه النسخة الأستاذ الكبير
شيخ الأزهر الشيخ حسن بن محمد العطار من جلة العلماء والأدباء في القرن
الثالث عشر الهجري .

وقد وضعت لهذا الجزء فهرس كاملة كالأجزاء السابقة ، غير أنا توسعنا
في فهرس هذا الجزء عند ذكر أسماء رجال السند؛ إذ لم نكتف بذكر رقم أو رقمين
لكل رجل بل أثبتنا كل أرقام الراوى إذا اختلف من روى عنهم أو من روى عنه ،
ليكون ذلك مرجعا للرجال الذين روى عنهم أبو الفرج أخباره التي ذكرها في كتابه .
وإنا نعتذر إلى القراء من التأخر في صدور الأجزاء ، فإن العمل شاق ، والأصول
التي بين أيدينا ، على قلتها ، كثيرة التحريف ، والأمانة ثقيلة .

وفي هذا المقام نرى اعترافا بالجميل وتقديرا لجهود العاملين أن نسدى جميل
الثناء والحمد لحضرة الأستاذ الكبير الدكتور "منصور فهمى بك" المدير العام
لدار الكتب المصرية على ما كان ، ولا يزال ، يوالينا به من حسن التوجيه والإرشاد .
والله أسأل أن يوفقنا للخير والسداد في القول والعمل ما

أحمد زكى العروى

رئيس القسم الأدبي بدار الكتب المصرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجزء العاشر من كتاب الأغاني

٢
٩

أخبار دريد بن الصمة ونسبه

هو دُرَيْدُ بن الصَّمَّة . وأسم الصَّمَّة ، فيما ذكر أبو عمرو ، معاوية الأصغر بن الحارث بن معاوية الأكبر بن بكر بن علقمة ، وقيل علقمة ، بن خُزاعة بن غَزِيَّة بن جُشَم بن معاوية بن بكر بن هَوَازِن . وأما أبو عبيدة فقال : هو دُرَيْد بن الصَّمَّة ، وأسمه معاوية بن الحارث بن بكر بن علقمة ولم يذكر معاوية . وقال ابن سَلَام : الحارث بن معاوية بن بكر بن علقمة .

ودريد بن الصَّمَّة فارس شجاع فحل ، وجعله محمد بن سَلَام أول شعراء الفُرسان . وقد كان أطول الفُرسان الشعراء غَزَوا ، وأبعدهم أثراً ، وأكثرهم ظَفَراً ، وأيمنهم نَقِيبةً عند العرب ، وأشعرهم دريد بن الصَّمَّة .

وقال أبو عبيدة : كان دريد بن الصَّمَّة سيِّد بني جُشَم وفارسهم وقائدهم ، وكان مظفراً ميمون النقيبة ، وغزا نحو مائة غَزاة ما أخفق في واحدة منها ، وأدرك

(١) يلاحظ بأدنى تأمل أن سياق الكلام مستغن عن ذكر هذا الاسم .

الإسلام فلم يُسلم، وخرج مع قومه في يوم حنينٍ مظاهراً للمشركين، ولا فضل فيه للحرب، وإنما أخرجوه تيمناً به وليقتبسوا من رأيه، فمنعهم مالك بن عوف من قتل يوم حنين، وخالفه لئلا يكون له ذكر، فقتل دُرَيْدٌ يومئذٍ على شركه. وخبره يأتي بعد هذا.

وكان لدريد إخوة وهم عبد الله الذي قتلته غطفان، وعبد يغوث قتله بنو مرة، وقيس قتله بنو أبي بكر بن كلاب، وخالد قتله بنو الحارث بن كعب، أمهم جميعاً ريحانة بنت معد يكرب الزبيدي أخت عمرو بن معد يكرب كان الصمة سبها ثم تزوجها فأولدها بينه. وإياها يعني أخوها عمرو بقوله في شعره:

أَمِنْ رَيْحَانَةَ الدَّاعِي السَّمِيعِ * يُوَرِّقُنِي وَأُحْصِي بِي هُجُوعِ

إذا لم تستطع شيئاً فدعه * وجاوزه إلى ما تستطيع

وكان لدريد ابن يقال له سلمة، وكان شاعراً وهو الذي رمى أبا عامر الأشعري بسهم فأصاب ركبته فقتله وأرتجز فقال:

إِنْ تَسْأَلُوا عَنِّي فَإِنِّي سَلَمَةٌ * إِنْ سَمَّادِيرٍ لَمْ تَوْسِمَهُ

* أَضْرِبْ بِالسَّيْفِ رِءُوسَ الْمُسَلِّمَةِ *

وكانت لدريد أيضاً بنت يقال لها عمرة^(٤) [وكانت شاعرة، ولها فيه مراثٍ كثيرة].

أخبرني بغيره هاشم بن محمد الخزازي قال: حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة وأخبرني به محمد بن الحسن بن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة، وأخبرني بأخبار

شعره في الصبر على التواب

(١) في أ، ح، م: «أمرأ». (٢) أبو عامر الأشعري هو ابن عم أبي موسى

الأشعري، وقد كان هذا الحادث يوم حنين. (٣) سمادير اسم أم سلمة امرأة دريد بن الصمة.

(٤) الزيادة عن ح.

له مجموعة ومتفرقة جماعة من شيوخنا أذكركم في مواضعهم ، وأخبرني أيضا بخبره محمد بن خلف بن المرزبان عن صالح بن محمد عن أبي عمرو الشيباني وقد بينت رواية كل واحد منهم في موضعها ، قال أبو عبيدة سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول : أحسن شعير قيل في الصبر على النوائب قول دريد بن الصمة حيث يقول :

تقول ألا تبكي أخاك ! وقد أرى * مكان البكا لكن بينت على الصبر
لمقتل عبد الله والمالك الذي * على الشرف الأعلى قتيل أبي بكر
وعبد يغوث أو خليلي خالد * وعز مصابا حثو قبرا^(١) على قبر
أبي القتل إلا آل صمة إنهم * أبوا غيره والقدر يجري إلى القدر
فأما ترينا ما تزال دماؤنا * لدى وائر يشق بها آخر الدهر
فإننا للحم السيف غير نكير * ونلحمه حيناً وليس بذى نكر^(٢)
يغار علينا وائر ينفي * بنا إن أصبنا ، أو نغير على وتر
بذلك قسمنا الدهر شطرين قسمة * فما ينقضي إلا ونحن على شطر

وأخبرني ابن عمار قال : حدثني يعقوب بن إسرائيل قال حدثني محمد بن القاسم الأسدي عن صاعد مولى الكهيت بن زيد يقول : أحسن شعير قيل في الصبر على النوائب قول دريد بن الصمة ، وذكر هذه الأبيات .

قال أبو عبيدة : فأما عبد الله بن الصمة فإن السبب في مقتله إنه كان غزى غطفان ومعه بنو جشم وبنو نصر أبناء معاوية فظفر بهم وساق أموالهم في يوم يقال له يوم اللوى ومضى بها . ولما كان منهم غير بعيد قال : انزلوا بنا ، فقال له

يوم اللوى ومقتل
أخيه عبد الله
وما رثاه به من
الشعر

(١) في ١ : « حتى قبر » يقال : حثرت عليه التراب أحثوه حثوا وحثيته أحثيه حثيا ، والياء أعلى .

(٢) لجه (من باب فتح) : أطعمه اللحم . وفي الصحاح : « ولا تقل ألمه والأصمعي يقوله » .

- أخوه دُرَيْدُ : يا أبا فُرْعَانَ — وكانت لعبد الله ثلاثُ كُنًى : أبو فُرْعَانَ ، وأبو ذُفَّافَةَ ، وأبو ذُوؤَفًى ، وكلُّها قد ذكَّرها دُرَيْدُ في شعره — : نَشَدْتُكَ اللهُ أَلَّا تَنْزِلَ فَإِنَّ غَطَفَانَ ليست بغافلةٍ عن أموالها ، فَأَقْسَمَ لَا يَرِيْمُ حَتَّى يَأْخُذَ مِرْبَاعَهُ وَيَتَّقَعَ قَيْعَهُ ^(١) ، فَيَا كُلَّ وَيُطْعِمَ وَيَقْسِمَ الْبَقِيَّةَ بَيْنَ أَصْحَابِهِ ، فَبَيْنَاهُمْ فِي ذَلِكَ وَقَدْ سَطَعَتِ الدَّوَاحِنُ ، إِذَا بُغْيَارُ قَدْ أَرْتَفَعَ أَشَدَّ مِنْ دُخَانِهِمْ ، وَإِذَا عَبَسَ وَفَزَارَهُ وَأَشْجَعُ قَدْ أَقْبَلْتُ فَقَالُوا لِرَبِّتِهِمْ : انْظُرْ مَاذَا تَرَى ؟ فَقَالَ أَرَى قَوْمًا جَعَادًا كَأَنَّ سَرَابِلَهُمْ قَدْ غُمِسَتْ فِي الْجَادِي ^(٢) .
- قال : تلكَ أَشْجَعُ ، ليست بشيء . ثم نظر فقال : أرى قوما كأنهم الصَّبِيَّانِ ، أَسْتَنْتُهُمْ عِنْدَ آذَانِ خِيْلِهِمْ . قال : تلكَ فَزَارَةٌ . ثم نظر فقال : أرى قوما أَدْمَانًا كَأَنَّمَا يَحْتَلُونَ ^(٣) الْجَبَلَ بِسَوَادِهِمْ ، يَخْدُونَ الْأَرْضَ بِأَقْدَامِهِمْ خَدًّا ، وَيَحْمِرُونَ رِمَاحَهُمْ جَرًّا ، قال : تلكَ عَبَسَ وَالْمَوْتُ مَعَهُمْ ! فَتَلَا حَقُّوا بِالْمُنْعَرَجِ مِنْ رُمَيْلَةِ اللَّوَى فَاقْتَتَلُوا فَقَتَلَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي قَارِبٍ وَهُمْ مِنْ بَنِي عَبَسَ عَبْدَ اللهِ بْنِ الصَّمَّةِ فَتَنَادَوْا : قُتِلَ أَبُو ذُفَّافَةَ ! فَعَطَفَ دُرَيْدُ فَدَبَّ عَنْهُ فَلَمْ يُغْنِ شَيْئًا وَجُرِحَ دُرَيْدُ فَسَقَطَ فَكَفُّوا عَنْهُ وَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّهُ قُتِلَ ، وَاسْتَنْقَذُوا الْمَالَ وَنَجَا مِنْ هَرَبَ . فَمَرَّ الزَّهْدَمَانِ وَهُمَا مِنْ بَنِي عَبَسَ ، وَهُمَا زَهْدَمٌ وَقَيْسُ أَبْنَا حَزْنِ بْنِ وَهَبِ بْنِ رَوَاحَةَ وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُمُ الزَّهْدَمَانِ تَغْلِيًّا لِأَشْهُرِ الْأَسْمِينِ عَلَيْهِمَا ، كَمَا قِيلَ الْعُمَرَانِ لِأَبْنَى بَكْرٍ وَعَمْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، وَالْقَمَرَانِ لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ .
- قال دُرَيْدُ : فَسَمِعْتُ زَهْدَمًا الْعَبْدِيَّ يَقُولُ لَكَرْدَمِ الْفَزَارِيَّ إِنِّي لَأَحْسَبُ دُرَيْدًا حَيًّا

٤
٩

(١) المرباع بكسر أوله : ربع الغنيمة ، وهو حظ الرئيس في الجاهلية .

(٢) تقع الشيء في الماء وغيره ينقع (من باب فتح) فهو قيع ، ومثله أققع . نبذه : أى اتخذ

منه النبل . (٣) الربيثة : الطليعة . (٤) الجادى : الزعفران .

(٥) الأدمان : جمع آدم على مثال سودان وجران . والآدم من الناس : الأسمر .

(٦) فى ج ، م : « الأرض » . (٧) يخدون : يشقون .

فَأَنْزَلَ فَأَجْهَزَ عَلَيْهِ ، قَالَ : قَدْ مَاتَ ، قَالَ : أَنْزِلْ فَأَنْظُرْ إِلَى سَبْتِهِ هَلْ تَرْمِزُ؟ قَالَ دُرَيْدٌ :
 فَسَدَدْتُ مِنْ حِثَارِهَا أَى مِنْ شَرَجِهَا ، قَالَ فَنَظَرَ فَقَالَ : هِيَاتِ ، أَى قَدْ مَاتَ ، فَوَلَّى
 عَنِّي ، قَالَ وَمَالٌ بِالزَّجِّ فِي شَرَجِ دُرَيْدٍ فَطَعَنَهُ فِيهِ فَسَالَ دَمٌ كَانَ قَدْ آحَقَّنَ فِي جَوْفِهِ ،
 قَالَ دُرَيْدٌ فَعَرَفْتُ الْخَلْفَةَ حِينَئِذٍ فَأَمْهَلْتُ ، حَتَّى إِذَا كَانَ اللَّيْلُ مَشَيْتُ وَأَنَا ضَعِيفٌ
 قَدْ نَزَفَنِي الدَّمُ حَتَّى مَا أَكَادُ أَبْصُرُ ، فَخِزْتُ بِجِمَاعَةٍ تَسِيرُ فَدَخَلْتُ فِيهِمْ ، فَوَقَعْتُ بَيْنَ
 عُرْقُوبَيْنِ بَعِيرٍ طَعِينَةٍ ، فَتَفَرَّ الْبَعِيرُ فَنَادَتْ : نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ ، فَأَنْتَسَبْتُ لَهَا فَأَعْلَمَتِ
 الْحَيَّ بِمَكَانِي ، فُغْسِلَ عَنِّي الدَّمُ وَزُوِّدْتُ زَادًا وَسِقَاءً فَتَجَوْتُ ، وَزَعَمَ بَعْضُ
 الْغَطَفَانِيِّينَ أَنَّ الْمَرْأَةَ كَانَتْ فَرَارِيَّةً وَأَنَّ الْحَيَّ كَانُوا عَلِمُوا بِمَكَانِهِ فَتَرَكُوهُ فِدَاوَتُهُ الْمَرْأَةَ
 حَتَّى بَرَأَ وَلَحِقَ بِقَوْمِهِ ، قَالَ : ثُمَّ حَجَّ كَرَّدَمَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي نَقَرٍ مِنْ بَنِي عُبَيْسَ ، فَلَمَّا
 قَارَبُوا دِيَارَ دُرَيْدٍ تَسَكَّرُوا خَوْفًا ، وَمَرَّ بِهِمْ فَأَنْكَرَهُمْ ، فَبَعَلَ يَمْشِي فِيهِمْ وَيَسْأَلُهُمْ
 مِنْهُمْ ؟ فَقَالَ لَهُ كَرَّدَمُ : عَمَّنْ تَسْأَلُ ؟ فَدَفَعَهُ دُرَيْدٌ ، وَقَالَ : أَمَّا عَنْكَ وَعَمَّنْ مَعَكَ
 فَلَا أَسْأَلُ أَبَدًا ، وَعَانَقَهُ ، وَأَهْدَى إِلَيْهِ فَرَسًا وَسِلَاحًا ، وَقَالَ لَهُ : هَذَا بِمَا فَعَلْتَ بِي
 يَوْمَ اللَّوَى .

وَقَالَ دُرَيْدٌ يَرِثِي أَخَاهُ عَبْدَ اللَّهِ :

أَرَيْتَ جَدِيدُ الْحَبْلِ مِنْ أُمِّ مَعْبِدٍ * بَعَاقِبَةٍ وَأَخْلَفْتُ كُلَّ مَوْعِدٍ
 وَبَانَتْ وَلَمْ أَحْمَدِ إِلَيْكَ جَوَارَهَا * وَلَمْ تَرْجُ مَنَا رِدَّةَ الْيَوْمِ أَوْغَدٍ

(١) السبة بالضم : الاست . وترمز (بجذف إحدى قائمها) : فضطرب وتتحرك .

(٢) الحثار بالكسر : ما أحاط بالشيء كحثار الغراب والمنخل .

(٣) يقال : نزف الدم فلانا فهو منزوف ونزيف أى سال منه دم كثير حتى يضعف .

(٤) فى أ م : « قيس » .

(٥) بعاقبة أى بأنفة .

وهي طويلة وفيها يقول :

- أعاذلتي كل أمرئ وابن أمه * متاع كراد الراكب المستود
أعاذل ابن الرزة أمثال خالد^(١) * ولا رزة تما أهلك المرء عن يد
تصحت لعارض وأصحاب عارض * ورهط بنى السوداء والقوم شهدى^(٢)
فقلت لهم ظنونا بالنقى مدجج * سرائهم في الفارسي المسرد
أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى * فلم يستبينوا الرشد إلا صحى الغد
فلما عصوني كنت منهم وقد أرى * غوايتهم وأننى غير مهتد^(٣)
وهل أنا إلا من غزيرة^(٤) إن غوث * غويت، وإن ترشد غزيرة أرشد
دعاني أنى والخيلى بينى وبينه * فلما دعاني لم يحذنى بقعد^(٥)
تنادوا فقالوا أردت الخيل فارساً * فقلت أعبد الله ذلكم الردى
فإن يك عبد الله خلى مكانه * فلم يك وقافاً ولا طائش اليد^(٦)

٥
٩

- (١) ذكر المؤلف فيما مر إخوة دريد وذكر منهم خالد وعبد الله . والنصريح بهذا الاسم في هذا الشعر الذى قاله دريد في رثاء أخيه عبد الله خاصة يدل على أن عبد الله وخالدا وعارضا (المذكور في البيت التالى) ثلاثة أسماء لشخص واحد وقد صرح بذلك شارح الحماسة ج ٢ ص ١٥٦ حيث قال :
« عارض هو أخو دريد وكانت له ثلاثة أسماء عارض وعبد الله وخالدا ، وثلاث كنى كان يكنى أبا أوفى
وأبا ذفاقة وأبا فرعان أو أبا فرغان » . (٢) رهط بنى السوداء . يعنى بهم أصحاب أخيه عبد الله . والقوم شهدى أى شهودى .
(٣) ظنوا أى أيقنوا أو معناه ما ظنكم بالفين من الأعداء راصدين لكم يرقبونكم . والمدجج : التام السلاح ، من الدجة وهى شدة الظلمة لأن الظلمة تستر كل شئ . ، والمدجج يستتر نفسه بالسلاح . وسرائهم : أشرافهم وساداتهم . والفارسي المسرد عنى به الدروع المتتابعة الخلق في نسجها .
(٤) كذا فى حد والحماسة . وفى سائر الأصول : « أو » . (٥) غزيرة : قبيلة من هوازن .
(٦) القعد كقنفذ : الجبان اللئيم القاعد عن المكارم .

ولا برماً إذا الرياحُ تناوحتُ * برطِبَ العِضَاهُ والمَهِشِمْ المعضد
نظرتُ اليه والرماحُ تنوَّشُه ^(٢) * كَوَفَّعَ الصَّيَاصِى فى النَّسِيجِ الممدد
فطاعنتُ عنه الخيلَ حتى تبددتُ * وحتى عَلَانِى أشقرُ اللونِ مُزبد ^(٣)
فما رِمْتُ حتى خرقتنى رماحُهم * وغودرتُ أكبوا فى القَنَا المتقصد ^(٤)
قَتَالَ أَمْرِي وأسَى أخاه بنفسه * وأيقن أن المرءَ غيرُ مُخلد
صبور على وقع المصائب حافظ * من اليوم أعقابَ الأحاديث فى غد

فى بعض هذه الأبيات غناء وهو :

صوت

تمثل على عليه
السلام بشعره

أمرتهمُ أمرى بمنعرج اللوى * فلم يستبينوا الرُّشدَ إلَّا ضُحَى الغدِ
فلما عصوني كنتُ منهم وقد أرى * غَوَايَتَهُم وَأَنْتَى غير مهتد
وهل أنا إلَّا من غَزِيَّةٍ إن غَوَتْ * غَوَيْتُ وإن ترُشدَ غَزِيَّةٌ أرُشد

١٠

الغناء ليحيى المكيّ ثانى ثَقِيلٍ بالسَّبَابَةِ فى مجرى البنصر من رواية ابنه أحمد، وذكره
إسحاق فى هذه الطريقة ولم ينسبه إلى أحمد . وهذه الأبيات تمثل بها أمير المؤمنين
على بن أبى طالب رضى الله عنه عند مُنْصَرَفِهِ من صِفِّين .

(١) البرم : الضجر . وتناوحت الرياح هبت صبا مرة وشمالا مرة وجنوبا مرة ، وذلك آية
الجذب . والعِضَاهُ : كل شجر يعظم وله شوك . والمَهِشِمْ : الثبت اليابس المتكسر . والمعضد : المقطع
بالمضد . (٢) تنوَّشُه : تناوله . والصياصى : جمع صيصية وهى شوكة الحائك التى يسوى بها
السداة واللحمة . (٣) هذه رواية الأصول وفيه إقواء . ورواية الحماسة ،

١٥

فطاعنت عنه الخيل حتى تنفست * وحتى علانى حالك اللون أسودى
قال التبريزى : ويروى أسود على الإقواء . وأسودى يريد أسوديا كما قيل فى الأحمر أحرى وفى الدقار
دقارى ثم خففت بآء النسب بحذف إحداهما . (٤) المتقصد : المتكسر .

٢٠

حدّثني أحمد بن عيسى بن أبي موسى العجليّ قال حدّثنا حسين بن نصر بن
مُزَاحِم قال حدّثنا عمر بن سعيد عن أبي مخنف عن رجاله أن عليّاً عليه السلام لما
اختلفت كلمة أصحابه في أمر الحَكَمين وتفرقت الخوارج وقالوا له أرجع عن أمر
الحَكَمين وتبّ وأعترف بأنك كفرت إذ حكمت ، ولم يقبل ذلك منهم ، وخالفوه
وفارقوه تمثّل بقول دُرَيْد :

أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى * فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الند

الأيّبات :

قال أبو عبيدة : كانت لعبد الله بن الصّمة ثلاثة أسماء وثلاث كُنى : عبد الله
ومعبد وخالد ، ويكنى أبا ذُفافة وأبا فُرْعان وأبا أَوْقَى . أخوه عبد الله
وأسماءه وكناه

وقال دُرَيْد :

أبا ذُفافة من الخيل إذ طُرِدَتْ * فأضطرها الطعنُ في وعثٍ وإيخاف^(١)
يا فارس الخيل في الهيجاء إذ شُغِلَتْ * كلتا اليدين درورا غير وقاف

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة عن
يونس أنه كان يقول : أفضل بيت قالته العرب في الصبر على النوائب قول دُرَيْد
له أفضل بيت
في الصبر على
النوائب

ابن الصّمة :

قليل التشكى للصبّيات حافظ * من اليوم أعقاب الأحاديث في غد

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء عن الزبير عن أبي المهاجر، وذكر مثله أبو عمرو
الشّيبانيّ ، أن أمّ معبد التي ذكرها دُرَيْد في شعره هذا كانت امرأته فطلقها ، لأنها
عاتبت زوجته
أم معبد على بكائه
أخاه فطلقها وقال
شعرا

(١) الوعث هنا : الطريق الخشن الغليظ العسر . والإيخاف : سرعة السير .

رأته شديداً الجزع على أخيه، فعاتبته على ذلك وصغرت شأن أخيه وسبته ، فطلقها وقال فيها :

أرث جديداً الحبل من أم معبد * بعاقبة وأخلفت كل موعداً
وبانت ولم أحمد اليك جوارها * ولم ترج منا ردة اليوم أو غداً

$\frac{6}{9}$

فقالت له أم معبد : بئس والله ما أنثيت على يا أبا قرّة ! لقد أطعمتك مأدومي ، وبشئت لك مكتومي ، وأنثيتك بأهلاً غير ذات صرار وما استقرمت قبلك إلا من حيض .

وقال أبو عبيدة في خبره : بلغ دريد بن الصمة أن زوجته سببت أخاه فطلقها وألحقها بأهلها وقال في ذلك :

أعبد الله إن سبتك عرسى * تقدم بعض لحى قبل بعض
إذا عرس أمرئ شمت أخاه * فليس فؤاد شائنه بمحض^(٢)
معاذ الله أن يشتمن رهطى * وأن يملكن إبرامى ونقضى

١٠

حارب غطفان يوم
القدير طابا بئار
أخيه وقال شعرا

أخبرنا هاشم بن محمد قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال :

أغار دريد بن الصمة بعد مقتل أخيه عبد الله على غطفان يطالبهم بدمه ، فاستقراهم^(٤) حياً حياً ، وقتل من بنى عبس ساعدة بن مر ، وأسر ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب ، أسره مرة بن عوف الجشمي . فقالت بنو جشم : لو فاديناها ! فأبى ذلك دريد عليهم ، وقتله بأخيه عبد الله ، وقتل من بنى فزارة رجلاً يقال له حرام وإخوة له ، وأصاب

١٥

(١) الباهل في الأصل : الذاقة لاصرار عليها ، تريد أنها أباخته نفسها . (٢) كذا في ح ، واستقرمت المرأة : تضيقت بالفرم (فتح أوله واسكان ثانيه) أى عابحت ذلك الموضع منها ليضيق ويستحصف ، وربما تتعالم بحب الزبيب ونحوه تضيق به متاعها . (٣) فؤاد حض : فاسد متغير . (٤) استقراهم : تلبسهم . (٥) فاداه : أطلقه وقبل فديته . وفي القرآن الكريم (وإن يأتوك أسارى فادوهم وهو محرم عليكم إنراجهم) .

٢٠

جماعة من بني مرة ومن بني ثعلبة بن سعد ومن أحياء غطفان ، وذلك في يوم
الغدِير . وفي هذا اليوم وفي مَنْ قُتِلَ فيه منهم يقول :

تأبَّد من أهله معشر * بجو سويقة فالأصفر^(١)
فجزع الحليف إلى واسط * فذلك مبدى وذا محضر^(٢)
فأبلغ سليمى وألفافها * وقد يعطف النسب الأكبر^(٣)
بأنى ثارت بإخوانكم * وكنت كأتى بهم مخفر^(٤)
صبحنا فزاره سمر القنا * فمهلًا فزاره لا تضجروا
وأبلغ لديك بنى مازن * فكيف الوعيد ولم تقرروا
فإن تقتلوا فتية أفردوا * أصابهم الحين أو تظفروا
فإن حرامًا لدى معري * وإخوته حولهم أنسر^(٥)
ويوم يزيد بنى ناشب * وقبل يزيدكم الأكبر
أنرنا صريح بنى ناشب * ورهط لقيط فلا تفخروا
نحت الضاع بأوصالهم * ويلقحن منهم ولم يقبروا

(١) تأبَّد : أنفر . ومعشرو وجو سويقة والأصفر أسماء مواضع .

(٢) الجزع : منعطف الوادى . والحليف وواسط : موضعان .

(٣) ألفافها : قومها المجتمعون حولها ، مفردة لف بالكسر .

(٤) أخفره : نقض عهده وغدره . والهمزة فيه للإزالة أى أزال خفارته كاشكاه إذا أزال شكواه .

(٥) يشير إلى ما هو معروف عن الضبع من أنها إذا لقيت قتيلا بالراء وورم وانتفخ غر موله تأتيه
فتركه وتقضى حاجتها منه ثم تأكله (راجع نهاية الأرب ج ٩ ص ٢٧٤ طبع دار الكتب المصرية
والحيوان لمحاظ طبع مصر ج ٥ ص ٤٠) .

ويقول في ذلك أيضا دريد بن الصمة في قصيدة له أخرى :

جَزِينَا بَنَى عَيْسٍ جَزَاءً مَوْفَرًا * بِمَقْتَلِ عَبْدِ اللَّهِ يَوْمَ الدَّنَائِبِ^(١)
ولولا سوادُ الليلِ أدركَ رَكُضُنَا * بَذَى الرِّمِّثِ وَالْأَرَطَى عِيَاضَ بَنٍ نَاشِبِ^(٢)
قَتَلْنَا بِعَبْدِ اللَّهِ خَيْرَ لِدَاتِهِ * ذُوَابَ بَنِ أَسْمَاءَ بْنِ زَيْدٍ بِنِ قَارِبِ

٥ قال أبو عبيدة : أنشد عبد الملك بن مروان شعر دريد بن الصمة هذا فقال : كاد

دريد أن ينسب ذؤاب بن أسماء إلى آدم . فلما بلغ المنشد قوله :

ولولا سوادُ الليلِ أدركَ رَكُضُنَا * بَذَى الرِّمِّثِ وَالْأَرَطَى عِيَاضَ بَنٍ نَاشِبِ

قال عبد الملك : ليت الشمس كانت بقيت له قليلا حتى يدركه .

$\frac{7}{9}$

قال أبو عبيدة وقال دريد أيضا في هذه الواقعة :

قَتَلْنَا بِعَبْدِ اللَّهِ خَيْرَ لِدَاتِهِ * وَخَيْرَ شَبَابِ النَّاسِ لَوْضَمَ أَجْمَعَا
ذُوَابَ بَنِ أَسْمَاءَ بْنِ زَيْدٍ بِنِ قَارِبِ * مَنِيَّتُهُ أَجْرَى إِلَيْهَا وَأَوْضَعَا^(٣)
قَتَّى مِثْلَ مَتْنِ السِّيفِ يَهْتَرُ لِلنَّدَى * كَعَالِيَةِ الرَّيْحِ الرُّدْنِيِّ أَرْوَعَا

١٠

وقال ابن الكلبي : قالت ريمحانة بنت معد يكرب لدريد بن الصمة بعد حوله من
مقتل أخيه : يا بني إن كنت عجزت عن طلب الثأر بأخيك فاستعين بجالك وعشيرته .
من زبيد ، فإنف من ذلك وحلف لا يكتحل ولا يدهن ولا يمس طيبا ولا يأكل
لحما ولا يشرب حمرا حتى يدرك ثأره ، فغزا هذه الغزاة وجاءها بذؤاب بن أسماء فقتله
بفنائها ، وقال : هل بلغت ما في نفسك ؟ قالت : نعم متعت بك ! وروى عن ابن
الكلبي ريمحانة في هذا المعنى أبيات لم تحضرن وقد كتبت خبرها .

١٥

أغسره أمه
بالاستعانة بأخواله
في ثأر أخيه فأنف
وقتل ذؤاب بن
أسماء

(١) الدنائب يوم من أيام العرب المشهورة (راجع الأغاني ج ٥ ص ٣٥ - ٦٣ طبع دار الكتب

المصرية) ٢٠ (٢) ذو الرمث : موضع . والرمث والأرطى نباتان . (٣) أجرى إليها : قصد إليها .

أخوه قيس بن
الصمة ومقتله

- وأما قتيل أبي بكر الذي ذكره دُرَيْد فإنه أخوه قَيْسُ بن الصَّمَّة، قتله بنو أبي بكر
أبنِ كَلَّاب . وكان السبب في ذلك، فيما أخبرني به هاشم بن محمد عن دَمَاز عن
أبي عُبَيْدَةَ، أنه غزا في قومه بنى خُرَاعَةَ من بنى جُشَم، فأغاروا على إبل لبنى كَعْب
ابن أبي بكر بن كَلَّاب، فأنطلقوا بها . وخرج بنو أبي بكر بن كَلَّاب في طلبها حتى
إذا دنوا منهم قال عمرو بن سُفْيَان الكِلَابِي، وكان حازماً عاقلاً، امكثوا، ومضى .
هو متكرراً حتى لقي رجلاً من بنى خُرَاعَةَ فسلم عليه وأستسقاء فسقاه وأنسب له هلالياً،
فسأله عن قومه وأين مرعى إبلهم، وأعلمه أنه جاء رائداً لقومه يريد مجاورتهم،
فخبره الرجل بكل ما أراد، فرجع إلى قومه وقد عرف بُغْيَتَهُ، فصبح القوم فظفرت بهم
بنو كَلَّاب وقتلوا قيس بن الصَّمَّة، وذهبوا بإبل بنى خُرَاعَةَ وارتجعوا لإبلهم . وكان
يقال لعمرو بن سُفْيَان ذو السيفين، لأنه كان يلقي الحربَ ومعه سيفان خوفاً من
أن يخونه أحدهما . وإياه عَنَى دُرَيْدُ بن الصَّمَّة بقوله :

- لَمَّ أَمْرًا بَاتَ عَمْرُو بَيْنَ صِرْمَتَيْهِ * عَمْرُو بن سُفْيَانُ ذُو السَّيْفَيْنِ مَغْرُورُ
يَا آلَ سَفْيَانٍ مَا بَالِي وَبِالْكُؤ * هَلْ تَتَّهِنُونَ وَبَاقِي الْقَوْلِ مَأْثُورُ
يَا آلَ سَفْيَانٍ مَا بَالِي وَبِالْكُؤ * أَتَمَّ كَبِيرٌ فِي الْأَحْلَامِ عُصْفُورُ
هَلَّا نَهَيْتُمْ أَخَاكُمْ عَنْ سَفَاهَتِهِ * إِذْ تَشْرَبُونَ وَغَاوَى الْخَمْرُ مَدْحُورُ
لَا أَعْرِفَنَّ لِمَّةً سَوْدَاءَ دَاجِيَةٍ * تَدْعُو كَلَّابًا وَفِيهَا الرَّحْمُ مَكْسُورُ
لَنْ تَسْبِقُونِي وَلَوْ أَمَهَلْتُمْ شَرْفًا * عُقْبَى إِذَا أَبْطَأَ الْفُحْجُ الْمَخَاصِيرُ^(١)^(٢)

(١) في ب، س، ح : «زائرا» وهو تحريف . (٢) في ب، س : «أموالم» .

(٣) الصرمة بكسر الصاد : القطيع من الأبل والغنم اختلف في عدده .

(٤) في ب، س : «أهملكم» . (٥) الفحج بضم الفاء وسكون الحاء : جمع أفضج أو فحجاء،

وصف من الفحج بفتح الفاء والحاء وهو تباعد ما بين أوساط الساقين من الرجل والداية .

(٦) المخاصير : جمع مخصور وهو الذي يشتكي خصره .

خبر الحرب بين
بنى عامر وبنى
جشم وبين أسد
وغطفان

وأخبرنا بخبر ابتداء هذه الحروب محمد بن العباس اليزيدي قال قرأت على أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي قال :

أغار بنو عامر بن صمصمة وبنو جشم بن معاوية على أسد وغطفان ، وكان دريد بن الصمة وعمرو بن سفيان بن ذى الحجة متساندين ^(١) ، فدريد على بنى جشم ابن معاوية ، وعمرو بن سفيان على بنى عامر . فقال عبد الله بن الصمة لأخيه :

إني غير مُعْطِيكَ الرِّياسَةَ ، ولكن لي في هذا اليوم شأن . ثم أشترك عبد الله وشراحيل ابن سفيان ، فلما أغار القوم أخذ عبد الله من نعم بنى أسد ستين وأصاب القوم ما شاءوا . وأدرك رجل من بنى جزيمة عبد الله بن الصمة فقال له عبد الله بن الصمة : أرجع فإني كنتُ شاركتُ شراحيل بن سفيان ، فإن استطاع دريد

فليأته وليأخذ مالى منه . وأقام دريد في أواخر الحجة فقال له عمرو : أرتجى بالناس

قبل أن يأتيك الصراخ ^(٢) ، فقال : إني أنتظر أخى عبد الله . حتى إذا أطل عليه قال

له : إن أخاك قد أدرك فوارس من الحليفيين يسوقون بطنهم فقتلوه . فأنطلقوا

حتى إذا كانوا بحيث يفترقون قال دريد لشراحيل ^(٣) : إن عبد الله أنبأني ولم يكذبني

قط أن له شركة مع شراحيل فأدوا إلينا شركته . فقالوا له : ما شركاه قط .

فقال دريد : ما أنا بتارككم حتى أستحلفكم عند ذى الخلصة (وثن من أوثانهم) .

فأجابوه إلى ذلك وحلفوا ، ثم جاء عبد الله بغنيمة عظيمة فجاؤوه ينشدونه الشرك .

فقال لهم دريد : ألم أحلفكم حين ظننتم أن عبد الله قد قُتل . فقالوا : ما حلفنا

وجعلوا ينشدون عبد الله أن يعطيهم ، فقال : لا ، حتى يرضى دريد ، فأبى

أن يرضى فتوعدوه أن يسرقوا إبله . فقال دريد في ذلك :

(١) التساند : التعاضد . (٢) الصراخ : صوت الاستغاثة .

(٣) بالتأمل في سياق هذه القصة يلاحظ أن هذه الكلمة زائدة .

هل مثلُ قلبك في الأهواء معذورٌ * والحبُّ بعد مَشِيْبِ المرءِ مغرورٌ

وذكَرَ الأبيات التي تقدَّمت في الخبر قبل هذا وزاد فيها :

إذا غلبتم صديقًا تَبْطِشون به * كما تهْدَم في الماء الجَـهـاهِرُ^(١)

وأنتُم معشَرٌ في عِرْقِكُم شَنِجٌ^(٢) * بُزْخُ الظهورِ وفي الأَسْئَةِ تأخِرُ

قد علم القومُ أني من سَرَاتِهِمْ * إذا تَقَبَّض في البطن المَدَاكِيرُ^(٣)

وقد أَرُوْعُ سَوَامِ القوم ضاحيةٌ * بالجُرْدِ يَرْكُضُهَا الشَّعْتُ المَخَاوِيرُ^(٤)

يَجْلِنُ كُلَّ هِجَانٍ صَارِمٍ ذَكَرٍ * وتحتهم شُرْبُ قُبِّ مَضَامِيرُ^(٥)

أَوْعَدْتُمُو إِيْلِي كُلًّا سَمِينُهَا * بنو غَزِيَّةَ لَا مِيلَ وَلَا صُورُ^(٦)

وأما عبدُ يَغُوثَ بن الصَّمَّةِ وخبرُ مقتله فإنه كان ينزل بين أظهرِ بني الصَّادِرِ

فقتلوه . قال أبو عُبَيْدَةَ في خبره : قتله مُجَمِّعُ بن مُزَارِحِمِ أخو شُجْنَةَ بنِ مُزَارِحِمِ وهو

من بني يَرْبُوعَ بن غَيْظَ بن مُرَّةَ . فقال دُرَيْدُ بن الصَّمَّةِ :

أُبْلِغُ نَعِيًّا وَأَوْفَى إِنْ لَقِيْتَهُمَا * إِنْ لَمْ يَكُنْ كَانَ فِي تَمَعِيْمَا صَمِّ

فَا أَنحَى بَأْنِي سَوْءٍ فَيَنْقُصُهُ * إِذَا تَقَارَبَ بَابُنِ الصَّادِرِ الْقِسَمِ

أخوه عبد يغوث
ومقتله وما رثاه
به

(١) الجماهير : الرمال الكثيرة المتراكمة .

(٢) العرق : الأصل . والشنج : التقبض والتقلص ، والبزخ : تقاعس الظهر عن البطن ، وقيل

هو خروج الصدر ودخول الظهر يريد أنهم مشوهو الأجسام غير أهل للرياسة . (٣) الجرد : جمع

أجرد وهو القرس القصير الشعر . والشعث جمع أشعث وهو المنغير الرأس المتليد الشعر . والمخاوير جمع مغوار

وهو المقاتل الكثير الغارات . (٤) الهجان : الكريم . (٥) كذا في ح . وفي سائر

الأصول : « كرم » . (٦) الشرب : جمع شارب ، وهو الضامر اليابس ، والقب : جمع أقب

وهو من الخيل الدقيق الخصر الضامر البطن . (٧) الصور : جمع أجور وهو المائل .

حرفي ح ، أ ، م « ولا عور »

ولن يزال شهاباً يُستضاء به * يَهْدِي الْمَقَانِبَ مالم تَهْلِك الصَّمَمُ^(٢)
عاري الأشاجع معصوبٌ بِلَمَّتِه * أمرُ الرِّعَامَةِ ، في عِرْنِينِه شَمَمُ^(٣)

قال أبو عبيدة : أما قوله "أو نديمي خالد" ، فإنه يعني خالد بن الصمة ؛ فإن
بنى الحارث بن كعب غَزَتْ بنى جُشَمَ بن معاوية ، فخرجوا إليهم فقاتلوهم فقتلت
بنو الحارث خالد بن الصمة ، وإياه عني . وقال غير أبي عبيدة : خالد بن الحارث الذي^(٤)

$\frac{9}{9}$

عناه دُرَيْدٌ هو عمه خالد بن الحارث أخو الصمة بن الحارث قتلته أحمس (بطن من
شَنُوءة) ، وكان دُرَيْدُ بن الصمة أغار عليهم في قومه فظفر بهم وأستاق إبلهم وأموالهم
وسبي نساءهم وملاً يديه وأيدي أصحابه ، ولم يُصَبَّ أحدٌ ممن كان معه إلا خالد بن

الحارث عمه ، رماه رجل منهم بسهم فقتله ؛ فقال دُرَيْدُ بن الصمة يرثيه :

يا خالدًا خالدَ الأيسارِ والنَّادِي * وخالدَ الرِّيحِ إذ هَبَّتْ بُصْرَادُ^(٥)

وخالدَ القولِ والفعلِ المَعِيشِ به * وخالدَ الحربِ إذ عَضَّتْ بِأُزْرَادِ^(٦)

وخالدَ الرِّكْبِ إذ جَدَّ السَّفَارُ بهم * وخالدَ الحَيِّ لَمَّا ضَنَّ بِالزَّادِ

(١) المقانب : جمع مقنب وهو الجماعة من الخيل تجتمع للغارة .

(٢) الصمم : جمع صمة وهو الشجاع . ولعله عني قومه .

(٣) الأشاجع : أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف ، وقيل هي عروق ظاهر الكف
واحدما أشجع . والعرنين : الأنف .

(٤) كذا في الأصول . ولعله : « خالد الذي عناه دريد هو عمه خالد بن الحارث ... الخ » .

(٥) الصراد : الغيم الرقيق لا ماء فيه .

(٦) كذا في ١ ، م . والأزرد : جمع زرد وهي الدرع المزرودة ؛ سميت بذلك لبنيها وتداخل
بعضها في بعض . وفي سائر الأصول : « غصت بأوراد » . والأوراد : جمع ورد . والورد من معانيه
القطيع من الطير والجيش على التشبيه به .

هل مثل قلبك في الأهواء معذور * والحب بعد مَشِيْب المرء مغرور
وذكر الأبيات التي تقدمت في الخبر قبل هذا وزاد فيها :

إذا غلبتم صديقاً تَبْطِشون به * كما تهدم في الماء الجَـهـاير^(١)
وأتم معشر في عِرْقكم شَنِج^(٢) * بُزْخُ الظهور وفي الاستاء تأخير^(٣)
قد علم القوم أني من سراتهم * إذا تَقَبَّض في البطن المَدَاكِر^(٤)
وقد أروع سوام القوم ضاحية * بالجرْد يركضها الشعثُ المغاوير^(٥)
يَجْلِن كلَّ هِجَانٍ صارِم ذَكْرٍ * وتحتهم شُرْبُ قُبِّ مَضَامِير^(٦)
أَوْعَدُمُوا لِي كُلًّا سَمِينُهَا * بنو غَزِيَّة لا مِيل ولا صُور^(٧)

وأما عبد يغوث بن الصَّمة وخبر مقتلته فإنه كان ينزل بين أظهر بني الصَّادِر
فقتلوه . قال أبو عبيدة في خبره : قتله مُجَمَّع بن مُزَاحِم أخو شُجْنَةَ بن مُزَاحِم وهو
من بني يربوع بن غَيْظ بن مُرَّة . فقال دُرَيْد بن الصَّمة :
أخوه عبد يغوث ومقتله وما رثاه به

أُبْلِغُ نَعِيًّا وَأَوْفَى إِن لَقِيْتَهُمَا * إن لم يكن كان في مَمَعِيْهِمَا صَمِّ
فما أُنحَى بَأْنَى سَوْءٍ فَيَتَّقَصَهُ * إذا تَقَارَبَ بَأْنُ الصَّادِرِ الْقِسَمِ

(١) الجماهير : الرمال الكثيرة المتراكمة .

- (٢) العرق : الأصل . والشنج : التقبض والتقلص ، والبزخ : تقاعس الظهر عن البطن ، وقيل
هو خروج الصدر ودخول الظهر يريد أنهم مشوهو الأجسام غير أهل للرياسة . (٣) الجرد : جمع
أجرد وهو الفرس القصير الشعر . والشعث جمع أشعث وهو المغبر الرأس المتلبد الشعر . والمغاوير جمع مغوار
وهو المقاتل الكثير الغارات . (٤) الهجان : الكريم . (٥) كذا في هـ . وفي سائر
الأصول : « كرم » . (٦) الشرب : جمع شازب ، وهو الضامر اليابس ، والقب : جمع أقب
وهو من الخيل الدقيق النخصر الضامر البطن . (٧) الصور : جمع أجور وهو المائل .
وفي هـ ، أ ، م « ولا عور » .

ولن يزال شهياً يُستضاء به * يَهْدِي الْمَقَانِبَ مالم تَهْلِكِ الصَّمَمُ^(٢)
عَارِي الْأَشَاجِعِ مَعْصُوبٌ بِبَيْتِهِ * أَمْرُ الزَّعَامَةِ ، فِي عِرْنَيْنِهِ شَمَمُ^(٣)

قال أبو عبيدة : أما قوله " أو نديمي خالد " ، فإنه يعني خالد بن الصمة ؛ فإن
بنى الحارث بن كعب غَزَتْ بنى جُشَمَ بن معاوية ، فخرجوا إليهم فقاتلوهم فقتلت
بنو الحارث خالد بن الصمة ، وإياه عَنَى ، وقال غير أبي عبيدة : خالد بن الحارث الذي^(٤)
عناه دُرَيْدٌ هو عمه خالد بن الحارث أخو الصمة بن الحارث قتلته أحمس (بطن من
شُوءَة) ، وكان دُرَيْدُ بن الصمة أغار عليهم في قومه فظفر بهم وأستاق إبلهم وأموالهم
وسبي نساءهم وملأ يديه وأيدي أصحابه ، ولم يصب أحد ممن كان معه إلا خالد بن

الحارث عمه ، رماه رجل منهم بسهم فقتله ؛ فقال دُرَيْدُ بن الصمة يرثيه :

يا خالدًا خالدَ الأَيْسَارِ والنَّادِي * وخالدَ الرِّيحِ إذ هَبَّتْ بُصْرَادُ^(٥)

وخالدَ القَوْلِ والفعل المَعِيشِ به * وخالدَ الحربِ إذ عَصَّتْ بِأَزْرَادُ^(٦)

وخالدَ الرُّكْبِ إذ جَدَّ السَّفَارُ بِهِمْ * وخالدَ الحَيِّ لَمَّا ضَنَّ بِالزَّادِ

(١) المقانب : جمع مقنب وهو الجماعة من الخيل تجتمع للغارة .

(٢) الصمم : جمع صمة وهو الشجاع . ولعله عنى قومه .

(٣) الأشاجع : أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف ، وقيل هي عروق ظاهر الكف
واحدًا أشجع . والعرين : الأنف .

(٤) كذا في الأصول . ولعله : « خالد الذي عناه دريد هو عمه خالد بن الحارث ... الخ » .

(٥) الصراد : الغيم الرقيق لا ماء فيه .

(٦) كذا في ١ ، م . والأزرد : جمع زرد وهي الدرع المزودة ؛ سميت بذلك لئنها وتداخل

بعضها في بعض . وفي سائر الأصول : « غصت بأوراد » . والأوراد : جمع ورد . والورد من معانيه
القطيع من الطير والجيش على التشبيه به .

وقال أبو عبيدة: قال دُرَيْدٌ يَرِنِي أَخَاهُ خَالِدًا :

- أُمِّمَ أَجْدَى عَافِي الرُّزْءِ وَأَجْشَمِي * وَشُدِّي عَلَى رُزْءِ ضُلُوعِكَ وَأَبَاسِي
حَرَامٌ عَلَيْهَا أَنْ تَرَى فِي حَيَاتِهَا * كَمَثَلِ أَبِي جَعْدٍ فَعُودِي أَوْ أَجْلِسِي
أَعَفٌّ وَأَجْدَى نَائِلًا لِعَشِيرَةٍ * وَأَكْرَمَ مَخْلُودٍ لَدَى كُلِّ مَجْلِسِ^(١)
وَأَلَيْنَ مِنْهُ صَفْحَةً لِعَشِيرَةٍ * وَخَيْرًا أَبَا ضَيْفٍ وَخَيْرًا لِمَجْلِسِ
تَقُولُ هَلَالٌ خَارِجٌ مِنْ غَمَامَةٍ * إِذَا جَاءَ يَجْرِي فِي شَلِيلٍ وَقَوْنَسِ^(٢)
يَشُدُّ مَتَوْنِ الْأَقْرَبِينَ بِهَؤُلَاءِ * وَيُخَيِّثُ نَفْسَ الشَّائِنِ الْمُتَعَسِّ
وَلَيْسَ بِمَكْجَابٍ إِذَا اللَّيْلُ جَنَّهُ * نَوْرٌ إِذَا مَا أَدْبَلُوا فِي الْمُرْسِ^(٣)
وَلَكِنَّهُ مَذْلَاجٌ لَيْلٍ إِذَا سَرَى * يُنْشِدُ سُرَاهُ كُلَّ هَادٍ مُمْلَسِ^(٤)
هذه رواية أبي عبيدة .

١٠

يوم ثيل

- وأخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْدٍ عن عمِّه عن العباس بن هشام عن أبيه أن
خالد بن الصِّمَّةَ قُتِلَ فِي غَارَةٍ أَغَارَتْهَا بَنُو الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ عَلَى بَنِي نَصْرٍ بِنِ مَعَاوِيَةَ
فِي يَوْمٍ يُقَالُ لَهُ يَوْمُ ثَيْلٍ، فَأَصَابُوا نَاسًا مِنْ بَنِي نَصْرٍ . وَبَلَغَ الْخَبْرُ بَنِي جُثَمَ فَلِحَقْوِهِمْ،
وَرَأَيْسُ بَنِي جُثَمَ يَوْمَئِذٍ مَالِكُ بْنُ حَزْنٍ، فَاسْتَنْقَذُوا مَا كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ غَنَائِمِ بَنِي
نَصْرٍ، فَأَصَابُوا ذَا الْقُرْنِ الْحَارِثِيَّ أَسِيرًا وَفَقُّوْا عَيْنَ شَهَابِ بْنِ أَبَانَ الْحَارِثِيَّ بِسَهْمٍ،
١٥

(١) كذا في الأصول . (٢) الشليل : الغلالة تلبس تحت الدرع . والقونس

أعلى بيضة الحديد، وقيل مقدم البيضة . (٣) المكجاب : الكثير النظر إلى الأرض .

(٤) يند : يشرد وينفر . (٥) كذا في الأصول . والظاهر أنها محرفة عن « عملس » وهو

القوى الشديد على السفر أو القوى على السير السريع ، ومثله « العرمس » .

(٦) لم نجد يوما بهذا الاسم فيما راجعنا من مصادر . وفي ياقوت : « ثيل بالفتح ثم السكون ماء .

قرب النجاج كانت به وقعة مشهورة » .

٢٠

وَقُتِلَ يَوْمَئِذٍ خَالِدُ بْنُ الصَّمَّةِ وَكَانَ مَعَ مَالِكِ بْنِ حَزْنٍ، وَأَصَابَتْ بَنُو جُثَمَ مِنْهُمْ نَاسًا، وَكَانَ رَيْسُ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ يَوْمَئِذٍ شَهَابُ بْنُ أَبَانَ، وَلَمْ يَشْهَدْ دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ ذَلِكَ الْيَوْمَ؛ فَلَمَّا رَجَعُوا قَتَلُوا ذَا الْقَرْنِ بِخَالِدِ بْنِ الصَّمَّةِ، وَلَمَّا قُدِّمَ لِنُضْرَبَ عُنُقُهُ، صَاحَ بِأَوْسِ بْنِ الصَّمَّةِ، وَكَانَ لَهُ صَدِيقًا، وَلَمْ يَكُنْ أَوْسٌ حَاضِرًا، فَلَمْ يَنْفَعِهِ ذَلِكَ وَقُتِلَ. فَلَمَّا قَدِمَ أَوْسٌ غَضِبَ وَقَالَ: أَقَتَلْتُمْ رَجُلًا أَسْتَجَارُ بِاسْمِي! فَقَالَ عَوْفُ بْنُ مَعَاوِيَةَ فِي ذَلِكَ:

(١)
تُبَيِّتُ أَوْسًا بَكَى ذَا الْقَرْنِ إِذْ شَرِبَا * عَلَى عُكَاظٍ بِكَاءَ غَالٍ مَجْهُودَى
إِنِّي حَلَفْتُ بِمَا جَمَعْتُ مِنْ نَسَبٍ * وَمَا ذُبِحْتُ عَلَى أَنْصَابِكَ السُّودِ
لَتَبْكِيَنَّ قَتِيلًا مِنْكَ مُقْتَرِبًا * إِنِّي رَأَيْتُكَ تَبْكِي لِلْأَبَاعِيدِ

١٠ أخبرني هاشم بن محمد الخزازي قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة، قصة زواجه
وأخبرني عبد الله بن مالك النحوي الضرير قال حدثنا محمد بن حبيب عن ابن
الأعرابي قال :
بامرأة وجدها
ثيبا

تَزَوَّجَ دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ أَمْرَأَةً فَوَجَدَهَا ثَيْبًا، وَكَانُوا قَالُوا لَهُ إِنَّهَا بَكْرٌ، فَقَامَ عَنْهَا
قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهَا، وَأَخَذَ سَيْفَهُ فَأَقْبَلَ بِهِ إِلَيْهَا لِيُضْرِبَهَا، فَتَلَقَّتهُ أُمُّهَا لَتُدْفَعَهُ عَنْهَا،
فَوَقَفَ يَدَيْهَا (أَيَ حَزَّهَا وَلَمْ يَقْطَعْهُمَا)، فَنَظَرَ إِلَيْهَا بَعْدَ ذَلِكَ وَهِيَ مَعْصُوبَةٌ فَقَالَ: ١٥

أَقْرَّ الْعَيْنَ أَنْ عَصَبَتْ يَدَيْهَا * وَمَا إِنْ تُعْصَبَانِ عَلَى خِضَابِ
فَأَبْقَاهُنَّ أَنْ لَهْنَ جَدًّا * وَوَأَقِيَّةَ كَوَاقِيَةِ الْكَلَابِ
قَالُوا: يَرِيدُ أَنْ الْكَلْبُ يُصِيبُهُ الْجُرْحُ فَيَلْحَسَ نَفْسَهُ فَيَبْرَأَ.

ما جرى بينه وبين
عياض الثعلبي

قال أبو عبيدة وأبن الأعرابي جميعاً في هذه الرواية : أسردريد بن الصمة
عيلصاً الثعلبي أحد بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان فأنعم عليه . ثم إن دريدا أتاه بعد
ذلك يستثنيه . فقال له : إيت رحلك حتى أبعث اليك بثوابك ؛ فأنصرف دريد .
فبعث إليه بوطين نصفه لبن ونصفه بول . فغضب دريد ولم يلبث إلا قليلاً حتى
أغار على بني ثعلبة ، وأستاق لابل عياض ، وأفلت عياض منه جريحاً ؛ فقال دريد
في ذلك من قصيدة :

فإن تنج يدى عارضك فإننا * تركنا بنيك للضباع وللرخم^(١)
جزيت عياضاً كفره وعقوقه * وأخرجته من المدفأة^(٢) الدهم^(٣)
الآهل أتاه ماركبنا سراتهم * وما قد عقرنا من صفي ومن قرم^(٤)

أخبرني هاشم بن محمد الخزازي قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال :
هجا دريد بن الصمة عبد الله بن جندعان التيمي تيم قريش فقال :
هل بالحوادث والأيام من تنجب * أم بآبن جندعان عبد الله من كلب^(٥)
است حيت وهي في عكم ربته * في يوم حر شديد الشر والهرب^(٦)
إذا لقيت بني حرب وإخوتهم * لا يأكلون عطين الجلد والأهبط^(٧)
لا ينكحون ولا تشوي رماحهم^(٨) * من الكفا ذوى الأبدان والجلب^(٩)

هجا عبد الله بن
جندعان ثم مدحه .

(١) أنعم عليه : أطلقه . (٢) الوطب : سقاء اللبن يتخذ من جلد . (٣) الرخم .
(بضم الراء وسكون الخاء) : جمع رنحة (يفتح الراء والخاء) . وهي طائر أبيض على شكل النسر خلقة إلا أنه
مبقع بسواد وبياض يقال له الأنوق . (٤) المدفأة : الأبل الكثرة الأوبار والشحوم .
(٥) الصفي : الناقة الغزيرة اللبن . والقرم : الفحل . (٦) الحيت : المتين . والعكم (بكسر
العين وسكون الكاف) : المدل يجعل فيه المتاع ويشد عليه بالعكام أى الحبل . ويلاحظ أن هذا الشطر
غير واضح . (٧) العطين : الجلد المدبوغ . (٨) تشوي : تصيب الشوى ولا تقتل . والشوى :
الأطراف . (٩) الأبدان : جمع بدن وهو هنا الدرع القصيرة . والجلب : جمع جبة وهي هنا الدرع أيضاً .

فَأَقْعُدْ بَطِينًا مَعَ الْأَقْوَامِ مَا قَعَدُوا * وَإِنْ غَزَوْتَ فَلَا تُبْعِدْ مِنَ النَّصَبِ
فَلَوْ تَقَفْتُكَ وَسَطَ الْقَوْمِ تَرَصَّدُنِي * إِذَا تَلَّسَ مِنْكَ الْعِرْضُ بِالْحَقَبِ
وَمَا سَمِعْتُ بِصَقْرِ ظَلَّ يَرُصُّدُهُ * مِنْ قَبْلِ هَذَا يَجْنِبُ الْمَرْجَ مِنْ خَرَبِ

قال : فلقية عبد الله بن جُدعان بُعَكاظ فُخَيَّاه وقال له : هل تعرفني يا دُرِيد ؟ قال
لا . قال : فلم هجوتني ؟ قال : ومن أنت ؟ قال : أنا عبد الله بن جُدعان . قال : هجوتك
لأنك كنتَ امرأً كريماً ، فأحببتُ أن أضع شعري موضعه . فقال له عبد الله : لئن
كنتَ هجوتَ لقد مدحتَ ؛ وكساه وحمله على ناقة برجلها . فقال دُرِيد يمدحه :

إِلَيْكَ ابْنَ جُدْعَانَ أَعْمَلْتُمَا * خَفَفَةً لِلْسَرَى وَالنَّصَبِ
فَلَا خَفَضَ حَتَّى تُتْلَقِيَ أَمْرًا * جَوَادَ الرِّضَا وَحَلِيمَ الْغَضَبِ
وَجَلَدًا إِذَا الْحَرْبُ مَرَّتْ بِهِ * يُعِينُ عَلَيْهَا بِجَزْلِ الْحَطَبِ
رَحَلْتُ الْبِلَادَ فَمَا إِنْ أَرَى * شَبِيهَ ابْنِ جُدْعَانَ وَسَطَ الْعَرَبِ
سِوَى مَلِكٍ شَاخٍ مَلَكُهُ * لَهُ الْبَحْرُ يُجِيرِي وَعَيْنُ الذَّهَبِ

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام موقوفاً عليه لم يتجاوزهُ الى غيره ،
وحَدَّثني حبيب بن نصر المهلهلي وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالَا حَدَّثنا عمر بن
شبة عن الأصمعي وأبي عبيدة ، وأخبرني هاشم بن محمد الخُزاعي قال حَدَّثنا
أبو غسان دَمَاز عن أبي عبيدة ، وأخبرني الحرَجي بن أبي العلاء قال حَدَّثنا الزُّبير بن
بَكَّار قال حَدَّثني علي بن المغيرة عن أبي عبيدة ، وأخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبَانِ

تنزل في الخنساء
وخطبها فأمتممت
وتهاجيا

(١) ثقفه : صادفه . (٢) العرض هنا : الجسد ، والحقب شيء تنفذه المرأة تعلق به

معاليق الحلي تشده على وسطها . يريد اذا صادفتك وسط القوم لبست لبسة النساء واستخفيت .

(٣) كذا في الأصول . ولعله «المرخ» وهو شجر سريع الوري يقتدح به . (٤) الحرب : ذكر
الحباري ، وقيل الحباري كلها .

١١
٩

١٥

٢٠

قال حدثني أبو بكر العامري قال حدثني ابن نوبة^(١) عن أبي عمرو الشيباني، وأخبرني
عمي قال حدثنا ثعلب عن ابن الأعرابي^(٢)، وقد جمعت أخبارهم على اختلاف ألفاظهم
في هذا الموضع، أن دريد بن الصمة مر بالحنشاء بنت عمرو بن الشريد، وهي
تهنأ بغيراً لها وقد تبدلت حتى فرغت منه، ثم نضت عنها ثيابها فأغتسلت ودريد بن
الصمة يراها وهي لا تشعر به فأعجبته؛ فأنصرف إلى رحله وأنشأ يقول:

حيوا مَاضِرَ وَارَبَعَا صَحْبِي * وَفُفُوا فَإِنْ وَقَفَكُمْ حَسْبِي

أُخْنَأَسُ قَدْ هَامَ الْفَوَادُ بِكُمْ * وَأَصَابَهُ تَبَلُّلٌ مِنَ الْحُبِّ

ما إن رأيتُ ولا سمعتُ به * كالיום طَالِي أَيْنُقِي جُرْبِ

مَتَبَدَّلًا تَبْدُو مُحَاسِنُهُ * يَضَعُ الْهِنَاءَ مَوَاضِعَ النَّقَبِ^(٣)

مَتَحَسِّرًا نَضَحَ الْهِنَاءُ بِهِ * نَضَحَ الْعَيْرِ رِيْطَةَ الْعَصَبِ^(٤)

فَسَلِّمْ سَمْعِي خُنَاسٌ إِذَا * عَصَّ الْجَمِيعَ الْخَطْبُ مَا خَطْبِي

— قالوا: وَتَمَاضِرُ اسْمُهَا. وَالْحَنَشَاءُ لَقَبٌ غَلَبَ عَلَيْهَا — فلما أصبح غدا على أبيها فخطبها^(٥)

إليه. فقال له أبوها: مرحباً بك أبا قرّة! إنك للكريم لا يطعن في حسبه، والسيد لا يرد

عن حاجته، والفحل لا يقرع أنفه. — وقال أبو عبيدة خاتمة مكان "لا يطعن في حسبه"

"لا يطعن في عيبه"^(٦) — ولكن لهذه المرأة في نفسها ما ليس لغيرها، وأنا ذا كرك لها

(١) الذي في ج ١٤: «... وأخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أبو نوبة... الخ».

(٢) في ١٤، م هنا زيادة، هي: «وأخبرني محمد بن خلف قال حدثني أبو بكر العامري عن ابن الأعرابي».

(٣) الهناء: القطران. والنقب (بضم النون وتسكين القاف أو فتحها): القطع المتفرقة من الحرب.

والواحدة نقبة، وقيل هي أول ما يبدو من الحرب. (٤) في ب، س: «العطب». والعطب (بالضم

وبضمين): القطن. (٥) في الأما لي ج ٢ ص ١٦١ طبع دار الكتب المصرية أنه خطها إلى

أخيها معاوية. (٦) كذا في الأصول. ولعلها: «في غيبه» بالعين المعجمة.

وهي فاعلة . ثم دخل اليها وقال لها : يا خنساء ، أذاك فارس هوازن وسيد بني جشم
 دريد بن الصمة يخطبك وهو من تعلمين ، ودريد يسمع قولها . فقالت : يا أبت ،
 أتراني تاركة بني عمي مثل عوالي الرماح وناحكة شيخ بني جشم هامة اليوم أو غدا .
 ففرج اليه أبوها فقال : يا أبا قرّة قد امتنعت ، ولعلها أن تجيب فيما بعد . فقال :
 قد سمعت قولكما ، وأنصرف . هذه رواية من ذكرت . وقال ابن الكلبي : قالت
 لآبيها : أنظرنني حتى أشاور نفسي ، ثم بعثت خلف دريد وليدة فقالت لها :
 انظري دريدا إذا بال ، فإن وجدت بوله قد حرق الأرض ففيه بقية ، وإن وجدته
 قد ساح على وجهها فلا فضل فيه . فاتبته وليدتها ثم عادت اليها فقالت : وجدت
 بوله قد ساح على وجه الأرض ، فأمسكت . وعاود دريد أباه فعاودها فقالت له
 هذه المقالة المذكورة ، ثم أنشأت تقول :

أخطبني ، هيلت ، على دريد * وقد أطردت سيد آل بدر^(٢)
 معاذ الله ينكحني حبركي * يقال أبوه من جشم بن بكر^(٣)
 ولو أمسيت في جشم هديا * لقد أمسيت في دنس وفقر^(٤)

فغضب دريد من قولها وقال يهجوها :

وقاك الله يا بنة آل عمرو * من الفتيان أمثالي ونفسي
 فلا تلدي ولا ينكحك مثلي * اذا ما ليلته طرقت بنحس

(١) يقال : فلان هامة اليوم أو غدا إذا شاخ وأشرف على الموت .

(٢) أطردت : أمرت بطرده . (٣) الحبركي : الغليظ الطويل الظهر القصير الرجلين ،

والأنثى منه حبركة . وقد ورد هذا البيت في اللسان هكذا :

ولست بمرضع ثديي حبركي * قصير الشبر من جشم بن بكر

(٤) الهدى : العروس .

لقد علم المراضع في جمادى * إذا استعجلن عن حر بنس^(١)
 بأنني لا أبيت بغير لحم * وأبدأ بالأرامل حين أمسي^(٢)
 وأني لا ينال الحى ضيفي^(٣) * ولا جاري يبيت خبيث نفس^(٤)
 إذا عقب القدور تكن مالا^(٥) * تحت حلائل الأبرام عرسى^(٦)
 وأصفر من قدام النبع ضلي^(٧) * خفي الوسيم في ضرس^(٨) ولمس^(٩)
 دفعت إلى المفيض إذا استقلوا^(١٠) * على الركبات مطلع كل شمس^(١١)
 فإن أكدي فتامكة^(١٢) تؤدي^(١٣) * وإن أربى فإني غير نكس^(١٤)
 وترغم أتي شيخ كبير * وهل خبرتها أني ابن أميس

(١) الحز: القطع. والنس: تعرق ما على العظم وانتزاعه بمقدم الأسنان. (٢) رواية الأماي:

١٠ * وأني لا يهر الضيف كلبى *

أى لا ينجح في وجهه لأنه به. (٣) كذا في ح. وفي سائر الأصول: «تكن ملاي»
 وهو تحريف. ورواية هذا الشطر في الأماي واللسان (في مادة برم): «إذا عقب القدور عددن مالا».
 وعقبة القدر: ما التزق بأسفلها من تابل وغيره. وتحت: تعجل، يقال حته دراهمه إذا عجل له النقد.
 وقد وردت هذه الكلمة في الأصول «تحب» والتصويب عن اللسان. يريد أنه إذا اشتد القحط وعذت
 عقب القدور مالا عجلت زوجته العطاء لزوجات الأبرام. والأبرام: التام، الواحد: برم، وهو
 في الأصل الذي لا يدخل مع القوم في الميسر. (٤) ضرس السهم: مجمه. (٥) المفيض:
 الضارب بالقداح. (٦) في الأصول: «الركبان» والتصويب عن الأماي؛ ويرى فيه:

دفعت إلى النجى وقد تمجانوا * على الركبات مطلع كل شمس

قال أبو علي قال لنا أبو بكر قال أبو حاتم عن الأصمعي: هذا غلط؛ إنما هو مغرب كل شمس،

٢٠ لأن الأيسار إنما يتياسرون بالعشيات. (٧) أكدي: أخفق ولم يصب.

(٨) كذلك في الأصول. ويلاحظ أنه لم يرد في كتب اللغة إلا التامك بدون هاء التأنيث.

والتامك: الناقة العظيمة السنام أو السنام نفسه. والتكس: الرجل الضعيف لا خير فيه.

تريد شربث^(١) القدمين شئنا * يُيادر بالجدائر كل كرس
وما قصرت يدي عن عظيم أمر * أهم به ولا سهمي بينكس
وما أنا بالمزجي حين يسمو * عظيم في الأمور ولا بوهس^(٢)
قال : فليل للنساء : ألا تُجيبينه ؟ فقالت : لا أجمع عليه أن أردّه وأهجوّه .

٥ أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال : لما أسنّ دريد
جعل له قومه بيتاً مفرداً عن البيوت ، ووكّلوا به أمةً تخدمه ، فكانت إذا أرادت أن
تُبعد في حاجة قيّدته بقيد الفرس . فدخل إليه رجل من قومه فقال له : كيف أنت
يادريد ؟ فأنشأ يقول :

أصبحت أقذف أهداف المنون كما^(٣) * يرمى الدريشة أدنى فوقة الوتر^(٤)
في منتصف من مدى تسعين من مائة * كرمية الكاعب العذراء بالجر^(٥)
في منزل نازح مالحى منتبذ * كمرّبط العير لا أدعى الى خبر^(٦)

(١) الشربث : الغليظ . والشئن : الغليظ أيضا . والكرس : ما تكرس أى صار بعضه فوق بعض .
والجدائر : جمع جديرة وهى الخطيرة . وقدرواه أبو على فى الأمانى :
تريد أفيحج الرجلين شئنا * يقطع بالجديرة كل كرس

١٥ وقال : ويروى :

تريد شربث الكفين شئنا * يقطع بالجدائر كل كرس

(٢) المزجي من القوم : المزج وهو الملتصق بالقوم وليس منهم ، والرجل الناقص المروءة ، والدون من
كل شيء ، والبخيل . والوهس : الذليل الموطوء . (٣) فى ١ ، م : « السنين » . وفى ح :
« المئين » . (٤) الدريشة : حلقة يتعلم عليها الرامي الرمي ؛ قال عمرو بن معد يكرب :

ظلت كأتى للرماح دريشة * أقاتل عن أبناء جرم وفزت

(٥) فى اللسان : « الفوق : مشق رأس السهم حيث يقع الوتر . وحرفاه : زمتاه . وهذيل تسبي

الزمتين الفوقين . (٦) منتصف الشيء : وسطه

آخر أيامه وشعره
بمد أن أسن
وضعف جسمه

(١) كَأَنِّي نَحْرَبُ قُصَّتْ قَوَادِمُهُ * أَوْ جُنَّةٌ مِنْ بُغَاثٍ فِي يَدَيَّ خَصِرِ
يُمَضُّونَ أَمْرَهُمْ دُونِي وَمَا فَقَدُوا * مِنِّي عَزِيمَةً أَمِيرٍ مَا خَلَا كِبَرِي
وَنَوْمَةً لَسْتُ أَقْضِيهَا وَإِنْ مَتَّعْتُ * وَمَا مَضَى قَبْلُ مِنْ شَأْوَى وَمِنْ عُمْرِي
وَأَنْتَى رَأَيْتِي قَبْدٌ حُسِبْتُ بِهِ * وَقَدْ أَكُونُ وَمَا يُمَشِّي عَلَى أَثَرِي
إِنْ السَّيِّئِينَ إِذَا قَرَّبَنَ مِنْ مَائَةٍ * لَوْ يَنْ مَرَّةً ^(٢) أَحْوَالٍ عَلَى مَرِيرِ

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا دَمَازْدُ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ : قَالَتْ امْرَأَةٌ
دَرِيدٌ لَهُ : قَدْ أَسْنَنْتَ وَضَعُفَ جِسْمَكَ وَقُتِلَ أَهْلُكَ وَفَنِيَ شَبَابُكَ ، وَلَا مَالَ لَكَ
وَلَا عُدَّةٌ ، فَعَلَى أَيِّ شَيْءٍ تَعُولُ إِنْ طَالَ بِكَ الْعُمْرُ أَوْ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ تُخَلِّفُ أَهْلَكَ إِنْ
قُتِلَتْ ؟ فَقَالَ دَرِيدٌ :

صوت

١٠

أَعَاذَلُ إِنَّمَا أَفْنَى شَبَابِي * رَكُوبِي فِي الصَّرِيخِ إِلَى الْمُنَادِي
مَعَ الْفَتَيَانِ حَتَّى كُلِّ جَسْمِي * وَأَقْرَحَ طَائِقِي حَمْلُ النَّجَادِ
أَعَاذَلُ إِنَّهُ مَالٌ طَرِيفٌ * أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مَالٍ تِلَادِ
أَعَاذَلُ عُدَّتِي بَدَنِي وَرُغْمِي * وَكُلُّ مَقْلَصٍ شَكْسِ الْقِيَادِ
وَيَبْقَى بَعْدَ حِلْمِ الْقَوْمِ حِلْمِي * وَيَقْفَى قَبْلَ زَادِ الْقَوْمِ زَادِي

١٥

هذا الشعر رواه أبو عبيدة لدريد، وغيره يرويه لعمر بن معديكرب، وقول
أبي عبيدة أصح . لابن محرز في هذه الأبيات ثاني ثقیل بالخنصر في مجرى البنصر

(١) الخرب : ذكر الحباري . (٢) كذا في الأصول . ولعلها « هصر » . ويقال ليث هصور
وهصر (ككتف) وهصر (كصرد) . (٣) تمتع : طابت . (٤) المرة : طاقة الحبل .
(٥) البدن هنا : الدرع . وفرس مقلص (بكسر اللام) : طويل القوائم منضم البطن .
(٦) في الأصول هنا . « ولا بن محرز... الخ » .

٢٠

عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانه أن لابن سُرَيْج فيها ثانی ثقیل بالبنصر . وخط
المغنون بهذا الشعر قول عمرو بن معديكرب في هذين اللحين :

أريد حياته ^(١) ويريد قتي * عذرك من خليلك من مراد
ولو لا قيتني ومعى سلاحى * تكشف شحم قلبك عن سواد

وقال أبو عبيدة فيما روينا عن دماذ عنه : قتل بنو ربوع الصمة أبا دريد
فقدرا، وأسرُوا ابن عم له ؛ فغزاهم دريد بنى نصر فأوقع بنى ربوع وبني سعد جميعا ،
فقتل فيهم . وكان فيمن قتل عمار بن كعب ؛ وقال فيهم :

دعوتُ الحى نصرا فاستهلوا * بشبان ذوى كرم وشيب
على جرد كأمثال السعالي * ورجل مثل أهية الكتيب ^(٢)
فما جبنوا ولكنا نصبنا * صدور الشرعية للقلوب ^(٣)
فكم غادرن من كاپ صريع * يمجج نجيع جائفة ذئوب ^(٤)
وتلكم عادة لبني رباب * إذا ما كان موت من قريب
فأجلوا والسوأم لنا مباح * وكل كريمة خو عروب
وقد ترك ابن كعب في مكر * حيسا بين ضبعان وذيب

قال أبو عبيدة : وكان الصمة أبو دريد شاعرا ، وهو الذى يقول في حرب الفجار كان أبوه شاعرا
التي كانت بينهم وبين قریش :

(١) في ب ، س : « حياه » . (٢) كذا في أكثر الأصول . وفي م ، ح : « أهية »
ولا معنى لها . فلعل الصواب « أهيلة » جمع هيال وهو ما انهار من الرمال .
(٣) الشرعية : الطويلة ، يريد الرماح . (٤) الجائفة : الطعنة التي تنفذ الى الجوف .
٢٠ وذئوب : طويلة الشر والأذى ؛ ومثله قولهم : يوم ذئوب إذا كان طويل الشر لا يتقضي .

لَا قَتَ فُرَيْشٌ غَدَاةَ الْعَقِيدِ * بَقِيَ أَمْرًا لَهَا وَجَدَتْهُ وَيَلَا
 وَجئْنَا إِلَيْهِمْ كَوَجِ الْأَقْبِ^(١) * يعلو النَّجَادُ وَيَمْلَأُ الْمَيْسِلَا
 وَأَعَدَدْتُ لِلْعَرْبِ خَيْفَانَهُ^(٢) * وَرَمَحَا طَوِيلَا وَسَيْفَا صَقِيلَا
 وَمُحْكَمَةً مِنْ دُرُوعِ الْقُبُورِ * نَ تَسْمَعُ لِلسَّيْفِ فِيهَا صَلِيلَا

قال : وكان أخوه مالك بن الصِّمَّة شاعرا ، وهو القائل يَرْنَى أَخَاهُ خَالِدَا :
 وكان أخوه مالك شاعرا

أَبْنَى غَزِيَّةَ إِنْ شِلُّوْا مَا جَدَّا * وَسَطَ الْبُيُوتِ السُّودِ مَدْفَعُ كَرْكُرِ^(٣)
 لَا تَسْقِنِي بِيَدَيْكَ إِنْ لَمْ أَلْتَمِسْ * بَاخِلِيلَ بَيْنَ هَبُولَةٍ فَالْقَرْقَرِ^(٤)

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا أبو غَسَّانَ دَمَازَ عَنْ أَبِي عُيَيْدَةَ قَالَ :
 تحالف دُرَيْدُ بْنُ الصِّمَّةِ وَمَعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ وَتَوَاتَقَا إِنْ هَلَكَ أَحَدُهُمَا أَنْ
 يَرِثِيَهُ الْبَاقِي بَعْدَهُ ، وَإِنْ قُتِلَ أَنْ يَطْلُبَ بَنَاهُ . فَقُتِلَ مَعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ ،
 قَتَلَهُ هَاشِمُ بْنُ حَرْمَلَةَ بْنِ الْأَشْعَرِ الْمُرِّيِّ . فَرَنَاهُ دُرَيْدُ بِقَصِيدَتِهِ الَّتِي أَوَّلُهَا :
 تحالف مع معاوية
 ابن عمرو بن الشريد
 ورثاه

أَلَا هَبَّتْ تَلُومٌ بَغِيرَ قَدِيرٍ * وَقَدْ أَحْفَظْتَنِي وَدَخَلْتَ سِتْرِي
 وَإِلَّا تَتْرُكِي لَوَيْ سَفَاهَا * تَلَمُّكَ عَلَيْهِ نَفْسُكَ غَيْرَ عَصْرِ
 وفيها يقول :

فَإِنَّ الرُّزَاةَ يَوْمَ وَقَفْتُ أَدْعُو * فَلَمْ أَسْمَعْ مَعَاوِيَةَ بْنَ عَمْرِو
 وَلَوْ أَسْمَعْتَهُ لَأَتَاكَ يَسْعَى * حَثِيثَ السَّعْيِ أَوَّلَاتَاكَ يَجْعَى
 بَشِيكَةً حَازِمٌ لَا غَمَزَ فِيهِ^(٥) * إِذَا لَبِسَ الْكِبَاةُ جُلُودَ نَمِرٍ^(٦)

(١) الأَقْبَى : السَّيْلُ لَا يَدْرِي مِنْ أَيْنَ أَتَى . (٢) الْخَيْفَانَةُ : الْقُرْسُ .
 (٣) الشَّلُوْا (بِالْكَسْرِ) هُنَا : الْجَسَدُ . (٤) كَرْكُرٌ : عَلِمَ عَلَى عِدَّةِ مَوَاضِعٍ .
 (٥) هَبُولَةُ وَالْقَرْقَرُ : مَوْضِعَانِ . (٦) الشَّكَّةُ : السَّلَاحُ . (٧) يُقَالُ : لَبَسَ
 فُلَانٌ لِفُلَانٍ جِلْدَ الْفَرِّ إِذَا تَنَكَّرَ . وَكَانَتْ مَلُوكُ الْعَرَبِ إِذَا جَلَسَتْ لِقَتْلِ إِنْسَانٍ لَبَسَتْ جِلْدَ الْفَرِّ ثُمَّ أَمَرَتْ
 بِقَتْلِ مَنْ تَرِيدُ قَتْلَهُ .

عرفت مكانه فعمطت زورا^(١) * وأين مكان زور يابن بكر
على إريم وأحجار يقال^(٢) * وأغصان من السلمات شمر
وبنيان القبور أتى عليها * طوال الدهر شهرا بعد شهر

أخبرني عبدالله بن مالك الجحوى قال حدثنا محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي^(٣) قال :
حدثني عارض الجشمي^(٤) عن دريد وقد خرف وهو عريان وهو يكوم كوم بطحاء
بين رجليه يلعب بذلك ؛ فجعل عارض يتعجب مما صار إليه دريد . فرفع رأسه
دريد إليه وقال :

كأنتي رأس حصن^(٥) * في يوم غيم ودجن^(٦)
يا ليتني عهد زمن^(٧) * أنقض رأسي وذقن^(٨)
كأنتي قل حصن^(٩) * أرسل في جبل عنن^(١٠)
أرسل كالظبي الأرنب^(١١) * ألصق أذنا بأذن

قال : ثم سقط ؛ فقال له عارض : انفض دريد ! فقال :
لا نهض في مثل زمان الأول^(١٢) * محن الساق شديد الأعصل^(١٣)
ضخم الكراديس^(١٤) نخيص الأشكل^(١٥) * ذى حنجر رحب وصلب أعدل

(١) الزور في اللغة : الجمل القوى ، ولعله هنا اسم جمل . (٢) الإرم : حجارة تنصب عليها في المفازة .
(٣) البطحاء هنا : الحصى الصغار . (٤) حصن : اسم جبل . (٥) الدجن : جمع دجنة وهي الظلعة .
(٦) الأرنب : النشيط . (٧) التحنيط : احديداب في وظيفي يدى الفرس ، وهو ما يوصف صاحبه
بالشدّة . والأعصل : المعوج الصلب من كل شيء ، ومنه ناب أعصل أى معوج شديد ؛ قال أوس بن حجر :
* رأيت لها نابا من الشر أعصلا * وفي الأصول : « أعصل » بالضاد وهو تصحيف .
(٨) الكراديس : جمع كردوس وهو كل غنم تام ضخمة . (٩) ليس في كتب اللغة إلا الشاكلة
بمعنى الخاصرة وهي المرادة في هذا الشعر . (١٠) كذا في جميع الأصول والمراد به ليس وأصح .

حديث عارض
الجشمي عنه وقد
نرف

١٠

١٥

٢٠

خرج في حرب
حنين وهو شيخ
ونصح مالك بن
عوف نخالته

حدثنا محمد بن جرير الطبري قال حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله قال :

- لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة أقام بها خمس عشرة ليلة يقصر^(١)، وكان فتحها في عشر ليالٍ بقين من شهر رمضان . قال ابن إسحاق : وحدثني عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : لما سمعت به هوازن^٥ جمعها مالك بن عوف النصري ، فاجتمعت اليه ثقيف مع هوازن ، ولم يجتمع اليه من قيس إلا هوازن وناس قليل من بني هلال ، وغابت عنها كعب وكلاب ، فجمعت نصر وجشم وسعد وبنو بكر وثقيف واحتشدت ، وفي بني جشم دريد بن الصمة شيخ كبير فان ليس فيه شيء إلا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب ، وكان شيخا مجربا ، وفي ثقيف في الأحلاف قارب بن الأسود بن مسعود ، وفي بني مالك ذو الحمار سبيع بن الحارث ، وجماع أمر^{١٠} الناس الى مالك بن عوف . فلما أجمع مالك المسير حط مع الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم . فلما نزلوا بأوطاس^(٢) اجتمع اليه الناس وفيهم دريد بن الصمة^(٣) في شجار له يقاد به . فقال لهم دريد : بأي واد أتم ؟ قالوا : بأوطاس . قال : نعم مجال الخيل ، ليس بالحزن الضرس ولا السهل الدهس^(٤) . مالي أسمع رغاء الإبل ونهيق الحمير وبكاء الصغير وثغاء الشاء ؟ قالوا : ساق مالك بن عوف مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم^{١٥} . فقال : أين مالك ؟ فدعى له به . فقال له : يا مالك ، إنك قد أصبحت رئيس قومك ، وإن هذا اليوم كائن له ما بعده من الأيام ! . مالي أسمع رغاء البعير ونهيق الحمير وبكاء الصبيان وثغاء الشاء ؟ ! قال : سقت مع الناس نساءهم وأبناءهم وأموالهم . قال :

١٥
٩

(١) قصر الصلاة : أن يترك من ذوات الأربع ركعتين ويصلي ركعتين .

(٢) أوطاس : واد بديار هوازن . (٣) الشجار : مركب أصغر من المودج .

(٤) الضرس : الصعب . (٥) الدهس : اللين السهل .

ولم ؟ قال : أردت أن أجعل مع كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم . قال : فانقضَّ به ووبَّخه ولامه ، ثم قال : راعى ضاين والله (أى أحق) ! وهل يردُّ المنهزمَ شيء ! إنما إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فضحت في أهلِكَ ومالك . ثم قال : ما فعلت كعبٌ وكلاب ؟ قال : لم يشهدا أحداً منهم . قال : غاب الحد والحد ! لو كان يومَ علاءٍ ورفعة لم تغب عنه كعبٌ وكلاب ! ولوددت أنكم فعلتم مثل ما فعلوا . فمن شهدا منهم ؟ قالوا : بنو عمرو ابن عامر وبنو عوف بن عامر . قال : ذاك الحدان من عامر لا ينفعان ولا يضران . ثم قال : يا مالك إنك لم تصنع بتقديم البيضة بيضة هوازن إلى نحر الخيل شيئاً . أرفعهم إلى أعلى بلادهم وعليا قومهم ثم ألق القوم بالرجال على متون الخيل ، فإن كانت لك لحق بك من وراءك ، وإن كانت عليك كنت قد أحرزت أهلَكَ ومالك ولم تُفْضَح في حريمك . قال : لا والله ما أفعل ذلك أبداً ! إنك قد خرفت وخرف رأيك وعلمك ، والله لتطيعنني يا معشر هوازن أو لأتكنن على هذا اله ف حتى يخرج من وراء ظهري — فنفس على دريد أن يكون له في ذلك اليوم ذكر ورأى — فقالوا له : أطعناك وخالفنا دريدا . فقال دريد : هذا يوم لم أشهده ولم أغب عنه . ثم قال :

يَالَيْتَنِي فِيهَا جَدَعُ * أَحْبُّ فِيهَا وَأَضَعُ
أَقُودَ وَطَفَاءَ الزَّمْعِ * كَأَنَّهُ شَاءَ صَدَعُ

قال : فلما لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهزم المشركون فأتوا الطائف ومعهما مالك بن عوف ، وعسكر بعضهم بأوطاس وتوجه بعضهم نحو نخلة^(٤) ، وتبعته خيل

٢٠ (١) الجلدع : الشاب الحدث . (٢) بيضة القوم : أصلهم ومجتمعهم . (٣) في السيرة : « متبع بلادهم » . (٤) نخلة : المراد هنا نخلة إيمانية ، وهى واد يصب فيه يدعان (اسم واد) وبه مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبه عسكرت هوازن يوم حنين (معجم البلدان لياقوت) .

رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك نخلة، فأدرك ربيعة بن ربيع السلمي أحد بني يربوع بن شمال بن عوف دريد بن الصمة فأخذ بخطام جملة وهو يظن أنه امرأة، وذلك أنه كان في شجار له، فأناخ به فإذا هو برجل شيخ كبير ولم يعرفه الغلام . فقال له دريد : ماذا تريد ؟ قال : أقتلك . قال : ومن أنت ؟ قال : أنا ربيعة ابن ربيع السلمي . فأنشأ دريد يقول :

ويح ابن الكمة^(٣) ماذا يريد * من الموعش الذاهب الأدرد
فأقسم لو أن بي قوة * لولت فرائضه تُرعد
ويا لهف نفسي ألا تكون * معي قوة الشارخ الأمد^(٤)

ثم ضربه السلمي بسيفه فلم يغز شيئا . فقال له : بئس ما سلحتك أمك ! خذ سيفي

١٦
٩

- ١٠ هذا من مؤخر رحلي في القرباب فأضرب به وأرفع عن العظام وأخفص عن الدماغ ،
فإني كذلك كنتُ أفعل بالرجال ، ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دريد
ابن الصمة ، فرب يوم قد منعت فيه نساءك ! . فزعمت بنو سليم أن ربيعة قال :
لما ضربته بالسيف سقط فأنكشف ، فاذا عجائه وبطن ينفذه مثل القراطيس^(٥)
من ركوب الخيل أغراء^(٦) . فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه ؛ فقالت له :
لقد أعتق قبيلك ثلاثاً من أمهاتك . وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثار
من توجه قبل أوطاس أبا عامر الأشعري ابن عم أبي موسى الأشعري ، فهزمهم

(١) في الأصول : « سمالك » والتصويب من السيرة لابن هشام والقاموس . (٢) كذا في السيرة . وفي الأصول : « أنها » . (٣) كذا في الأصول . وفي مختصر الأغاني : « تكمة » . وقد جاء في سيرة ابن هشام (ج ٢ ص ٨٥٢) أن ربيعة بن ربيع هذا يقال له ابن الدغنة وهي أمه فغلبت على اسمه ، ويقال : ابن لدغة . (٤) كذا في مختصر الأغاني . وفي سائر الأصول : « الشاخ » والشارخ : الشاب . (٥) العجان : الدبر ، وقيل هو ما بين الدبر والقبل . (٦) فرس عري : غير مسرج ، وصف بالمصدر ، ثم جعل اسماً لجمع قليل خيل أغراء . ولا يقال فرس عريان كما لا يقال رجل عري .

الله جل وعز وفتح عليه . فيزعمون أن سلمة بن دريد بن الصمة رماه بسهم فأصاب ركبته فقتله (يعني أبا عامر) .

فقالت عمرة بنت دريد ترثيه :

جَزَى عَنَّا الْإِلَهُ بَنَى سُلَيْمٍ * وَأَعْقَبَهُمْ بِمَا فَعَلُوا عَقَاقٍ^(١)
وَأَسْقَانَا إِذَا سَرْنَا إِلَيْهِمْ * دِمَاءَ خِيَارِهِمْ يَوْمَ التَّلَاقِ
فُرْبٌ مُنَوِّهٌ بِكَ مِنْ سُلَيْمٍ * أَجِيبَ وَقَدْ دَعَاكَ بِلَا رِمَاقٍ^(٢)
وَرُبَّ كَرِيمَةٍ أَعْتَقَتْ مِنْهُمْ * وَأُخْرَى قَدْ فَكَّكَتَ مِنَ الْوَنَاقِ

وقالت عمرة ترثيه أيضا :

قَالُوا قَتَلْنَا دُرَيْدًا قُلْتُ قَدْ صَدَقُوا * وَظَلَّ دَمْعِي عَلَى الْخُدَيْنِ يَتَسَدَّرُ^(٣)
لَوْلَا الَّذِي قَهَرَ الْأَقْوَامَ كُلَّهُمْ * رَأَتْ سُلَيْمٌ وَكَعْبٌ كَيْفَ تَأْتَمُرُ
إِذَا لَصَبَّحَهُمْ غَيْبًا وَظَاهِرَةً * حَيْثُ أَسْتَقَرَّ نَوَاهِمُ بِحَقْفَلٍ ذِفَرُ^(٤)

١٠

ونسخت من كتاب مترجم بأنه نسخ من نسخة عمرو بن أبي عمرو الشيباني يأثره عن أبيه قال محمد بن السائب الكلبي :

كان دريد بن الصمة يوما يشرب مع نفر من قومه ، فقالوا له : يا أبا ذؤافة — وكان يكنى بأبي ذؤافة وأبي قرة — أئيجو بنو الحارث بن كعب منك وقد قتلوا

١٥

استنحه قومه على
الأخذ بنار أخيه
خالد بن بن
الحارث فقال شعرا
وأجابه عبد الله
ابن عبد المدان

(١) في لسان العرب والسيرة لابن هشام : « وعقبهم » بدل « وأعقبهم » . وعقاق (بالبناء على الكسر) : المعقوق . (٢) الرماق من العيش : البلغة والقليل يمسك الرمح . (٣) في ١ ، م : « يتحدر » . وفي سيرة ابن هشام : « فظل دمع على السربال يتحدر » . (٤) كذا في السيرة لابن هشام . وقد جاء في لسان العرب (في مادة « غيب ») : « ومن كلامهم لأضربنك غب الحمار وظاهرة القرس ؛ فغب الحمار أن يرعى يوما ويشرب يوما ، وظاهرة القرس أن يشرب كل يوم نصف النهار » . وفي الأصول : « عناو ظاهريهم » وهو تحريف . (٥) كذا في السيرة . والذفر : المتغير الزائحة ؛ يقال : كتيبة ذفراء أي إنها سهكة من الحديد وصدته . وفي الأصول : « زفر » بالزاي وهو تحريف . ٤١

٢٠

أخاك خالداً؟! فقال لهم : إن القوم بجمرة مذبح^(١)، وهم أكفاء جشم، ولا يجمل بي هجاؤهم . فأحفظوه بكثرة القول وأغضبوه، فقال :

يا بني الحارث أتم معشر * زئدكم وارٍ وفي الحرب بهم^(٢)
ولكم خيلٌ عليها فتية * كأسود الغاب يمين الأجم
ليس في الأرض قبيلٌ مثلكم * حين يرفض العدا غير جشم
لست للصمة إن لم آتكم * بالحنأ ذيد تبارى في اللجم^(٣)
فتقر العين منكم مرة * بانبعاث الحز نوحة تلتد^(٤)
وترى نجران منكم بلقعا * غير شمطاء وطفلٍ قد يت^(٥)
فأنظروها كالسعالى شربا * قبل رأس الحول إن لم أخترم

قال : فتمنى قوله الى عبد الله بن عبد الممدان، فقال يُجيبه :

نبئت أن دريدا ظل معترضا * يهدى الوعيد الى نجران من حصن^(٦)
كالكلب يعوى الى بيدا مفيرة * من ذا يوعدنا بالحرب لم يحن^(٧)
إن تلقى حى بني الديان تلقهم * شم الأنوف إليهم عزة آلم^(٨)
ما كان في الناس للديان من شبه * إلا رعين وإلا آل ذى يز

١٧
٩

- ١٥ (١) يقال : بنو فلان جمرة، إذا كانوا أهل منعة وشدة . والجمرة : كل قوم يصبرون لقتال من قاتلهم لا يحالفون أحدا ولا ينضمون الى أحد، تكون القبيلة نفسها جمرة تصبر لقراع القبائل، كما صبرت عبس لقبائل قيس . قال أبو عبيدة : جمرات العرب ثلاثة بنو ضبة بن أد، وبنو الحارث بن كعب، وبنو نمير بن عامر، وطفئت منهم جمرتان : طفئت ضبة لأنها حالقت الرباب، وطفئت بنو الحارث لأنها حالقت مذبح، وبقيت نمير لم تطفأ لأنها لم تحالف . (٢) بهم : جمع بهمة وهو الشجاع .
- ٢٠ (٣) الحنأ ذيد : جباد الخيل، واحدها خنذيد . (٤) تلتد : تضرب صدرها في النياحة . (٥) السعالى : الغيلان، واحدها سعلالة . والشرب : جمع شارب وهو الضامر . (٦) حصن : جبل . (٧) لم يحن : لم يهلك . (٨) فى الأصول : « غرة » بالراء المهملة وهو تصحيف .

أَغْمَضُ جَفَوْنِكَ عَمَّا لَسْتَ نَائِلَهُ * نحن الذين سبقنا الناس بالدمن
نحن الذين تركنا خالداً عطباً * وَسَطَ الْعَجَاجِ كَأَنَّ الْمَرْءَ لَمْ يَكُنْ
إِنْ تَهَجُّنَا تَهْجُ أَتْجَادًا شَرَّاحَةً * ^(٢) بِيضَ الْوُجُوهِ مَرَّافِيدًا عَلَى الزَّمَنِ
أَوْرَى زِيَادًا لَنَا زَنْدًا وَوَالِدُنَا * عَبْدُ الْمَدَانِ وَأَوْرَى زَنْدَهُ قَطَنٌ ^(٣)

٥ أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا أبو بكر العامري عن ابن الأعرابي قال :

رده أسماء بن زنباع
عن طعينة زينب
وطعنه فأصاب عينه

أغار دريد بن الصمة في نفر من أصحابه ، فمزوا بأسماء بن زنباع الحارثي ومعه
طعينة زينب ، فأحاطوا به ليستزعوها من يده ، فقاتلهم دونها فقتل منهم وجرح ،
ثم اختلف هو ودريد طعتين : فطعنه دريد فأخطأه ، وطعنه أسماء فأصاب عينه ،
وأنهزم دريد ولحق بأصحابه ؛ فقال دريد في ذلك :

شلت يميني ولا أشرب معتقة * إذ أخطأ الموت أسماء بن زنباع

قال : وهي قصيدة .

ونسخت من كتاب أبي عمرو الشيباني الذي ذكرته يأثره عن محمد بن السائب
الكوفي قال :

قصته مع أنس بن
مدركة الخثعمي
وزيد بن عبد
المدان وشعره
في ذلك

١٥ جاور رجل من ثمالة عبد الله بن الصمة ، فهلك عبد الله وأقام الرجل
في جوار دريد . وأغار أنس بن مدركة الخثعمي على بني جشم ، فأصاب مأل
التمالي وأصاب ناساً من ثمالة كانوا جيّراً لدريد ؛ فكف دريد عن طلب القوم
وشغل بحرب من يليه ، وقال لجاره ذلك : أمهلني عامي هذا . فقال التمالي : قد
أمهلتك عامين . ونحج دريد ليلة لحاجته وقد أبطأ في أمر التمالي ، فسمعه يقول :

(١) كذا في الأصول ، وهو غير واضح . (٢) الشراحة : جمع شرح وهو القوى والطويل .

(٣) في هذا البيت إقواء وهو اختلاف حركة الروي .

كساك دُرَيْدُ الدَّهْرَ ثَوْبَ نَخَايَةٍ * وَجَدَعَكَ الْحَامِي حَقِيقَتَهُ أَنْسَ
 دَعِ الْخَلِيلَ وَالسُّمَرَ الطَّوَالَ خَلْتَعِيمَ * فَمَا أَنْتَ وَالرُّمْحُ الطَّوِيلُ وَمَا الْفَرَسُ
 وَمَا أَنْتَ وَالْفَزْوُ الْمُتَابِعَ لِلْعِدَا * وَهَمَّكَ سَوْقُ الْعَوْدِ وَالِدُّوُ وَالْمَرْسُ^(١)
 فَلَوْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ حَيًّا لَرَدَّهَا * وَمَا أَصْبَحْتُ إِلَّا بِبَجْرَانَ تُحْتَسِسُ
 وَلَا أَصْبَحْتُ عِرْسِي بِأَشَقِّ مَعِيشَةٍ * وَشَيْخٌ كَبِيرٌ مِنْ ثَمَالَةٍ فِي تَعَسِ
 يُرَاعِي نَجْمَ اللَّيْلِ مِنْ بَعْدِ هَجْعَةٍ * إِلَى الصَّبْحِ مَحْزُونًا يُطَاوِلُهُ النَّفْسُ
 وَكَنْتُ وَعَبْدُ اللَّهِ حَيًّا وَمَا أَرَى * أَبَالِي مِنَ الْأَعْدَاءِ مَنْ قَامَ أَوْ جَلَسَ
 فَاصْبَحْتُ مَهْضُومًا حَزِينًا لِفَقْدِهِ * وَهَلْ مِنْ نَكِيرٍ بَعْدَ حَوْلَيْنِ تَلْتَمِسُ

قال : فضايق دُرَيْدٌ ذَرْعًا بقوله ، وشاور أُولَى الرَّأْيِ مِنْ قَوْمِهِ ؛ فَقَالُوا لَهُ : أَرْحَلْ
 إِلَى يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَدَّانِ ؛ فَإِنَّ أَنْسًا قَدْ خَلَّفَ الْمَالَ وَالْعِيَالَ بِبَجْرَانَ لِلْحَرْبِ الَّتِي وَقَعَتْ
 بَيْنَ خَتَمٍ ، وَإِنْ يَزِيدٌ يَرُدُّهَا عَلَيْكَ . فَقَالَ دُرَيْدٌ : بَلْ أَقْدَمَ إِلَيْهِ قَبْلَ ذَلِكَ مِدْحَةً ثُمَّ

أَنْظَرَ مَا مَوْقِعِي مِنَ الرَّجُلِ ، فَقَالَ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ وَبَعَثَ بِهَا إِلَى يَزِيدَ :

بَنِي الدِّيَّانِ رُدُّوا مَالَ جَارِي * وَأَسْرَى فِي كُبُولِهِمُ الثَّقَالِ^(٢)
 وَرُدُّوا السَّبْيَ إِنْ شَتَمَ بَمْنٌ * وَإِنْ شَتَمَ مُقَادَاةً بِمَالِ
 فَاتَمَّ أَهْلُ عَائِدَةٍ وَفَضِيلِ * وَأَيَّدِ فِي مَوَاهِبِكُمْ طِوَالِ
 مَتَى مَا تَمْنَعُوا شَيْئًا فَلَيْسَتْ * حَبَائِلُ أَخْذِهِ غَيْرَ السَّوَالِ
 وَحَرْبُكُمْ بَنِي الدِّيَّانِ حَرْبٌ * يَغْصُ الْمَرْءُ مِنْهَا بِالزُّلَالِ
 وَجَارَتْكُمْ بَنِي الدِّيَّانِ بَسَلٌ^(٣) * وَجَارَكُمْ يُعَسِّدُ مَعَ الْعِيَالِ
 حَذًا عَبْدُ الْمَدَّانِ لَكُمْ حِذَاءً * مُحْصَرَةً الصَّدُورَ عَلَى مِثَالِ

٢٠ (١) العود : المسن من الابل . والمرس : الخيل ، والمراد هنا حبل الاستقاء .
 (٢) في ١ ، ٢ ، ٣ ، ح : « فِي كُبُولِكُمْ » . (٣) البسل : الحرام .

بَنِي الدِّيَّانِ لِبَنِي زِيَادٍ * هُمْ أَهْلُ التَّكْرُمِ وَالْفَعَالِ
فَأَوْلُونِي بَنِي الدِّيَّانِ خَيْرًا * أَقْرَ لَكُمْ بِهِ أُتْرَى اللَّيَالِي

قال : فلما بلغ يزيد شعره قال : وجب حق الرجل ! فبعث اليه أن أقدم علينا .
فلما قدم عليه أكرمه وأحسن مثواه . فقال له دريد يوماً : يا أبا النضر ، إني رأيت
منكم خصلاً لم أرها من أحد من قومكم : إني رأيت أبنيتكم متفرقة ، ويتاج خيلكم
قليلاً ، وسرحكم يميء معتماً ، وصبيانكم يتضاغون من غير جوع . قال : أجل ! أما
قلة نتاجنا فتناج هوazin يكفيننا . وأما تفرق أبنيتنا فللغيرة على النساء . وأما بكاء
صبياننا فإننا نبدأ بالخليل قبل العيال . وأما تمسسينا بالنعم فإت فينا الغرائب والأرامل ،
تخرج المرأة الى مالها حيث لا يراها أحد . قال : وأقبلت طلائعهم على يزيد ، فقال
شيخ منهم :

أَنْتَ السَّلَامَةُ فَارْعَ النَّعْمَ * وَلَا تَقْلِ الدَّهْرَ إِلَّا نَعْمَ
وَسَرَّحْ دُرَيْدًا بِنُعْمَى جُشْمَ * وَإِنْ سَالَكَ الْمَرْءُ أَحَدَى الْقُعْمِ^(٢)

فقال له دريد : من أين جاء هؤلاء ؟ فقال : هذه طلائعنا لا تسرح ولا نصطح
حتى يرجعوا إلينا . فقال له : ما ظلمكم من جعلكم جمرة مذبح . ورد يزيد عليه الأسارى
من قومه وجيرانه ، ثم قال له : سلني ما شئت ؛ فلم يسأله شيئاً إلا أعطاه إياه . فقال
دريد في ذلك :

مَدَحْتُ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَدَّانِ * فَأَكْرَمَ بِهِ مِنْ قَتَى مُتَدَحٍ
إِذَا الْمَدْحُ زَانَ قَتَى مَعْشِرٍ * فَإِنَّ يَزِيدَ يَزِينُ الْمَدْحَ
حَلَلْتُ بِهِ دُونَ أَصْحَابِهِ * فَأَوْرَى زِنَادِي لِمَا قَدَحَ

(١) تضاعى من الطوى : تضوّد من الجوع وصاح . (٢) القم : جمع قمّة وهي الأمر

الشاقي لا يكاد يركبه أحد .

وَرَدَّ النِّسَاءَ بِأَطْهَارِهَا * وَلَوْ كَانَ غَيْرُ يَزِيدٍ فَضَحَّ
وَفَكَ الرِّجَالَ وَكُلَّ امْرِئٍ * إِذَا أَصْلَحَ اللَّهُ يَوْمًا صَلَحَ
وَقُلْتُ لَهُ بَعْدَ عِتْقِ النِّسَاءِ * وَفَكَ الرِّجَالَ وَرَدَّ اللَّقْحَ^(١)
أَحْرَى فَوَارِسَ مِنْ عَامِرٍ * فَأَكْرِمَ بِنَفْحَتِهِ إِذْ نَفَحَ
وَمَا زِلْتُ أَعْرِفُ فِي وَجْهِهِ * بَكَرَى السُّؤَالَ ظُهُورَ الْفَرْحِ
رَأَيْتُ أَبَا النَّضْرِ فِي مَذْجٍ * بِمَنْزِلَةِ الْفَجْرِ حِينَ اتَّضَحَ
إِذَا قَارَعُوا عَنْهُ لَمْ يُقَرَّعُوا * وَإِنْ قَدَّمُوهُ لَكَشِشَ نَطَحَ
وَإِنْ حَضَرَ النَّاسَ لَمْ يُخْزِهِمْ * وَإِنْ وَازَنُوهُ بِقُرْبِ رَجَحَ
فَإِذَاكَ فَتَاهَا وَذُو فَضْلَهَا * وَإِنْ نَاجٍ بِفَخَارِ نَبَحَ

$$\frac{19}{9}$$

- ١٠ قال وقال ابن الكلبي : خرج دريد بن الصِّمَّة في فوارس من قومه في غزاة له ،
فلقيه مُسْهِر بن يزيد الحارثي ، الذي فقأ عين عامر بن الطُّفَيْل ، يقود بأمرأته أسماء
بنت حَزْن الحارثية . فلما رآه القوم قالوا : الغنيمة ، هذا فارسٌ واحد يقود ظِعِينَةً ،
وخليقٌ أن يكون الرجل قرشيًّا . فقال دريد : هل منكم رجل يمضي إليه فيقتله ويأتينا
به وبالظَّعِينَةِ ؟ فانتدب إليه رجلٌ من القوم فحمل عليه ، فلقيه مُسْهِرٌ فأخلفا طعنتين
بينهما ، فقتله مُسْهِر بن الحارث . ثم حمل عليه آخر فكانت سبيلهُ سبيل صاحبه ، حتى
١٥ قتل منهم أربعة نفر . وبقي دريد وحده فأقبل إليه ، فلما رآه ألقى الخِطَامَ من يده
إلى المرأة وقال : خُذِي خِطَامَكَ ، فقد أقبل إلى فارس ليس كالفُرسَان الذين
تقدّموه ، ثم قصد إليه وهو يقول :

قصته مع مسهر
ابن يزيد الحارثي
وشعره

أَمَّا تَرَى الْفَارِسَ بَعْدَ الْفَارِسِ * أَرْدَاهُمْ عَامِلٌ رَحٍ يَابَسُ

(١) اللقح : جمع لقحة وهي الناقة الحلوب .

فقال له دُرَيْد : من أنت لله أبوك؟ قال : رجلٌ من بني الحارث بن كعب . قال :
أنت الحَصِينُ؟ قال لا . قال : فالمُحَجَّلُ هَوْدَةَ؟ قال لا . قال : فمن أنت؟
قال : أنا مُسَهْرُ بْنُ يَزِيد . قال : فانصرف دُرَيْد وهو يقول :

أمن ذِكرِ سَلَمَى ماءً عَيْنِكَ يَهْمِلُ * كما أَنهَلَّ نَحْرُؤُ من شُعَيْبٍ مُشَلِّشِلٍ^(١)
وماذا تُرَجِّى بالسَّلامَةِ بعد ما * نَأَتْ حَقَبٌ وَأَبْيَضَ مِنْكَ المَرْجَلُ^(٢)
وحالت عَوَادِي الحربِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا * وَحَرْبٌ تَعْمَلُ المَوْتَ صِرْفًا وَتُنْهَلُ
قِرَاهَا إِذَا بَاتَ لَدَى مُقَاضَةٍ * وَذُو خُصَلٍ نَهْدُ المَرَائِلِ هَيْمِلُ^(٣)
كَيْشِ كَتَيْسِ الرَّمْلِ أَخْلَصَ مَنَّتَهُ * ضَرِيبُ الخَلَايَا والنَّقِيعِ المَعْجَلِ^(٤)
عَتِيدٌ لَأَيَّامِ الحُرُوبِ كَأَنَّهُ * إِذَا انْجَابَ رِيْعَانُ العَجَاجَةِ أَجْدَلُ^(٥)
يُجَاوِبُ جُرْدًا كَالسَّرَاحِينِ صُمْرًا^(٦) * تُرُودُ بِأَبْوَابِ البُيُوتِ وَتَصْهَلُ
عَلَى كُلِّ حَيٍّ قَدْ أَطْلَتْ بِفَارَةٍ * وَلَا مِثْلَ مَا لَاقَى الحِمَاسُ وَزَعْبُلُ^(٧)

— الحِمَاسُ وَزَعْبُلُ : قَبِيلَتَانِ مِنْ بَنِي الحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ —

غَدَاةَ رَأُونَا بِالْغَرِيفِ كَأَنَّنَا * حَيٍّ أَدْرَنَتْهُ الصَّبَا مَهْلَلٌ^(٨)
بِمُشْعَلَةٍ تَدْعُو هَوَازَنَ ، فَوْقَهَا * نَسِجٌ مِنَ المَآذِي لَامٌ مَرْفَلٌ^(٩)

- ١٥ (١) شَلِّشِلُ المَاءِ : قَطَر . (٢) المَرْجَلُ : الشَّعْرُ ؛ يُقَالُ : رَجُلٌ الشَّعْرُ إِذَا مَرَحَهُ .
(٣) المُقَاضَةُ هُنَا : الدَّرْعُ . وَذُو خُصَلٍ : يَرِيدُ فَرَسًا . وَالمَرَائِلُ : جَمْعُ مَرَكَلٍ وَهُوَ حَيْثُ تُصَوِّرُ رَجُلَكَ
مِنَ الدَّابَّةِ ؛ يُقَالُ فَرَسٌ نَهْدَ المَرَائِلِ أَيْ وَاسِعَ الجُوفِ . وَالمُهِمِلُ : الضَّخْمُ . (٤) الكَيْشُ : السَّرِيعُ .
(٥) الضَّرِيبُ : اللَّيْنُ . وَالخَلَايَا : جَمْعُ خَلِيَةٍ وَهِيَ النَّافَةُ الْخَلَاةُ لِلْخَلْبِ . يَرِيدُ أَنَّ هَذَا الفَرَسَ مَعْنَى بِهِ .
(٦) الأَجْدَلُ : الصَّقَرُ . (٧) كَذَا فِي ح . وَفِي سَائِرِ الْأَصُولِ «يُحَارِبُ» وَهُوَ مُحَرِّفٌ .
(٨) السَّرَاحِينُ : الذَّنَابُ وَاحِدُهَا سَرَحَانٌ . (٩) كَذَا فِي الْأَصُولِ . وَلَعَلَّهَا العَزِيفُ أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ .
٢٠ (١٠) الحَيُّ : السَّحَابُ الْمُتَرَاكِمُ . وَفِي الْأَصُولِ : «حَيٌّ» بَيَّانٌ . (١١) المَآذِي :
الدَّرْعُ الْبَيْتَةُ السَّهْلَةُ . وَالمَآذِي : الدَّرْعُ ، وَاحِدُهَا لَأَمَةٌ . وَالمَرْفَلُ : الْمُسْبِغُ .

لدى مَعْرَكٍ فيها تركنا سَرَاتِهِمْ * يُنَادُونَ، منهم مُوثِقٌ وَمَجْدَلٌ
يَجْذِبُ جِهَارًا بالسيفِ رَعْسَهُمْ * وأرماحُنا منهم تَعْلٌ وَتَنْهَلُ
تَرى كُلَّ مَسودِّ العِذارينَ فارِسٍ * يُطِيفُ به نَسْرٌ وَعَرَفَاءُ جِيَالُ

قال مؤلف هذا الكتاب : هذه الأخبار التي ذكرتها عن ابن الكلبي موضوعة
كلُّها، والتوليد بين فيها وفي أشعارها، وما رأيت شيئا منها في ديوان دريد بن الصِّمَّة
على سائر الروايات. وأعجب من ذلك هذا الخبر الأخير؛ فإنه ذكر فيه ما لحق دريدا
من الهُجَّة والفضيحة في أصحابه وقتل من قُتل معه وأنصرافه منفردا، وشعر دريد
هذا يفخر فيه بأنه ظفر ببنى الحارث وقتل أمثالهم؛ وهذا من أكاذيب ابن الكلبي.
ولمَّا ذكرته على ما فيه لئلا يسقط من الكتاب شيء قد رواه الناس وتداولوه.

٢٠
٩

- ١٠ (١) كذا في ج. والعرفاء : الضيع؛ سميت بذلك لكثرة شعر رقبته. وجيال : من أسماء الضيع أيضا،
معرفة بغير ألف ولام. وقال كراع : الجيال، فأدخل عليها الألف واللام، وشاهده قول العجاج :
يدعن ذا الثروة كالحجيل * وصاحب الإقتصار لم الجيال
وفي سائر الأصول : «غربان جيال» وهو محريف.

أخبار المعتضد في صنعة هذا اللحن وغيره من الاغانى

— دون أخباره في غير ذلك لأنها كثيرة تخرج عن حد الكتاب —
وشئ من أخباره مع المغنين وغيرهم يصلح لما هاهنا

راسل عبيد الله
ابن عبد الله بن
طاهر في أمر النغم
العشر حتى فهمها
وجمعها في صوت

حدثني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر
أن المعتضد بعث إليه — لما صنعت جاريته شاجي اللحن الذي يجمع النغم العشر —
بظبي وحيب جاريته أخيه سليمان بن عبد الله بن طاهر حتى أخذتا اللحن عنه ونقلتا
إليه وألقتا على جواريه . قال : ولم يزل يرأسني مع عبد الله بن أحمد بن حمدون في أمر
النغم العشر ويسألني عنها وأشرحها له ، حتى فهمها جيذا وجمعها في صوت صنعه
في شعر دريد بن الصمة :

يا ليتني فيها جذع * أخب فيها وأضع

وألقاه عليهما حتى أدتاها إلى مستعلما بذلك هل هو صحيح القسمة والأجزاء أم لا ،
فعرفته صحته ودلته على ذلك حتى تيقنه فسر بذلك ؛ وهو لعمري من جيد الصنعة
ونادرها . وقد صنع المعتضد الحاناً في عدة أشعار قد صنع فيها الفحول من القدماء
والمحدثين وعارضهم بصنعتهم فأحسن وشاكل وضاهى ، فلم يعجز ولا قصر ولا أتى
بشيء يعتذر منه . فمن ذلك أنه صنع في :

أما القطاة فإني سوف أنعمها * نعتاً يوافق نعتي بعض ما فيها

لحناً من الثقيل الأول بالبنصر في نهاية الجودة ، سمعت إبراهيم بن القاسم بن زُرُور
يغنيها ، فكان من أحسن ما صنع في هذا الصوت على كثرة الصنعة فيه واشتراك

القدماء والمُحدثين في صنعتهم مثل مَعْبَدٍ وَنَشِيطٍ وَمَالِكٍ وَابْنِ مُحَرِّزٍ وَسِنَانٍ وَعُمَرُ الْوَادِي
وَأَبْنِ جَامِعٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَأَبْنَةَ إِسْحَاقَ وَعَلَوِيَّةَ . وَأُظْرَفُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ صَنَعَ فِي :

تَشَكَّى الْكُمَيْتُ الْجَحْرَى لَمَّا جَهَدَتْهُ * وَيَبْنَ لَوْ يَسْطِيعُ أَنْ يَتَكَلَّمَ

- لَحْنًا مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ^(١) بِالْوَسْطَى، وَقَدْ صَنَعَ قَبْلَهُ أَبْنُ سُرَيْجٍ لَحْنًا هُوَ مِنَ الْأَلْحَانِ الثَّلَاثَةِ
الْمُخْتَارَةِ مِنَ الْغِنَاءِ كُلِّهِ، فَمَا قَصَّرَ فِي صِنْعَتِهِ وَلَا تَجَزَّزَ عَنْ بُلُوغِ الْغَايَةِ فِيهَا؛ هَذَا بَعْدَ أَنْ
صَنَعَ إِسْحَاقَ فِيهَا لَحْنًا مِنَ الثَّقِيلِ الثَّانِي عَارِضَ أَبْنِ سُرَيْجٍ بِهِ فِي لَحْنِهِ، فَمَا آمْتَنَعَ مِنْ
أَنْ يَتَلَوَّ مِثْلَ هَذَيْنِ وَلَا نَظِيرَ لَهَا فِي الْقَدَمَاءِ وَالْمُحَدَّثِينَ، ثُمَّ جَوَّدَ غَايَةَ التَّجْوِيدِ فِيهَا
اتَّبَعَهُمَا بِهِ وَعَارِضَهُمَا فِيهِ . هَذَا مَعَ أَصْوَاتٍ لَهُ صَنَعَهَا تُزَاهِي الْمِائَةَ صَوْتًا، مَا فِيهَا^(٢)
سَاقِطٌ وَلَا مَرْدُودٌ، وَسَازِدٌ مِنْهَا مَا يَصْلُحُ ذِكْرُهُ فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .
وَمِنْ نَادِرِ صِنْعَةِ الْمُعْتَصِدِ :

١٠

صَوْت

أَنَاءَةٌ فَإِنْ لَمْ تُغْنِ عَقَّبَ بَعْدَهَا * وَعِيدًا، فَإِنْ لَمْ يُغْنِ أَغْنَتْ عَزَائِمُهُ

- الشَّعْرَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ، وَالْغِنَاءَ لِلْمُعْتَصِدِ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ . هَذَا بَيْتٌ قَالَهُ إِبْرَاهِيمُ وَهُوَ
لَا يَعْلَمُ أَنَّهُ شَعْرٌ، وَإِنَّمَا كَتَبَ بِهِ فِي رِسَالَةٍ عَنِ الْمُعْتَصِمِ^(٣) إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِ الْأَطْرَافِ
فَقَالَ فِي فَصْلِ مِنْهُ : « وَإِنْ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَمْرِكَ أَنَاءَةٌ، فَإِنْ لَمْ تُغْنِ عَقَّبَ
بَعْدَهَا وَعِيدًا، فَإِنْ لَمْ يُغْنِ أَغْنَتْ عَزَائِمُهُ » . فَلَمَّا تَأَمَّلَهُ رَأَى أَنَّهُ شَعْرٌ وَأَنَّهُ بَيْتٌ نَادِرٌ
فَأَخْرَجَهُ فِي شَعْرِهِ .

٢١
٩

(١) فِي أ، م : « الثَّانِي » . (٢) تَزَاهَى : تَضَاهَى . وَزَهَاءُ الشَّيْءِ : قَدْرُهُ .

(٣) فِي ج : « عَنِ الْمُعْتَصِدِ » .

أخبار إبراهيم بن العباس ونسبه

- إبراهيم بن العباس بن محمد بن صُول، وكان صُول رجلاً من الأتراك، ففتح يزيد
ابن المهلب بلده وأسلم على يديه، فهم موالي يزيد. ولما دعا يزيد إلى نفسه لحق به
صُول لينصره فصادفه قد قُتل. وكان يقاتل كل من بينه وبين يزيد من جيش بني أمية
ويكتب على سهامه: صُول يدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه. فبلغ ذلك يزيد بن
عبد الملك، فأغتاظ وجعل يقول: وَيْلِي على ابن الغلفاء! وماله وللدعاء إلى كتاب الله وسنة
نبيه! ولعله لا يفقه صلاته! . وكان ابنه محمد بن صُول من رجال الدولة العباسية
ودعاتها. وقد كان بعض أهلهم آذعوا أنهم عرب وأن العباس بن الأحنف خالهم.
وأما صُول فإن خالد بن خدّاش ذكر عن أهله قالوا: كان صُول وفير وزُ أخوين
ملكا على جرجان، وكانا تركيين تمجسا وتشبها بالفرس. فلما حضر يزيد بن المهلب
جرجان أمتنهما، فأسلم صُول على يديه ولم يزل معه حتى قُتل يوم العقر. وكان محمد
ابن صُول يُكنى أبا عُمارة، أحد الدعاة، وقتله عبد الله بن علي لما خالف مع مقاتل
ابن حَكيم العنكي وعِدّة آخرين. وأما إبراهيم بن العباس وأخوه عبد الله فإنهما كانا
من وجوه الكُتّاب، وكان عبد الله أسنهما وأشدّهما تقدما، وكان إبراهيم أدبهما
وأحسنهما شعرا، وكان يقول الشعر ثم يختاره، ويُسقط رذله، ثم يُسقط الوسط،
ثم يسقط ما يُسبق إليه، فلا يدع من القصيدة إلا اليسير، وربما لم يدع منها إلا بيتاً
أو بيتين؛ فمن ذلك قوله:

كان يقول الشعر
ثم يختاره

(١) في الأصول «نراش» بالراء. وقد تقدم خالد بن خدّاش غير مرة في الأجزاء السابقة.
(٢) هو عقربا بل وهو موضع عند ذكر بلاء قتل عنده يزيد بن المهلب (أنظر الحاشية رقم ١ ص ٢٢ ج ٩
من الأغاني طبع دار الكتب المصرية). (٣) كذا في الأصول. ولعله: «ويكنى أبا عُمارة الخ».
(٤) هو أحد قواد أبي مسلم الخراساني صاحب الدعوة العباسية. (أنظر الكلام عليه في تاريخ الطبري
ق ٢ ص ٢٠١ — ٢٠٣، ٢٠٥، ٢٠٦ طبعة أوربا).

القدماء والمُحدثين في صنْعته مثل مَعْبَدٍ وَنَشِيطٍ وَمَالِكٍ وَابْنِ مُحَرِّزٍ وَسِنَانٍ وَعُمَرَ الْوَادِي
وَأَبْنَ جَامِعٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَأَبْنَهُ إِسْحَاقَ وَعَلَوِيَّهٗ . وَأُظْهِرُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ صَنَعَ فِي :

تَسَكَّى الْكُمَيْتُ الْجَرَى لَمَّا جَهَدْتُهُ * وَيَبِّبُ لَوْ يَسْطِيعُ أَنْ يَتَكَلَّمَا

- لَحْنًا مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ بِالْوَسْطَى، وَقَدْ صَنَعَ قَبْلَهُ أَبْنُ سُرَيْجٍ لَحْنًا هُوَ مِنَ الْأَلْحَانِ الثَّلَاثَةِ^(١)
الْمُخْتَارَةِ مِنَ الْغَنَاءِ كُلِّهِ، فَمَا قَصَّرَ فِي صُنْعَتِهِ وَلَا تَجَزَّزَ عَنْ بُلُوغِ الْغَايَةِ فِيهَا؛ هَذَا بَعْدَ أَنْ
صَنَعَ إِسْحَاقَ فِيهَا لَحْنًا مِنَ الثَّقِيلِ الثَّانِي عَارِضَ أَبْنِ سُرَيْجٍ بِهِ فِي لَحْنِهِ، فَمَا آمَتَنَعَ مِنْ
أَنْ يَتَلَوَّ مِثْلَ هَذَيْنِ وَلَا نَظِيرَ لِهَآ فِي الْقَدَمَاءِ وَالْمُحَدَّثِينَ، ثُمَّ جَوَّدَ غَايَةَ التَّجْوِيدِ فِيمَا
اتَّبَعَهُمَا بِهِ وَعَارِضَهُمَا فِيهِ . هَذَا مَعَ أَصْوَاتٍ لَهُ صَنَعَهَا تُزَاهِي الْمِائَةَ صَوْتًا، مَا فِيهَا^(٢)
سَاقِطٌ وَلَا مَرْدُولٌ، وَسَآذُكَ مِنْهَا مَا يَصْلُحُ ذِكْرُهُ فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .
وَمِنْ نَادِرِ صُنْعَةِ الْمُعْتَضِدِ :

١٠

صوت

أَنَاةٌ فَإِنْ لَمْ تُغْنِ عَقَبَ بَعْدَهَا * وَعِيدًا، فَإِنْ لَمْ يُغْنِ أَغْنَتْ عَزَائِمُهُ

- الشَّعْرَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ، وَالْغَنَاءَ لِلْمُعْتَضِدِ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ . هَذَا بَيْتٌ قَالَهُ إِبْرَاهِيمُ وَهُوَ
لَا يَعْلَمُ أَنَّهُ شَعْرٌ، وَإِنَّمَا كَتَبَ بِهِ فِي رِسَالَةٍ عَنِ الْمُعْتَصِمِ^(٣) إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِ الْأَطْرَافِ
فَقَالَ فِي فَصْلِ مِنْهُ : « وَإِنْ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَمْرِكَ أَنَاةٌ، فَإِنْ لَمْ تُغْنِ عَقَبَ
بَعْدَهَا وَعِيدًا، فَإِنْ لَمْ يُغْنِ أَغْنَتْ عَزَائِمُهُ » . فَلَمَّا تَأَمَّلَهُ رَأَى أَنَّهُ شَعْرٌ وَأَنَّهُ بَيْتٌ نَادِرٌ
فَأَخْرَجَهُ فِي شَعْرِهِ .

٢١
٩

(١) فِي أ، م : « الثَّانِي » . (٢) تَزَاهَى : تَضَاهَى . وَزَهَاءُ الشَّيْءِ : قَدَرُهُ .

(٣) فِي ج : « عَنِ الْمُعْتَضِدِ » .

أخبار إبراهيم بن العباس ونسبه

- ٥ إبراهيم بن العباس بن محمد بن صُول، وكان صُول رجلاً من الأتراك، ففتح يزيد ابن المهلب بلده وأسلم على يديه، فهم موالى يزيد. ولما دعا يزيد إلى نفسه لحق به صُول لينصره فصادفه قد قُتل. وكان يقاتل كل من بينه وبين يزيد من جيش بني أمية ويكتب على سهامه: صُول يدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه. فبلغ ذلك يزيد بن عبد الملك، فأغتاظ وجعل يقول: وَيْلِي عَلَى آبِنِ الْغُلَاءِ! وماله وللدعاء إلى كتاب الله وسنة نبيه! ولعله لا يفقه صلاته! . وكان أبوه محمد بن صُول من رجال الدولة العباسية ودُعاهما. وقد كان بعض أهلهم آذعوا أنهم عرب وأن العباس بن الأخنف خالهم. وأما صُول فإن خالد بن خدّاش ذكر عن أهله قالوا: كان صُول وفير ورؤ أخوين ملكا على جرجان، وكانا تركيين تمجّسا وتشبها بالفرس. فلما حضر يزيد بن المهلب جرجان أمتنهما، فأسلم صُول على يديه ولم يزل معه حتى قُتل يوم النعقر. وكان محمد ابن صُول يُكنى أبا عمارة، أحد الدعاة، وقتله عبد الله بن عليّ لما خالف مع مقاتل ابن حكيم العسكيّ وعِدّة آخرين. وأما إبراهيم بن العباس وأخوه عبد الله فإنهما كانا من وجوه الثّكّاب، وكان عبد الله أسنهما وأشدّهما تقدّما، وكان إبراهيم أدبهما وأحسنهما شعرا، وكان يقول الشعر ثم يختاره، ويُسقط رذله، ثم يُسقط الوسط، ثم يسقط ما يُسبق إليه، فلا يدع من القصيدة إلا اليسير، وربما لم يدع منها إلا بيتاً أو بيتين؛ فمن ذلك قوله:

كان يقول الشعر
ثم يختاره

(١) في الأصول «خراش» بالراء. وقد تقدم خالد بن خدّاش غير مرة في الأجزاء السابقة.
(٢) هو عقربا بل وهو موضع عند كربلاء قتل عنده يزيد بن المهلب (أنظر الحاشية رقم ١ ص ٢٢ ج ٩ من الأغاني طبع دار الكتب المصرية). (٣) كذا في الأصول. ولعله: «ويكنى أبا عمارة الخ».
(٤) هو أحد قواد أبي مسلم الخراساني صاحب الدعوة العباسية. (أنظر الكلام عليه في تاريخ الطبري ق ٢ ص ٢٠٠١ — ٢٠٠٣، ٢٠٠٥، ٢٠١٦ طبعة أوروبا).

ولكنّ الجواد ابا هشام * وفى العهد مأمون المغيّب
وهذا ابتداء يدلّ على أن قبله غيره؛ وقوله فى أخيه :

ولكنّ عبد الله لما حوى الغنى * وصار له من بين إخوته مال

وهذا أيضا ابتداء يدلّ على أن قبله غيره . وكان إبراهيم وأخوه عبد الله من صنائع
ذى الرّياستين، اتّصلا به فرغ منهما . وتنقل إبراهيم فى الأعمال الجليّة والدواوين إلى
أن مات وهم يتقلّد ديوان الضّبايع والنفقات بسرّ من رأى فى سنة ثلاث وأربعين
ومائتين للنصف من شعبان .

قال محمد بن داود وحدثني أحمد بن سعيد بن حسّان قال حدثني ابن إبراهيم^(١)

قال سمعت دُعِيلاً يقول :

لو تكسّب إبراهيم بن العباس بالشعر لتركنا فى غير شيء . قال : ثم أنشدنا له ،
وكان يستحسن ذلك من قوله :

إبّ امرأ ضنّ بمعروفه * عنى لمبذولّ له عذرى

ما أنا بالراغب فى عُرفه * إن كان لا يرغب فى شكرى

وكان إبراهيم بن العباس صديقاً لمحمد بن عبد الملك الزيات ، ثم آذاه وقصده
وصارت بينهما شحنة عظيمة لم يمكن تلافيها ، فكان إبراهيم يهجوّه ؛ فمن قوله فيه :
٢٢
٩
١٥
هجاؤه محمد بن
عبد الملك الزيات
وتشفيه بموته

أبا جعفر خفّ خَفْضَةً بعد رَفْعَةٍ * وقصّر قليلاً عن مَدَى ظُلُومِكَ

لئن كان هذا اليوم يوماً حَوَيْتَهُ * فإنّ رجائى فى غيدِ كرجائك

وله فيه أيضا :

دعوتك فى بَلَوَى أَلَمْتُ صرُوفُها * فأوقدت من ضِغْنٍ على سَعِيرِها

فإني إذا أدعوك عند مُلِمَّةٍ * كداعية عند القبور نصيرِها

(١) كذا فى ب ، س . وفى سائر الأصول : « أحمد بن داود » .

وقال فيه لما مات :

لما أتاني خبر الزيات * وأنه قد صار في الأموات

* أيقنتُ أنَّ موته حياي *

أخبرني بحظة قال حدثني ميمون بن هارون قال : لما أنحرف محمد بن عبد الملك الزيات عن إبراهيم تحاماه الناس أن يلقوه ، وكان الحارث بن بسخر صديقا له مصافيا ، فهجره فيمن هجره من إخوانه ، فكتب إليه :

تَفسِّرُ لي فيمن تَفسِّرُ حارثُ * وكم من أخ قد غيَّرتَه الحوادثُ

أحارثُ إن شوركُ فيك فطالما * غَيَّبنا وما بيني وبينك ثالثُ

وقد قيل : إن هذه الأبيات لإسحاق بن إبراهيم الموصلي .

ومن جيد قول إبراهيم بن العباس وفيه غناء :

صوت

خَلَّ النَّفاقَ لأهله * وعليك فآلِمْسِ الطَّرِيقَ

وَأَذْهَبْ بِنَفْسِكَ أَنْ تُرَى * إلَّا عدواً أو صديقا

الغناء لأبي العبيس بن حمدون ، ثَقِيلٌ أوَّل .

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال : كان إبراهيم ابن العباس يهوى قَيْنَةَ بَسْرَ مَنْ رَأَى ، فكان لا يكاد يفارقها . بفلس يوما للشرب ومعه إخوان له ، ودعا جماعة من جوارى القيان ، ودعاها فأبطأت ، فتنَّصَّ عليهم يومهم لما رأوا من شُغْلِ قلبه بتأخرها ، ثم وافَتْ فُسْرَى عنه وطابت نفسه وشرب وطرب ، ثم دعا بدواة فكتب :

ألم تَرنا يومنا إذ نأث * فلم تأتِ من بين أترابها

وقد غمَّرتنا دواعي السرور * بإشغالها وبإلهاها

هجره صديقه
الحارث بن بسخر
مرضاة لمحمد بن
عبد الملك الزيات
فقال في ذلك شعرا

قصة عشقه
لقينة وانكاشه
لتأخرها وشعره فيها

٥

١٠

١٥

٢٠

وَمَدَّتْ عَلَيْنَا سَمَاءَ النِّعَمِ * وَكُلُّ الْمُنَى تَحْتَ أَطْنَابِهَا^(١)
 وَنَحْنُ قُتُورٌ إِلَى أَنْ بَدَتْ * وَبَدْرُ الدُّجَى بَيْنَ أَثْوَابِهَا
 فَلَمَّا نَأَتْ كَيْفَ مُكَّهَا * وَلَمَّا دَنَتْ كَيْفَ صِرْنَا بِهَا
 وَأَمْرٌ مِنْ حَضَرَ فَقَرَأَ عَلَيْهَا الْآيَاتِ؛ فَتَجَنَّتْ وَقَالَتْ: مَا الْقِصَّةُ كَمَا وَصَفْتَ،
 وَقَدْ كُنْتُمْ فِي قَصْفِكُمْ مَعَ مَنْ حَضَرَ، وَإِنَّمَا تَجَمَّلْتُمْ لِي لَمَّا حَضَرْتُ. فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

يَا مَنْ حَنِينِي إِلَيْهِ * وَمَنْ فَوَّادِي لَدَيْهِ
 وَمَنْ إِذَا غَابَ مِنْ يَدِهِ * نَهْمُ أَسْفَتْ عَلَيْهِ
 إِذَا حَضَرْتَ فَمَا مِنْهُ^(١) * نَهْمُ مَنْ أَصْبُو إِلَيْهِ
 مَنْ غَابَ غَيْرُكَ مِنْهُمْ * فَأَمْرُهُ فِي يَدَيْهِ

٢٣
٩

قال: فرضيت عنه، وأتممتنا يومنا على أحسن حال.

وقال محمد بن داود حدثني محمد بن القاسم قال حدثني إبراهيم بن المدبر قال
 حدثني إبراهيم بن العباس - قال حدثني به دُعِيلٌ أيضًا فكانا متفقين في الرواية - قال:
 تَكُنَّا نَطْلُبُ جَمِيعًا بِالشَّعْرِ، فَخَرَجْنَا وَكُنَّا فِي تَحْجِيلٍ، فَابْتَدَأْتُ أَقُولُ فِي الْمَطْلَبِ
 ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ:

أجازه دُعِيلٌ
في شعر

١٥ * أَمَطَّلِبُ أَنْتَ مُسْتَعِذِبٌ *

فقال دُعِيلُ:

* لَسَمَّ الْأَفَاعِي وَمُسْتَقْتِلُ *

فقلت:

* فَإِنْ أَشْفِ مِنْكَ تَكُنْ سُبَّةً *

٢٠

فقال دُعِيلُ:

* وَإِنْ أَعْفُ عَنْكَ فَمَا تَفْعَلُ *

(١) الأطناب: جمع طناب: وهو حبل طويل يشد به سرادق البيت.

روى له الأخفش
أبياتا كان يفضلها
ويستجدها

أنشدني الأخفش لإبراهيم بن العباس وكان يفضلها ويستجدها :
أميل مع الذمام على ابن أمي * وأخذ للصدّيق من الشقيق
وإن ألفتني حراً مطاعاً * فإنك واجدي عبد الصديق
أفرق بين معروف ومني * وأجمع بين مالى والحقوق

أخبرني عمي قال حدثني أبو الحسن بن أبي البغل قال حدثني عمي قال :

(١)
اجتاز محمد بن عليّ برد الخيار على أبي أيوب ابن أخت الوزير وهو متولّي ديار
مُضر فلم يتلقه ، ونزل الرقة فلم يصل إليه ولم يره ، وخرج عنها فلم يُشِعه . فلامه إخوانه
وقالوا : يشكوك إلى إبراهيم بن العباس . فكتب إلى إبراهيم يعتذر مما جرى بعلة .
فكتب إليه إبراهيم على ظهر كتابه :

أبداً مُعتذر لا يُعذر * وركوبٌ للتي لا تُغفر
وملقى بمساوكلها * منه تبدو وإليه تصدر
هي من كل الوري مُنكرة * وهي منه وحده لا تُنكر

كان يهوى جارية
اسمها « سامر »
أهدت له جارينتين

أخبرني عمي قال حدثني ابن برد الخيار عن أبيه قال :

كان إبراهيم بن العباس يهوى جارية لبعض المغنّين بسُرّ من رأى يقال لها
سامر ، وشهر بها ، فكان منزله لا يخلو منها . ثم دُعيت في وليمة لبعض أهلها فغابت عنه
أياماً ثم جاءت معه جاريتان لمولاتها ، وقالت له : قد أهديت صاحبتك إليك عوضاً من
مغيبك عنك ؛ فأنشأ يقول :

(١) كذا في الأصول وتاريخ الطبري (ق ٣ ص ١٤٩٩) . وفي معجم الادباء لياقوت في الكلام على

إبراهيم بن العباس : " محمد بن علي بن برد الخياز " بالزاي .

صوت

أقبلن يحففن مثل الشمس طالعة * قد حسن الله أولاهن وأنحراها
ما كنت فيمن إلا كنت واسطة * وكن دونك يئنها ويئسراها

الغناء لسلسل مولى بنى هاشم، ثانی ثقيل بالوسطى مطلق . وليس لسلسل خبر يدون
ولا هو من المشهورين ولا ممن خدم الخلفاء أو دون له حديث . وذکر حبش أنه
لسلسل مولاة محمد بن حرب الهلالي . وسلسل هذه كانت من أحسن الناس وجها
وغناء، وكانت لبعض المغنين بالبصرة ، وكان محمد بن حرب هذا يتعشقها ولم تكن
مولاته . فأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا إسحاق بن محمد النخعي قال
حدثني حماد بن إسحاق قال : أتى أبا بن عبد الحميد الشاعر رجلا بالبصرة وله
قينة يقال لها سلسل ، فصادف عندها محمد بن قطن الهلالي وعثمان بن الحكم بن صخر
التقفى فقال :

$$\frac{24}{9}$$

فتنت سلسل قلب ابن قطن * ثم تنت با بن صخر فافتن
فاتيت اليوم كي أنقذهم * فإذا نحن جميعا في قرن

فأظن الغلط وقع على حبش من هاهنا أو سمع هذا الخبر فتوهم أنها مولاة محمد
ابن حرب .

١٥

أخبرني عمي ووكيع قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني محمد بن عيسى
ابن عبد الرحمن قال :

ذهابه مع دعبيل
ودزين ودكوبهم
حير أهل الشوك
وشعرهم في ذلك

نخرج إبراهيم بن العباس ودعبيل بن علي وأخوه رزين في نظرائهم من أهل
الأدب رجالة إلى بعض البساتين في خلافة المأمون، فلقبهم قوم من أهل السواد من
أصحاب الشوك، فأعطوهم شيئا وركبوا تلك الحمير؛ فأنشأ إبراهيم يقول :

٢٠

أَعِيضَتْ بِعَدِّ حَمْلِ الشَّوْ * لِكَ أَحْمَالًا مِنْ الْحَرْفِ^(١)
نَسَاوَى لَا مِنْ الصَّهْبَا * بَلْ مِنْ شِدَّةِ الضَّعْفِ

فَقَالَ رَزِين :

فَلَوْ كُنْتُمْ عَلَى ذَاكَ * تَوَوَّلُونَ إِلَى قَصِيفٍ
تَسَاوَتْ حَالُكُمْ فِيهِ * وَلَمْ تَبْقُوا عَلَى خُسْفٍ

فَقَالَ دِغِيل :

وَإِذَا فَاتَ الَّذِي فَاتَ * فَكُونُوا مِنْ بَنِي الظَّرْفِ
وَمُرُّوا تَقْصِيفَ الْيَوْمِ * فَإِنِّي بَائِعٌ خُنْفَى

فَانْصَرَفُوا مَعَهُ فَبَاعَ خُفَّهُ وَأَنْفَقَهُ عَلَيْهِمْ .

١٠ أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مَهْرُوبٍ قَالَ قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ الْإِسْكَافِيُّ :

كَانَ لِإِبْرَاهِيمَ ابْنٌ قَدْ يَفَعُ وَتَرَعَرَعَ، وَكَانَ مُعْجَبًا بِهِ فَأَعْتَلَّ حِلَّةً لَمْ تَطُلْ وَمَاتَ؛
فَرثَاهُ بِمِرَاثٍ كَثِيرَةٍ، وَجَزَعَ عَلَيْهِ جَزْعًا شَدِيدًا. فَمَا رثَاهُ بِهِ قَوْلُهُ :

كُنْتُ السَّوَادَ لَمُفْلَتِي * فَبَكَى عَلَيْكَ النَّاطِرُ
مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلَيْمْتُ * فَعَلَيْكَ كُنْتُ أَحَاذِرُ

فِيهِ رَمْلٌ لِابْنِ الْقَصَّارِ . وَمِنْ مِرَاثِيهِ لِيَاَهُ قَوْلُهُ :

وَمَا زِلْتُ مُدْلَدٌ أُعْطِيْتُهُ * أَدَانَعُ عَنْهُ حِمَامَ الْأَجَلِ
أَعُوذُهُ دَائِبًا بِالْقُرْآنِ * وَأَرْمَى بِطَرْفِي إِلَى حَيْثُ حَلَّ
فَأَصْحَتْ يَدِي قَصْدُهَا وَاحِدٌ * إِلَى حَيْثُ حَلَّ فَلَمْ يَرْتَحِلْ

٢٠ وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي طَاهِرٍ حَدَّثَنِي أَبُو وَائِلَةَ قَالَ : قُلْتُ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ : قَدْ أَحْمَلْتَ
نَفْسَكَ وَرَضِيتَ أَنْ تَكُونَ تَابِعًا أَبَدًا لِاِقْتِصَارِكَ عَلَى الْقَصْفِ وَاللَّعِبِ؛ فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

(١) كَذَا فِي الْأُمُولِ .

إِنَّمَا الْمَرْءُ صُورَةٌ * حَيْثُ حَلَّتْ تَنَاهَتْ
أَنَا مَذْكُوتٌ فِي التَّصَرُّفِ لِي حَالٌ سَاعَتِي

أخبرنا محمد بن يحيى الصُّبُولِيُّ قال حدثني ابن السَّيِّحِيِّ قال :
وَهَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ لِأَخِيهِ إِبْرَاهِيمَ ثُلُثَ مَالِهِ ، وَوَهَبَ لِأَخْتِهِ الثَّلَاثَ الْآخَرِ وَشَعْرَهُ
فِي ذَلِكَ

٥

وَلَكِنْ عَبْدُ اللَّهِ لَمَّا حَوَى الْغَنَى * وَصَارَ لَهُ مِنْ بَيْنِ إِخْوَتِهِ مَالٌ
رَأَى خَلَّةً مِنْهُمْ تُسَدُّ بِمَالِهِ * فَسَاهَمَهُمْ حَتَّى آسَتُوهُمْ بِهِمْ الْحَالُ
وَهَذَا مِمَّا عَيَّبَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ قَوْلُهُ أَبْتَدَاءَ "وَلَكِنْ عَبْدُ اللَّهِ" . وَقَدْ كَرَّرَهُ فِي شَعْرِهِ فَقَالَ :

وَلَكِنْ الْجَوَادَ أَبَا هِشَامٍ * وَفِي الْعَهْدِ مَأْمُونُ الْمَغِيبِ
بَطِيءٌ عَنْكَ مَا اسْتَغْنَيْتَ عَنْهُ * وَطَلَّاعٌ عَلَيْكَ مَعَ الْخَطُوبِ
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ اخْتِيَارُهُ شَعْرَهُ وَإِسْقَاطُهُ مَا لَمْ يَرْضَهُ مِنْهُ .

٢٥
٩

١٠

وَقَرَأْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ : لَمَّا غُزِيَ إِبْرَاهِيمَ بْنُ الْعَبَّاسِ عَنِ الْأَهْوَازِ فِي أَيَّامِ
مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتِ أَعْتُقِلَ بِهَا وَأُوذِيَ ، وَكَانَ مُحَمَّدٌ قَبْلَ الْوِزَارَةِ صَدِيقَهُ ،
وَكَانَ يُؤْمَلُ مِنْهُ أَنْ يُسَاحِمَهُ وَيُطْلِقَهُ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ :

عزله عن الأهواز

١٥

فَلَوْ إِذْ نَبَأَ دَهْرٌ وَأُنْكِرَ صَاحِبٌ * وَسُلِّطَ أَعْدَاءُ وَغَابَ نَصِيرٌ
تَكُونُ عَنِ الْأَهْوَازِ دَارِي بَنَجْوَةٍ * وَلَكِنْ مَقَادِيرُ جَرَتْ وَأُمُورُ
وَلِي لَأَرْجُو بَعْدَ هَذَا مُجَدًّا * لِأَفْضَلِ مَا يُرْجَى أَخُ وَوَزِيرُ
فَأَقَامَ مُحَمَّدٌ عَلَى قَصْدِهِ وَتَكْشِفِهِ وَالْإِسَاءَةَ إِلَيْهِ حَتَّى بَلَغَ مِنْهُ كُلَّ مَكْرُوهٍ ، وَأَنْفَرَجَتْ الْحَالُ
بَيْنَهُمَا عَلَى ذَلِكَ ، وَهَجَاهُ إِبْرَاهِيمَ هَجَاءً كَثِيرًا .

أرسل ابن الزيات
أبا الجهم للنكاية به

وأخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني أبو عبد الله الباقراني أو الطالقاني قال حدثني علي بن الحسين بن عبد الأعلى قال :

وجه محمد بن عبد الملك بأبي الجهم أحمد بن سيف إلى الأهواز ليكشف إبراهيم ابن العباس ، فتحامل عليه تحاملاً شديداً . فكتب إبراهيم إلى محمد بن عبد الملك يعرفه ذلك ويشكوه إليه ويقول له : أبو الجهم كافر لا يُبالي ما عمل ، وهو القائل لما مات غلامه يخاطب ملك الموت :

وأقبلت تسعى إلى واحد * ضاراً كأنني قتلُ الرسولا
تركت عبيد بن طاهر * وقد ملئوا الأرض عرْضا وطولا
فسوف أدين بترك الصلاة * وأصطيح الخمر صرفاً شمولاً
فكان محمد لعصبيته على إبراهيم وقصده له يقول : ليس هذا الشعر لأبي الجهم ، إنما إبراهيم قار ، ونسبه إليه .

مدح المتوكل بيتين
وغنى بهما جعفر
ابن رفة

أخبرني أحمد بن جعفر بن رفة قال حدثني أبي قال دعاني إبراهيم بن العباس وقال : قد مدحت أمير المؤمنين المتوكل بيتين ، فغنّ فيهما وأشعثهما ، ودعاني بطيب كثير فأعطانيه ، وخلع عليّ خلعة سرية ، فغنّيت فيهما . والبيتان :

صوت

١٥

لما واحد من واحد * أولى بفضل أو مروءة
من أبوه وجده * بين الخلافة والنبوة
وأشعثهما وغنى فيهما المتوكل فاستحسنهما ووصله صلاة سنية .
لحن جعفر بن رفة في هذين البيتين رمل بالنصير

مدح الرضا لما
عقدت ولاية العهد
فأجازه

أخبرني محمد بن يونس الأنباري قال حدثني أبي :
أن إبراهيم بن العباس الصولي دخل على الرضا لما عقد له المأمونية وولاه
العهد، فأنشده قوله :

أزالت عزاء القلب بعد التجلُّد * مصارعُ أولاد النبي محمد

— صلى الله عليه وسلم — فوهب له عشرة آلاف درهم من الدراهم التي ضربت باسمه . فلم
تزل عند إبراهيم ، وجعل منها مهوور نسائه ، وخلف بعضها لكفنه وجهازه إلى قبره .

٢٦
٩

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني أبو العباس بن القرات والباقراني قال :
كان إسحاق بن إبراهيم ابن أخي زيدان صديقا لإبراهيم بن العباس ، فأنسخه
شعره في مدح الرضا ، ثم ولي إبراهيم بن العباس في أيام المتوكل ديوان الضياع ، فعزله
عن ضياع كانت بيده بخلوان ، وطالبه بمال وجب عليه ، وتباعد بينهما . فقال إسحاق
لبعض من يثق به : قل لإبراهيم بن العباس : والله لئن لم يكف عما يفعله في لأخرجن
قصيدته في الرضا بخطه إلى المتوكل . فأحجم عنه إبراهيم وتلافاه ، ووجه من أرتبع القصيدة
منه وجعله على ثقة من أنه لا يظهرها ، ثم أفرج عنه وأزال ما كان يطالبه به .

أذى إسحاق ابن
أخي زيدان فهذه
فكف عنه

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا إبراهيم بن المدبر قال :

نادرته في ثقیل

راكت إبراهيم بن العباس ، فلقينا رجلا كان إبراهيم يستثقله ، فسلم عليه . فلما
مضى قال : يا أبا إسحاق إنه جرمي . فقلت : ما كان عندي إلا أنه من أهل السواد .
فضحك وقال : إنما أردت قول الشاعر :

تسائل عن أخي جرم * ثقیل والذى خلقه

أخبرني الصولي قال حدثني محمد بن السخي قال حدثني الحسن بن عبد الله
الصولي قال :

كتابه في شقاعة
لرجل الى بعض
إخوانه

٢٠

(١) كذا في جميع الأصول هنا . وقد جاء في صفحة ٥ هـ في جميع الأصول أيضا : « أحمد بن السخي » .
وليس لدينا ما يرجح إحدى الروايتين .

كتب عَمِّي إبراهيمُ بن العباسِ شفاعَةً لرجلٍ إلى بعضِ إخوانه : فلانَ مَنْ يَزْكُو
شكره ، ويحسنُ ذِكْرَهُ ، وَيَعْنِي أَمْرَهُ ، والصَّنِيعَةُ عنده واقعةٌ موقِعها ، وسالكةٌ
طريقها .

وأفضلُ ما يأتِيه ذو الدِّينِ والحِجَا * إصابَةُ شكرٍ لم يَضَعْ مَعَهُ أَجْرُ

أخبرني عَمِّي عن أَبِي العِيْناءِ قال :

مدحه عبيد الله
ابن يحيى عند
المتوكل

كان عُبَيْدُ اللَّهِ بن يحيى يقولُ لِلتَّوَكَّلِ : يا أميرَ المؤمنين ، إن إبراهيمَ بن العباسِ
فضيلةٌ خَبَّأها اللهُ لك ، وذخيرةٌ ذَخَّرها لدولتك .

وذكر عن عليّ بن يحيى :

طلب إليه المتوكل
وصف القُدور
الابراهيمية
ومجونهما في ذلك

أنَّ المتوكلَ بعثَ إلى إبراهيمَ بن العباسِ يأمره أن يَصِفَ له القُدورَ
الإبراهيميةَ ، وكان أبتدعها ؛ فكتبَ له صِفَتَها ، وكتبَ في آخرها في ذكر الأبا زير :

”ووزن دَانِقٍ“ ونسَى أن يكتبَ من أيِّ شيء . فلَمَّا وصلتْ إليه الصِّفَةُ اغْتَظا ثم قال
لعليّ بن يحيى : احلفْ بحياتي أن تقولَ له ما أَمَرَك به ، ففعل . فقال له : قل وزنُ
دائقٍ من أيِّ شيء ؟ أَمِنْ بَطَرِ أَمَك ! قال عليّ بن يحيى : فدخلتُ إليه فقلت : إني
جئتُك في رسالةٍ عَزِيزٍ عليّ أن أُؤدِّيها ؛ فقال : هاتِها ، فأدَّيتها . قال : فأرجعْ إليه وقلْ له
عني : يا سيدي ، إن عليّ بن يحيى أَخِي وصديقِي وقد أدَّى الرسالةَ ؛ فإن رأيتَ أن تجعلَ
وزنَ الدائقِ من بَطَرِ أُمِّي وبَطَرِ أُمِّهِ جميعاً تَفَضَّلْتَ بذلك . فقلت : قَبَحَكَ اللهُ ! وأنا
أُيِّسُ ذَنْبِي ! قال : قد أدَّيتَ الرسالةَ وهذا جوابُها . فدخلتُ إلى المتوكلِ فقال : إياه
ما قال لك ؟ فقلتُ : قَبَحَ اللهُ ما جئتُك به ! وأخبرته بالجواب ؛ فضحك حتى خَفَضَ
رجله وجعلَ يَشْرَبُ عليه بَقِيَّةَ يومِهِ . وإذا لَقِيتُهُ قال لي : يا عليّ ، وزنَ دائقٍ أَيْسُ !

فأقول : لعنةُ اللهِ على إبراهيمِ .

داعب الحسن بن
وهب وشعره
في ذلك

٢٧
٩

- أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني محمد بن موسى بن حماد قال :
 . دعا الحسن بن وهب إبراهيم بن العباس ؛ فقال له : أركب وأجيثك عشياً
 فلا تنتظرنى بالغداة . فأبطأ عليه ، وأسرع الحسن في شربه فسكر ونام ، وجاء إبراهيم
 فراه على تلك الحال ، فدعا بدواة وكتب :
 رُحنا إليك وقد راحت بك الراح * وأسرعت فيك أوتار وأقباح
 قال : وحدثني محمد بن موسى قال :
 نظر إبراهيم بن العباس الحسن بن وهب وهو مخمور فقال له :
 عيناك قد حككتا مية * نك كيف كنت وكيف كانا
 ولرب عين قد أرت * لك مبيت صاحبنا
 ١٠ فأجابه الحسن بن وهب بعشرين بيتاً وطالبه بمثله ؛ فكتب اليه بأربعة أبيات وطالبه
 بأربعين بيتاً . وأبيات إبراهيم :
 أبا على خير قولك ما * حصلت أنجعه ومختصرة
 ما عندنا في البيع من ضن * لئستقل بواحد عشره
 أنا أهل ذلك غير مختشيم * أرضى القديم وأقننى أثره
 ١٥ ها نحن وفيناك أربعة * والأربعون لديك مستظرة
 أخبرني الصولي قال حدثني القاسم بن إسماعيل قال :
 سمعت إبراهيم بن العباس وقد لبس سواده يوماً يقول : يا غلام هات ذلك السيف
 الذى ماض الله به أحداً قط غيرى .

كان يستقل ابن
أخيه وحكايات
عنه في ذلك

- قال : وسأل يوماً عن ابن أخيه طماس وهو أحمد بن عبد الله بن العباس فقيل له :
 هو مشغول بطبيب ومنجم عنده ، وكان يستقله ، فقال قل له يا غلام : والله مالك
 ٢٠ في الناس طبع ؛ ولا في السماء نجم ، فمالك تكلف هذا التكلف .

أخبرني الصولي قال حدثني أحمد بن السخي قال :

أمر إبراهيم بن العباس أن يجمع كل أعور يمر في الطريق ، بجمعهم ووقفهم
ونخرج ومعه طلاس ، فلما رأى العور مجتمعين قال لطلاس : كلهم مثلك ، فترك هذا
الصلف فإنه داعية إلى التلف .

أخبرني الصولي قال حدثني ميمون بن موسى قال :

قال الحسن بن وهب لإبراهيم بن العباس : تعال حتى نعد البغضاء ، قال : ابدأ بي
أولاً من أجل ابن أختي طلاس ثم ثن بمن شئت .

أخبرني الصولي قال قال جعفر بن محمود :

أمر الحسن بن
مُحَمَّدُ بِأَمْرِ فَأَبْطَأَ
فِيهِ فَقَالَ شَعْرًا

رُكِبْتُ بَيْنَ يَدَيِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ . فَأَمَرَ الْحَسَنَ بْنَ مُحَمَّدٍ بِأَمْرِ فَأَسْتَبْطَأَهُ فِيهِ
فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَقَالَ :

مُعْجِبٌ عِنْدَ نَفْسِهِ * وَهُوَ لِي غَيْرُ مُعْجِبٍ
إِنْ أَقْلُ لَا يَقْلُ نَعَمْ * عَاتِبٌ غَيْرُ مُعْتَبٍ
مَوْلَعٌ بِالْخِلَافِ لِي * عَامِدًا وَالتَّجَنُّبِ
قُلْتُ فِيهِ بَضْدًا مَا * قِيلَ فِي أُمِّ جُنْدُبٍ

يريد قول امرئ القيس :

”خَلِيلِي مُرَائِي عَلَى أُمِّ جُنْدُبٍ“

أى فأنا لا أريد أن أمر بك .

قال وأخبرني الصولي قال حدثنا أحمد بن يزيد المهلبي عن أبيه قال :

تَنَادَرُ بَابُنَ الْكَلْبِيِّ
عِنْدَ الْمُتَوَكِّلِ لَمَّا
جَاءَ كِتَابُهُ

كان المتوكل قد ولي ابن الكلبي البريد ، وأحلفه بالطلاق ألا يكتمه شيئاً
من أمر الناس جميعاً ولا من أمره هو في نفسه . فكتب إليه يوماً أن أمرأته

(١) - هو الحسن بن محمد بن الجراح . تولى ديوان الضياع للمتوكل بعد موت إبراهيم بن العباس هذا . (انظر
الكلام عليه في تاريخ الطبري : ق ٣ ص ١٤٣٥ و ١٤٤٤ - ١٤٤٧ و ١٦٤٧ - ١٦٤٨) .

٢٨
٩

نحرجت مع حُبَّتْها في نُزْهة^(١)، وأن حُبَّتْها عَرَبَتْ عليها بفرحِتها في صُدْغِها . فقرأه إبراهيم
ابن العباس على المتوكل ثم قال له : يا أمير المؤمنين ، قد صحَّف ابنُ الكلبي ، إنما هو :
”بحرِحتها في سُرْمِها“^(٢) ، فضحك المتوكل وقال : صدقت . ما أظن القصة إلا هكذا . قال :
ولم يكن ابن الكلبي هذا من العرب ، إنما كان أبوه يلقَّب ”كَلْب الرُّحْل“
فقليل له الكلبي .

أخبرني عمي قال حدثنا ميمون بن هارون قال :

استعطافه محمد بن
عبد الملك الزيات

كتب إبراهيم بن العباس إلى محمد بن عبد الملك يستعطفه : كتبت إليك وقد
بلغت المُنْدِيَّةَ الحَزْزَ ، وَعَدَّتِ الأَيَّامُ بك عليّ ، بعد عَدْوِي بك عليها ، وكان أَسْوَأُ
ظَنِّي وأكثر خوفي ، أن تسكُنَ في وقت حَرَكَتِها ، وتكفَّ عند أذاها ، فصرت على أضرِّ
منها ، وكفَّ الصديق عن نُصْرَتِي خوفاً منك ، وبادر إلى العدو تقرباً إليك .
وكتب تحت ذلك :

أخ بني وبين الدهر * برصاحب أينا غلبا
صديق ما استقام فإن * نبا دهر على نبا
وثبت على الزمان به * فعاد به وقد وثبا
ولو عاد الزمان لنا * لعاد به أخا حديبا

قال وكتب إليه : أما والله لو أمنتُ ودَّك لقلت ؛ ولكني أخاف منك عتبا
لا تنصفني فيه ، وأخشى من نفسي لائمة لا تحتملها لي . وما قد قُدر فهو كائن ،
وعن كل حادثة أحوثة . وما استبدلت بحالة كنتُ فيها مغتبطاً حالة أنا في مكروهها
وألها أشدَّ عليّ من أني فزعت إلى ناصري عند ظلم ليحفي ، فوجدتُ من يظلمني
أحف نية في ظلمي منه ، وأحمد الله كثيراً . ثم كتب في أسفلها :

(١) الحبة : المحبوبة . (٢) في الأصول : « صرمها » بالصاد . وهو تحريف .
(٣) كذا في معجم الأدباء لياقوت . وفي الأصول : « المحزة » .

وكنّت أنى بإخاء الزمان * فلما نبا صرت حرباً عواناً
وكنّت أذم اليك الزمان * فأصبحتُ فيك أذم الزمانا
وكنّت أعدك للنسائبات * فأصبحتُ أطلب منك الأمانا

هجا محمد بن
عبد الملك وكان قد
أغرى به الواثق

أخبرني الصوليّ قال أخبرني الحسين بن فهم قال :

كان محمد بن عبد الملك قد أغرى الواثق بإبراهيم بن العباس ، وكان إبراهيم
يعاتبه على ذلك ويُداريه ، ثم وقف الواثق على تحامله عليه فرفع يده عنه وأمر أن
يقبل منه ما رفعه ، وردّه الى الحضرة مصوناً ، فلما أحس إبراهيم بذلك بسط
لسانه في محمد ، وحسن ما بينه وبين ابن أبي دؤاد^(١) . وهجا محمد بن عبد الملك هجاء
كثيراً منه قوله :

قدّرت فلم تضرر عدواً بقدرية * وثمّت بها إخوانك الذلّ والرّغما
وكنّت مليئاً بالتي قد يعافها * من الناس من يأبى الدّنيئة والذّما

أخبرني الصوليّ قال حدّثنا ابن السّخّيّ قال حدّثني الحسين بن عبد الله قال :
سمعتُ إبراهيم بن العباس يقول لأبي تمام الطائي وقد أنشده شعراً له
في المعنيم : يا أبا تمام ، أمراء الكلام رعية لإحسانك . فقال له أبو تمام : ذلك
لأنّي أستضيء بك وأردّ شريعتك .

اعتذر له إبراهيم
ابن المدبر عن أخيه
فقال شعرا

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ قال سمعت إبراهيم بن المدبر يقول :
جرى بين إبراهيم بن العباس وبين أخى أحمد بن المدبر شيء ، وكان يودّني
دون أخى ، فلقيته فأعتذرتُ إليه عنه ، فقال لي : يا أبا إسحاق :

(١) يعني بهذا أن محمد بن عبد الملك كان يعادى أحمد بن أبي دؤاد ويهجوّه . (انظر خبر ذلك مفصلاً

في ج ٢٠ ص ٥١ من الأغاني طبع بلاق) .

صوت

خَلَّ التَّفَاقَ لِأَهْلِهِ * وَعَلَيْكَ فَاتِّمَسِ الطَّرِيقَا

وَأَذْهَبْ بِنَفْسِكَ أَنْ تُرَى * إِلَّا عَدُوًّا أَوْ صَدِيقَا

الغناء لأبي العبيس .

أخبرني الصولي قال حدثني القاسم بن إسماعيل قال :

احتال على المتوكل
لينجي بعض عماله
من العقوبة

انصرف إبراهيم بن العباس يوما من دار المتوكل فقال لنا : أنا والله مسرور
مغموم منه . فقلنا له : وما ذاك أعزك الله ؟ قال : كان أحمد بن المدبر رفع إلى
ير المؤمنين أن بعض عمالي أقتطع مالا ، وصدق في الذي قاله ، وكنت قد رأيت
هلال الشهر ونحن مع أمير المؤمنين على وجهه فدعوت له ، وضحك لي فقال لي :
إن أحمد قد رفع علي عاملك كذا وكذا فأصدفتني عنه ؛ فضأقت على الحجّة ، وخفت
أن أحقق قوله إن أعترفت ، ثم لأرجع منه إلى شيء فيعود على الغرم ، فعدلت عن
الحجّة إلى الحيلة فقلت : أنا في هذا يا أمير المؤمنين كما قلت فيك :

صوت

رَدَّ قَبْلِي وَصَدَّقَ الْأَقْوَالَ * وَأَطَاعَ الْوُشَاةَ وَالْعُدَّالَا

أُتْرَاهُ يَكُونُ شَهْرَ صَدُودٍ * وَعَلَى وَجْهِهِ رَأَيْتُ الْهَلَالَا

قال : لا يكون والله ذلك بحياتي يا إبراهيم ! رو هذا الشعر بنأنا حتى يغنيني
فيه . فقلت : نعم يا سيدي على ألا يطالب صاحبي بقول أحمد . فقال للوزير : تقبل
قول صاحبه في المال . فسرت بالظفر ، وأغتممت لبطلان هذا المال وذهابه
: بل هذه الحيلة ، ولعله قد جمع في زمن طويل وتعيب شديد .

سرق ابن دريد
وابن الرومي من
شعره

أُنشِدْتُ عَمِّي رَحِمَهُ اللَّهُ أُبَيَاتًا لَابْنِ دُرَيْدٍ يَمْدَحُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ :

يَا مَنْ يُقْبَلُ كَفٌّ كُلِّ مُخْزٍ * هَذَا ابْنُ يَحْيَى لَيْسَ بِالْمُخْرَاقِ

قَبْلُ أَنَا مَلَهُ فَلَسْنَا أَنَا مَلًا * لَكِنَّهُنَّ مَفَاتِحُ الْأَرْزَاقِ

فَقَالَ : يَا بُنَيَّ هَذَا سَرَقَهُ هُوَ وَابْنُ الرُّومِيِّ جَمِيعًا مِنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ ؛ قَالَ
إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ يَمْدَحُ الْفَضْلَ بْنَ سَهْلٍ :

لِفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ يَدٌ * تَقَاصَرُ عَنْهَا الْأُمَلُ

فَبَاطِنُهَا لِلنَّدَى * وَظَاهَرُهَا لِلْقَبْلِ

وَبَسْطُهَا لِلْغِنَى * وَسَطَوْتُهَا لِلْأَجَلِ

وَسَرَقَهُ ابْنُ الرُّومِيِّ فَقَالَ :

أَصْبَحْتُ بَيْنَ خَصَاصَةٍ وَمَدَلَّةٍ * وَالْحُرُّ بَيْنَهُمَا يَمُوتُ هَزِيلًا

فَأَمْدُدْ إِلَى يَدَا تَعَوُّدِ بَطْنِهَا * بَدَلِ النَّدَى وَظُهُورِهَا التَّقْيِيلِ

قال ثعلب إنه كان
أشعر المحدثين

أَخْبَرَنِي الصُّوَلِيُّ قَالَ سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ يَحْيَى ثَعْلَبًا يَقُولُ :

كَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ أَشْعَرَ الْمُحَدِّثِينَ . قَالَ : وَمَا رَوَى ثَعْلَبٌ شِعْرَ كَاتِبٍ قَطُّ

غَبَرَهُ . قَالَ : وَكَانَ يَسْتَحْسِنُ كَثِيرًا قَوْلَهُ :

لَنَا لِمَلِ كَوْمٌ يَضِيقُ بِهَا الْفَضَا * وَيَفْتَرُّ عَنْهَا أَرْضُهَا وَسَمَاؤُهَا

فَإِنْ دُونَهَا أَنْ تُسْتَبَاحَ دِمَاؤُنَا * وَمَنْ دُونَنَا أَنْ تُسْتَبَاحَ دِمَاؤُهَا

جَمِّي وَقَرِّي فَالْمَوْتُ دُونَ مَرَامِهَا * وَأَيْسَرُ خَطْبٍ يَوْمَ حَقِّ فَنَائُهَا

ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ لَوْ كَانَ هَذَا لِبَعْضِ الْأَوَائِلِ لَاسْتَجِيدَ لَهُ .

(١) الكوم : الأبل الضخمة العظيمة السنام ، الواحد أكوام والأثنى كوما .

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد قال سمعت الحسن بن رجاء يقول :

كَمَا بَفِيمِ الصُّلَحِ أَيَّامَ بَنِي الْمَأْمُونِ بُورَانِ بِنْتِ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ ؛ فَقَدِمَ إِبْرَاهِيمُ
ابن العباس علينا ودخل إلى الحسن بن سهل فأنشده :

لِيَهْنِثَكَ أَصْهَارُ أَذَلَّتْ بِعِزِّهَا * خَدُودًا وَجَدَّعَتِ الْأَنْوَفَ الرَّاغِمَا
جَمَعَتْ بِهَا الشُّمْلَيْنِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ * وَحُزَّتْ بِهَا لِلْأَكْرَمِينَ الْأَكْرَامَا
بَنُوكَ غَدَاؤَ آلِ النَّبِيِّ وَوَارِثُوَالِ * خِلَافَةِ وَالْحَاوُونَ كِثْرَى وَهَاشِمَا
فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ : ” شَنْشَنَةُ أَعْرِفَهَا مِنْ أَنْزَمَ “ أَيْ إِنَّكَ لَمْ تَزَلْ تَمْدَحُنَا ، ثُمَّ قَالَ لَهُ :
أَحْسَنَ اللَّهُ عَنَّا جَزَاءَكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ ؛ فَمَا الْكَثِيرُ مِنْ فَعَلْنَا بِكَ بِجَزَاءٍ لِلْيَسِيرِ مِنْ حَقِّكَ .

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال :
أنشدني إبراهيم بن العباس لنفسه في قينة أسمها سامر كان يهواها فغضبت عليه :
وَعَلَّمَتْنِي كَيْفَ الْهَوَى وَجَهْلَتْنِي * وَعَلَّمَكُم صَبْرِي عَلَى ظُلْمِكُم ظُلْمِي
وَأَعْلَمَ مَا لِي عَنْدَكُم فَيَرَدْنِي * هَوَايَ إِلَى جَهْلٍ فَأَقْصِرْ عَنِّي

قال شعرا في قينة
سمها ” سامر “
كان يهواها
فغضبت عليه

أخبرني الصُّبُولِيُّ قَالَ :
سَمِعْتُ عُيَيْدَ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ يَقُولُ : لَا يُعْلَمُ لِقَدِيمٍ وَلَا لِمُحَدِّثٍ فِي قِصَرِ
الَّيْلِ أَحْسَنَ مِنْ قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ :

شمره في قصر
الليل

(١) فم الصلح : نهر كبير فوق واسط عليه عدة قرى وفيه كانت دار الحسن بن سهل . (معجم البلدان لياقوت) .

(٢) هذا مثل ، قاله أبو أنزم الطائي وكان له ابن يقال له أنزم ؛ قيل : كان عاقا فأت وترك بنين ،

فوثبوا يوما على جدهم فآدموه ، فقال :

٢٠ إن بني ضرَّجوني بالدم * شنشنة أعرفها من أنزم
* من يلقى آساد الرجال يكلم *

وليلة من الليالي الزهري * قابلت فيها بدرها ببدر
لم تك غير شقي وبخر^(١) * حتى تولت وهي بكر الدهر

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني أحمد بن بشر المرندي قال :
كان إبراهيم بن العباس يوماً عند أحمد بن أبي دؤاد، فلما خرج من عنده لقيه محمد
ابن عبد الملك الزيات وهو خارج من داره؛ فتبين إبراهيم في وجه محمد الغضب فلم
يخاطبه في العاجل بشيء. فلما أنصرف إلى منزله كتب إليه :

دعني أوصل من قطع * ست يراك بي إذ لا يراكا
إني متى أجز لهج * رك لا أضربه سواكا
وإذا قطعك في أخير * لك قطعك فيك غداً أخاكا
حتى أرى متقسماً * يومى لذا وغدى لذاكا

أخبرني الصولي قال حدثني أبو العيناء قال :
كنت عند إبراهيم بن العباس وهو يكتب كتاباً، فنقط من القلم نقطة مفسدة
فمسحها بكمه؛ فتمجبت من ذلك؛ فقال : لا تعجب، المال فرع والقلم أصل،
ومن هذا السواد جاءت هذه الثياب، والأصل أحوج إلى المراجعة من الفرع.
ثم فكر قليلاً وقال :

إذا ما الفكر ولد حسن لفظ * وأسلمه الوجود إلى البيان
ووشاه فتمنمه مسد^(٢) * فصيح في المقال بلا لسان
تري حلل البيان منشرات * تجلّ بينها صور المعاني

(١) في نسخة : « وبدر » . (٢) مسد : مصيب السداد .

مسح المداد بكم
ثوبه وشعره
في ذلك
٣١
٩

اتهمه المأمون
بإفشاء سر مقتل
الفضل بن سهل
ثم عفا عنه بشفاعه
هشام الخطيب

- أخبرني الصولي قال حدثني محمد بن صالح بن النطاح قال :
 لما عزم المأمون على الفتك بالفضل بن سهل ، وندب له عبد العزيز بن عمران
 الطائي ، ومؤنس البصري ، وخلفا المصري ، وعلى بن أبي سعد ذا القلمين ، وسراجا
 الخادم ، ثمى الخبر إلى الفضل ، فأظهره للمأمون وعاتبه عليه ، فلما قُتل الفضل وقتل المأمون
 قتلتاه ، سأل من أين سقط الخبر إلى الفضل ؟ فعرف أنه من جهة إبراهيم بن العباس ، فطلبه
 فاستتر . وكان إبراهيم عرف هذا الخبر من جهة عبد العزيز بن عمران ، وكان الفضل
 استكتب إبراهيم لعبد العزيز بن عمران ، فأخبر به الفضل . قال : وتعمل إبراهيم بالناس
 على المأمون ، وجرّد في أمره هشاما الخطيب المعروف بالعباسي وكان جريئا على المأمون
 لأنه رباّه ، وشخص إليه إلى نحر اسان في فتنة إبراهيم بن المهدي ، فلم يجبه المأمون إلى
 ما سأل . فلقية إبراهيم مستترا وسأله عما عمل في حاجته . فقال له هشام : قد وعدني
 في أمرك بما تحب . فقال له إبراهيم : أظن أن الأمر على غير هذا ! قال : وما تظن ؟
 قال : محلك عند أمير المؤمنين أجل من أن يعدك شيئا فترضى بتأخيرته ، وهو أكرم
 من أن يعد مثلك شيئا فيؤخره ، ولكنك سمعت ما لا تحب في فكرهت أن تغمي
 به فقلت لي هذا القول ، وأحسن الله على كل الأحوال جزاءك ، فمضى هشام إلى
 المأمون فعرفه خبر إبراهيم ، فعجّب من فطنته وعفا عنه . قال : وفي هشام يقول إبراهيم

ابن العباس :

مَنْ كَانَتْ الْأَمْوَالُ دُنُورًا لَهُ * فَلَاكُ دُنُورِي أَمَلِي فِي هِشَامٍ
 فَتَى يَتَى الْإِلَاحَةِ عَنْ عِرْضَتِهِ * وَأَنْهَبَ الْمَالَ قِضَاءَ الدَّامِ

(١) راجع الطبري في هذه القصة (ق ٣ ص ١٠٢٥ - ١٠٢٨) فيها اختلاف عما هنا .

مدح الفضل بن
سهل

أخبرني عمي قال حدثني أبو الحسين بن أبي البغل قال :

دخل إبراهيم بن العباس على الفضل بن سهل فاستأذنه في الإنشاد ، فقال
هايت ، فأنشده :

يُمِضِي الْأُمُورَ عَلَى بَدِيهِتِهِ * وَتُرِيهِ فَكْرَتُهُ عَوَاقِبَهَا
فِيظُلِّ يُصْدِرُهَا وَيُورِدُهَا * فَيَمُحُّ حَاضِرَهَا وَغَائِبَهَا
وَإِذَا أَلَمَّتْ صَبْعَةٌ عَظُمَتْ * فِيهَا الرِّزْيَةُ كَانَ صَاحِبَهَا
الْمُسْتَقِلَّ بِهَا وَقَدْ رَسَبَتْ * وَلَوْثَ عَلَى الْأَيَّامِ جَانِبَهَا
وَعَدَلَتْهَا بِالْحَقِّ فَأَعْتَدَلَتْ * وَوَسَّعَتْ رَاغِبَهَا وَرَاهِبَهَا
وَإِذَا الْحُرُوبُ غَلَّتْ بَعَثَتْهَا * رَأْيَا تَقُلُّ بِهِ كِتَابَهَا
رَأْيَا إِذَا نَبَتِ السِّيُوفُ مَضَى * عَزَمُ بِهَا فَشَفَى مَضَارِبَهَا
أَجْرَى إِلَى فِتْنَةٍ بِدَوْلَتِهَا * وَأَقَامَ فِي أُخْرَى نَوَادِبَهَا
وَإِذَا الْخُطُوبُ تَأَثَّلَتْ وَرَسَتْ * هَدَّتْ فَوَاصِلُهُ نَوَائِبَهَا
وَإِذَا جَرَتْ بِضَمِيرِهِ يَدُهُ * أَبَدَتْ بِهِ الدُّنْيَا مَنَاقِبَهَا

وأنشدني عمي لإبراهيم بن العباس في الفضل بن سهل وفيه غناء :

صوت

فَلَوْ كَانَ لِلشَّكْرِ شَخْصٌ يَبِينُ * إِذَا مَا تَأَمَّلَهُ النَّاطِرُ
لَمُنْتُهُ لَكَ حَتَّى تَرَاهُ * فَتَعْلَمَ أَنِّي أَمْرٌ شَاكِرٌ

الغناء لأبي العبيس ثقیل أول . وفيه لرداذ ثاني ثقیل . حدثني أبو يعقوب إسحاق بن
يعقوب النوبختي قال حدثني جماعة من عُمومتي وأهلنا أن رذاذاً صنع في هذين
البيتين لحنا أعجب به الناس واستحسنوه ، فلما كثُر ذلك صنع فيه أبو العبيس لحنا
آخر ، فسقط لحن رذاذ واختار الناس لحن أبي العبيس .

مدح المتوكل
وولاية العهد
فأجازره

أخبرني حنظلة قال حدثني ميمون بن هارون قال :

لَمَّا عَقَدَ الْمُتَوَكِّلُ لَوْلَاةَ الْيَهُودِ مِنْ وَلَدِهِ رَكِبَ بُسْرٌ مِّنْ رَّأْيِ رَكْبَةٍ لَمْ يُرَ أَحْسَنُ
مِنْهَا، وَرَكِبَ وَلَاةُ الْيَهُودِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالْأَتْرَاكُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ أَوْلَادُهُمْ يَمْشُونَ بَيْنَ يَدَيْ
الْمُتَوَكِّلِ بِمَنَاطِقِ الذَّهَبِ ، فِي أَيْدِيهِمُ الطَّبْرِزِيَّاتُ الْمُحَلَّلَاتُ بِالذَّهَبِ ، ثُمَّ نَزَلَ فِي الْمَاءِ
بِغُلَسٍ فِيهِ وَالْحَيْشُ مَعَهُ فِي الْجَوَانِحِيَّاتِ وَسَائِرِ السُّفُنِ ، وَجَاءَ حَتَّى نَزَلَ فِي الْقَصْرِ
الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْعَرُوسُ ، وَأَذِنَ لِلنَّاسِ فَدَخَلُوا إِلَيْهِ . فَلَمَّا تَكَامَلُوا بَيْنَ يَدَيْهِ ، مَثَلَ
إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ بَيْنَ الصَّفْقَيْنِ ، فَاسْتَأْذَنَ فِي الْإِنْشَادِ فَأَذِنَ لَهُ ، فَقَالَ :
وَلَمَّا بَدَأَ جَعْفَرٌ فِي الْحَمْدِ * سَسَّ بَيْنَ الْمُطَلِّ وَبَيْنَ الْعَرُوسِ
بَدَأَ لَا بَسًا بِهِمَا حُلَّةً * أَزِيلَتْ بِهَا طَالَعَاتُ النَّحُوسِ
وَلَمَّا بَدَأَ بَيْنَ أَحِبَّابِهِ * وَلَوْلَاةِ الْيَهُودِ وَعِزِّ النُّفُوسِ
غَدَا قَمْرًا بَيْنَ أَقْصَارِهِ * وَشَمْسًا مُكَلَّلَةً بِالشُّمُوسِ
لَا يَبَادُ نَارٌ وَإِطْفَاءُهَا * وَيَوْمَ أَنْيَقِي وَيَوْمَ عَبَّوسِ

ثم أقبل على ولاية اليهود فقال :

أَصْحَتْ عُرَى الْإِسْلَامِ وَهِيَ مَنُوطَةٌ * بِالنَّصْرِ وَالْإِعْزَازِ وَالتَّأْيِيدِ
بِخَلِيفَةٍ مِنْ هَاشِمٍ وَثَلَاثَةٍ * كَتَفُوا الْخِلَافَةَ مِنْ وَلَاةِ عَهْدِ
قَمَرٍ تَوَافَتْ حَوْلَهُ أَقْصَارُهُ * خَفَقْنَ مَطْلَعَ سَعْدِهِ بِسَعْدِ
رَفَعَتِهِمُ الْأَيَّامُ وَارْتَفَعُوا بِهِ * فَسَعَوْا بِأَكْرَمِ أَنْفُسٍ وَجُدُودِ
قَالَ : فَأَمَرَ لَهُ الْمُتَوَكِّلُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَأَمَرَ لَهُ وَلَوْلَاةَ الْيَهُودِ بِمِثْلِهَا .

(١) الطبرزين : آلة من السلاح تشبه الطبر (الفأس) أو هو الطبر بعينه . وهذا أصح لأن أصل معناه
الطبر المعلق في المرج . فالفرس كان من عادتهم أن يعلقوا الطبر في السروج . (كتاب الألفاظ الفارسية
المعربة) . (٢) الجوانحيات : نوع من السفن كما هو ظاهر من السياق . (٣) المطل :
اسم مكان أو قصر ، كما هو ظاهر من السياق . ولم تقف عليه فيما بين أيدينا من معجمات البلدان .

أخبرني عمي قال : اجتمعت أنا وهارون بن محمد بن عبد الملك وأبن برد الخيار
في مجلس عبيد الله بن سليمان قبل وزارته ، فجعل هارون ينشد من أشعار أبيه
محاسنها ، ويفضلها ويقدمها . فقال له أبن برد الخيار : إن كان لأبيك مثل قول
إبراهيم بن العباس :

أسد ضار إذا هيّجته * وأبُّ برٍّ إذا ما قدرا

يعرف الأبعد إن أثرى ولا * يعرف الأدنى إذا ما افتقرا

أو مثل قوله :

تلج السنون بيوتهم وترى لهم * عن جاريتهم أزورارمنا كب

وتراهم بسيفهم وشفارهم * مستشرقين لراغب أوراها

حامين أوقارين حيث لقيتهم * نهب العفاة ونهزة للراغب

فأذكره وأخبر به ، وإلا فأقل من الافتخار والتطاول بما لا طائل فيه ، فنجعل هارون .

وقال عبيد الله بن سليمان : لعمري ما في الكتاب أشعر من أبي إسحاق وأبي علي ،

(يعني عمه الحسن بن وهب) ثم أمر بعض كتابه بكتب المقطوعتين اللتين أنشدهما

أبن برد الخيار .

أنشدني علي بن سليمان الأخفش لإبراهيم بن العباس يهني الحسن بن سهل
بصهر المأمون :
هنا الحسن بن سهل بصهر المأمون

هتكت أكرومة جلت نعمتها * أعلت وليك وأجتت أعاديك

ما كان يحيا بها إلا الإمام وما * كانت إذا قرنت بالحق تعدوكا

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن داود بن الجراح قال حدثني أبو محمد الحسن
ابن مخلد قال :
هنا محمد بن عبد الملك الزيات

(١) كذا في جميع الأصول ولعلها « يحبو » .

أودع محمد بن عبد الملك الزيات مالا عظيما وجوهرا نفيسا، وقد رأى
تغيرا من الواثق نخافه وفترق ذلك في ثقافته من أهل الكرخ ومعامليه من التجار. وكان
إبراهيم بن العباس يُعاديهِ ويرصد له بالمكاره لإساءته إليه، فقال أبياتا وأشاعها حتى
بلغت الواثق يُغيريه به :

- ٥ نصيحة شأها وزير * مستحفظ سارق مُغير
ودائع جمّة عظام * قد أسبلت دونها الستور
تسعة آلاف ألف ألف * خلاها جوهر خطير
يجانب الكرخ عند قويم * أنت بما عندهم خير
والملك اليوم في أمور * تحدث من بعدها أمور
١٠ قد شغلته محقرات * وصاحب الكارة^(١) الوزير

أنشدني علي بن سليمان الأخفش لإبراهيم بن العباس يمدح المعتز وفيه غناء :

مدح المعتز بشعر

صوت

- سحور محاجر الحديقة * مليح والذي خلقه
سواء في رعايته * مجانبه ومن عشقه
١٥ لعبى في محاسنه * رياض محاسن أنفه
فأحيانا أنزهها * وطورا في ديم غريفه

يقول فيها في مدح المعتز بالله :

- فيا قمرأ أضاء لنا * يلا لئ نوره أفقه
يشبهه سنا المعتز * ذو مقة إذا رمقه
٢٠ أمير قلد الرحم * من أمر عباده عقه

(١) الكارة : ما يجمع ويشد، ويعنى بها السرة التي فيها المال .

٣٤
٩

وفَضِّلَهُ وَطَيَّبَهُ * وَطَهَّرَ فِي الْوَرَى خُلُقَهُ

في الأربعة الأبيات الأول رَمَلُ ذكر الهشامى أنه لابن القَصَّار، ووجدته في بعض الكتب لَعَرِيب .

هنا أحمد بن المدبر
وكان يحرض عليه
فقال شعرا

أُنْشِدْنِي الْأَخْفَشَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ يَقُولُهَا لِأَحْمَدَ بْنِ الْمُدَّبَرِ وَقَدْ جَاءَهُ
بَعْدَ خِلَاصِهِ مِنَ النَّكْبَةِ مَهْتًا ، وَكَانَ اسْتِعَانُ بِهِ فِي أَمْرِ نَكْبَتِهِ فَقَعَدَ عَنْهُ ، وَبَلَغَهُ أَنَّهُ
كَانَ يَحْرِضُ عَلَيْهِ ابْنُ الزِّيَّاتِ :

وَكُنْتُ أُنْحَى بِالذَّهْرِ حَتَّى إِذَا نَبَا * نَبَوْتُ فَلَمَّا عَادُ عُدْتُ مَعَ الذَّهْرِ
فَلَا يَوْمَ لِقَابٍ عَدَدْتُكَ طَائِلًا * وَلَا يَوْمَ إِدْبَارٍ عَدَدْتُكَ فِي وَثَرٍ
وَمَا كُنْتُ إِلَّا مِثْلَ أَحْلَامٍ نَائِمٍ * كَلَّا حَالَتِيكَ مِنْ وَفَاءٍ وَمِنْ غَدَرٍ

عائبه ابن المدبر
فقال شعرا

وَأُنْشِدْنِي الصُّوْلَى لَهُ فِي أَحْمَدَ بْنِ الْمُدَّبَرِ أَيْضًا وَقَدْ عَاتَبَهُ أَحْمَدُ بْنُ الْمُدَّبَرِ عَلَى
شَيْءٍ بَلَغَهُ فَقَالَ :

هَبِ الزَّمَانَ رِمَانِي * الشَّأْنُ فِي الْخِلَافِ
فَيَمُنْ رِمَانِي لَمَّا * رَأَى الزَّمَانَ رِمَانِي
وَمِنْ ذَنَحْتُ لِنَفْسِي * فَصَارَ ذُنُورَ الزَّمَانِ
لَوْ قِيلَ لِي خُذْ أَمَانًا * مِنْ أَعْظَمِ الْحَدَثَانِ
لَمَّا أَخَذْتُ أَمَانًا * إِلَّا مِنْ الْإِخْوَانِ

وَمِنْ أَخْبَارِ الْمُعْتَصِدِ بِاللَّهِ الْجَارِيَةِ مُجَرِّى هَذَا الْكُتَّابِ

المتنضد وغلامه
بدر

حَدَّثَنِي عَمِّي عَنْ جَدِّي رَحِمَهُمَا اللَّهُ قَالَ قَالَ لِي عُيَيْدُ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ ، وَكَانَ
يَأْسُ بِي أُنْسًا شَدِيدًا لِقَدِيمِ الصُّحْبَةِ وَأَتْلَافِ الْمُنْشَأِ : دَعَانِي الْمُعْتَصِدُ يَوْمًا فَقَالَ :

أَلَا تُعَاتِبُ بَدْرًا عَلَى مَا لَا يَزَالُ يَسْتَعْمَلُهُ مِنَ التَّخَرُّقِ فِي النَّفَقَاتِ وَالْإِنَابَاتِ وَالزِّيَادَاتِ
وَالصَّلَاتِ ! وَجَعَلَ يُؤَكِّدُ الْقَوْلَ عَلَى- فِي ذَلِكَ ؛ فَلَمْ أَخْرَجْ عَنْ حَضْرَتِهِ حَتَّى دَخَلَ إِلَيْهِ
بَدْرٌ بِفَعْلٍ يَسْتَأْمِرُهُ فِي إِطْلَاقَاتِ مُسِيرَةٍ وَنَفَقَاتِ وَاسِعَةٍ وَصِلَاتِ سَنِيَّةٍ وَهُوَ يَأْذَنُ لَهُ
فِي ذَلِكَ كُلِّهِ . فَلَمَّا خَرَجَ رَأَى فِي وَجْهِهِ إِنْكَارًا لِمَا فَعَلَهُ بَعْدَ مَا جَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ ؛
فَقَالَ لِي : يَا عُبَيْدُ اللَّهِ قَدْ عَرَفْتُ مَا فِي نَفْسِكَ ، وَأَنَا وَإِيَّاهُ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

صوت

فِي وَجْهِهِ شَافِعٌ يَحْوِي إِسَاءَتَهُ * مِنْ الْقُلُوبِ مَطَاعٌ حَيْثَا شَفَعَا
مُسْتَقْبَلٌ بِالَّذِي يَهْوَى وَإِنْ كَثُرَتْ * مِنْهُ الْإِسَاءَةُ مَغْفُورٌ لِمَا صَنَعَا
وَفِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ خَفِيفٌ رَمَلٌ .

١٠ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قُرَيْضٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْعَلَاءِ قَالَ :
غَنَيْتُ الْمُعْتَصِدَ :

كَانَ الْمُعْتَصِدُ
يَطْرِبُ لِفَنَاءِ ابْنِ
الْعَلَاءِ فِي شِعْرِ
الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ

كَلَّلَانِي تَوَّجَانِي * وَبَشَعْرِي غَنِيَانِي ^(٢)

أَطْلِقَانِي مِنْ وَثَاقِي * وَأَشْدُدَانِي بَعْنَانِي

فَاسْتَحْسَنَهُ جَدًّا ، ثُمَّ قَالَ لِي : وَيْحَكَ يَا أَحْمَدُ ! أَمَّا تَرَى زَهْوَ الْمَلِكِ فِي شِعْرِهِ وَقَوْلِهِ :

١٥ كَلَّلَانِي تَوَّجَانِي * وَبَشَعْرِي غَنِيَانِي

وَأَسْتَعَادَهُ مِرَارًا ، ثُمَّ وَصَلَنِي كُلَّ مَرَّةٍ أَسْتَعَادَهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ ، وَمَا وَصَلَ بِهَا مَغْنِيًّا
قَبْلِي وَلَا بَعْدِي . قَالَ : وَأَسْتَعَادَهُ مَنِيَّ سِتِّ مَرَّاتٍ وَوَهَبَ لِي سِتِّينَ أَلْفًا . وَقَالَ
النُّوشَجَانِيُّ : بَلْ وَصَلَهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ مَرَّةً وَاحِدَةً .

٣٥
٩

(١) كَانَ بَدْرٌ هَذَا غُلَامَ الْمُعْتَصِدِ ، وَلَاهُ الشَّرْطَةُ يَوْمَ وَلِيَ الْخِلَافَةَ ، ثُمَّ وَلَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ فَارِسَ . (انظر تاريخ
ابن الأثير ص ٣١٧ ، ٣٢٨ ، ٣٣٢ ، ٣٣٥ ج ٧) . قَتَلَهُ الْمَكْنِي سَنَةَ ٢٨٩ لَأَنَّهُ أَبَى أَنْتَ
يَا بَعِي . (انظر سبب مقتله بأسباب في تاريخ الطبري ق ٣ ص ٢٢٠٩ — ٢٢١٦) .
(٢) هَذَا مِنْ شِعْرِ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ (انظر ج ٧ ص ٩٣ مِنْ هَذِهِ الطَّبْعَةِ) .

صنعة أولاد الخلفاء الذكور منهم والإناث

(١) فأولم وأتقنهم صنعة وأشهرهم ذكراً في الغناء إبراهيم بن المهدي؛ فإنه كان يتحقق به تحقفاً شديداً ويتنزل نفسه ولا يستتر منه ولا يُحاشي أحداً. وكان في أول أمره لا يفعل ذلك إلا من وراء ستر وعلى حال تصون عنه وترفع، إلا أن يدعو إليه الزشيد في خلوة والأمين بعده. فلما أمّنه المأمون تهتك بالغناء وشرب النبيذ بحضرتة والخروج من عنده تملأ ومع المغنين، خوفاً منه وإظهاراً له أنه قد خلع ربة الخلافة من عنقه وهتك ستره فيها حتى صار لا يصلح لها. وكان من أعلم الناس بالنغم والوتر والإيقاعات وأطبعهم في الغناء وأحسنهم صوتاً. وهو من المعدودين في طيب الصوت خاصة؛ فإن المعدودين منهم في الدولة العباسية: ابن جامع وعمرو بن أبي الككات وإبراهيم ابن المهدي، ومُخارق. وهؤلاء من الطبقة الأولى، وإن كان بعضهم يتقدم. وكان إبراهيم مع علمه وطبعه مقصراً عن أداء الغناء القديم وعن أن ينحوه في صنعته، فكان يحذف نغم الأغاني الكثيرة العمل حذفاً شديداً ويخففها على قدر ما يصلح له ويفي بأدائه. فإذا عيب ذلك عليه قال: أنا ملك وابن ملك، أغنى كما أشتى وعلى ما ألتذ. فهو أول من أفسد الغناء القديم، وجعل للناس طريقاً إلى الجسارة على تغييره. فآل الناس إلى الآن صنفان: من كان منهم على مذهب إسحاق وأصحابه ممن كان يُنكر تغيير الغناء القديم ويُعظم الإقدام عليه ويعيب من فعله، فهو يغني الغناء القديم على جهته أو قريباً منها. ومن أخذ بمذهب إبراهيم بن المهدي أو اقتدى به مثل مُخارق وشارية وريق ومن أخذ عن هؤلاء إنما يغني الغناء القديم كما

(١) كذا في الأصول. ولعلها « يخفى به تحفياً... الخ ».

(٢) في الأصول: « ما أصلح له » وهو تحريف.

يشتهى هؤلاء لا كما غناه من يُنسب إليه، ويجد على ذلك مساعدين ممن يشتهى أن
يُقرب عليه ما أخذ الغناء ويكره ما ثقل وثقلت أدواره، ويستطيل الزمان في أخذ الغناء
الجيد على جهته يقصر معرفته . وهذا إذا أطرد فإتاما الصنعة لمن غنى في هذا الوقت
لا للمتقدمين ؛ لأنهم إذا غيروا ما أخذوه كما يرون وقد غيره من أخذوه عنه وأخذ
ذلك أيضا ممن غيره، حتى يمتضى على هذا خمس طبقات أو نحوها، لم يتأد إلى الناس^(١)
في عصرنا هذا من جهة الطبقة غناء قديم على الحقيقة البتة . ومن أفسد هذا الجنس
خاصة بنو حمدون بن إسماعيل فإن أصلهم فيه مُحارق، وما نفع الله أحدا قط بما
أخذ عنه، وزرياب الوائقيّة فإنها كانت بهذه الصورة تُغيّر الغناء كما تريد، وجواري
شارية ورقي . فهذه الطبقة على ما ذكرت . ومن عداهم من الدُّور بمثل دُور عريب^(٢)
ودُور جواريا والقاسم بن زُر زُور وولده ودُور بَذل الكهري ومن أخذ عنها،
وجواري البرامكة وآل هاشم وآل يحيى بن مُعاذ ودُور آل الربيع ومن جرى مجراهم^(٣)
ممن تمسك بالغناء القديم وحمله كما سمعه، فعسى أن يكون قد بقي ممن أخذ بذلك^(٤)
المذهب قليل من كثير، وعلى أن الجميع من الصحيح والمُغيّر قد آنقضى في عصرنا هذا.

$$\frac{٣٦}{٧}$$

فن مشهور غناء إبراهيم بن المهدي :

صوت

١٥

هل تطمسون من السماء نجومها * بأكفكم أو تسترون هلالها
أو تدفعون مقالة من ربكم * جبريل بلغها النبي فقالها
طرقتك زائرة فخي خيالها * زهراء تخط بالدلال جمالها
الشعر لمروان بن أبي حفصة . والغناء لإبراهيم بن المهدي، ثقیل أول بالنصر، وذكر
حبش أن فيه لابن جامع لحنًا ماخوريًا .

٢٠

(١) في الأصول : « فلم » . (٢) لعله : « مثل » . (٣) لعله : « فقد » .
(٤) لعله : « على » .

أخبار مروان بن أبي حفصة ونسبه

- هو مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة . ويكنى أبا السَّمُط . وأسم
أبي حفصة يزيد . وذكر التَّوْفَلِي عن أبيه أنه كان يهودياً ، فأسلم على يَدَي مَرَوَّانَ بنِ
الحَكَم . وأهلُه يُنكرون ذلك ويذكرون أنه من سَبِي إِصْطَخَر^(١) ، وأنَّ عُمَانَ اشْتَرَاهُ فَوَهَبَهُ
لمروان بن الحكم . وأخبرنا يحيى بن علي بن يحيى قال حدثنا محمد بن إدريس بن سليمان
ابن يحيى بن أبي حفصة بمثل ذلك . قال : وشهد أبو حفصة الدَّارَ مع مولاه مروان^(٢)
ابن الحكم ، وقاتل قتالاً شديداً وقتل رجلاً من أسْلَمَ يُقال له بَنَان . وجرَّح مروان يومئذ ،
أصابته ضربة قطعت عِلْبَاهُ فسقط ، فوثب عليه أبو حفصة وأحتمله ، فجعل يحمله
مِرَّةً على عنقه ومِرَّةً يحمله ، فيتأوه ، فيقول له : أَسْكُتْ وَأَصْبِرْ ، فإنه إن علموا أنك حيٌّ
قُتِلْتَ . فلم يزل به حتى أدخله دار امرأة من عَزَّة فداواه فيها حتى برئ ، فأعتقه مروان
ونزل له عن أمِّ ولدٍ له يُقال لها سُكَّر كانت له منها بنت يُقال لها حَفْصَةُ ، فحَضَنَهَا ،
فكنى أبا حَفْصَةَ ، فحَفْصَةُ بنت مروان . قال : وكان مروان إذا ولي المدينة وجهه
أبا حَفْصَةَ إلى اليمامة — وكانت مُضَافَةً إلى المدينة — ليجمع ما فيها من المال ويحمله
إليه . قال : فمَرَّ أبو حفصة بقرية من قُرَى اليمامة يُقال لها العَرَضُ ، فوقف على باب
فَأَسْتَسْقَى ماءً ، فخرجت إليه جارية مُعَصَّرَ فُسْقَتِهِ فَأَعْجَبَتْهُ ، فسأل عنها لِيَشْتَرِيَهَا ، فقيل له :
هي حرة ، وهي مولاة لَبْنَى عامر بن حنيفة . فمضى حتى قَدِمَ حَجْرًا^(٣) ، ثم تَبِعَتْهَا نَفْسُهُ

(١) إِصْطَخَر : بلدة بفارس ، وهي من أعيان حصونها ومدنها . (٢) يريد دار عثمان بن عفان
ضى الله تعالى عنه ، وذلك أنه يوم هاجت الفتنة عليه لزم داره فحصره فيها حتى قتلوه وسمى ذلك
يوم الدار . (٣) العلباء : عصابة صفراء في صفحة العنق . (٤) أبصرت المرأة : بلغت عهدها
شبابها وأدركت . (٥) حجر : حاضرة اليمامة .

نسبه وثني من
أخبار آبائه

جدّه أبو حفصة
وأخباره

٥

١٠

١٥

٢٠

فترجّها، فلم يخرج من اليمامة حتى حَمَلَتْ يحيى بن أبي حفصة، ثم حملت بمحمد ثم بعبد الله ثم بعبد العزيز . فلما وقعت فتنة ابن الزبير خرج أبو حفصة مع مروان إلى الشام .

- قال محمد بن إدريس وحدثني أبي قال كان مروان بن أبي الجَنْتُوب يقول :
- أُمُّ يَحْيَى بن أبي حفصة لحناء بنت ميمون من ولد النابغة الجعدي^(١)، وإن الشعر أتى
 آل أبي حفصة بذلك السبب . قال : وشهد أبو حفصة مع مروان يوم الجمل وقاتل
 قتالا شديدا . فلما ظفر على بن أبي طالب رضى الله عنه، لجأ مروان إلى مالك بن
 مِسْمَع فدخل داره ومعه أبو حفصة، فقال لمالك : أغلق بابك . فقال له مالك :
 إن لم أمتنعك والباب مفتوح لم أمنعك والباب مغلق . فطلب علي رضى الله عنه
 مروان منه، فلم يدفعه إليه إلا برهينة، فدفع مالك الرهينة إلى أبي حفصة، ومضى . ١٠
- مروان إلى علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، وقال لأبي حفصة : إن حدثت
 حديث بصاحبت فعليك بالرهينة . فلما أتى مروان عليا كساه كسوة، فكساها مروان
 أبا حفصة، فغدا فيها أبو حفصة . وبلغ عليا رضى الله عنه ذلك فغضب وقال :
 كسوته كسوة فكساها عبدا ! . وشهد أبو حفصة مع مروان مرج راهط^(٢)، وكان
 له بلاء . وكان أبو حفصة شاعرا .

٣٧
٩

- ١٥ قال أبو أحمد قال لي محمد بن إدريس أخبرني أبي أن أبا السَّمْط مروان بن
 أبي الجَنْتُوب أنشده لأبي حفصة يوم الدار :
- وما قلت يوم الدار للقوم صالحوا * أجَلْ لا، ولا آخترت الحياة على القتل
 ولكنني قد قلت للقوم جالدوا * بأسيا فكم لا يُخَلِّصَنَّ إلى الكهل

- ٢٠ (١) في ابن خلكان (ج ٢ ص ١٣٣) : « حيا بنت ميمون » . (٢) مرج راهط :
 قى غوطة دمشق من ناحية الشرق، وفيه كانت الواقعة بين مروان بن الحكم والضحاك بن قيس داعية ابن
 الزبير، فقتل مروان فيها الضحاك وخلصت له الخلافة .

قال : وأنشدني لأبي حفصة أيضا :

لستُ على الزحام بالأصر * إني لورادٌ حياضَ الشرِّ^(١)
* معاودٌ للكرِّ بعدَ الكرِّ *

قال يحيى وأخبرني محمد بن إدريس قال :

- عُكْلٌ تدعى أنَّ أبا حفصة منهم ، يقولون : هو من كَنَانَةَ بن عَوْف بن عبد مَنَاة بن طابخة بن إلياس بن مضر ، وقد كانوا استعدوا عليه مروان ابن الحكم ، وقالوا : إنما باعته عَمَّتُهُ لمجاعة ؛ فأبى هو أن يُقرَّ لهم بذلك . ثم استعدوا عليه عبد الملك بن مروان أيضا ؛ فأبى إلا أنه رجل من العجم من سبي فارس ، نشأ في عُكْل وهو صغير . قال محمد بن إدريس : وولِدَ السَّمُوعِل بن عادياء يدعونه ، والسَّمُوعِل من غَسَّان . قال محمد : وزعم أهل اليمامة وعُكْلٌ وغيرهم أنَّ ثلاثة نفر أتوا مروان بن الحكم وهم أبو حفصة ورجل من تميم ورجل من سليم ، فباعوا أنفسهم منه في مجاعة نالتهم ؛ فاستعدى أهل بيوتاتهم عليهم ، فأقرَّ أحدهم وهو السُّلَمِيُّ أنه إنما أتى مروان فباعه نفسه وأنه من العرب ؛ فدنس إليه مروان من قتله . فلمَّا رأى ذلك الآخران ثبَّتَا على أنهما مَوْلِيَان لمروان . فأخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال : زعم المدائني أنه كان لأبي حفصة ابن يُقال له مروان سمَّاه مروان بن الحكم بأسمه ، وليس بالشاعر ، وأنه كان شجاعاً مجزباً ، وأمدَّ به عبدُ الملك بن مروان المجَّاج وقال له : قد بعثنا إليك مولاي ابن أبي حفصة وهو يَعِلُّ ألف رجل . فشهد معه محاربة ابن الأشعث ، فأبلى بلاءً حسناً وعُفِرَتْ تحتَه عدَّةٌ خيول ، فأحتسب بها المجَّاجُ عليه من عطائه . فشكاه إلى عبد الملك وذمَّ المجَّاجُ عنده ؛ فعوّضه مكان ما أغرمه المجَّاجُ . وكان يحيى جدَّ مروان بن سليمان جواداً مُمدِّحاً .

(١) من الصرير يقال : صر الرجل إذا صاح صياحاً شديداً .

أخبرنا محمد العباس اليزيدي قال حدثنا أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال :

جرير يودع ابنه يحيى بن أبي حفصة

أراد جرير أن يوجه ابنه بلال بن جرير إلى الشام في بعض أمره ، فأتى يحيى ابن أبي حفصة فأودعه إياه ، ثم بلغ بلالاً أن بعض بني أمية يريد الخروج ، فقال لأبيه : لو كلفت هذا القرشي أمرى ! فقال له جرير :

أزاداً سوى يحيى تريد وصاحباً * ألا إن يحيى نعم زاد المسافر
وما تأمن الوجناء وقعة سيفه * إذا أنقضوا أو قل ما في الغرائر

٣٨
٩

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثني الحسن بن علي العنزي قال :

يحيى بن أبي حفصة يتزوج بنت زياد بن هوزة

تزوج يحيى بن أبي حفصة بنت زياد بن هوزة بن شماسة بن لؤي بن أنف الناقة ؛

- ١٠ فاستعدي عليه عماها عبد الملك بن مروان وقال : أينك إبراهيم بن عدي وهو من كنانة منك واليك بنتها ، وينك هذا العبد هذه ! . فقال عبد الملك : بل العبد ابن العبد والله إبراهيم بن عدي - وكان مغمور النسب في الإسلام - والله لهذا أشرف منه ، وإن لأبيه من البلاء في الإسلام ما ليس لأبيها ولا لأبيكما ، وما أحب أن لي يحيى ألفاً منك . والله لو تزوج بنت قيس بن عاصم ما نزعته منه . ومن زوجه فقد زوج أبني هذا ، وأشار إلى ابنه سليمان . فخرجا وتحلف يحيى بعدهما ؛
- ١٥ فقال : يا أمير المؤمنين ، إنهما قد أنضيا ركبهما وأخلفا ثيابهما والتزما مؤونة في سفرهما ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يعوضهما عوضاً ! فقال : أبعد ما قال فيك ! ! قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : بل أعطيك أنت ما سألت لهما وتُعطيها ما شئت . فكساه ووصله وحمله . فخرج يحيى اليهما ففرق ذلك عليهما ، وزوج ابنه سليمان بنت أحدهما ، وولدت بنت زياد منه أولادا .
- ٢٠

(١) الوجناء : الناقة الشديدة . وأنقض القوم : أرملوا ، وقيل هلكت أموالهم وفقى زادهم .

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا الفضل اليزيدي قال حدثني
إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال حدثني مروان بن أبي حفصة قال :

يحيى بن الوليد بن
عبد الملك ويعزيه

دخل يحيى بن أبي حفصة على الوليد بن عبد الملك لما بُوع له بالخلافة بعد
أبيه، فهتأه وعزاه وأنشده :

إك المنايا لا تغادر واحداً * يمشى بسيرته ولا ذا جنة
لو كان خالقاً للمنايا مقلتهاً * كان الخليفة مقلتهاً منهنة
بكت المنابر يوم مات وإنما * بكت المنابر فقد فارسهنة
لما علاهن الوليد خليفة * قلن أبنه ونظيره فسكنه
لو غيره قرع المنابر بعده * لئلا يكره فطرحنه عننه

٥

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا العزى قال :

زوج بنه من بنات
مقاتل المتقري
فهجاه القلاح فرد
عليه

خطب يحيى بن أبي حفصة إلى مقاتل بن طلبة بن قيس بن عاصم المتقري ابنته
وأختيه، فأنعم له بذلك. فبعث يحيى إلى بنيه سليمان وعمر وجميل، فأتوه بالجفر
فزوجهن بنيه ثلاثهم، ودخلوا بهم ثم حملوهن إلى حجر. فقال القلاح بن حزن
المتقري في ذلك :

١٠

سلام على أوصال قيس بن عاصم * وإن كن رمسا في التراب بواليا
أضيتموا خيلا عراباً فأصبحت * كواسد لا ينكحن إلا المواليا
فلم أر أرباداً أجراً لخزية * والألم مكسواً والألم كاسيا
من انخر واللائى بحجر عليكم * نثرن فكن الخزيات البواقيا

١٥

(١) أنعم له : أفضل وقال نعم .

(٢) جفر : علم على أسماء مواضع كثيرة . (أنظر معجم البلدان لياقوت في الكلام عليه) .

فقال يحيى يرد عليه :

أَلَا قَبَّحَ اللَّهُ الْفُلَاحَ وَنِسْوَةَ * عَلَى الْبُتْرِ يُعْطِشْنَ الْكِلَابَ مِنَ الثَّنَنِ
نَكَحْنَا بَنَاتِ الْقَرَمِ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ * وَعَمَدًا رَغَبْنَا عَنْ بَنَاتِ بَنِي حَزْنٍ
أَبَا كَانَ خَيْرًا مِنْ أَيْبِكَ أُرُومَةً * وَأَوْسَطَ فِي سَعِيدٍ وَأَرْجَحَ فِي الْوَزْنِ
لِبَيْتِ بَنِي حَزْنٍ مِنَ الدُّلِّ وَهَنَةً * كَوْهِنَةُ بَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ الَّتِي تَلْنِي
وَلَمْ تَرَ حَزْنِيًّا ، وَلَوْ ضَمَّ أَرْبَعًا * وَأَبْرَزَ ، فِي فَرْجٍ يَعِفُّ وَلَا بَطْنَ
وَضِيفُ بَنِي حَزْنٍ يَجُوعُ وَجَارُهُمْ * إِذَا أَمِنَ الْجِيرَانُ نَاءً مِنَ الْأَمْنِ

٣٩
٩

أخبرنا يحيى بن علي قال أنشدني محمد بن إدريس ليحيى يذكر خروج يزيد بن المهلب ويتأسف على الحجاج :

يذكر خروج ابن
المهلب

لَا يُصْلِحُ النَّاسَ إِلَّا السِّيفُ إِذْ فُتِنُوا * لَهْفَنِي عَلَيْكَ وَلَا حِجَّاجَ لِلدِّينِ
لَوْ كَانَ حَيًّا غَدَاةَ الْأَزْدِ إِذْ نَكَنُوا * لَمْ يُحِصْ قَتْلَاهُمْ حِسَابُ دِيرِينَ
لَمْ تَأْتِ الْأَزْدُ عِنْدَ الْبَابِ تَرْبُصُهُ * مِثْلَ الْجَرَادِ تَنْزَى فِي التَّبَايِينِ^(٢)
مِنْ كُلِّ أَخْفَجٍ ذِي حَنْفٍ مُخَالَفَةً * أُرْفَتْ بِهِ السُّفُنُ عِلْجًا غَيْرَ مَجْنُونِ^(٣)

قال أبو أحمد : وأنشدني يحيى في سفیان بن عمرو والى اليمامة :

لَقَدْ عَصَانِي ابْنُ عَمْرٍو إِذْ نَصَحْتُ لَهُ * وَلَوْ أَطِيعْتُ لِمَا زَلَّتْ بِهِ الْقَدَمُ^(٤)
لَوْ كُنْتُ أَنْفُخُ فِي خَيْمٍ لَقَدْ وَقَدْتُ * نَارِي وَلَكِنْ رَمَادٍ مَالَهُ حَمَمٌ

(١) أبرز : اتخذ الأبريز وهو الذهب الخالص يريد بالتخاذ الأبريز كثرة المال .

(٢) تربصه : تنتظره . والتباين : جمع تباين ، وهو سراويل صغير ، فارسي معرب .

(٣) الأخفج : ذو الفحج ، يقال رجل أخفج وامرأة فحجاء . والفحج هو تداني صدور القدمين وتباعده

العقبين . والخف : اعوجاج الرجل الى الداخل . وأرفت السفينة : دنت من الشط . وغير مجنون : غير مغفل ، من جهة الشيء ، إذا ستره يريد علجا لا شك فيه . (٤) في الأصول : « اطقت » بالقاف وظاهر أنه مصحف عما أثبتناه .

بجمل مروان بن
أبي حفصة ونواد
له في ذلك

وليجي أشعار كثيرة؛ وإنما ذكرنا ها هنا ما ذكرنا لنعرف أعراق مروان في الشعر . وكان مروان أبجل الناس على يساره وكثرة ما أصابه من الخلفاء، لاسيما من بني العباس، فإنه كان رستمهم أن يعطوه بكل بيت يمدحهم به ألف درهم .

أخبرنا أحمد بن عمار قال حدثنا علي بن محمد التوفلي قال سمعت أبي يقول : كان المهدي يعطي مروان وسلما الخاسر عطية واحدة ، وكان سلم يأتي باب المهدي على البردون قيمته عشرة آلاف درهم ، والسرج والجلم المقذوذ^(١) ؛ ولباسه الخبز والوشى وما أشبه ذلك من الثياب الغالية الأثمان ، ورائحة المسك والغالية والطيب تفوح منه ، ويحيى مروان وعليه فرو كيش ، وقيص كرايس وعمامة كرايس ، وخفاجيل وكساء غليظ مثنى الرائحة ، وكان لا يأكل اللحم بخلا حتى يقرم إليه ، فإذا قرم أرسل غلامه فأشترى له رأسا فأكله . فقيل له : نراك لا تأكل إلا الرعوس في الصيف والشتاء ، فلم تختار ذلك ؟ قال : نعم ! الرأس أعرف سعره ، ولا يستدعي الغلام أن يغتنى فيه ، وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر أن يأكل منه ، إن مس عينا أو أذنا أو خذا وقف عليه ، فأكل منه ألوانا ، آكل عينيه لونا ، وأذنيه لونا ، وغلصمته لونا ، وأكفى مؤنة طبخه ، فقد اجتمعت لي فيه مرافق .

أخبرنا يحيى بن علي قال أخبرنا أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر عن أبي العلاء المتقري قل حدثني موسى بن يحيى قال :

أوصلنا الى مروان بن أبي حفصة في وقت من الأوقات سبعين ألف درهم ، وجمع إليها مالا حتى تمت مائة ألف وخمسين ألف درهم ، وأودعها يزيد بن مزيد .

(١) المقذوذ : المزين المسوى . (٢) الكرايس : جمع كراس وهو هنا الثوب الخشن . (٣) الكجل : الكثير الصوف من الفراء . (٤) كذا في أ ، ح . وقرم الى اللحم اشتدت شهوته له . وفي الأصول : « يقدم » بالذال المهملة وهو تحريف . (٥) الغلصمة : اللحم بين الرأس والعنق ، وقيل رأس الخلقوم بشواره .

•

١٠

١٥

٢٠

قال : فبينما نحن عند يحيى بن خالد إذ دخل يزيد بن مزيد ، وكانت فيه دُعابة ، فقال : يا أبا عليّ أودعني مروان خمسين ومائة ألف درهم وهو يشتري الخبز من البقال . قال فغضب يحيى ثم قال : عليّ بمروان ، فأُتي به . فقال له : أخبرني أبو خالد بما أودعته من المال وما تبتاعه من البقال ، والله لما يرى من أثر البخل عليك أضرت من الفقر لو كان بك .

أخبرنا يحيى قال وحديثي عمر بن شبة عن أبي العلاء المتقريّ عن موسى بهذا الخبر ، إلا أنه قال : فقال له يحيى : يا مروان ، والله لا البخل أسوأ عليك أثراً من الفقر لو صرت إليه ، فلا تبخل .

أخبرنا يحيى قال حديثي عمر بن شبة قال :

بلغني أن مروان بن أبي حفصة قال ما فَرِحْتُ بشيء قطّ فَرَحَ بمائة ألف وهبها لي أمير المؤمنين المهديّ ، فوزَّئها فزادت درهماً فأشتريتُ به لحماً .

أخبرنا يحيى قال حكى أبو غسان عن أبي عبيدة عن جهم بن خلف قال : أتينا البمامة فزلنا على مروان بن أبي حفصة ، فأطعنا تمرّاً ، وأرسل غلامه بفلس وسُكَّرجة^(١) ليشتري له زيتاً . فلما جاء بالزيت قال لغلامه : خُتْنِي ! قال : من فُلَس كيف أخونك ! قال : أخذتَ الفُلَس لنفسك وأستوهبت الزيت .

أخبرنا يحيى قال أخبرنا أصحاب التوزيّ عنه قال :

مرّ مروان بن أبي حفصة في بعض سفراته وهو يريد منى^(٢) بامرأة من العرب فأضافته ، فقال : لله عليّ إن وهب لي الأمير مائة ألف أن أهب لك درهماً ، فأعطاه ستين ألف درهم ، فأعطاه أربعة دَوَاق .

٢٠ (١) السكرجة : الصفحة . (٢) كذا في ٢٠ وفي ب ، ح ، س : « وهو يريد منى بامرأة » . وفي أ : « وهو يريد منى بامرأة » وكلاهما تحريف .

أخبرنا يحيى قال أخبرني أبي عن أبي دعامة قال :

إشترى مروان لحمًا بنصف درهم ، فلما وضعه في القدر وكاد أن ينضج ، دعاه صديق له ، فردّه على القصاب بنقصان دائق . فشكاه القصاب وجعل ينادى : هذا لحم مروان ، وظنّ أنه يأنف لذلك . فبلغ الرشيد ذلك فقال : ويلك ! ما هذا ! قال : أكره الإسراف .

نصّة له مع
أبي الشمقمق

أخبرنا يحيى قال أخبرني أبي عن أبي دعامة قال :

أنشدتُ لرجل من بني بكر بن وائل في مروان :

وليس لمروان على العريس غيرة * ولكنّ مروانًا يغار على القدير .

أخبرنا يحيى قال أخبرني أبو هفان قال حدثني يحيى بن الجون العبدى قال :

فرّق المهديّ على الشعراء جوائز ، فأعطى مروان ثلاثين ألفاً . بخاءه أبو الشمقمق فقال له : أحزنى من الحائرة . فقال له : أنا وأنت نأخذ ولا نُعطى . قال : فأسمع مني بيتين . قال : هات . فقال أبو الشمقمق :

لحبة مروان تبقى عنبراً * خالط مسكاً خالصاً أذفراً^(١)

فما يُقيمان بها ساعة * إلّا يعودان جميعاً نحرًا

فأمر له بدرهمين . وأخبرني بهذا الخبر أحمد بن جعفر بحظّة عن أبي هفان

فذكر مثل الخبر الماضى وزاد فيه : فأعطاه عشرة دراهم ، فقال له خذ هذه ولا تكن راوية الصبيان .

مدح الهادي
فداعيه في المعجل
والمؤجل ووصله

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني

عمي مصعب عن جدّي عبد الله بن مصعب قال :

(١) الأذفر : الجيد من المسك .

- دخل مروان بن أبي حفصة على موسى الهادي ، فأنشده قوله فيه :
- تَسَابِهَ يَوْمًا بِأَسِهَ وَنَوَالِهِ * فَمَا أَحَدٌ يَدْرِي لِأَيِّهِمَا الْفَضْلُ
- فقال له الهادي : أيما أحب إليك : أثلثون ألفاً مُعَجَّلَةً أم مائة ألف تدون في الدواوين ؟ فقال له : يا أمير المؤمنين أنت تُحَسِّنُ ما هو خير من هذا وَلَكَّكَ تَسْيِيتُهُ ، أَفَتَأَذِّنُ لِي أَنْ أَدَّكَرَكَ ؟ قال نعم . قال : تُعَجِّلُ لِي الثَلَاثِينَ أَلْفًا وَتَدُونُ الْمِائَةَ الْأَلْفَ ^(١) فِي الدَّوَاوِينِ . فَضَحِكَ وَقَالَ : بَلْ يَعْجَلَانِ جَمِيعًا ؛ فَخِمِلِ الْمَسْأَلُ إِلَيْهِ أَجْمَعُ .

٤١
٩

- أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمارة قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني سليمان بن جعفر قال حدثني أحمد بن عبد الأعلى قال :
- اجتمع مروان بن أبي حفصة وأبو محمد اليزيدي عند المهدي ؛ فابتدأ مروان يُنْشِدُ :
- * طَرَقَتْكَ زَائِرَةٌ خَفِيَّ خِيَالَهَا *
- فقال اليزيدي : لَحْنٌ وَاللَّهِ وَأَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ . فقال له مروان : يا ضعيف الرأي أهذا لي يقال ! ثم قال :
- * بَيْضَاءُ تُخْلِطُ بِالْجَمَالِ دَلَالَهَا *
- فقال له بعض من حضر : يا أمير المؤمنين أَيْتَكُنِّي فِي مَجْلِسِكَ ! (يعني اليزيدي)
- فقال : أَعِذُّوْا شَيْخَنَا ، فَإِنَّ لَهُ حُرْمَةً .

مدح المهدي فلقته
اليزيدي فاعترض
على سوء أدبه

- أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق الموصلي قال أخبرني مروان بن أبي حفصة قال قال لي الرشيد : هل دخلت على الوليد بن يزيد ؟ فقلت : نعم دخلت مع عمومتي إليه . قال : فأخبرني عنه . قال :

سأله الرشيد عن
الوليد بن يزيد
فأجاب

(١) في الأصول المائة ألف . (٢) كذا في الأصول ولعلها من زيادات النساخ .

فذهبتُ أترجح . فقال لي : إن أمير المؤمنين لا يكره ما تقول ، فقل ما شئت . فقلت : يا أمير المؤمنين ، كان من أجمل الناس وأشدهم وأشعرهم وأجودهم . دخلتُ عليه مع عُمومتى ولى لمة فينانة ، بفعل يغمز القضيْبَ فيها ويقول : ولَدَتْكَ سُكَّرٌ؟ — وهى أم ولد لمروان بن الحكم فوهبها بلحْدَى أبى حفصة فولدت منه — فقلت له : نعم . قال لي الرشيد : فهل تحفظ من شعره شيئا ؟ قلت : نعم ، سمعته يُنشد في خلافته وذكر هشامًا وتحمُّله عليه وما كان يريد من نقض أمره وولايته :

ليت هشامًا عاش حتى يرى * ميكتله الأوفر قد أثرما
كلنا له الصاع التي كالمها * وما ظلمناه بها أصوفا
وما أتينا ذاك عن يدعة * أحله الفرقان لي أجمعا

فقال الرشيد : يا غلام ، الدواة والقرطاس ، فأتي بهما ، فأمر بالأبيات فكتبت .

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحيب بن نصر المهلبى قالوا حدثنا
عمر بن شبة قال حدثني خلاد الأرقط قال :
فضل خلف الأحمر
شهراله على شعر
للأعشى

جاءنا مروان بن أبى حفصة إلى حلقة يونس ، فأخذ بيد خلف الأحمر فأقامه ، وأخذ خلف بيدي فقمنا إلى دار أبى عمير بفسلنا في الدهليز . فقال مروان لخلف :
نشدتك الله يا أبا محرز إلا نصحتني في شعري فإن الناس يُخدعون في أشعارهم ،
وأنشده قوله :

طرفتكَ زائرة ففى خيالها * بيضاء تخط بالجمال دلالها

فقال له : أنت أشعر من الأعشى في قوله :

* رحلت سمية غدوة أجمالها *

(١) كذا بالأصول ولعله « وهبا » . (٢) المكمل : زبيل يعمل من الخوص يحمل فيه
التمر وغيره يسع خمسة عشر صاعا . (٣) في ج : « ابن عمير » .

فقال له مروان : أتبلغ بي الأعشى هكذا ! ولا تكلّ ذا ! قال : ويحله ! إن
الأعشى قال في قصيدته هذه :

* فأصاب حبة قلبها وطحّالها *

والطّحال ما دخل قط في شيء إلا أفسده ، وأنت قصيدتك سليمة كلّها . فقال له
مروان : إنى إذا أردت أن أقول القصيدة رفعتها في حول ، أقولها في أربعة أشهر ،
وأنتخلها في أربعة أشهر ، وأعرضها في أربعة أشهر .^(١)

وأخبرني بهذا الخبر هاشم بن محمد الخزازي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل عن
محمد بن سلام قال أبو دلف هاشم بن محمد وحدثني به الرياشي عن الأصمعي قال :
جاء مروان بن أبي حفصة إلى حلقمة يونس ، فسلم ثم قال لنا : أيكم يونس ؟ فأومأنا

عرض شعرا له على
يونس فدحه وفضله
على شعر للأعشى

٤٢
٩

إليه . فقال له : أصلحك الله ! إنى أرى قوماً يقولون الشعر ، لأن يكشف أحدهم سوءته
ثم يمشي كذلك في الطريق أحسن له من أن يظهر مثل ذلك الشعر . وقد قلت
شعرا أعرضه عليك ، فإن كان جيّداً أظهرته ، وإن كان رديئا سترته . فأنشده قوله :
* طرقتك زائرة فخي خيالها *

فقال له يونس : يا هذا اذهب فأظهر هذا الشعر فأنت والله فيه أشعر من الأعشى في قوله :

* رحلت سمية غدوة أجمالها *

فقال له مروان : سررتني وسؤتني . فأما الذي سررتني به فأرتضاؤك الشعر . وأما الذي
ساءني فتقديمك إياي على الأعشى وأنت تعرف محله . فقال : إنما قدمتك عليه في تلك
القصيدة لا في شعره كلّ لأنه قال فيها :

* فأصاب حبة قلبها وطحّالها *

والطّحال لا يدخل في شيء إلا أفسده ، وقصيدتك سليمة من هذا وشبهه .

(١) في الأصول : « أنتخلها » بالحاء المهملة وهو تصحيف .

قال الأصمعي إنه
مولد ولا علم له
باللغة

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثني العباس بن ميمون طائع قال :

سمعت الأصمعي ذكر مروان بن أبي حفصة فقال : كان مولداً ، لم يكن له
علم باللغة .

أنشد شعر جماعة
من الشعراء فقال
عن كل واحد منهم
إنه أشعر الناس

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثني أحمد بن عبيد الله عن العتيبي قال حدثني
بعض أصحابنا قال :

أنشدنا مروان بن أبي حفصة يوماً شعر زهير ثم قال : زهير والله أشعر
الناس ، ثم أنشد للأعشى فقال : الأعشى أشعر الناس ، ثم أنشد شعراً
لامرئ القيس فقال : امرؤ القيس أشعر الناس ، ثم قال : والناس والله أشعر
الناس . أي إن أشعر الناس من أنشدت له فوجدته قد أجاد ، حتى ينتقل إلى
شعر غيره .

اشترى من أعرابي
شعراً مدح به
مروان بن محمد
فدح هو به مع
ابن زائدة فأكرمه

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن محمد النوفلي قال حدثني
أبي قال :

اجتاز مروان بن أبي حفصة برجل من باهلة من أهل اليمامة وهو يُنشد قوماً
كان جالسا إليهم شعراً مدح به مروان بن محمد ، وإياه قُتل قبل أن يلقاه ويُنشد
إياه ، أوله :

مروانُ يا بنَ محمد أنت الذي * زيدت به شرفاً بنو مروانِ

فأعجبته القصيدة ، فأمهل الباهلي حتى قام من مجلسه ، ثم أتاه في منزله فقال له : إني
سمعتُ قصيدتك وأعجبني ، ومروان قد مضى ومضى أهلُه وفاتك ما قدرته^(١) عنده ؛
أتبغني القصيدة حتى أتخلها ، فإنه خير لك من أن تبقى عليك وأنت فقير؟ قال نعم .
قال : بكم؟ قال : بثلاثمائة درهم . قال : قد آبتعتها ، فأعطاه الدراهم وحلفه بالطلاق

(١) في ج : « ما قدرته » .

ثلاثاً وبالأيمان المخرجة ألا يتحلها أبداً ولا ينسبها إلى نفسه ولا ينسبها،
وأنه رف بها إلى منزله، فغير منها أبياتاً وزاد فيها، وجعلها في معن، وقال في ذلك البيت:
معن بن زائدة الذي زيدت به * شرفاً إلى شرف بنو شيان
ووقد بها إلى معن بن زائدة فلأ يديه، وأقام عنده مدة حتى أثرى وآسعت حاله.
فكان معن أول من دفع ذكره ونوه به. قال: وله فيه مدائح بعد ذلك شريفة
ومراثٍ حنة.

أخبرني حبيب بن نصر المهلب قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني
محمد بن نعيم البلخي أبو يونس قال حدثني مروان بن أبي حفصة وكان لي صديقاً قال:
كان المنصور قد طلب معن بن زائدة طلباً شديداً، وجعل فيه مالا؛ فحدثني
معن بن زائدة باليمن أنه اضطُرَّ لشدة الطلب إلى أن أقام في الشمس حتى لوحت
وجهه، وخفف عارضيه ولحيته، وليس جبة صوف غليظة، وركب جملاً من الجمال
النقالة ليمضي إلى البادية فيقيم بها، وكان قد أبلى في حرب يزيد بن عمر بن هبيرة
بلاء حسناً غاظ المنصور وجد في طلبه. قال معن: فلما خرجت من باب حرب
تبعني أسود متقلداً سيفاً، حتى إذا غبت عن الحرس قبض على خطام جملي فأناخه
وقبض عليّ؛ فقلت له: مالك؟ قال: أنت طليبة أمير المؤمنين. قلت: ومن أنا حتى
يطلبني أمير المؤمنين! قال: معن بن زائدة. فقلت: يا هذا آتق الله! وأين أنا من معن!
قال: دَع هذا عنك فأنا والله أعرف به منك. فقلت له: فإن كانت القصة كما تقول

نقل قصة فرار معن
وأن عبداً أسود
أطلقه تكريماً بعد
ما عرفه

٤٣
٩

(١) هو يزيد بن عمر بن هبيرة أبو خالد أحد رجالات بني أمية وفرسانهم وولاتهم، أبلى مع مروان
ابن محمد في الدعوة العباسية، قتله أبو جعفر المنصور سنة ١٣٢ هـ (انظر الكلام عليه في الطبري ق ٢
ص ١٣٦٣، ١٣٧٢، ١٩١٣ - ١٩١٦، ق ٣ ص ٦١ - ٧٣).
(٢) موضع بيقداد ينسب إلى حرب بن عبد الله البلخي ويعرف بالراوندي أحد قواد أبي جعفر المنصور.
(انظر معجم البلدان لياقوت في الكلام على الحربية).

فهم أجوهر حُلَّتْهُ مَعِيَ يَفِي بِأَضْعَافِ مَا بَذَلَهُ الْمَنْصُورُ لَمَنْ جَاءَهُ بِي ، نَحْنُهُ
وَلَا تَسْفِكُ دَمِي . قَالَ : هَاتِي فَأَخْرِجْتُهُ إِلَيْهِ ؛ فَنَظَرَ إِلَيْهِ سَاعَةً وَقَالَ : صَدَقْتَ فِي قَبْرِهِ ،
وَلَسْتُ قَابِلَهُ حَتَّى أَسْأَلَكَ عَنْ شَيْءٍ ، فَإِنْ صَدَقْتَنِي أَطْلَقْتُكَ . فَقُلْتُ : قُلْ .
قَالَ : إِنْ النَّاسُ قَدْ وَصَفُوكَ بِالْجُودِ ، فَأَخْبِرْنِي هَلْ وَهَبْتَ قَطَّ مَالِكَ كُلَّهُ ؟
قُلْتُ لَا . قَالَ : فَنَصَفَهُ ؟ قُلْتُ لَا . قَالَ : فَثُلَّثَهُ ؟ قُلْتُ لَا . حَتَّى بَلَغَ الْعُشْرَ
فَاسْتَحْيَيْتُ فَقُلْتُ : أَظُنُّ أَنَّي قَدْ فَعَلْتُ هَذَا . فَقَالَ : مَا أَرَاكَ فَعَلْتَهُ ! أَنَا وَاللَّهِ
رَاجِلٌ ، وَرَزَقِي مِنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَشْرُونَ دِرْهَمًا ، وَهَذَا الْجَوْهَرُ قِيمَتُهُ آلَافُ دَنَانِيرٍ ،
وَقَدْ وَهَبْتُهُ لَكَ ، وَوَهَبْتُكَ لِنَفْسِكَ وَلِجُودِكَ الْمَأْثُورِ عَنْكَ بَيْنَ النَّاسِ ، وَلَتَعْلَمَنَّ أَنَّ
فِي الدُّنْيَا أَجُودَ مِنْكَ ، فَلَا تُعْجِبْكَ نَفْسُكَ وَلَتَحْقِرَ بَعْدَ هَذَا كُلِّ شَيْءٍ تَفْعَلُهُ ، وَلَا
تَتَوَقَّفَ عَنْ مَكْرَمَةٍ . ثُمَّ رَمَى بِالْعَقْدِ فِي حِجْرِي وَخَلَّى خِطَامَ الْبَعِيرِ وَأَنْصَرَفَ . فَقُلْتُ :
يَا هَذَا قَدْ وَاللَّهِ فَضَحْتَنِي ، وَلَسَفَكُ دَمِي أَهْوَنُ عَلَيَّ مِمَّا فَعَلْتَ ، نَحْنُهُ مَا دَفَعْتُهُ إِلَيْكَ لِأَنِّي
غَنِيٌّ عَنْهُ فَضَحِكْتُ ثُمَّ قَالَ : أَرَدْتُ أَنْ تَكْذِبَنِي فِي مَقَامِي هَذَا ، وَإِنَّهُ لَا آخِذَهُ وَلَا آخِذَ
بِمَعْرُوفٍ ثَمَنًا أَبَدًا ، وَمَضَى . فَوَاللَّهِ لَقَدْ لَمِبْتُهُ بَعْدَ أَنْ أَمِنْتُ وَبَذَلْتُ لَمَنْ جَاءَنِي بِهِ
مَا شَاءَ فَمَا عَرَفْتُ لَهُ خَبْرًا ، وَكَأَنَّ الْأَرْضَ أَبْتَلَعَتْهُ .

سبب رضا المنصور
عن معن بن زائدة

قَالَ : وَكَانَ سَبَبُ رِضَا الْمَنْصُورِ عَنْ مَعْنٍ أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ مُسْتَتِرًا حَتَّى كَانَ يَوْمُ
الْهَاشِمِيَّةِ^(١) ، فَلَمَّا وَثَبَ الْقَوْمُ عَلَى الْمَنْصُورِ وَكَادُوا يَقْتُلُونَهُ ، وَثَبَ مَعْنٌ وَهُوَ مُتَلَمِّمٌ فَانْتَضَى
سَيْفَهُ وَقَاتَلَ فَأَبْلَى بِلَاءَ حَسَنًا ، وَذَبَّ الْقَوْمَ عَنْهُ حَتَّى نَجَا وَهُمْ يُحَارِبُونَهُ بَعْدُ ،

(١) الهاشمية : مدينة بناها السفاح بالكوفة . وذلك أنه لما ولي الخلافة نزل بقصر ابن هبيرة واستم
بناؤه وجعله مدينة وسماها الهاشمية . فلما توفي دفن بها . واستخلف المنصور فنزلها واستم بناء كان بقي فيها
وزاد فيها ما أراد . وكانت فيها وقعة بين أبي جعفر المنصور والراوندية ، وهم قوم يقولون بتناسخ الأرواح
ويزعمون أن روح آدم حلت في أحد رجالات المنصور ، وأن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو
أبو جعفر المنصور وأن الهيثم بن معاوية جبريل . (راجع معجم البلدان لياقوت وتاريخ الطبري ج ٣
ص ١٢٩ ، ١٣١) .

٥

١٠

١٥

٢٠

ثم جاء والمنصورُ راكب على بغلة ولجامها بيد الربيع؛ فقال له: تَنَحَّ فَإِنِّي أَحَقُّ بِاللَّجَامِ مِنْكَ فِي هَذَا الْوَقْتُ وَأَعْظَمُ فِيهِ غَنَاءً. فقال له المنصور: صَدَقَ فَأَدْفَعُهُ إِلَيْهِ؛ فَأَخَذَهُ وَلَمْ يَزَلْ يُقَاتِلُ حَتَّى أَنْكَشَفَتْ تِلْكَ الْحَالُ. فقال له المنصور: مَنْ أَنْتَ لَهِ أَبُوكَ؟ قال: أَنَا طَلِيتُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ. قال: قَدْ أَمْنَكَ اللَّهُ عَلَى نَفْسِكَ وَمَالِكَ، وَمِثْلَكَ يُصْطَنَعُ. ثم أَخَذَهُ مَعَهُ وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَحَبَاهُ وَزَيَّنَهُ. ثم دَعَا بِهِ يَوْمًا وَقَالَ لَهُ: إِتْنِي قَدْ أَمْلَيْتُكَ لِأَمْرِ، فَكَيْفَ تَكُونُ فِيهِ؟ قال: كَمَا يُحِبُّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ — قال: قَدْ وَلَّيْتُكَ الْيَمْنَ، فَابْسُطِ السَّيْفَ فِيهِمْ حَتَّى تُبْتَضَّ حِلْفُ رُبَيْعَةٍ وَالْيَمْنَ — قال: أُبَلِّغُ مِنْ ذَلِكَ مَا يُحِبُّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَوَلَّاهُ الْيَمْنَ وَتَوَجَّهَ إِلَيْهَا فَابْسُطَ السَّيْفَ فِيهِمْ حَتَّى أَسْرَفَ.

قال مروان: وَقَدِمَ مَعْنُ بِعَقِبِ ذَلِكَ فَدَخَلَ عَلَى الْمَنْصُورِ فَقَالَ لَهُ بَعْدَ كَلَامِ طَوِيلٍ: قَدْ بَلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْكَ شَيْءٌ لَوْلَا مَكَائِكَ عِنْدَهُ وَرَأْيُهُ فِيكَ لَغَضِبَ عَلَيْكَ. قال: وَمَا ذَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَوَاللَّهِ مَا تَعَرَّضْتُ لَكَ مِنْكَ، قَالَ: إِعْطَاؤُكَ

عاتب المنصور معناه على إكرامه له فأجابه إنما أكرمه لمدحه هو

مروان بن أبي حنيفة ألف دينار لقوله فيك:

مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ الَّذِي زِيدَتْ بِهِ * شَرْفًا إِلَى شَرَفِ بَنِي شَيْبَانَ

إِنْ عُدَّ أَيَّامُ الْفَعَالِ فَإِنَّمَا * يَوْمَاهُ يَوْمُ نَدَى وَيَوْمُ طِعَانِ

فَقَالَ: وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا أُعْطِيْتُهُ مَا بَلَغَكَ لِهَذَا الشَّعْرِ، وَإِنَّمَا أُعْطِيْتُهُ لِقَوْلِهِ:

مَا زِلْتَ يَوْمَ الْهَاشِمِيَّةِ مُعَلِّمًا * بِالسَّيْفِ دُونَ خَلِيفَةِ الرَّحْمَنِ

فَمَنْعَتَ حَوْزَتَهُ وَكُنْتَ وَقَاءَهُ * مِنْ وَقَعِ كُلِّ مُهَنِّدٍ وَسِنَانِ

فَأَسْتَحْيَا الْمَنْصُورُ وَقَالَ: إِنَّمَا أُعْطِيْتُهُ مَا أُعْطِيْتُهُ لِهَذَا الْقَوْلِ؟ قَالَ: نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ!

وَاللَّهِ لَوْلَا مَخَافَةُ النَّقْمَةِ عِنْدَكَ لَا مَكْتَنَتُهُ^(١) مِنْ مِفَاتِيحِ بَيُوتِ الْأَمْوَالِ وَأُبْحَتُهُ إِيَّاهَا، فَقَالَ لَهُ

المنصور: لَهِ دُرُكٌ مِنْ أَعْرَابِيٍّ! مَا أَهْوَنَ عَلَيْكَ مَا يَعْزُّ عَلَى الرِّجَالِ وَأَهْلُ الْحَزْمِ!

(١) فِي ج: « الشُّعْبَةُ ».

أسعبرني حبيب بن نصر قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني عبد الله
ابن محمد بن موسى قال أخبرني محمد بن موسى بن حمزة قال أخبرني الفضل بن
الربيع قال :

مدح المهدي فرده
لمدحه معناتم مدحه
العام المقبل فأجازه
مائة ألف درهم

رأيت مروان بن أبي حفصة وقد دخل على المهدي بعد وفاة معن بن زائدة
في جماعة من الشعراء فيهم سلم الخاسر وغيره ، فأنشده مديحاً فيه ، فقال له : ومن
أنت ؟ قال : شاعرك يا أمير المؤمنين وعبدك مروان بن أبي حفصة . فقال له
المهدي : ألسنت القائل :

أَقْنَا بِالْإِمَامَةِ بَعْدَ مَعْنٍ * مُقَامًا لَا نُرِيدُ بِهِ زَوَالًا

وَقُلْنَا أَيْنَ نَزَلَ بَعْدَ مَعْنٍ * وَقَدْ ذَهَبَ النَّوَالُ فَلَانَوَالًا

قد ذهب النوال فيما زعمت ، فلم جئت تطلب نوالنا ؟ لا شيء لك عندنا ، جروا برجله ؛
فجروا برجله حتى أخرج . قال : فلما كان من العام المقبل تلطف حتى دخل مع
الشعراء - وإنما كانت الشعراء تدخل على الخلفاء في كل عام هجرة - فمثل بين
يديه وأنشده بعد رابع أو بعد خامس من الشعراء :

طَرَقَتْكَ زَائِرَةٌ فَخَيَّ خَيَالَهَا * بِيَضَاءٍ تُخِلِّطُ بِالْجَمَالِ^(١) دَلَالَهَا

قَادَتْ فَوَادَكَ فَاسْتَقَادَ وَمِثْلَهَا * قَادَ الْقُلُوبَ إِلَى الصَّبَا فَأَمَالَهَا

قال : فأنصت الناس لها حتى بلغ الى قوله :

هَلْ تَطْمِسُونَ مِنَ السَّمَاءِ نَجْمَومَهَا * بِأَكْفَمِكُمْ أَوْ تَسْتَرُونَ هَلَالَهَا

أَوْ تَجْحَدُونَ مَقَالَةً عَنْ رَبِّكُمْ * جَبْرِيلُ بَلَّغَهَا النَّبِيَّ فَقَالَهَا

شَهِدْتُ مِنَ الْأَنْفَالِ آخِرَ آيَةٍ^(٢) * بَرَأَيْهِمْ فَأَرَدْتُ لِبَطَالَهَا

(١) في ج في هذا الموضع : « بالحياء » .

(٢) يريد قوله تعالى : « والذين آمنوا من بعد وهابوا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا
الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم » .

قال : فرأيت المهديّ قد زحف من صدر مُصلّاه حتى صار على البساط إعجاباً بما سمع ، ثم قال : كم هي ؟ قال : مائة بيت . فأمر له بمائة ألف درهم . فكانت أول مائة ألف درهم أُعطيت شاعرٌ في أيام بني العباس .

قال : ومضت الأيام ووليّ هارون الرشيدُ الخلافة ، فدخل إليه مروان ؛ فرأيتُه واقفاً مع الشعراء ثم أنشده قصيدة امتدحه بها . فقال له : من أنت ؟ قال : شاعرُك وعبدُك يا أمير المؤمنين مروان بن أبي حفصة . قال له : ألسنت القائل في معن بن زائدة ! وأنشده البيتين اللذين أنشده إياهما المهديّ ، ثم قال : خذوا بيده فأخرجوه ، لا شيء لك عندنا ، فأخرج . فلما كان بعد ذلك بأيام تلطف حتى دخل ؛ فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

مدح الرشيد فردّه
لمدحه معنائهم مدحه
بعد أيام فأجازه
لكل بيت ألفاً

لعمرك ما أنسى غداة المحصب * إشارة سألني بالبنان المحصب

٤٥
٩

وقد صدر المجاج إلا أقلهم * مصادر شتى موكباً بعد موكب

قال : فأعجبته ، فقال : كم قصيدتك من بيت ؟ فقال : ستون أو سبعون . فأمر له بعدد أبياتها ألفاً . فكان ذلك رسم مروان عندهم حتى مات .

أخبرني عمي قال حدثني الفضل بن محمد اليزيدي عن إسحاق قال :

مدح المهدي في
الرصافة فأجازه

دخل مروان بن أبي حفصة على المهديّ في أول سنة قدم عليه . قال :

فدخلت عليه في قصره بالرصافة فأنشدته قولي فيه :

أمر وأحل ما بلا الناس طعمه * عذاب أمير المؤمنين ونائله

فإن طليق الله من أنت مطلق * وإن قتل الله من أنت قاتله

كأن أمير المؤمنين محمداً * أبو جعفر في كل أمر يحاوله

قال : فأعجب بها ، وأمر لي بمال عظيم ؛ فكانت تلك الصلة أول صلة سنية وصلت

إليّ في أيام بني هاشم .

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال
حدثني محمد بن عبد الله العبدى الراوية قال حدثني حسين بن الضحّاك قال حدثني
مروان بن أبي حفصة قال :

مدح المهدي
وذم عنده يعقوب
ابن داود فأجازه
من خالص ماله

دخلت على المهدي في قصر السلام، فلما سلمت عليه، وذلك بعقب سخطه
على يعقوب بن داود، قلت: يا أمير المؤمنين إن يعقوب رجل رافضى وإنه
سمعى أقول في الورثة :

أنى يكون وليس ذاك بكائن * لبني البنات وراثته الأعمام
فذلك الذى حمله على عداوتى . ثم أنشدته :

كأن أمير المؤمنين محمداً * لرأفته بالناس للناس والد
على أنه من خالف الحق منهم * سقته بدالموت الخوف الرواصد
ثم أنشدته :

أحيا أمير المؤمنين محمد * سنّ النسي حرامها وحلّما
قال فقال لى المهدي : والله ما أعطيك إلا من صلب مالى فأعذرني ، وأمر لى
بثلاثين ألف درهم ، وكسانى جمة ومطرقاً ، وفرض لى على أهل بيته ومواليه
ثلاثين ألفاً أخرى .

أخبرني عيسى بن الحسين الوزّاق قال حدثنا أحمد بن الحارث انحرّاز قال
حدثنا ابن الأعرابي أن مروان بن أبي حفصة أخبره أنه وفد على معن بن زائدة
فأنشده قوله :

مدح معنا فأعطاه
عطايًا سنية لم
يسكترها عليه
ابن الأعرابي

(١) كذا فى الأصول . والذى فى كتابى ما يعول عليه فى المضاف والمضاف اليه ومعجم البلدان لياقوت
أن قصر السلام من أبنية الرشيد بن المهدي بالرقّة . والذى بناء المهدي هو قصر السلامة وهو القصر الذى بناه
بالآجر فى عيساباذ الكبرى (انظر تاريخ الطبرى ق ٣ ص ٥٠٢ ، ٥١٧) (٢) هو يعقوب بن داود
السلمى ، كان وزيراً للمهدي ثم غضب عليه وسجنه فى المطبق وما زال به حتى أيام هارون الرشيد . وقد ذكره
أبو الفرج فى ترجمة بشار بن برد فى الأغاني (ج ٣ من هذه الطبعة) . (٣) فى الأصول : « فقلت » .

٥

١٠

١٥

٢٠

بنو منظر يوم اللقاء كأنهم * أسود لها في بطن خفان^(١) أشبن^{مور}
هم يمنعون الجار حتى كأنما * لجارهم بين السماكين منزل
لها^(٢) ميم، في الإسلام سادوا ولم يكن * كأولهم في الجاهلية أول
هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دُعوا * أجاؤا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا
ولا يستطيع الفاعلون فعلهم * وإن أحسنوا في الناثبات وأجملوا

قال: فأمر لي بصلة سنية وخلع عليّ وحملي وزودني. قال ثم قال لنا ابن الأعرابي: لو أعطاه كل ما يملك ما وفاه حقه. قال: وكان ابن الأعرابي يختم به الشعراء، وما دون لأحد بعده شعرا.

٤٦
٩

أخبرني حبيب بن نصر قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال أخبرني أحمد بن موسى بن حمزة قال:

سئل عن جرير
والفرزدق أيهما
أشعر فأجاب بشعر

رأيت مروان بن أبي حفصة في أيام محمد بن زبيدة في دار الخلافة وهو شيخ كبير، فسألته عن جرير والفرزدق أيهما أشعر، فقال لي: قد سئلت عنهما في أيام المهدي وعن الأخطل قبل ذلك، فقلت فيهم قولاً عقدته في شعر ليثبت، فسألته عنه فأنشدني:

ذهب الفرزدق بالهجاء وإيما * حلوا القريض ومره للجرير
ولقد هجا فامض أخطل تغليب * وحوى النهى ببيانته المشهور
كل الثلاثة قد أجاد فمدحه * وهجاؤه قد سار كل مسير
ولقد جريت فقت غير مهلل^(٣) * بجراء لا قريف ولا مبهور^(٤)
إني لأنف أن أحبر مدحة * أبداً لغير خليفة ووزير
ما ضرني حسد اللئام ولم يزل * ذو الفضل يحسده ذوو التقصير

قال: فلم ير أن يقدم على نفسه غيرها. وكتبت الأبيات عن فيه.

(١) خفان كحسان: موضع كثير الفياض قرب الكوفة وهو مأسدة. (٢) الهايم: جمع لهيم وهو السابق الجواد. (٣) هل الرجل: جبن وفتر. (٤) القرف: الشديدة الحمرة ولعله يعني به الهجين.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثني أبو حاتم السجستاني قال حدثني العنسي قال :

مدح معنا فساءله
عن أمه فأعطاه
إياه واستقله له

لما قدم معن بن زائدة من اليمن ، دخل عليه مروان بن أبي حفصة والمجلس غاص بأهله ، فأخذ بعضادتي الباب وأنشأ يقول :

وما أجمم الأعداء عنك بقيّة * عليك ولكن لم يروا فيك مطمعا
له راحتان الجود والحشف فيهما * أبي الله إلا أن تضرا وتفعما

قال فقال له معن : احتكم ، قال : عشرة آلاف درهم . فقال معن : ربنا عليك تسعين ألفا . قال : أقلني . قال : لا أقال الله من يُقيلك .

رمى محرز معنا بالظلم
فرد عليه بما أنجله

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أبي قال :

لما قدم معن بن زائدة من اليمن استقبله الناس ، وتلقاه مروان بن أبي حفصة ، فأنشده قصيدة يهنئه فيها بقدمه وبراى المنصور فيه ، وتلقاه فيمن تلقاه أبو القاسم محرز فجعل يقول له : سقكت الدماء ، وظلمت الناس ، وتعديت طورك بذلك . فلما أكثر على معن آثفت إليه ثم قال له : يا محرز أخبرني بأى خفيك تضرب اليوم : أبا السباعي أم بالثاني ؟ قال : فأقطع وسكت نجلا .

ودخل معن على المنصور ، فلما سلم عليه وسأله قال له : يا معن ، أعطيت ابن حفصة مائة ألف درهم عن قوله فيك :

معن بن زائدة الذى زيدت به * شرفا إلى شريف بنو شيبان
فقال له : كلا يا أمير المؤمنين ! بل أعطيته لقوله :

ما زلت يوم الهاشمية معلما * بالسيف دون خليفة الرحمن
فاستحيا المنصور من تهجينه إياه فتبسم وقال : أحسنت يا معن في فعلك .

(١) عضادات الباب : خشبته من جانبيه . (٢) البقية : الإبقاء .

(٣) هو أبو القاسم محرز بن إبراهيم أحد قواد أبي مسلم الخراساني صاحب الدعوة العباسية . انظر الكلام عليه في الطبرى (ق ٢ ص ١٩٥٥ - ١٩٥٧) .

أخبرني الحسن بن عليّ المصريّ قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرِيَه قال
حدثني عليّ بن ثور قال حدثني أبو العباس العَدَوِيّ قال :

ترك يحيى بن منصور
الشعر فلما سمع بكرم
معن مدحه وقال
مروان في ذلك
شعرا

لَمَّا وَلِيَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ الْيَمَنَ كَانَ يَحْيَى بْنُ مَنْصُورٍ الذُّهْلِيُّ قَدْ تَنَسَّكَ وَتَرَكَ
الشعر . فلما بلغته أفعال مَعْنُ وَقَدْ إِلَيْهِ وَمَدَحُهُ ، فَقَالَ مَرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ :

لَا تَعْدَمُوا رَاحَتِي مَعْنُ فَإِنَّهُمَا * بِالْجُودِ أَقْتَنَّا يَحْيَى بْنُ مَنْصُورٍ
لَمَّا رَأَى رَاحَتِي مَعْنُ تَدْفُقُنَا * بِنَائِلٍ مِنْ عَطَاءٍ غَيْرِ مَزُورٍ^(١)
أَلْقَى الْمُسُوحَ الَّتِي قَدْ كَانَ يَلْبَسُهَا * وَظَلَّ لِلشَّعْرِ ذَا رَضِيفٍ وَتَحْبِيرٍ

٤٧
٩

أخبرني محمد بن مَرْيَدٍ وَعِيسَى بْنُ الْحُسَيْنِ قَالَا حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي
عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ :

تزوجت امرأة من
أهله في بني مطر
فلم يرضهم
وقال شعرا

١٠ ورد على مروان بن أبي حفصة كتاب وهو بالمدينة أن امرأة من أهله
تزوجت في قوم لم يَرْضَ صَهرهم يقال لهم بنو مطر ؛ فقال في ذلك لأخيها :
لَوْ كُنْتُ أَشْبَهْتَ يَحْيَى فِي مَنَاحِهِ * لَمَّا تَنَقَّيْتُ فَحْلًا جَدُّهُ مَطَرُ
لِلَّهِ دَرَجِيَادٌ كُنْتُ سَانِسَهَا * ضِيْعَتَهَا وَبِهَا التَّحْجِيلُ وَالْغُرَرُ
نُبِئْتُ خَوْلَةً قَالَتْ يَوْمَ أَنْكَحَهَا * قَدْ طَالَمَا كُنْتُ مِنْكَ الْعَارَ أَنْتَظِرُ

١٥ أخبرني الحسن بن عليّ الخفاف قال حدثنا الحسن بن عليّ المعروف بمحمدان^(٢)
عن محمد بن حفص بن عمرو بن الأيهم الحنفِيّ قال :

تهكم بالحنفي الشاعر
فهجاه ولم يعف
عنه حتى حقره

مرّ مروان بن أبي حفصة برجل من تيمم اللات بن ثعلبة يعرف بالحنفيّ ؛ فقال له
مروان : زعموا أنك تقول الشعر . فقال له : إن شئت عرّفْتُكَ ذلك . فقال له مروان :
ما أنت والشعر ، ما أرى ذلك من طريقتك ولا مذهبك ولا تقوله ! فقال الحنفِيّ :
أَجْلِسْ وَأَسْمَعْ بِفِلْسٍ ؛ فقال الحنفِيّ يهجوّه :

٢٠

(١) يقال : أعطاه عطاء غير مزور : إذا لم يلح عليه فيه بل أعطاه عفوا .

(٢) سمي محمدان ومحمدان بضم أوله وفتح هـ .

ثَوَى اللُّؤْمُ فِي الْعَجَلَانِ يَوْمًا وَلَيْلَةً * وَفِي دَارِ مَرْوَانَ ثَوَى آخِرَ الدَّهْرِ
غَدَا اللُّؤْمُ يَبْغِي مَطَرًا لِحَالِهِ * فَتَقَبَّ فِي بَرِّ الْبِلَادِ وَفِي الْبَحْرِ
فَلَمَّا أَتَى مَرْوَانَ خِيَمَ عِنْدَهُ * وَقَالَ رَضِينَا بِالْمُقَامِ إِلَى الْحَشْرِ
وَلَيْسَتْ لِمَرْوَانَ عَلَى الْعِرْسِ غَيْرَةٌ * وَلَكِنَّ مَرْوَانًا يَغَارُ عَلَى الْقِسْدِ
فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ : نَاشِدْتُكَ اللَّهَ إِلَّا كَفَفْتَ ، فَأَنْتَ أَشْعَرُ النَّاسِ . خَلَفَ الْحَنِيَّ
بِالطَّلَاقِ ثَلَاثًا أَنَّهُ لَا يَكْفُفُ حَتَّى يَصِيرَ إِلَيْهِ بِنْفَرٍ مِنْ رُؤَسَاءِ أَهْلِ الْيَمَامَةِ ثُمَّ يَقُولُ
بِحَضْرَتِهِمْ : قَاقُ فِي آسَتِي بَيْضَةً . فَجَلَبَهُمْ إِلَيْهِ مَرْوَانُ وَفَعَلَ ذَلِكَ بِحَضْرَتِهِمْ ، وَكَانَ فِيهِمْ
جَدَى يَحْيَى بْنُ الْأَيْهَمِ ، فَأَنْصَرَفُوا وَهُمْ يَضْحَكُونَ مِنْ فَعْلِهِ .

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ
زَيْدِ الدَّوْسِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ سَلَمٍ بْنِ قُتَيْبَةَ الْبَاهِلِيِّ
قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ بْنُ قَطَنٍ بْنُ قَيْصَةَ بْنِ مُخَارِقِ الْهَلَالِيِّ قَالَ :
لَمَّا مَاتَ الْمَهْدِيُّ وَفَدَتِ الْعَرَبُ عَلَى مُوسَى يَهْتَوْنَهُ بِالْخِلَافَةِ وَيَعِزُّوْنَهُ عَنْ
الْمَهْدِيِّ ، فَدَخَلَ مَرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ فَأَخَذَ بَعْضَ أَتَدِي الْبَابِ ثُمَّ قَالَ :
لَقَدْ أَصْبَحْتُ تَحْتَالُ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ * بِقَبْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَقَابِرُ
وَلَوْ لَمْ تُسَكَّنْ بِأَبْنِهِ فِي مَكَانِهِ * لَمَّا بَرَحْتَ تَبْكِي عَلَيْهِ الْمَنَابِرُ
قَالَ نَفَرَ النَّاسُ بِالْبَيْتَيْنِ .

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مَهْرُويهِ قَالَ حَدَّثَنِي
إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُدَبَّرِ قَالَ :
مَرِضَ عَمْرُو بْنُ مَسْعَدَةَ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ مَرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ وَقَدْ أُبْلِغَ مِنْ مَرَضِهِ
فَأَنشَأَ يَقُولُ :

صَحِّ الْجِسْمِ يَا عَمْرُو * لَكَ التَّمَحِيصُ وَالْأَجْرُ

عزى الهادي
في المهدي بيتين
تناقلهما الناس

مدح عمرو بن
مسعدة في مرضه

٤٨
٩

ولله علينا الحمد * دُ والمِنَّةُ والشكر

فقد كانت شكا شوقاً * إليك النّهي والأمر

قال فنحا نحوه مُسلم بن الوليد فقال :

قالوا أبو الفضل محمودٌ فقلت لهم * نفسى الفداء له من كل محذور

يأليت عاتيه بى غير أن له * أجر العليل وأنى غير مأجور

أخبرنى حبيب بن نصر المهلبى قال حدثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدثنا
أبو حذيفة قال حدثنى رجل من بنى سليم فى مسجد الرضاة قال أخبرنى مروان بن
أبى حفصة قال :

رأى الغول فى بعض
سفراته ففزع

وفدت فى ركب إلى الرشيد فصرنا فى أرض موحشة فقير ، وجن علينا الليل
فصرنا لنقطعها ، فلم نشعر إلا بامرأة تسوق بنا إبلنا وتحذو فى آثارنا ، فاذا هى
الغول . فلما لاح الفجر عدلت عنا وأخذت عرضا وجعلت تقول :

يا كوكب الصبح إليك عني * فليست من صبح وليس منى

قال : فما أذكر أنى فزعت من شىء قط فزعى ليلئذ .

أخبرنى الحسن بن على قال حدثنى محمد بن القاسم بن مَهرويه قال حدثنى
على بن الحسن الكوفى قال حدثنى محمد بن يحيى بن أبى مرة التغلبى قال :

عارضه التغلبى
فى شعره فى وراثة
بنى العباس

مررت بجمعفر بن عَفَّان الطائى يوما وهو على باب منزله ، فسألت عليه ،
فقال لى : مرحباً يا أخا تغلب ، اجلس بجلست . فقال لى : أما تعجب من
أبن أبى حفصة لعنه الله حيث يقول :

أنى يكون وليس ذاك بكائن * لبنى البنات وراثته الأعمام

فقلت بلى والله إنى لأتعجب منه وأكثير اللعن له ، فهل قلت فى ذلك شيئاً ؟
فقال : نعم قلت :

(١) المرض : الناحية .

لم لا يكون وإن ذاك لكائن * لبني البنات وراثته الأعمام
 للبنات نصف كامل من ماله * والعم متروك بغير سهام
 ما للطلق وللثرات وإتما * صلى الطليق مخافة الصمصام

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن محمد بن سليمان التوفلي
 قال حدثني صالح بن عطية الأصبهم قال :
 لما قال مروان :

أني يكون وليس ذاك بكائن * لبني البنات وراثته الأعمام
 لزمته وطأهت الله أن أغتاله فأقتله أي وقت أمكنني ذلك ، وما زلت ألاحظه
 وأبره وأكتب أشعاره ، حتى خُصصتُ به ، فأنس بي جداً ، وعرفت ذلك بنو حفصة
 جميعاً فأنسوا بي ، ولم أزل أطلب له غيرة حتى مرض من حمى أصابته ، فلم أزل
 أظهر له الجزع عليه والألم والأظف ، حتى خلا لي البيت يوماً فوثبت عليه فأخذت
 بحلقه فما فارقت حتى مات ، فخرجت وتركته ، فخرج إليه أهله بعد ساعة فوجدوه ميتاً ،
 وارتفعت الصيحة فحضرت وتباكيت وأظهرت الجزع عليه حتى دفن ، وما فطن
 بما فعلت أحد ولا أتهمني به .

*
*

ثم نعود إلى ذكر إبراهيم بن المهدي وأمه شكلة^(١) . ويكنى أبا إسحاق . وشكلة أمه
 مولدة ، كان أبوها من أصحاب المازيار ، يقال له شاه أفزند ، فقتل مع المازيار
 وسُيِّت بنته شكلة ، حُمِلت إلى المنصور ، فوهبها لمحيّة أم ولده فربتها وبعثت بها
 إلى الطائف فنشأت هناك وتفصّحت ، فلما كبرت رُدّت إليها . فرآها المهدي

(١) ضبط في القاموس بالقلم يفتح أوله . وفي الطبري يفتح أوله وكسره .

نشاته ونسب أمه
 شكلة
 ٤٩
 ٩

عندها فأعجبته ، فطلبها من مُحَيَّاة فأعطته إياها ، فولدت منه إبراهيم . وكان رجلاً عاقلاً
فهِمًا دِينًا^(١) أديبًا شاعرًا راويةً للشعر وأيام العرب خطيبًا فصيحًا حسنَ العارضة .

وكان إسحاق الموصلي يقول : ما ولد العباس بن عبد المطلب بعد عبد الله بن العباس :
رجلاً أفضل من إبراهيم بن المهدي . فقيل له : مع ما تبدل له من الغناء ؟ فقال :
وهل تم فضله إلا بذلك ! . حدثني بذلك محمد بن يزيد عن حماد عن أبيه .

مدحه إسحاق
الموصلي

وكان أشد خلق الله إعظاماً للغناء ، وأحرصهم عليه ، وأشدّهم منافسةً فيه . وكانت
صنعتُه لينةً ، فكان إذا صنع شيئاً نسبّه إلى شارية وريق ، لئلا يقع عليه فيه طعن
أو تقريع ، فقلتُ صنعتُه في أيدي الناس مع كثرتها لذلك . وكان إذا قيل له فيها شيء
قال : إنما أصنع تطرباً لا تكسباً ، وأغنى لنفسي لا للناس فأعمل ما أشتي . وكان
حُسنُ صوته يسترعوّار ذلك كله . وكان الناس يقولون لم يُر في جاهلية ولا إسلام
أخ وأخت أحسنُ غناء من إبراهيم بن المهدي وأخته علية . وكان يُماظ^(٢) إسحاق
ويُجادله ، فلا يقوم له ولا يبقى به ، ولا يزال إسحاق يغلبه ويغضبه بزيّنه ويغض
منه بما يظهر عليه من السقطات ويبيّن من خطئه في وقته وعجزه عن معرفة
الخطأ الغامض إذا مرّ به ؛ وقصوره عن أداء الغناء القديم فيفضّحه بذلك . وقد
ذكرتُ قطعةً من هذه الأخبار في أخبار إسحاق وأنا أذكرها هنا منها ما لم أذكر هناك .

كان ينسب
ما يصنع لشارية
وريق جاريته

كان ينازع إسحاق
ويجادله وجرّت
بينهما مناظرات
في الغناء

ومّا خالف إبراهيم بن المهدي ومن قال بقوله على إسحاق فيه : الثَّقِيلان
وخفيفهما ؛ فإنه سمى الثَّقيل الأول وخفيفه الثَّقيل الثاني وخفيفه ، وسمى الثَّقيل
الثاني وخفيفه الثَّقيل الأوّل وخفيفه ؛ وجرّت بينهما في ذلك مناظراتٌ ومجادلاتٌ
ومراسلة ومكاتبة ومشافهة ، وحضرهما الناس ، فلم يكن فيهم من يغي بفصل

(١) هذه الكلمة ليست في ج . (٢) يماظ : ينازع . (٣) في الأصول : « وقت » . ٢٠

ما بينهما! والحكم لأحدهما على صاحبه . ووضع لذلك مكاييل لتعرف بها أقدار الطرائق، وأمسك كل واحد منهما إلى آخر أقداره ، فلم يصح شيء يعمل عليه، إلا أن قول إبراهيم بن المهدي أضحل وبطل وترك ، وعمل الناس على مذهب إسحاق ؛ لأنه كان أعلم الرجلين وأشهرهما . وأوضح إسحاق أيضا لذلك وجهها فقال : إن الثقل الأول يبي من قدران ، الثقل الأول التام ، والقدر الأوسط من الثقل الأول ، وجميعا طريقته واحدة لا تساعه والتكث من ، والثقل الثاني لا يبي هذا فيه ولا يقاربه . والثقل الأول يمكن الإدراج في ضربه لنقله ، والثقل الثاني لا يندرج لنقصه عن ذلك . ولها في هذا كلام كثير ومخاطبات قد ذكرتها في أخبارهما ، وشرحت العلل مبسوطة في كتاب ألفته في النعم شرحا ليس هذا مضمعه ولا يصلح فيه . وأما التجزئة والقسمه فإنهما أفتيا أعمارهما في تنازعهما فيهما ، حتى كان يمضي لهما الزمان الطويل لا تنقطع مناظرتهما ومكاتبتهما في قسمه وتجزئة صوت واحد فيه ، وحتى كانا يخرجان إلى كل قبيح ، وحتى إنهما ماتا جميعا وبينهما منازعة في هذا الصوت وقسمته :

٥٠
٩

حييا أم يعمرا * قبل شحط من النوى

لم يفصل بينهما فيها إلى أن أفتقا . ولو ذهبت إلى ذكر ذلك وشرح سائر أخبار إبراهيم بن المهدي وقصصه لما ولي الخلفة وغير ذلك من وصفه بفصاحة اللسان ، وحسن البيان ، وجودة الشعر ، ورواية العلم ، والمعرفة بالحدل ، وجزالة الرأي ، والتصرف في الفقه واللغة ، وسائر الآداب الشريفة ، والعلوم النفيسة ، والأدوات الرفيعة ، لأطلت . وإتباع الغرض في هذا الكتاب الأغاني أو ما جرى مجراها ، لاسيما لمن كثرت الروايات والحكايات عنه ؛ فلذلك أقتصرت على ما ذكرته من أخباره دون ما يستحقه من التفضيل والتبجيل والثناء الجميل .

(١) لعله : ووضع كلاهما أو كل منهما أو نحو ذلك .

أخبرني عمي رحمه الله قال حدثني علي بن محمد بن بكر عن جدهم حماد بن
ابن إسماعيل قال قال لي إبراهيم بن المهدي :

كلمة لإبراهيم بن
المهدي عن نفسه
في صنعة الغناء .

لولا أنني أرفع نفسي عن هذه الصناعة لأظهرت فيها ما يعلم الناس معه أنهم
لم يروا قبلي مثلي .

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أحمد بن القاسم
ابن جعفر بن سليمان الهاشمي قال حدثني أحمد بن إبراهيم بن المهدي عن أبيه قال :
دخلت يوماً إلى الرشيد وفي رأسي فضلة نحارة ، وبين يديه ابن جامع وإبراهيم
الموصلی . فقال : بحياتي يا إبراهيم غني . فأخذت العود ولم ألتفت إليهما لما في رأسي
من الفضلة فغنيت :

غنى الرشيد وعنده
ابن جامع وإبراهيم
الموصلی فاطر ياء

أسرى بخالدة الخيال ولا أرى * شيئاً ألد من الخيال الطارق^(١)
فسمعت إبراهيم يقول لابن جامع : لو طلب هذا بهذا الغناء ما نطلب لك أكلنا
خبزاً أبداً . فقال ابن جامع : صدقت . فلما فرغت من غنائي وضعت العود ثم قلت :
خذاً في حقكما ودماً باطلنا .

نسبة هذا الصوت

١٥ صوت

أسرى بخالدة الخيال ولا أرى * شيئاً ألد من الخيال الطارق^(١)
إِنَّ الْبَلِيَّةَ مَنْ تَمَلَّ حُدَيْشُهُ^(٢) * فَأَنْقَعُ فَوَادَكَ مِنْ حَدِيثِ الْوَامِقِ
أَهْوَاكَ فَوْقَ هَوَى النُّفُوسِ وَلَمْ يَزَلْ * مُذْ بَنَيْتَ قَلْبِي كَالْبَحْنَجِ الْخَافِقِ

(١) رواية الديوان : « أسرى لخالدة الخ » .

(٢) في ديوان جرير : « يمل » بالبناء المجهول .

طَرَبًا إِلَيْكَ وَلَمْ تُبَالِي حَاجَتِي * لَيْسَ الْمَكَاذِبُ كَالْخَلِيلِ الصَّادِقِ^(١)
الشعر لحرير . والغناء لابن عائشة رَمَلٌ بِالْوُسْطَى عَنْ عَمْرٍو .

أَخْبَرَنِي بِحُظَّةٍ قَالَ أَخْبَرَنِي هَبَّةُ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي ،
وَحَدَّثَنِي الصَّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي عَوْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنِي هَبَّةُ اللَّهِ — وَلَمْ يَذْكُرْ عَنْ
أَبِيهِ — قَالَ : ٥٥

كَانَ الرَّشِيدُ يُحِبُّ أَنْ يَسْمَعَ أَبِي . وَقَالَ بِحُظَّةٍ عَنْ هَبَّةِ اللَّهِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ : كَانَ
الرَّشِيدُ يُحِبُّ أَنْ يَسْمَعَني ، فَنَحَلَا بِي مَرَّاتٍ إِلَى أَنْ سَمِعَنِي . ثُمَّ حَضَرَتْهُ مَرَّةً وَعِنْدَهُ
سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، فَقَالَ لِي : عَمَّكَ وَسَيِّدُ وَلَدِ الْمَنْصُورِ بَعْدَ أَبِيكَ وَقَدْ أَحَبَّ أَنْ
يَسْمَعَكَ ، فَلَمْ يَتْرَكْنِي حَتَّى غَنَيْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ :

إِذَا أَنْتَ فِينَا لِمَنْ يَنْهَاكَ عَاصِيَةٌ * وَإِذَا أَجْرُ إِلَيْكُمْ سَادَرًا رَسَنِي ١٠

فَأَمَرَنِي بِأَلْفِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، ثُمَّ قَالَ لِي لَيْلَةً وَلَمْ يَبْقَ فِي الْمَجْلِسِ إِلَّا جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى :
أَنَا أَحَبُّ أَنْ تَشْرَفَ جَعْفَرًا بِأَنْ تَغْنِيَهُ صَوْتًا . فَغَنَيْتُهُ لَحْنًا صَنَعْتُهُ فِي شَعْرِ الدَّارِمِيِّ :
كَأَنَّ صَوْرَتَهَا فِي الْوَصْفِ إِذَا وَصِفَتْ * دِينَارٌ عَيْنٍ مِنَ الْمَصْرِفَةِ الْعُتْقِ

نَسَبَةُ هَذَيْنِ الصَّوْتَيْنِ ، مِنْهُمَا :^(٢)

صَوْت

سَقِيًّا لِرَبْعِكَ مِنْ رَبْعٍ بَذَى سَلَمٌ * وَلِلزَّمَانِ بِهِ إِذَا ذَاكَ مِنْ زَمَنِ
إِذَا أَنْتَ فِينَا لِمَنْ يَنْهَاكَ عَاصِيَةٌ * وَإِذَا أَجْرُ إِلَيْكُمْ سَادَرًا رَسَنِي
الشعر للأحوص . والغناء لابن سُرَيْجٍ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْوُسْطَى عَنْ عَمْرٍو

(١) . فِي الْأَصُولِ :

شَوْقًا إِلَيْكَ وَلَمْ تَجَازِ مَوْدِقِي * لَيْسَ الْمَكَاذِبُ بِالْخَلِيلِ الصَّادِقِ
والتصويب عن الديوان . (٢) . لَعَلَّهُ : « الْأَوَّلُ مِنْهَا إِخ » . ٢٠

غنى الرشيد وعنده
سليمان بن أبي جعفر
وجعفر بن يحيى

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثني أحمد بن زهير عن مُصعب قال : أنشد
منشد وأبن أبي عبيدة عندنا قول الأحوص :

إذ أنت فينا لمن ينهك عاصية * وإذا أجر إليكم سادراً رَسَنِي

فوثب، قائماً وألقى طرف رداءه وجعل يخطو إلى طرف المجلس ويجره . ثم فعل ذلك
حتى عاد إلينا . فقلنا له : ما حملك على ما صنعت ؟ فقال : إني سمعتُ هذا الشعر
مرة فاطربني ، فجعلت على نفسي ألا أسمعه أبداً إلا جرت رَسَنِي .

والآخر من الصوتين :

صوت

كأن صورتها في الوصف إذ وُصِفَتْ * دينار عَيْن من المِصْرِيَّة العُتْقِ
أو دُرَّة أعيت الغواص في صَدَف * أو ذهب صاغه الصَّوَّاعُ في ورق
الشعر للدارمي . والغناء لمرزوق الصَّوَّاف رَمَل بالبنصر عن ابن المكي . وذكر عمرو
أن هذا اللحن للدارمي أيضا . وذكر الهشام أنه لأبن سريج . وفي هذا الخبر أنه
لإبراهيم بن المهدي . وفيه خفيف رَمَل يقال إنه لحن مرزوق الصَّوَّاف ، ويقال
إنه لمتيم ثاني ثقل عن الهشام وأبن المعتز .

أخبرني يحيى بن المتجهم قال ذكر لي عبيد الله بن عبد الله بن طاهر عن إسحاق
بن عمر بن بزيع قال :

غنى صوتا على أربع
طبقات

كنتُ أضرب على إبراهيم بن المهديّ صوتا ذكره فغناه على أربع طبقات ،
(١)
على الطبقة التي كان العود عليها ، وعلى ضعفها ، وعلى إسباحها ، وعلى إسباح الإسباح .
قال أبو أحمد قال عبيد الله : وهذا شيء ما حكي لنا عن أحد غير إبراهيم ،

وقد تَاطاه بعضُ الحُذاق بهذا الشأن، فوجده صعباً متعذراً لا يُبلَّغ إلا بالصوت القويّ وأشدّ ما في إنجاح الإنجاح؛ لأن الضَّعْف لا يُبلَّغ إلا بصوت قويّ. إئمل إلى الدقة، ولا يكاد ما أوسع حُرْجُه يبلُغ ذلك. فإذا دَقَّ حتى يبلُغ الإضعاف لم يقدر على الإنجاح فضلاً عن إنجاح الإنجاح. فاذا غلُظَ حتى يَتمكَّن من هذين لم يقدر على الضَّعْف.

أخبرني عمي قال حدثني ابن أبي سعد قال حدثني أحمد بن القاسم بن جعفر ابن سليمان الهاشمي قال حدثني محمد بن سليمان بن موسى الهادي قال :

٥٢
٩

دعاني إبراهيم بن المهدي يوماً فصرت إليه، وغنّي صوتاً لمعبد :
أفي الحق هذا أني بك مولع * وأن فؤادي نحوك الدهر نازع

١٠ فقال لي : لمن هذا الغناء؟ فقلت : يا سيدي يقولون إنه لمعبد، ولا غنّي والله معبد كذا قط، ولا يبعث أحداً يقول كذا، لا والله ما في الدنيا كذا. قال : فضحك ثم قال : والله يا بني ما قتت بنصف ما كان يقوم به معبد.

نسبة هذا الصوت

أما الثَّغْنُ فمن الثَّقِيلِ الثَّانِي، وقد ذكر في هذا الخبر أنه لمعبد، وما وجدته في شيء من الكتب له. وذكر الهشام أنَّهُ لابن المكي.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن محمد بن عمار قال حدثني يعقوب بن نعيم قال حدثني إسحاق بن محمد قال حدثني عيسى بن محمد القُحطُبي قال حدثني محمد بن الحارث بن بُسْخُر قال :

عاب مخارقاً عند
الأموات

٢٠ لما قديم المأمون من نُرَاسان لم يظهر لمغنٌ بالمدينة مدينة السلام غيري، فكنْتُ أناديه سرّاً، ولم يظهر للنَّدماء أربع سنين، حتى ظفّر بإبراهيم بن المهدي.

فلما ظفر به وعفا عنه ظهر للندماء ثم جمعنا ؛ ووجه إلى إبراهيم فحضره رثياب
مُبتدلة . فلما رآه المأمون قال : ألقى عمي رداء الكبر عن منكبيه ، ثم أمر له بخلع
فاخرة وقال : يا فتى غَدَّ عَمِّي ؛ فتغدى إبراهيم بحيث يراه المأمون ثم تحول إلينا ،
وكان مُحَارِق حاضراً ، فغنى مُحَارِق :

هذا ورب مسوفين صَبَحْتُهُمْ * من نحر بايل لذة للشارب^(١)

فقال له إبراهيم : أسأت فأعد ؛ فأعاده ، فقال : قاربت ولم تُصَب . فقال له
المأمون : إن كان أساء فأحسن أنت . فغناه إبراهيم ثم قال لمُحَارِق : أعدْه فأعاده ،
فقال : أحسنت . فقال للمأمون : كم بين الأمرين ؟ فقال : كثير . فقال لمُحَارِق :
إنما مثلك كمثل الثوب الفاخر إذا غفل عنه أهله وقع عليه الغبار فأحال لونه ، فإذا
نُقِض عاد إلى جوهره . ثم غنى إبراهيم :

يا صاح يا ذا الضامر العنيس * والرجل ذى الاقتاد والحلس^(٢)

أما النهار فما تُقَصِّره * رتكا يزيدك كلما تُمسي^(٣)

قال : وكانت لي جائزة قد خرجت ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، تأمر سيدي بالقاء هذا
الصوت على مكان جائز فهو أحبُّ إليَّ منها . فقال : يا عم ألقى هذا الصوت على
صوت

مُحَارِق ، فألقاه على ، حتى إذا كدت أن أخذه قال : أذهب فأنت أحقُّ الناس به .
فقلت : إنه لم يصلح لي بعد . قال : فأغدُّ على . فغدوت عليه فغناه متلوياً ؛ فقلت : أيها
الأمير ، لك في الخلافة ما ليس لأحد ، أنت ابن الخليفة وأخو الخليفة وعمُّ الخليفة ،

(١) هو فتح خادم المأمون . انظر الطبري (ق ٣ ص ١٠٤١) . (٢) المسوفون : الصبر ؛

يقال : إن فلاناً لمسوف (بالبناء للفاعل) إذا كان صبوراً . (راجع لسان العرب في مادة سوف) .

(٣) يقال جعل ضامر ، وناقة ضامر (بغير هاء) وضامرة . والعنيس : الناقة الصلبة القوية . والحلس :
كل شيء ، ولي ظهر البعير والدابة تحت الرجل والقتب والبرج . (٤) الرتك : سير اللابل سريعاً .

يُجود الرّائب وتَجَلَّ على بصوت ! فقال : ما أحقّك ! إن المأمون لم يَسْتَبْقِ
 حَبَّةً في ولا صِلَّةٍ لرحمي ولا رِبَاءً للعرف عندى ، ولكنه سَمِعَ من هذا الجرم^(١)
 ما لم يَسْمَعْ من غيره . قال : فأعلمتُ المأمونَ مقالته ؛ فقال : إنا لانكدر على أبي إسحاق
 عَفْوًا عنه ، فدعه . فلما كانت أيامُ المعتصم نَشِطَ للصُّبوح يومًا فقال : أحضروا عني .
 بفاء في دُرَاعَةٍ من غير طَلِيسان . فأعلمتُ المعتصمَ خبرَ الصَّوت سرًّا . فقال : يا عم غنّني :
 * يا صاح يا ذا الضَّامِر العَنَسِ *

فغناه ؛ فقال : ألقه على مُخارق . فقال : قد فعلتُ ، وقد سبق مني قولٌ ألا أعينه
 عليه . ثم كان يتجنَّب أن يغنّيه حيث أحضره .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

هذا وربُّ مُسَوِّفِينَ صَبَحْتُهُمْ * من نحر بابل لَذَّةً للشارب
 بكَرُوا على بُسْخَرَةٍ فصَبَحْتُهُمْ * بلقاء ذى كَرَمٍ كَقَعْبِ الحالب
 بُزْجاجةٍ مِلءِ اليدين كأنها * قِنْدِيلٌ فَصَحَّ^(٢) في كنيسة راهب
 الشعرُ لعديّ بن زيد . والغناء الحَيْنُ خفيفٌ ثقيلٌ أولٌ بالسَّبابَةِ في مجرى البَنْصَرِ
 عن إسحاق .

صوت

يا صاح يا ذا الضَّامِر العَنَسِ * والرَّحْلُ ذى الأَقْنَادِ وَالْحِلْسِ
 أمّا النهار فما تُقَصِّره * رَتَكًا يزيدك كَلَمًا تُمْنِي
 الشعرُ لخالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد .

٢٠ . (١) الجرم هنا : الخلق أو الصوت . (٢) الفصح (بالكسر) : عيد النصر .

وذكر أحمد بن أبي طاهر عن أبيير مولاة منصور بن المهدي عن دُؤابة مولاته
أيضا قالت قالت لي أسماء بنت المهدي :

طلبت إليه أخته
أسماء سماع غناه

قلت لأخي إبراهيم : يا أخى أشتى والله أن أسمع من غنائك شيئا . فقال :
إذا والله يا أختي لا تسمعين مثله ، على وعلى ، وغلظ في اليمين ، إن لم يكن إبليس ظهر لي
وعلمني النقر والنغم وصاحني وقال لي : اذهب فانت مني وأنا منك .

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني هبة الله بن إبراهيم
ابن المهدي عن أبيه قال :

غضب عليه الأمين
ثم رضى عنه

غضب علي محمد الأمين في بعض هناته ، فسأمني إلى كوثري ، فخبسني في سرداب
وأغلقه علي فمكثت فيه ليلتي . فلما أصبحت إذا أنا بشيخ قد خرج علي من زاوية
السرداب ، ودفع إلي وسطا وقال : كُلْ فاكلت^(٢) ، ثم أخرج قنينة شراب فقال :
أشرب فشربت ، ثم قال لي : غن :

لي مُدَّة لا بُدَّ أبلغها * معلومة فإذا آنقضت مُتَّ

لو ساورتني الأسد ضارية * لغلبيتها ما لم يَجِ الوقتُ

فغنيتها . وسمعتي كوثرفصار إلى محمد وقال : قد جنَّ عمك وهو جالس يغني بكيت
وكيت . فأمر بإحضاري فأحضرت وأخبرته بالقصة ، فأمر لي بسبعائة ألف درهم
ورضى عني .

أخبرني عمي قال حدثني ابن أبي سعد قال سمعت ينشويحدث عن أبي أحمد
ابن الرشيد قال :

طرح أخته عليه
فاطريا المأمون
وأحمد بن الرشيد

كنت يوما بحضرة المأمون وهو يشرب ، فدعا بياسر وأدخله فساره بشيء ومضى
وعاد . فقام المأمون وقال لي : قم ، فدخل دار الحرم ودخلت معه ، فسمعت غناء

(١) هو كوثرخادم محمد الأمين . (انظر قفرا عليه في الطبري ق ٣ ص ٨٩٩ ، ٩٢٨ ، ٩٣٩ ، ٩٥٦ ، ٩٦٥) .
(٢) كذا في الأصول وظاهر أنه يريد نوعا من الطعام . (٣) في الأصول : «فسره» .

أذهل عقلي ولم أقدر أن أتقدم ولا أأنخر. وفطن المأمون ليأبى فضحك ثم قال :
هذه عمّتك عُلَيَّة تُطارح عمك إبراهيم :

* مالي أرى الأبصارَ بي جافية *
نسبة هذا الصوت

نسبة هذا الصوت

مالي أرى الأبصارَ بي جافية * لم تلتفت مني إلى ناجية

لا ينظر الناس إلى المبتلى * وإنما الناس مع العافية

وقد جفاني ظالماً سيدي * فادمعي منهلةً هامية

صحي سألوا ربكم العافية * فقد دهنتي بمدنكم داهية

الشعر والغناء لعلية بنت المهدي خفيف رمل . وأخبرني ذكاء وجه الرزة أن

لعریب فيه خفيف رمل آخر مزموراً، وأن لحن عُلَيَّة مُطلق .

٥

١٠

٥٤
٩

كتب اليه اسحاق
بجنس صوت فغناه
من غير أن يسمعه

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال حدثني أبي عن إبراهيم عن علي بن هشام أن

إسحاق كتب إلى إبراهيم بن المهدي بجنس صوت صنعه وإصبريه وتجراه وإجراه

لحنه؛ فغناه إبراهيم من غير أن يسمعه فأتى ما صنعه . والصوت :

حييا أم يعمرأ * قبل شحط من النوى

قلت لا تعجلوا الروا * ح فقالوا ألا بلى

أجمع الحى رحلة * ففؤادى كذى الآسى

١٥

نسبة هذا الصوت

الشعر لعمر بن أبي ربيعة، والغناء لابن سريج، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل

الأول مطلق في تجرى الوسطى . وذكر عمرو بن بانه أنه لما لك . وفيه للهدلى

خفيف ثقيل أول بالنصر عن ابن المكي، وزعم الهشامى أنه لحن مالك . وفيه

٢٠

(١) في ب، س، ج : « واهبة » .

لَحْنَانٍ مِنَ الثَّقِيلِ الثَّانِي أَحَدُهُمَا لِإِسْحَاقَ وَهُوَ الَّذِي كَتَبَ بِهِ إِسْحَاقُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ .
وَالْآخَرُ زَعَمَ الْهَشَامِيُّ أَنَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ ، وَزَعَمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْإِمَامِ
أَنَّهُ لِأَبْنِ مُحَرِّزٍ .

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى أَبُو الْجُمَّانِ : أَنَّ إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ
لَمَّا صَنَعَ صَوْتَهُ :

* قُلْ لِمَنْ صَدَّ عَاتِبًا *

اتَّصَلَ خَبْرُهُ بِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ فَكَتَبَ يَسْأَلُهُ عَنْهُ ؛ فَكَتَبَ إِلَيْهِ بِشِعْرِهِ وَإِقَاعِهِ
وَبَسِيطِهِ وَمَجْرَاهُ وَإِصْبَعِهِ وَتَجَزُّئِهِ وَأَقْسَامِهِ وَمَخَارِجَ نَعْمِهِ وَمَوَاضِعَ مَقَاطِعِهِ وَمَقَادِيرَ
أَدْوَارِهِ وَأُورْزَانِهِ ، فَعَنَّنَاهُ . قَالَ : ثُمَّ لَقِينِي فَعَنَّنَانِيهِ ، فَفَضَّلَنِي فِيهِ بِحَسَنِ صَوْتِهِ .

نسبة هذا الصوت

قل لمن صدَّ عاتِبًا * ونأى عنك جانبًا

بد بلغت الذي أرد * ت وإن كنت لاعبا

الشعر والغناء في هذا اللحن لإسحاق ، ثانياً ثل بالبنصر في مجراها ، وفيه لغيره أَلْحَانٌ .

أَخْبَرَنِي أَبُو عَمَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ نَعِيمٍ قَالَ حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ
أَبِيهِ قَالَ :

سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي دُوَادٍ يَقُولُ : كُنْتُ أُعِيبُ الْغِنَاءَ وَأَطْعُنُ عَلَى أَهْلِهِ ،

نَفَرَاجَ الْمُعْتَصِمِ يَوْمًا إِلَى الشَّامِ فِي حَرَّاقَةٍ يَشْرَبُ ، وَوَجَّهَ فِي طَلَبِي فَصُرْتُ إِلَيْهِ ؛ فَلَمَّا

قُرْبْتُ مِنْهُ سَمِعْتُ غِنَاءً حَيَّرَنِي وَشَغَلَنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ ، فَسَقَطَ سَوْطِي مِنْ يَدِي ؛

فَأَلْتَفْتُ إِلَى زَنْقِطَةٍ غَلَامِي أَطْلَبُ مِنْهُ سَوْطَهُ ، فَقَالَ لِي : قَدْ وَاللَّهِ سَقَطَ سَوْطِي .

فَقُلْتُ لَهُ : فَأَيُّ شَيْءٍ كَانَ سَبَبَ سَقُوطِهِ ؟ قَالَ : صَوْتُ سَمِعْتُهُ شَغَلَنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ

فَسَقَطَ سَوْطِي مِنْ يَدِي ؛ فَإِذَا قِصَّتُهُ قِصَّتِي . قَالَ : وَكُنْتُ أَنْكَرُ أَمْرَ الطَّرَبِ عَلَى

سمعه أحمد بن
أبي دراد فذهل
عن نفسه ورجع
عن إنكاره الغناء

١٤٠

٢٠٠

الغناء ١٠٠ يستفز الناس منه ويغلب على عقولهم، وأناظر المعتصم فيه . فلما دخلت عليه يومئذ أخبرته بالخبر؛ فضحك وقال : هذا عمي كان يغني :

إن هذا الطويل من آل حَفِص * نَشْرَ المجدَ بعد ما كان ما

فإن ثبتت مما كنت تناظرنا عليه في ذم الغناء سألتُه أن يُعيدَه . ففعلتُ وفعل ، . بلغ بي الطربُ أكثر مما يُلغني عن غيري فأُتِكره؛ ورجعت عن رأي منذ ذلك اليوم . وقد أخبرني بهذا الخبر أبو الحسن عليّ بن هارون بن عليّ بن يحيى المنجم عن أبيه عن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر فذكر هذه القصة أو قريباً منها لزيادة اللَّفْظِ ونقصانه، وذكر أنَّ الصوت الذي غناه إبراهيم :

طَرَقَتْكَ زَائِرَةٌ فَحَيَّ خيالَهَا * بيضاءً تَحِلِطُ بالجِوَاءِ دَلائِلَهَا

١٠ هل تَطْمِسُونَ من السماء نجومَهَا * بأَكْفَكُم أو تَسْتُرُونَ هَالِكَهَا

اتخذ لنفسه حراقة
بجاء داره

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثني الحسن بن عُليّ قال :

سمعتُ هبةَ الله بن إبراهيم بن المهدي يقول : اتَّخَذَ أَبِي حَرَاقَةً فَأَمَرَ بِشَدِّهَا في الجانب الغربيّ بجِذَاء داره، فمضيتُ إليها ليلةً فكان أبي يُحَاطِبُنَا من داره بأمره ونَهْيِهِ، فنسمعُه وبيّننا عَرَضَ دِجْلَةٍ وما أَجْهَدَ نَفْسَهُ .

ثناء ابن أبي ظبية
عليه

١٥٠ أخبرني عمي قال سمعت عبد الله بن مُسلم بن قُتيبة يقول حدثني ابن أبي ظبية قال : كنت أسمع إبراهيم بن المهدي يتحنن فأطرب .

غنى وعنده عدة
من المغنين وغنى
بعده بخارق فأعاد
هو فأطرب

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني القَطْرَانِيُّ المُنْغَنِيُّ عن مُحَمَّد بن جَعْفَر عن عبد الله ابن العباس الرِّبَيعي قال :

كنا عند إبراهيم بن المهدي ذات يوم وقد دعا كل مطرب محسن من المغنين
يومئذ وهو جالس يلعب أحدهم بالشطرنج^(١) . فترنم بصوت فريدة :

قال لي أحمد ولم يدّر ما بي * أُنحِبُّ الغداة عُتْبَةَ حَقًّا

- وهو مُتَكَيٍّ . فلما فرغ منه ترنم به مُخَارِقٌ فأحسنَ فيه وأطربنا وزاد على إبراهيم ،
فأعاده إبراهيم وزاد في صوته فعنّى على غناء مُخَارِقٌ . فلما فرغ رده مُخَارِقٌ وغنّى فيه
بصوته كله وتحفظ فيه ، فيكدنا نطير سرورًا . وأستوى إبراهيم جالسًا وكان متكئًا فغناه
بصوته كله ووقاه نغمه وشُدُّورَه ، ونظرتُ الى كتفيه تهتزّان وبدنه أجمع يتحرّك حتى
فرغ منه ، ومُخَارِقٌ شاخصٌ نحوه يُرعدُ وقد انتقع لونه وأصابه تحتلج ؛ فُحِيلَ لي والله
أَنْ الإيوان يسير بنا . فلما فرغ منه تقدّم إليه مُخَارِقٌ فقبل يده وقال : جعلني الله فداك
أين أنا منك ! ثم لم ينتفع مُخَارِقٌ بنفسه بقيّة يومه في غنائه ، والله لكأنا ما كان يتحدّث .

نسبة هذا الصوت

قال لي أحمد ولم يدّر ما بي * أُنحِبُّ الغداة عُتْبَةَ حَقًّا

فتنفّستُ ثم قلت نعم حبّ . ما جرى في العروق عِرْقًا فِعْرَقًا

ما لدمعي عِدْمَتُهُ ليس يرقا^(٢) * إنما يَسْتَهْلُ غَسَقًا فَغَسَقًا^(٣)

طربًا نحو ظبيّة تركت قلبي من الوجد قَرْحَةً ما تَفَقَّا^(٤)

(١) كذا في ج . وفي أ : « ترنم بعضهم » . وفي سائر الأصول : « ترنم أحدهم » وكلاهما

تحريف . وفي نهاية الأرب (ج ٤ ص ٢٢٨ طبع دار الكتب المصرية) : « ترنم إبراهيم » .

(٢) يرقا : يجف ويقطع ، وأصله الهمز . (٣) الغسق : الانصباب ؛ يقال :

غسقت العين تغسق (من باب ضرب) غسقا وغسقانا إذا دمعت . (٤) تفقا : تفلق

وتلشق ، وأصله الهمز .

٥٦
٩

الشعر لأبي العتاهية . والغناء لفريدة خفيف رمل بالوسطى . وفيه لإبراهيم
ابن المهديّ خفيف رمل آخر . وفريدة أيضا لحن من الثقيل الثاني في أبيات
من هذه القصيدة وهي :

قد لَعَمْرِي مَلَّ الطَّيِّبُ وَمَلَّ الـ * أَهْلُ مَنَى مِمَّا أَدَاوَى وَأَرْقَى
لَيْتَنِي مِتَّ فَاسْتَرَحْتُ فَإِنِّي * أَبَدًا مَا حَيَّيْتُ مِنْهَا مُلَقًى^(١)

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني هبة الله بن إبراهيم
ابن المهديّ قال حدثني عمي منصور بن المهديّ :

أنه كان عند أبي في يوم كانت عليه فيه نوبةٌ لمحمد الأمين ، فتشاعَل
أبي بالشرب في بيته ولم يَمُضْ ، وأرسل إليه عِدَّةٌ رُسُلٍ فتأخَّر . قال منصور :
فلما كان من غَدٍ قال : ينبغي أن تَعْمَلَ على الرَّوَّاحِ إلى لِمَنْضَى إلى أمير المؤمنين
فنترضاه ؛ فـ : أَشْكُ في غضبه على . ففعلتُ وَمَضَيْتُ . فسألنا عزَّ خبره فأعلمنا أنه
مشرف على حير الوحش وهو مخجور ، وكان من عادته ألا يشرب إذا لحقه الخمار .
فدخلنا ؛ وكان طريقنا على حجرة تُصْنَعُ فيها المِلاهي . فقال لي أنسى : أذهب فاحتر
منها عودا ترضاه ، وأصلحْه غاية الإصلاح حتى لا تحتاج إلى تغييره البتة عند الضرب ؛
ففعلت وجعلته في كمي . ودخلنا على الأمين وظهره إلينا . فلما بَصُرْنَا به من بعيد قال :
أَخْرِجْ عودك فانحرجته ، وأندفع بغني :

وَكَايِسَ شَرِبْتُ عَلَى لَذَّةٍ * وَأُخْرَى تَدَاوَيْتُ مِنْهَا بِهَا
لَكِي يَعْلَمَ النَّاسُ أَنِّي أَمْرُو * أَتَيْتُ الْفُتُوَّةَ مِنْ بَابِهَا

(١) الملقى : الممتحن الذي لا يزال يلقاه مكروه إثر مكروه .

(٢) الحير : الخطيرة والبستان .

وشاهدنا الجُلَّ واليَّاسِمَ * سِينُ والمُسِمَعَاتُ بِقُصَابِهَا
رَبْرِبَتُنَا دَائِمًا مَعْمَلٌ * فَأَيُّ الثَّلَاثَةِ أَرْزَى بِهَا

- فَأَسْتَوِي الْأَمِينَ جَالِسًا وَطَرِبَ طَرِبًا شَدِيدًا وَقَالَ : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ يَا عَمَّ وَأُحْيَيْتَ لِي
طَرِبًا ، وَدَعَا بِرُطْلٍ فَشَرِبَهُ عَلَى الرَّيْقِ وَأَمْتَدَّ فِي شَرِبِهِ . قَالَ مَنْصُورٌ : وَغَنَّى إِبْرَاهِيمُ
يَوْمَئِذٍ عَلَى أَشَدِّ طَبَقَةٍ يُتَنَاهَى إِلَيْهَا فِي الْعُودِ ، وَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ غِنَائِهِ يَوْمَئِذٍ قَطُّ . وَلَقَدْ
رَأَيْتُ مِنْهُ شَيْئًا عَجِيبًا لَوْ حَدَّثْتُ بِهِ مَا صَدَّقْتُ ، كَانَ إِذَا ابْتَدَأَ يَغْنَى أَصْغَتِ الْوَحْشُ
إِلَيْهِ وَمَدَّتْ أَعْنَاقَهَا ، وَلَمْ تَزَلْ تَدْنُو مِنَّا حَتَّى تَكَادَ أَنْ تَضَعَ رُءُوسَهَا عَلَى الدَّكَّانِ الَّذِي
كُنَّا عَلَيْهِ ، فَإِذَا سَكَتَ تَفَدَّتْ وَبُعِدَتْ مِنَّا حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى أُبْعَدِ غَايَةِ يُمْكِنُهَا التَّبَاعُدُ
فِيهَا عَنَّا ، وَجَعَلَ الْإِنْسَانُ يَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَنْصَرَفْنَا مِنَ الْجَوَائِزِ بِمَا لَمْ نَنْصَرَفْ بِمِثْلِهِ قَطُّ .

- أَخْبَرَنِي عَمِّي وَالصُّوْلِيُّ قَالَا حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى الْكَاتِبُ أَبُو الْجَمَّانِ أَنَّ
إِسْحَاقَ كَتَبَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهَدَّى بِصَوْتِ صَنْعِهِ فِي شَعْرِهِ وَهُوَ :

كتب له إسحاق
بصوت صنفه فغناه
وأجاده

قُلْ لِمَنْ صَدَّ عَاتِبًا * وَنَأَى عَنْكَ جَانِبًا

قَدْ بَلَغْتَ الَّذِي أَرَدْتُ * تَ وَإِنْ كُنْتَ لِأَعْبَا

- وَيَبِينُ لَهُ شَعْرَةٌ وَإِقَاعَةٌ وَبَسَاطَةٌ وَجَرَاهُ وَإِصْبَعَةٌ وَتَجَزُّؤُهُ وَقِسْمَتُهُ وَخَارِجُ نَفْمِهِ
وَمَوَاضِعُ مَقَاطِعِهِ وَمَقَادِيرُ أَوْزَانِهِ ، فَغَنَاهُ إِبْرَاهِيمُ ، ثُمَّ لَقِيَهُ بَعْدَ ذَلِكَ فَغَنَاهُ إِيَّاهُ فَمَا نَحَرَمَ مِنْهُ
شَذْرَةً وَلَا نَعْمَةً ، قَالَ : وَفَاقَنِي فِيهِ بِحَسَنِ صَوْتِهِ .

نسبة هذا الصوت

قُلْ لِمَنْ صَدَّ عَاتِبًا * وَنَأَى عَنْكَ جَانِبًا

قَدْ بَلَغْتَ الَّذِي أَرَدْتُ * تَ وَإِنْ كُنْتَ لِأَعْبَا

٥٧
٩

- ٢٠ (١) أنظر شرح هذا البيت مفصلاً في الأغاني ج ٦ ص ٢٩٩ من هذه الطبعة .
(٢) البربط : العود ، فارسي معرب . وفي أ و م : « وإبريقنا دائماً معمل » .

وَأَعْتَرَفْنَا بِمَا آذَعَيْهِ * سَتَ وَإِنْ كُنْتَ كَاذِبًا

فَأَفْعَلِ الْآنَ مَا أُرِدَ * تَ فَقَدْ جِئْتُ نَائِبًا

يقال : إن الشعر لإسحاق ، ولم أجده في مجموع شعره . وجدت فيه لحنًا لحكم الوادي في ديوان أغانيه ولحنه من الماخوري ، وهو خفيف من خفيف الثقيل الثاني (١) بالنصر . وكذلك ذكرت دنانير أنه لحكم الوادي ؛ ويُسببه أن يكون الشعر لغيره . ولحن إسحاق الذي كتب به إلى إبراهيم بن المهدي ثاني ثقيل بالنصر في مجراها . وفيه ثقيل أول مطلق في مجرى النصر لم يقع إلى نسبته إلى صانعه ، وأظنه لحن حكم .

ففي بادلف العجلى
وأهداه جارية

أخبرني عمي قال حدثنا أبو عبد الله المرزبان قال حدثني إبراهيم بن أبي دلف العجلى قال :

كنا مع المعتصم بالقاطول ، وكان إبراهيم بن المهدي في حراقة بالجانب الغربي وأبي وإسحاق الموصلي في حراقتيهما في الجانب الشرقي ، فدعاهما يوم جمعة فعبرا إليه في زلال وأنا معهما وأنا صغير وعلى آقية ومنطقة . فلما دنونا من حراقة إبراهيم نهض ونهضنا ونهضت بنهوضه صبيحة له يقال لها غضة ، وإذا في يديه كأسان وفي يديها كأس . فلما صعدنا إليه آندفع ففتى :

حيّا كما الله خليليا * إن ميتا كنت وإن حيا

إن قلتما خيرا فأهل له * أو قلتما غيبا فلا غيا

ثم ناول كلا منهما كأسا وأخذ هو الكأس التي كانت في يد الجارية وقال : أشربا على ريقكما ، ثم دعا بالطعام فأكلوا وشربوا ، ثم أخذوا العيدان فغناهما ساعة

(١) في ١ و ٢ : « وهو خفيف من الثقيل الثاني ... الخ » . (٢) القاطول : اسم نهر كأنه مقطوع من دجلة ، وهو نهر كان في موضع سامرا قبل أن تعمّر ، وكان الرشيد أول من حفر هذا النهر وبنى على فوهته قصرا سماه أبا الجند . (٣) ظاهر أنه نوع من السفن ولم تقف عليه .

وغنيّاه ؛ وضرب وضرباً معه ، وغنّت الجارية بعدهم . فقال لها أبي : أحسنت مراراً . فقال له : إن كانت أحسنت نغزها إليك ، فما أخرجتها إلّا إليك .

أخبرني عمّي قال حدّثنا عليّ بن محمد بن نصر قال حدّثني أبو العيّس بن حمدون قال : لما صنع مخارق لحنه في شعر العتّابي :

سمع من مخارق
لحنا فاطراه

أَخْضَى الْمَقَامَ الْغَمَرَ إِنْ كَانَ غَمَرَنِي * سَنَا حُلْبٍ أَوْ زَلَّتِ الْقَدَمَانِ
غَنَاهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ ؛ فقال له : أحسنت وحياتي ما شئت ! فسجد مخارق سروراً بقول إبراهيم ذلك له .

أخبرني عمّي قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني القطرانيّ عن عمرو بن بانه قال : غنّى إبراهيم بن المهديّ يوماً :

غنّى عمرو بن بانه
لحنا وحدته حديثه

أَدَارًا بِمُزَوَى هَجَّتِ لِلْعَيْنِ صَبْرَةً * فَمَاءُ الْمَسْوَى يَرْفُضُ أَوْ يَتَرَقُّ

فأستحسنته وسألته إعادته عليّ حتى أخذته عنه ففعل . ثم قال لي : إنّ حديث هذا الصوت أحسن منه . قلت : وما حديثه أعزّك الله ؟ قال : غنّانيه ابن جامع والصنعة فيه له ، فلما أخذته عنه غنّيته إياه ليسمعه منّي ، فأستحسنه جدّاً وقال : كأتى والله ما سمعته قطّ إلّا منك ثم كان صوته بعد ذلك على نسبة هذا الصوت .

أخبرني عليّ بن إبراهيم الكاتب قال حدّثنا عبيد الله بن عبد الله بن نحرذاذبه قال حدّثني محمد بن الحارث بن بسخر قال :

قصته مع ابن بسخر
وجاريته شارية
ومخارق وعلوية

وجّه إلى إبراهيم بن المهديّ يوماً يدعوني ، وذلك في أوّل خلافة المعتصم ، فصرت إليه وهو جالس وحده وشارية جاريتيه خلف الستارة ، فقال : إني قلت شعراً وغنّيت فيه وطرحته على شارية فأخذته وزعمت أنّها أحذق به منّي ، وأنا أقول

إني أحذق به منها، وقد تراضينا بك حكماً بيننا لموضعك من هذه الصنعة، فأسمعه متى ومنها وأحكم ولا تعجل حتى تسمعه ثلاث مرّات . فقلت نعم . فاندفع ينني بهذا الصوت :

أَصْنُ بِلَيْلِي وَهِيَ غَيْرُ سَخِيَّةٍ * وَتَجَلَّ لِي بِالْهَوَى وَأَجُودُ

فأحسن وأجاد . ثم قال لها : تَغْنِي ، فغنته فبرزت فيه حتى كأنه كان معها في أبيجاد، ونظر إلى فعرف أنني قد عرفت فضلها عليه، فقال : على رِسْلِكَ ! وتحدثنا ساعة وشربنا . ثم أندفع فغناه ثانية فأضعف في الإحسان، ثم قال لها : تَغْنِي ، فغنت فبرعت وزادت أضعاف زيادته، وكذت أشق ثيابي طرباً . فقال لي : تَتَبْتُ ولا تعجل . ثم غناه ثالثة فلم يبق غاية في الإحكام، ثم أمرها فغنت، فكأنه إنما كان يلعب . ثم قال لي : قل، فقضيت لها؛ فقال : أصهت، فكم تُساوي عندك ؟ فحملني الحسد له عليها والنَّفَاسَةُ بمثلها أن قلت : تُساوي مائة ألف درهم . فقال : أو ما تُساوي على هذا الإحسان وهذا التفضيل إلا مائة ألف ! فبج الله رأيك ! والله ما أجِدُ شيئاً أبلغ في عقوبتك من أن أصيرك، قم فأنصرف إلى منزلك مذموماً . فقلت له : ما لقولك أخرج من منزلي جواب، وقت وأنصرفت، وقد أحفظني كلامه وأرْمَضَنِي ^(١) . فلما خطوت خُطُواتِ التفت إليه فقلت له : يا إبراهيم ! أُنْطَرُدُنِي من منزلك ! فوالله ما أحسن أنت ولا جاريك شيئاً . وضرب الدهر ضرباً ثَقِيلاً، ثم دعانا المعتصم بعد ذلك وهو بالوزيرية في قصر التل ^(٢)، فدخلت أنا ومخارق وعلويه، وإذا أمير المؤمنين مُصْطَبِحٌ و بين يديه ثلاث جامات : جام فضة مملوءة دنانير حُرَّةً، وجام ذهب مملوءة دراهم جُدُداً، وجام قواريير مملوءة عنبراً، فظننا أنها لنا بل لم نَشْكُ في ذلك، فغنيناه وأجهدنا

٢٠ (١) في ١، ٢ : « وأمضى » . (٢) في ب، س : « قصر الليل » .

أنفُسَنَا، فلم يطرب ولم يتحرك لشيء من غنائنا. ودخل الحاجب فقال : إبراهيم بن المهدي. فأذن له فدخل، فغناه أصواتاً أحسنَ فيها، ثم غناه بصوت من صناعته وهو :

مابال شمس أبي الخطاب قد غربت * يا صاحبي أظن الساعة آقربت

فأستحسنه المعتصم وطرب له، وقال : أحسنت والله ! فقال إبراهيم : يا أمير المؤمنين

فإن كنت أحسنت فهب لي إحدى هذه الجلمات ؛ فقال : خذ أيتهما شئت، فأخذ

التي فيها الدناير؛ فنظر بعضنا إلى بعض . ثم غناه إبراهيم بشعره وهو :

فأمرزة قهوة قرقف * شمول تروق براووقها^(١)

فقال : أحسنت والله ياعم وسررت. فقال : يا أمير المؤمنين إن كنت أحسنت فهب

لي جاماً أخرى؛ فقال : خذ أيتهما شئت، فأخذ الجلام التي فيها الدراهم؛ فعند ذلك

أنقطع رجاؤنا منها . وغناه بعد ساعة :

ألا ليت ذات الخال تلقى من الهوى * عشير الذي ألقى فيلتئم الحب^(٢)

٥٩
١

فارتج بنا المجلس الذي كنا فيه، وطرب المعتصم وأستخفه الطرب فقام على رجله، ثم

جلس فقال : أحسنت والله ياعم ماشئت ! قال : فإن كنت قد أحسنت يا أمير المؤمنين

فهب لي الجلام الثالثة؛ فقال : خذها فأخذها. وقام أمير المؤمنين، ودعا إبراهيم بمنديل

فغناه طائفتين ووضع الجلمات فيه وشده، ودعا بطين نختمه ودفعه الى غلامه، ونهضنا

إلى الانصاف، وقدمت دوابنا. فلما ركب إبراهيم التفت الى فقال : يا محمد بن الحارث،

زعمت أنني أحسن أنا وجاريي شيئاً، وقد رأيت ثمرة الإحسان. فقلت في نفسي :

قد رأيت، نخذها لا بارك الله لك فيها ! ولم أجبه بشيء .

(١) المرزة والقهوة والقرقف والشمول : من أسماء الخمر . والراوق : باطية الخمر .

(٢) العشير : جزء من عشرة كالعشر .

نسبة هذه الأصوات

صوت

ما بال شمس أبي الخطاب قد غربت * يا صاحبي أظن الساعة أقتربت
أم لا فإل ريج كنت أملها * غدت على^(١) يصير بعد ما خيلت.
أشكو اليك أبا الخطاب جارية * غريرة بفؤادي اليوم قد لعبت
رأيت قيمها يوماً يحدثها^(٢) * يا ليتما قربت مني وما بأبدت
الشعر والغناء لإبراهيم بن المهدي رمل بالنصر . وفيه هزج بالنصر، ذكر عمرو
ابن بانه أنه لإبراهيم الموصلي، وذكر غيره أنه لإبراهيم بن المهدي .

صوت

ألا ليت ذات الخال تلقى من الهوى * عشير الذي ألقى فليتم الحب
وصالكم صد وقربكم قلى * وعطفكم سخط وسنكم حرب
الشعر للعباس بن الأحنف . والغناء لإبراهيم .

وقال ابن أبي طاهر حدثني المؤمل بن جعفر قال : سمعت أبي يقول : كانت
في يد المعتصم باقة نرجس فقال لإبراهيم بن المهدي : يا عم قل فيها أبياتاً وغن فيها .
فنكت في الأرض بقضيب في يده هنيئة ثم قال :
شعره في باقة نرجس غنى به المعتصم

صوت

ثلاث عيون من النرجس * على قائم أخضر أملس
يدكرتني طيب رياء الحبيب * فيمنعني لذة المجلس
وصنع فيه لحناً وغاناً به ، فأعجبه وأمر له بجائزة . لحن إبراهيم في هذين البيتين خفيف
رمل بالنصر ، ذكر لي ذكاء وغيره ذلك .

(١) ريج صر : شديدة الصوت والبرد . (٢) كذا في ١٠ ، م وفي ج : « والنأي عندك »
وفي سائر النسخ : « والشوق يغلبني » .

غضب عليه المأمون
وسجنه فاستعطفه
حتى عفا عنه

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد النحوي عن الجاحظ،
وأخبرني به محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا يُموت بن المزرع عن الجاحظ قال :

أرسل إلى ثُمَامَةَ^(١) يوم جلس المأمون لإبراهيم بن المهدي وأمر بإحضار الناس
على مراتبهم فحضروا فجاء إبراهيم، وأخبرني عمي قال حدثنا الحسن بن عليّ قال
حدثني محمد بن عمرو الأنباري من أبناء خراسان قال :

لما ظفر المأمون بإبراهيم بن المهدي أحب أن يوتجه على رؤوس الناس .
قال : فجاء إبراهيم يَحْجُلُ في قيوده ، فوقف على طرف الإيوان وقال : السلام عليك
يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . فقال له المأمون : لا سلم الله عليك ولا حَفِظَكَ
ولا رعاك ولا كَلَّاكَ يا إبراهيم . فقال له إبراهيم : على رِسْلِكَ يا أمير المؤمنين ! فلقد
أصبحت وليّ نأري ، والقدرة تُذهِبُ الحَفِيفَةَ ، ومن مدّ له الاعتراض في الأمل هجّمت
به الأنأة على التلّف . وقد أصبح ذنبي فوق كلّ ذنب ، كما أت عفوك فوق كلّ عفو
— وقال الحسن بن عليّ في خبره : وقد أصبحت فوق كلّ ذنبي ، كما أصبح كلّ
ذني عفودك — فإن تُعاقِبْ فيحقّقك ، وإن تَعَفَّ فيفضلك . قال : فأطرق ملياً ثم رفع
رأسه فقال : إن هذين أشارا علىّ بقتلك . فائتفت فإذا المعتصم والعباس بن المأمون ،
فقال : يا أمير المؤمنين ، أما حقيقة الرأي في مُعْظَمِ تدبير الخلافة والسياسة فقد أشارا
عليك به وما غشاك إذ كان ما كان مني ، ولكن الله عودك من العفو عادة جريت
عليها دافعاً ما تخاف بما ترجو ، فكفاك الله . فتبسّم المأمون وأقبل على ثُمَامَةَ ثم قال :
إن من الكلام ما يفوق الدرّ ويغلب السحر ، وإن كلام عمي منه ، أطلقوا عن عمي

٦٠
٩

(١) ثُمَامَةُ : هو ثُمَامَةُ بن أشرس أبو معن النخعي أحد المعتزلة البصريين ، ورد بغداد واتصل بهارون
الرشيد وغيره من الخلفاء ، وله أخبار ونوادير يحكيها عنه أبو عثمان الجاحظ وغيره . (انظر تاريخ بغداد
ج ٧ ص ١٤٥) . (٢) انظر في هذا المقام الطبري ق ٣ ص ١٠٧٦ طبع أوربا وتاريخ
بغداد ج ٦ ص ١٤٤ طبع مصر .

حديده، وردوه إلى مكرماً . فلما رُدَّ إليه قال : يا عمِّ صرِّ إلى المنادمة وأرجع إلى
الأنس ، فلن ترى مني أبداً إلا ما تحب . فلما كان من الغد بعث إليه بدرج فيه :

يا خيرَ مَنْ ذَمَلْتُ يَمَانِيَةً بِهِ * بعد الرسول لآيس أو طامع
وأبرَّ مَنْ عبدَ الإلهَ على الهدى * نفساً وأحكمه بحقِّ صادق
عَسَلُ الفوراع ما أَطْعَمَ فَإِنْ تُهَيِّجْ * فالموتُ في جُرْعِ السَّامِ النَّافِعِ ^(١)
مَنِيْقَطًا حَذِرًا وما يَخْشَى العدا * نَهَانِ من وَسَنَاتِ لَيْلِ المَاجِعِ
والله يعلم ما أقول فإنها * جَهْدُ الأَلِيَّةِ من حَنِيفٍ رَاصِعِ
قَسَمًا وما أَتَدُلِّي إِلَيْكَ بِجُجَّةٍ * إِلَّا التَّضَرُّعَ مِنْ مَحَبٍّ خَاشِعِ
ما إن عصيتك والغواية تُمُدِّنِي * أسبابها إِلَّا بَنِيَّةَ طَائِعِ ^(٢)
حتى إِذَا عَلِقْتُ حَبَائِلَ شِقْوَتِي * يَرْدِي على حُفْرِ المَهَالِكِ هَائِعِ
لم أَدرِ أَنْ لِمَثَلِ ذَنْبِي غَافِرًا * فَأَقْتُ أَرْقُبُ أَيَّ حَتِيفٍ صَارِعِ
رَدَّ الحَيَاةَ إِلَى بعد ذهابها * وَرَعُ الإمامِ القَاهرِ المُتَوَاضِعِ
أَحْيَاكَ مِنْ وَلَآكَ أَطْوَلَ مَدَّةٍ * وَرَمَى عَدُوَّكَ فِي الوَتِينِ بَقَاطِعِ
إِنَّ الذي قَسَمَ الفضائلَ حَازَهَا * فِي صُلْبِ آدَمَ للإمامِ السَّابِعِ ^(٣)
كَمْ مِنْ يَدٍ لَكَ لَا تَحْدِثُنِي بِهَا * نَفْسِي إِذَا آلَتْ إِلَى مطامعِي
أَسَدَيْتَهَا عَفَوًا إِلَى هَنِيئَةٍ * فَشَكَرْتُ مُضْطَنًّا لِأَكْرَمِ صَانِعِ
وَرَحِمْتَ أَطْفَالَ كَأَفْرَاحِ القَطَا * وَعَوِيلَ عَانِسَةٍ كَقُوسِ النَّازِعِ
وعَفَوْتَ عَمَّنْ لَمْ يَكُنْ عَنْ مِثْلِهِ * عَفُوٌّ وَلَمْ يَشْفَعْ إِلَيْكَ بِشَافِعِ
إِلَّا العُلُوَّ عَنْ العُقُوبَةِ بعد ما * ظَفِرْتَ يَدَاكَ بِمُسْتَكِينٍ خَاضِعِ

٢٠ (١) الدرج (بالفتح ويحرك) : ما يكتب فيه . (٢) رواية الطبري :
* فالصَّاب يمزج بالسَّام النَّافِعِ * (٣) الهائِع هنا : المنتشر . (٤) في الطبري : «الخلافة» .

٦١
٩

- قال: فبكى المأمون ثم قال: عليّ به، فأُتِيَ به فخلع عليه وحمله وأمر له بنجمة^(١) آلاف دينار، ودعا بالفراش فقال له: إذا رأيت عمي مُقْبِلًا فاطرح له تُكَاةً، فكان يُنادمه ولا يُنكر عليه شيئًا. وروى بعض هذا الخبر عن محمد بن الفضل الهاشمي فقال فيه: لما فرغ المأمون من خطابه دفعه إلى ابن أبي خالد^(٢) الأَحْوَل وقال: هو صديقك خُذْهُ اليك، فقال: وما تُعْني صداقتي عنه وأمير المؤمنين ساخطٌ عليه! أما لِي وإن كنتُ له صديقًا لا أمتنع من قول الحق فيه. فقال له: قُلْ فإنك غيرُهم. قال وهو يريد التسلُّق على العفو عنه: إن قتلته فقد قتلَ الملوك قبلك أقلَّ جرمًا منه، وإن عفوت عنه عفوتَ عمن لم يُعَفَّ قبلك عن مثله. فسكت المأمون ساعة ثم تمثَّل:
- فلئن عفوت لأعفونَ جَلًّا * ولئن سطوت لأوهنَ عَظْمِي^(٣)
قومي هم قتلوا أممٍ أنى * فإذا رميتُ أصابني سهمي
- ١٠ خُذْهُ يا أحمد اليك مكرَّمًا، فأنصرف به. ثم كتب إلى المأمون قصيدته العينية. فلما قرأها رَقَّ له وأمر برَدِّه إلى منزله وردَّ ما قبض منه من أمواله وأملاكه. وفي خبر عمي عن الحسن بن عَلِيل قال: حدثني محمد بن إسحاق الأشعري عن أبي داود: أن المأمون تقدَّم إلى محمد بن مزداد لما أطلق إبراهيم أن يمنعه دارِي الخاصَّة والعامة، ويُوَكِّل به رجلا من قبَله يثق به ليعرفه أخباره وما يتكلَّم به. فكتب إليه الموَكِّل
- ١٥ به أن إبراهيم لما بلغه منعه من دارِي الخاصَّة والعامة تمثَّل:
- يا سَرَحَةَ الماء قد سُدَّتْ مَوارِدُهُ * أما إِلَيْكَ طَرِيقٌ غيرُ مَسْدُودٍ^(٥)

(١) هو أحمد بن أبي خالد الأحول أحد رجالات المأمون وموضع ثقته. (انظر الطبري ق ٣

ص ١٠٣٨، ١٠٤٢، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٧٥). (٢) في الأصول: «قال وهو

٢٠ يريد التسلق على العفو عنه فقال... الخ» وكلمة «فقال» لا موضع لها في الكلام. (٣) هذا شعر

الحارث بن ولة الذهلي. (انظر أشعار الحماسة ص ٩٦ طبع أوربا). (٤) لعله: «منزله».

(٥) هذا الشعر لإسحاق الموصلي.

لِحَائِمٍ حَامٍ حَتَّى لَا حَيَامَ لَهُ * مُخَلَّاهُ عَنْ طَرِيقِ الْمَاءِ مَطْرُودٍ
فلما قرأها المأمون بكى وأمر بإحضاره من وقته مكرماً وإنزاله في مرتبته؛ فصار إليه
محمد فبشره بذلك وأمره بالركوب فركب . فلما دخل على المأمون قبل البساط ثم قال :
البري منك وطأ العُدْرَ عندك لى * دون اعتذارى فلم تعُدْ ولم تَلِمِ
وقام علمك بى فأحتجَّ عندك لى * مقامَ شاهدٍ عدلٍ غيرِ مُهَيَّمِ
رددتَ مالى ولم تَمْنُنْ عَلىَّ به * وقبل رَدِّكَ مالى قد حَقَنْتَ دَمِي
تعفوا بعدلٍ وتسطو إن سطوتَ به * فلا عِدَمَناك من عافٍ ومُنْتَقِمِ
فبؤتَ منك وقد كافأتها بيد * هى الحياتان من موت ومن عَدَمِ
فقال له : أجلس يا عَمِّ آمِنًا مطمئنًا، فلن ترى أبداً منى ما تكره، إلا أن تُحَدِّثَ حَدَثًا
أو تُغَيِّرَ عن طاعة؛ وأرجو ألا يكون ذلك منك إن شاء الله .

بذ أحمد بن يوسف
الكاتب فى حسن
المحاضرة

أخبرني أحمد بن جعفر جملة قال حدثني أبى حمدون عن أبيه قال :
كنت أحب أن أجمع بين إبراهيم بن المهدي وأحمد بن يوسف الكاتب بما
كنت أراه من تقدم أحمد وغلته الناس جميعاً بحفظه وبلاغته وأدبه فى كل محضر
ومجلس . فدخلت يوماً على إبراهيم بن المهدي وعنده أحمد بن يوسف وأبو العالية
الخرزى ، بفعل إبراهيم يحدثنا فيضيف شيئاً إلى شىء ، مرةً يضحكنا ومرةً يعطينا
ومرةً ينشدنا ومرةً يدكرنا ، وأحمد بن يوسف ساكت . فلما طال بنا المجلس أردتُ
أن أخطب أحمد ، فسبقنى إليه أبو العالية فقال :

مالك لا تَنبَحَ يا كلب الدَّومِ * قد كنتَ نَبَّاحاً فما لك اليوم

فتبسّم إبراهيم ثم قال : لو رأيتنى فى يد جعفر بن يحيى لرحمتنى كما رحمت
أحمد منى .

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدثني أبي قال قال لي إسحاق: ليس فيمن يدعى العلم
بالغناء مثل إبراهيم بن المهديّ وأبي دلف القاسم بن عيسى العجليّ. فقليل له: فأين محمد
ابن الحسن بن مُصعب منهما؟ فقال: لو قيل لك إن محمد بن الحسن يُبصر الغناء
لكان ينبغي لك أن تقول: وكيف يُبصر الغناء من نَسأ بُخراسان لا يسمع من الغناء
العربيّ إلّا ما لا يفهمه! .

إثنى عليه إسحاق

أخبرني يحيى قال حدثني أبو العبيس بن حمدون عن عمرو بن بانه قال:
رأيت إسحاق الموصليّ يُناظر إبراهيم بن المهديّ في الغناء، فتكلّما فيه بما فيهما
ولم نفهم منه شيئاً. فقلت لهما: لئن كان ما أنتما فيه من الغناء ما نحن منه في قليل
ولا كثير.

إقرار ابن بانه له
ولإسحاق بالعلو
في فن الغناء

أخبرني عمي عن عليّ بن محمد بن نصر عن جدّه حمدون: أنّ المأمون قال لإسحاق:
غنّ لي لحناً في شعر الأخطل:
يا قَلَّ خيرُ اللّغواني كيف رُغِنَ به * فيشربه وشَلَّ منهنّ تَصْرِيد^(١)
للأخطل

فضل المأمون
غناءه على غناء
إسحاق في شعر
للأخطل

فغناه ليّاه فأستحسنه، ثم قال لإبراهيم بن المهديّ: هل صنعت في هذا الشعر شيئاً؟
قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال: فهاتيه؛ فغناه فأستحسنه المأمون وقدمه على صنعة
إسحاق، ولم يدفع إسحاق ذلك.

١٥

أخبرني أبو الحسن عليّ بن هارون بن عليّ بن يحيى الموصليّ قال ذكر أبي عن
جديّ عن عبد الله بن عيسى الماسهانيّ قال:

علمه إسحاق لحناً
فطرب له الأمين
وقصة ذلك

دخلت يوماً على إسحاق بن إبراهيم الموصليّ في حاجة، فرأيت عليه مُطَرَفَ نحر أسود
ما رأيت قط أحسن منه؛ فتحدّثنا إلى أن أخذنا في أمر المُطَرَف فقال: لقد كانت

(١) كذا في ديوان الأخطل (طبع المطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة ١٨٩١ م) . وفي الأصول:
«إشربة» . والشرب (بالكسر) هنا: الحظ من الماء . والوشل هنا: القليل . والتصريّد: السقي
دون الري . يريد بهذا الشطر أن حظه منهن قليل .

٢٠

لَكُمْ أَيَّامٌ حَسَنَةٌ وَدَوْلَةٌ عَجِيبَةٌ، فكيف ترى هذا؟ فقلت له: ما رأيتُ مثله. فقال: إن قيمته مائة ألف درهم، وله حديث عجيب. فقلت له: ما أقومه إلا لنحو مائة دينار. فقال إسحاق: اسمع حديثه: شربنا يوماً من الأيام، فبت وأنا مُثَخَّنٌ، فَأَنْتَبِهْتُ لرسول محمد الأمين، فدخل عليّ فقال لي: يقول لك أمير المؤمنين عجل إلى - وكان بخيلاً على الطعام فكنتُ آكل قبل أن أذهب إليه - فقمْتُ قَسْوَكْتُ وَأَصْلَحْتُ أُمْرِي، وَأَعْجَلَنِي الرَّسُولُ عَنِ الْغَدَاءِ. فدخلت عليه وإبراهيم بن المهدي جالس عن يمينه وعليه هذا المطرف وجبة خبز دكَّاء. فقال لي محمد: يا إسحاق تغديت؟ فقلت: نعم يا سيدي. فقال: إِنَّكَ لَنَهَمٌ، أَهَذَا وَقْتُ غَدَاءٍ! فقلت: أَصْبَحْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَبِي نُحَارٌ، فَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا حَدَّثَنِي عَلَى الْأَكْلِ. فقال لهم: كم شربنا؟ فقالوا: ثلاثة أرتال. فقال: آسقوه مثلاً. فقلت: إن رأيت أن تفرقها عليّ! فقال: تُسْقَى رِطْلَيْنِ وَرِطْلًا. فُدْفِعْ إِلَى رِطْلَانِ بِفَعْلَتُ أَشْرِبَهُمَا وَأَنَا أَتَوْهُمُ أَتَ نَفْسِي تَسِيلُ مَعَهُمَا، ثُمَّ دُفِعَ إِلَى رِطْلٍ آخَرٍ فَشَرِبْتُه فَكَأَنَّ شَيْئًا أَنْجَلِيَ عَنِّي. فقال، غَنَى:

كَلَيْبٌ لَعَمْرِي كَانَ أَكْثَرَ نَاصِرًا * وَأَيْسَرَ جُرْمًا مِنْكَ ضُرَّجٌ بِالْدَمِّ

فَعَنَيْتُهُ؛ فقال: أَحْسَنْتَ وَطَرِبَ، ثُمَّ قَامَ فَدَخَلَ. وَكَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ كَثِيرًا، يَدْخُلُ إِلَى النِّسَاءِ وَيَدْعُنَا. فَقُمْتُ فِي أَثَرِ قِيَامِهِ فَدَعَوْتُ غَلَامًا لِي فَقُلْتُ: أَذْهَبُ إِلَى مَنْزِلِي وَجِئْنِي بِزِمَا وَرَدَّتَيْنِ وَلَقَّهُمَا فِي مَنْدِيلٍ وَأَذْهَبُ رَكْضًا وَعَجَلٌ. فَضَى الْغَلَامُ جَاءَنِي بِهِمَا. فَلَمَّا وَافَى الْبَابَ وَنَزَلَ عَنِ الدَّابَّةِ أَنْقَطَعَ الرِّذْوُنُ فَتَفَقَّ مِنْ شِدَّةِ مَا رَكَّضَهُ، فَادْخَلَ إِلَى الزِّمَامَا وَرَدَّتَيْنِ فَأَكَلْتُهُمَا وَرَجَعْتُ إِلَى نَفْسِي وَعُدْتُ إِلَى مَجْلِسِي. فَقَالَ

٦٣
٩

(١) كذا في ج. وفي سائر الأصول: «جراني». (٢) الزمما ورد: طعام يسمى «لقمة القاضي» و«نخذ الست» و«لقمة الخليفة»، وهو مصنوع من اللحم المقل بالزبد والبيض. (انظر كتاب التاج للمحقق ص ١٧٣ هامش ٣).

لى إبراهيم : إن لى إليك حاجة أحب أن تقضيها لى . فقلت : إنما أنا عبدك وابن عبدك ، قل ما شئت . قال : تردّ على :

* كَلَيْبُ لَعَمْرِي كَانَ أَكْثَرَ نَاصِرًا *

وهذا المطرف لك . فقلت : أنا لا آخذ منك مطرفاً على هذا ، ولكنى أصير إليك إلى متلك فألقيه على الجوارى وأردّه عليك مراراً . فقال : أحب أن تردّه على الساعة وأن تأخذ هذا المطرف فإنه من لبسك ومن حاله كذا وكذا . فرددت عليه الصوت مراراً حتى أخذه . ثم سمعنا حركة محمد فقمنا حتى جاء بفلس ثم قعدنا ، فشرب وتحدثنا . فغناه إبراهيم :

* كَلَيْبُ لَعَمْرِي كَانَ أَكْثَرَ نَاصِرًا *

فكأنى والله لم أسمع قبل ذلك حسناً ، وطرب محمد طرباً عجيباً وقال : أحسنت والله يا عم ! أعط يا غلام عشرين درلعمى الساعة ، بخاءوا بها . فقال : يا أمير المؤمنين إن لى فيها شريكاً . قال : ومن هو ؟ قال : إسحاق . قال : وكيف ؟ قال : إنما أخذته الساعة منه لما قت . فقلت له : ولم ! أضاعت الأموال على أمير المؤمنين حتى يُشركك فيما تُعطاه ! قال : أما أنا فأشركك وأمير المؤمنين أعلم . فلما أنصرفنا من المجلس أعطاني ثلاثين ألفاً وأعطاني هذا المطرف . فهذا أخذ به مائة ألف درهم ١٥ وهى قيمته .

أخبرنى محمد بن خلف بن المَرْزُبان قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال قال لى إبراهيم بن المهدي :

حج مع الرشيد ،
وقصته مع جارية
رأما

٢٠ حججت مع الرشيد ، فلما صرنا بالمدينة خرجت أدور فى عَرَصاتها ، فأتيت إلى بئر وقد عطشت وجارية تستقى منها ، فقلت : يا جارية ، آمئحى لى دلوا . فقالت : أنا والله عنك فى شغل بضريبة موالى على . فنقرت بسوطى على سرجى وغنيت :

صوت

- رام قلبي السلو عن أسماء * وتغزى وما به من عزاء
 سُخْمَةٌ في الشتاء باردة الصبي * سف سراج في الليلة الظلماء
 كفنانى إن مت في درع أروى * وأمتحالي من بر عروة مائي
 ٥ — الشعر للأحوص . والغناء لمعبد رمل مُطَاق في مجرى الوسطى عن إسحاق —
 وتتمام هذه الأبيات :

- إمّنى والذي تحجّج قريش * يتّنه سالكين نقب كداء^(١)
 لمّلم بها وإن أبت منها * صادراً كالذى وردت بداء
 ولها مربّع ببرقة خايج^(٢) * ومصيف بالقصر قصر قباء
 ١٠ قلبت لي ظهر الحجن فأمست * قد أطاعت مقالة الأعداء
 ولمعبد أيضاً في البيت الأخير من هذه الأبيات ثم الأول والثاني خفيف ثقيل عن
 الهشامى . ولا بن سريج في :

* ولها مربّع ببرقة خايج *
 و * كفنانى إن مت في درع أروى *

- ١٥ رمل عن الهشامى أيضاً . وإبراهيم في : «رام قلبي» وما بعده ثاني ثقيل عن حبش —
 قال إبراهيم بن المهدي في الخبر : فرفعت الجارية رأسها إلى فقالت : أتعرف
 برعروة ؟ قلت لا . قالت : هذه والله برعروة ، ثم سقتني حتى رويت ، وقالت :
 إن رأيت أن تُعيدته ففعلت ، فطربت وقالت : والله لأُحِلنّ قربةً إلى رحلك ! .
 فقلت : آفعل ، ففعلت وجاءت معي تتحملها . فلما رأيت الجليش والخدم فزعّت . فقلت

٦٤
٩

٢٠ (١) كداء بأعلى مكة عند المحصب . (٢) برقة خايج : قرب المدينة ، وكذلك قباء .

لها: لا بأس عليك! وكسوتها وهبت لها دنانير وحبسها عندي، ثم صرت إلى الرشيد
فحدثته حديثها، فأمر بآبتياءها وعثقتها، فما برحت حتى آشرت وأعتقت، وأخذت
لها منه صلة وأفترقنا .

حدثني علي بن سليمان الأخفش ومحمد بن خلف بن المرزبان قالوا حدثنا محمد
ابن يزيد النحوي قال حدثنا الفضل بن مروان قال :

حواره مع المأمون
حين استعطفه
بكلام سعيد بن
العاص لمعاوية

لما أدخل إبراهيم بن المهدي علي المأمون وقد ظفر به، كلمه إبراهيم بكلام كان
سعيد بن العاص كلم به معاوية بن أبي سفيان في سخطه سخطها عليه واستعطفه به .
وكان المأمون يحفظ الكلام، فقال له المأمون: ديهات يا إبراهيم! هذا كلام سبقك به
فحل بن العاص بن أمية وقارحهم سعيد بن العاص وخطب به معاوية . فقال له
إبراهيم: مه يا أمير المؤمنين؟! وأنت أيضا إن عفوت فقد سبقك فحل بن حرب^(١)
وقارحهم إلى العفو، فلا تكن حالي عندك في ذلك أبعد من حال سعيد عند معاوية، فإنك
أشرف منه، وأنا أشرف من سعيد، وأنا أقرب إليك من سعيد إلى معاوية، وإن أعظم
المهجنة أن تسبق أمية هاشما إلى مكرمة. فقال: صدقت يا عم، وقد عفوت عنك .

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال:
جري بين محمد الأمين وبين إبراهيم بن المهدي كلام على التنبذ، فوجد عليه محمد .
فلما كان بعد أيام بعث إليه إبراهيم بالطاف فلم يقبلها، فوجه إليه وصيفة مليحة مغنية
معها عود معمول من عود هندي، وقال هذه الأبيات وغنى فيها وألقاها عليها حتى
أخذت الصنعة وأحكمتها، ثم وجه بها إليه . فوقفت الجارية بين يديه وقالت له:
عمك وعبدك يا أمير المؤمنين يحمل لك — وأندفعت تغني بالشعر وهو — :
هتكت الضمير برد اللطف * وكشفت هجرك لي فأنكشف

غضب عليه الأمين
فاستعطفه

٢٠

(١) في ب، س: « فقال له إبراهيم فكان مه يا أمير المؤمنين » وكلمة « فكان » لا موقع لها
في الكلام . (٢) كذا في ح . وفي سائر النسخ: « عند » .

وإن كنت تُنكر شيئاً جرى * فهَبْ للخلافة ما قد سَلَفَ
وَجُدْ لي بصفحك عن زَلَّتِي * فبالفضل يأخذ أهل الشرف
قال: فُسِّرَ محمدٌ بها، وبعث إلى إبراهيم فأحضره ورضى عنه وأمر له بخمسة آلاف دينار
وتَمَّ يومه معه .

٥ أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبَان قال أخبرني سعيد بن صالح الأسدي
قال حدثني جعفر بن محمد الهاشمي قال حدثني بعض خدم إبراهيم بن المهدي قال :
كانت لإبراهيم بن المهدي جارية يقال لها صَدُوف ، وكان لها من نفسه موضع .
ففسدها جواريه على محلها منه ، فلم يَزَلْ يُبَلِّغُه عنها ما يكره . حتى غَضِبَ عليها وجفاها
أياماً ، ثم شقَّ ذلك عليه وأغتمَّ به ، ولم يَطِبْ نفساً بمراجعتها وصالحتها . فدخل عليه
الأعرابي أخو مُعَلَّة صاحبة الفضل بن الربيع ، وكان حسن الشعر حُلُو اللفظ
فصيحاً ، وكان إبراهيم يأنس به ، فقال له : مالي أرى الأمير منكسراً منذ أيام ؟
فأمسك . فقال : قد عرفتُ حال الأمير وقلتُ في أمره أبياتاً إن أذن لي أنشدته
أيها . فتبسَّم وقال : هاتِ ، فأنشده :

أَعْتَبْتُ أُمَّ عَتَبْتُ عَلَيْكَ صَدُوفُ * وَعِتَابُ مِثْلِكَ مِثْلُهَا تَشْرِيفُ
لَا تَقْعُدَنَّ تَلُومَ نَفْسِكَ دَائِباً * فِيهَا وَأَنْتَ بِحَبِّهَا مَشْغُوفُ
إِنَّ الصَّرِيحَةَ لَا يَنْوُءُ بِحَمْلِهَا * إِلَّا الْقَوِيُّ بِهَا وَأَنْتَ ضَعِيفُ

فاستحسن إبراهيم الأبيات وأمر له بمائتي دينار ، وبعث إلى صَدُوف فخرجت
إليه ورضى عنها ، وبعثت إليه صَدُوف بمائة دينار .

٢٠ أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدثني أحمد بن علي بن حميدة قال
حدثني رَيْقُ قال :
قيل له تب واحرق
دقاتر الغناء فقال
ريق تحفظ كل
غنائى

مَرَضَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمُهَدَّى مَرَضَةً أَشْرَفَ مِنْهَا عَلَى الْمَوْتِ، بِفَعْلٍ يَتَذَكَّرُ شَغْفَهُ بِالْغِنَاءِ وَمَا سَلَفَ لَهُ فِيهِ وَيَتَذَكَّرُ عَلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ : فُتُبْ وَأَحْرِقْ دِفَاتِرَ الْغِنَاءِ . فَتَرَكَ رَأْسَهُ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ : يَا مَجَانِينَ ! فَهَبْنِي أَحْرِقْتُ دِفَاتِرَ الْغِنَاءِ كُلَّهَا ، رَيْئُ أَئِيشٍ أَعْمَلُ بِهَا ؟ أَأَقْتُلُهَا وَهِيَ تَحْفَظُ كُلَّ شَيْءٍ فِي دِفَاتِرِ الْغِنَاءِ !! .

رَأَى عَلِيًّا فِي النَّوْمِ
أَخْبَرَنِي جَعْفَرُ بْنُ قُدَّامَةَ وَالْحُسَيْنُ بْنُ الْقَاسِمِ الْكَوْكَبِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي الْمُبَرَّدُ عَنْ
أَحْمَدَ بْنِ الْبَيْعِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهَدَّى قَالَ :

رَأَيْتُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي النَّوْمِ ، فَقُلْتُ لَهُ : إِنْ النَّاسُ قَدْ أَكْثَرُوا فِيكَ وَفِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ، فَمَا عِنْدَكَ فِي ذَلِكَ ؟ فَقَالَ لِي : إِخْسًا ! وَلَمْ يَزِدْنِي عَلَى ذَلِكَ . وَأَخْبَرَنِي الْكَوْكَبِيُّ بِهَذَا الْخَبَرِ عَنِ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ :

كَانَ إِبْرَاهِيمُ شَدِيدَ الانْحِرَافِ عَنْ عَلِيَّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ فَخَدَّثَ
الْمَأْمُونُ يَوْمًا أَنَّهُ رَأَى عَلِيًّا فِي النَّوْمِ ، فَقَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ .
قَالَ : فَشَيْنَا حَتَّى جِئْنَا قَنْطَرَةً فَذَهَبَ يَتَقَدَّمُنِي لِعُبُورِهَا ؛ فَأَمْسَكْتُهُ وَقُلْتُ لَهُ : إِنَّمَا أَنْتَ
رَجُلٌ تَدْعِي هَذَا الْأَمْرَ بَامْرَأَةٍ وَنَحْنُ أَحَقُّ بِهِ مِنْكَ ! فَمَا رَأَيْتُ لَهُ فِي الْجَوَابِ بِلَاغَةً
كَمَا يُوصَفُ عَنْهُ . فَقَالَ : وَأَيُّ شَيْءٍ قَالَ لَكَ ؟ فَقَالَ : مَا زَادَنِي عَلَى أَنْ قَالَ سَلَامًا
سَلَامًا . فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ : قَدْ وَاللَّهِ أَجَابَكَ أَبْلَغَ جَوَابٍ . قَالَ : وَكَيْفَ ؟ قَالَ : عَرَّفَكَ
أَنَّكَ جَاهِلٌ لَا يُجَاوِبُ مِثْلَكَ ؛ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ .
فَنَجَّيْتُ إِبْرَاهِيمَ وَقَالَ : لَيْتَنِي لَمْ أَحْدِثْكَ بِهَذَا الْحَدِيثِ .

أَخْبَرَنِي الْكَوْكَبِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي الْمَفْضَلُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ هَبَةَ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ
الْمُهَدَّى عَنْ أَبِيهِ قَالَ :

قُلْتُ لِلْأَمِينِ يَوْمًا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ! فَقَالَ : بَلْ جَعَلَنِي اللَّهُ
فِدَاكَ ؛ فَأَعْظَمْتُ ذَلِكَ . فَقَالَ : يَا عَمَّ لَا تُعْظِمُهُ فَإِنَّ لِي عَمْرًا لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ ؛

تَمَنَّى لَهُ الْأَمِينُ طَوِيلَ
الْعُمُرِ

بجياتي مع الأجابة أطيّب من تجرّعي فقدّمهم ، وليس يضرّني عيش من عاش
بعدي منهم .

حدّثني بحظّة قال حدّثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي قال حدّثني أبي قال :
كنت يوماً بين يدي الأمين أغنيّه ؛ فغنّيته :
غنى للأمين لحنا
فطرب وطاب إليه
أن يلقنه إحدى
جواريه ، وقصة
ذلك

صوت

أَقَوْتُ مَنَازِلُ بِالْهَضَابِ * مِنْ آلِ هِنْدٍ وَالرَّيَابِ
خَطَّارَةٌ بِزِمَامِهَا * وَإِذَا وَنَتْ ذُلُّ التَّرَاكِيبِ
تَرْجِي الْحَصَا بِمَنَاسِمِ * صُمِّ صِلَادِمَةٍ صِلَابِ

قال : فاستحسن اللّحن وسألني عن صانعه ؛ فعرّفته أن ابن جامع حدّثني عن سيّاط
أنه لابن عائشة ؛ فلم يزل يشرب عليه لا يتجاوزّه ، ثم أنصرفنا ليلتنا تلك . ووافاني رسوله
حين أنذبت من النوم وأنا أستاك ، فقال لي : يقول لك : بجياتي باعم لا تستغل بعد
الصلاة بشيء غير الركوب الى . فصليت وتناولت طعاماً خفيفاً وأنا ألبس ثيابي خوفاً
من رجوع رسوله ، وركبت إليه . فلما رأني من بعيد صاح بي : يا عم بجياتي :
* خطّارة بزمامها *

فلما دخلت المجلس ابتدأته وغنّيته ؛ فأمر باحضار صبيّة كان يتحقّاها ، فأخرجت إلى
صبيّة كأنها لؤلؤة في يدها العود . فقال : بجياتي يا عم ألقه عليها ! فأعدته مراراً وهو
يشرب ؛ حتى إذا ظننت أنها قد أخذته أمرتها أن تغنيّه فغنّته ، فإذا هو قد استوى لها
إلا في موضع كان فيه وكان صعباً جداً فجهدت جهدي أن يقع لها طلباً لمسرته ، وكان
حقيقاً منّي بذلك ، فلم يقع لها البتّة . ورأى جهدي في أمرها وتعدّره عليها ، فأقبل عليها

(١) ذال : جمع ذلول وهو السهل المتقاد من الناس والدواب ، الذكر والأنثى فيه سواء .

وقد سكر ثم قال : نُفِيتُ من الرشيد وكلُّ أمةٍ لي حرةٌ وعلى عهد الله لن تأخذيه
في المرة الثالثة لأمرن بالقائك في دجلة ! قال : ودجلة تطفح وبيننا وبينها نحو ذراعين
وذلك في الربيع ، فتأملتُ القصة ، فاذا هو قد سكر ، وإذا الجارية لا تقوله كما أقوله
أبدأ . فقلت : هذه والله داهية ، ويتغنص عليه يومه وأشرك في دمها ، فعدلتُ عما
كنتُ أغنيته عليه وتركته ما كنتُ أقوله ، وغنيته كما كانت هي تقوله ، وجعلتُ
أردده حتى آتقتضت ثلاث مرّات أعيده فيها على ما كانت هي تقوله ، وأريته أني
أجتهد ، فلما آتقتضت الثلاث المرات قلت لها : هاتيه الآن ، فغنته على ما كان وقع لها .
فقلت : أحسنت يا أمير المؤمنين ، رددته معها ثلاث مرّات ، فطابت نفسه
وسكن ، وأمر لي بثلاثين ألف درهم . قال بجحظة : وقد لحقني مثل هذا ، فإن طرخان^(١)
ابن محمد بن إسحاق بن كنداجيق استحسن صوتاً غنيته وهو :

حدث بلحظة
مع طرخان
ما حدث له هو مع
الأمين

أعياني الشادن الربيب * أكتب أشكو فلا يُجيب
من أين أبني شفاء دائي * وإنما دائي الطبيب

— ولحنه رمل — فقال : أحب أن تطرحه على زهرة جاريته ، فكنتُ أتردد
إليها شهراً وأكثر وأردده عليها وهو يصانني ويخلع عليّ ويعطيني كلّ شيء حسن
يكون في مجلسه ، فلا تأخذه مني ولا يقع لها . فلما كان بعد شهر قلت له : أيها الأمير
قد والله استحييت من كثرة ما تُعطيني بسبب هذا الصوت ، وقد أعياني أن تأخذه
زهرة ، ثم حدثته حديث إبراهيم بن المهدي وقلت له : لولا أني آمنك عليها لقلتُ
أنا كما تقوله هي حتى نتخلص جميعاً . وليس وحياتك تأخذه أبداً كما أقوله ولا فيه
حيلة . فقال لي : فدعه إذا .

(١) كان من الأمراء . (انظر الكلام عليه في صلة تاريخ الطبري ص ٦٣) .

حدثني بحظّة قال حدثني هبة الله بن إبراهيم قال حدثني محمد بن الحارث بن
بُسْخَر قال :

فنى بحضرة
المأمون لحن وأراد
ابن بسخر أن
يأخذه عنه فضله

غنى إبراهيم بن المهدي يوماً بحضرة المأمون :

صوت

يا صاح يا ذا الضامر العنيس * والرّحل ذى الأساع والخليس
أما النهار فانت تقطعه * رنكا وتصبح مثل ما تسمى

— في هذين البيتين لحن لمالك خفيف ثقيل عن يونس والحشامى . قال : ولمعبد فيه
ثقل أول ، وقد نسب قوم لحن كلّ واحد منهما الى الآخر . قال محمد بن الحارث
ابن بسخر في الخبر : واللحن لمالك بن أبى السّمح وهو من قيصاره ، هكذا في الخبر —
قال : فاستحسنه المأمون ، وذهبت أخذه ، ففطن لى إبراهيم بفعل يزيد فيه مرةً ويتقص
منه أخرى بزوائده التي كان يعملها في الغناء ، وعلمت ما هو يصنع فتركته . فلما قام
قلت للمأمون : يا سيدي إن رأيت أن تأمر إبراهيم أن يلتقى على :

* يا صاح يا ذا الضامر العنيس *

قال : أفعل . فلما عاد قال له : يا إبراهيم ألقى على محمد :

* يا صاح يا ذا الضامر العنيس *

فالتقاء على كما كان يغنيه مُغَيَّرًا ، ثم أنقضي المجلس وسكر المأمون . فقال لى إبراهيم :
قم الآن فانت أحذق الناس به ، فخرجت وخرج . ثم جئته الى منزله فقلت له :
ما فى الأرض أعجب منك ! أنت أبن الخليفة وأخو الخليفة وعم الخليفة تبخل على
ولى لك مثلى لا يُفانرك بالغناء ولا يكثر بك بصوت ! فقال لى : يا محمد ما فى الدنيا
أضعف عقلاً منك ! والله ما أستبقانى المأمون محبةً لى ولا صلةً لرحمى ، ولكنه
سمع من هذا الجرم شيئاً فقدّه من سواه فاستبقانى لذلك . فغاضبى فعله . فلما دخلت

على المأمون حدّثته بما قال لي . فقال المأمون : يا محمد هذا أكفر الناس لنعمة !
وأطرق ملياً ثم قال لي : لا نكدر على أبي إسحاق عقّونا عنه ولا نقطع رَحِمَه ، فدع
هذا الصوت الذي ضنّ به عليك الى لعنة الله .

حدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويّه قال حدّثني
محمد بن يزيد قال :

قال بينا يكيد به
لدعبل

قلت لدعبل : بالله أسألك أنت القائل :

كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة * إذا حُسِبوا يوماً وثامنهم كلبُ
فقال : لا والله ! فقلت : مَنْ قاله ؟ قال : مرّ حشاً الله قبره ناراً إبراهيم بن المهديّ ،
كافأني بذلك عن هجائي إياه ليشيط بدعي ^(١) .

أخبرني محمد بن مزّيد قال حدّثنا حماد بن إسحاق قال حدّثني محمد بن الحارث
ابن بسّخر قال :

خطأ مخارقاً في لحن
غناه للأمّون ثم
لقنه إياه على وجهه

لما رضى المأمون عن إبراهيم بن المهديّ وناداه ، دخل عليه متبذلاً
في ثياب المغنّين وزيّهم . فلما رآه ضحك وقال : نزع عَمِّي ثياب الكبر عن منكبّيه .
فدخل وجلس ، وأمر المأمون بأن يُخلع عليه فأُلِيس الخلع . ثم أبتدأ مخارق فغنى :

صوت

خيليّ من كعبٍ ألباً هديتُما * بزئب لا يفقدُك ألبداً كعبُ
من اليوم زوراها فإنّ مطيئنا * غداة غدٍ عنها وعن أهلها نُكَبُ ^(٢)

فقال له إبراهيم : أسأت وأخطأت . فقال له المأمون : يا عمّ إن كان أساء وأخطأ
فأحسن أنت . فغنى إبراهيم الصوت . فلما فرغ منه قال لمخارق : أعدّه الآن ، فأعاده
فأحسن . فقال إبراهيم : يا أمير المؤمنين كم بين الصوت الآن وبينه في أول الأمر ؟

(١) أشاط دمه وبدمه : أذهبه . (٢) تكب : ماثلات ، واحدها أنكب ونكبا .

قال : ما أبعد ما بينهما ! فالتفت إلى مخارق ثم قال : إنما مثلك يا مخارق مثل الثوب الوشي الفاسخ ، إذا تغافل عنه أهله سقط عليه الغبار فحال لونه ، فإذا نُفِصَ ، عاد إلى جوهره .

أخبرني جعفر بن قدامة^(١) قال حدثني شارية الكبرى مولاة إبراهيم بن المهدي^(٢) قالت : سمعت مولاى إبراهيم بن المهدي يحدث قال :

سأله الرشيد عن
أحسن الأسماء
وأسمجها فأجابته

كنت بين يدي الرشيد جالسا على طرف حرافة من حرافاته وهو يريد الموصل وقد بلغنا إلى السوفاقية^(٣) والمدادون يمدون السفن ، والشطرنج بيني وبينه ، والدست متوجه له ، إذ أطرق هنيئة ثم قال : يا بن أم ، ما أحسن الأسماء عندك ؟ قلت : محمد اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : ثم أى شئ بعده ؟ قلت : هارون اسم أمير المؤمنين . قال : فما أسمى الأسماء ؟ قلت : إبراهيم . فجزنى ثم قال : ويحك ! أقول هذا ! أليس هو اسم إبراهيم خليل الرحمن ! فقلت له : بشؤم هذا الاسم لقي من تمرود ما لقي وطرح في النار . قال : إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قلت : لا جرم أنه لم يعمّر من أجله . قال : إبراهيم الإمام ؟ قلت بحرفة اسمه قتله مروان في حران^(٤) . وأزيدك يا أمير المؤمنين : إبراهيم بن الوليد خلع ، وإبراهيم بن عبد الله بن حسن قتل ، وعمه إبراهيم بن حسن سقط عليه السجن فمات ، وما رأيت والله أحداً يُسمى

(١) في ب ، س : « جعفر بن محمد بن قدامة » . وقد تقدم هذا الاسم في رجال السند غير مرة .

(٢) ظاهر من السياق أنها موضع . (٣) كذا في الأصول وهو تحريف والمعنى المراد واضح

أذ هو يريد بشؤم اسمه أو نحو ذلك . (٤) في بعض الأصول هكذا : « في جراب النورة »

وفي بعضها : « في جراب النورة » وكلاهما تحريف . والمذكور في كتب التاريخ : أن إبراهيم بن محمد بن

علي بن عبد الله بن عباس القائم بالدعوة العباسية قتله مروان بن محمد وهو في سجنه بجران ، وقيل : إنه مات

بالباعون فيه ، وقيل : إنه مات مسموما . وجران مدينة عظيمة وهي قصبة ديار مصر على طريق الموصل والشام

والروم . (انظر تاريخ الطبري ق ٣ ص ٢٤ — ٢٧ ومعجم البلدان لياقوت في الكلام على « حران ») .

بهذا الاسم إلا قُتِلَ أو نُكِبَ أو رأيتُه مضروباً أو مقذوفاً أو مظلوماً . ثم ما انقضى الكلام حتى سمعت ملاحاً يصيح بأخر: مُدَّ يا إبراهيم يا عاصَّ بَطْرُأمَه مُدَّ . فقلت له : أبقَى لك شيءٌ بعد هذا ! ليس والله في الدنيا اسم أشأم من إبراهيم والسلام . فضحك والله حتى أشفقتُ عليه .

٥ حَدَّثَنِي بَحْظَةُ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الهشامِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ :
دخل الحسن بن سهل على المأمون وهو يشرب ؛ فقال له : بحياتي وبحقِّ عليك يا أبا محمد إلا شربتَ معي قَدَحًا ، وصَبَّ له من نبيذه قَدَحًا ، فأخذه بيده وقال له : مَنْ يُحِبُّ أَنْ يَغْنِيكَ ؟ فأومأ إلى إبراهيم بن المهدي فقال له المأمون : غنَّه ياعم ؛ فغنَّاه :
* تَسْمَعُ لِلْحَلِيِّ وَسَوَاسًا إِذَا أَنْصَرَفَتْ *

غنى للمأمون الحسن
عرض فيه بالحسن
ابن سهل

١٠ يَعْرِضُ بِهِ لِمَا كَانَ لِحَقِّهِ مِنَ السُّودَاءِ وَالْأَخْتِلَاطِ ، فغَضِبَ المأمون حتى ظنَّ إبراهيم أنه سيوقع به ، ثم قال له : أَيْتَ إِلَّا كَفَرًا يَا أَكْفَرَ خَلْقِ اللَّهِ لِنِعْمِهِ ! وَاللَّهِ مَا حَقَّنَ دَمَكَ غَيْرُهُ ! وَلَقَدْ ، أَرَدْتُ قَتْلَكَ فَقَالَ لِي : إِنْ عَفَوْتَ عَنْهُ فَعَلْتُ فَعَلًا لَمْ يَسْبِقْكَ إِلَيْهِ أَحَدٌ ، فَعَفَوْتُ وَاللَّهِ عَنْكَ لِقَوْلِهِ ، أَخْفَهُ أَنْ تَعْرِضَ بِهِ وَلَا تَدَّعَ كَيْدَكَ وَلَا دَغْلَكَ !
أَوْ أَنْفَتَ مِنْ إِيْمَانِهِ إِلَيْكَ بِالْغِنَاءِ ! . فوثب إبراهيم قائمًا وقال : يا أمير المؤمنين ،
١٥ لَمْ أَذْهَبْ حَيْثُ ظَنَنْتَ ، وَلَسْتُ بِعَائِدٍ ؛ فَأَعْرِضْ عَنْهُ .

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدثني جرير بن أحمد بن أبي دؤاد قال حدثني أنحى عن أبي قال :

غنى للمعتصم الحسن
وسمعه أحمد بن
أبي دؤاد قال للغناء
بعد أن كان يجنبه

كنت أُنَجِّبُ الْغِنَاءَ وَأُطْعِنُ عَلَى أَهْلِهِ وَأُذِمُّ لِمَجْهَمٍ بِهِ ؛ فَوَجَّهَ الْمُعْتَصِمُ إِلَيَّ عِنْدَ خُرُوجِهِ مِنْ مَدِينَةِ السَّلَامِ : اِلْحَقْ بِي ؛ فَلِحَقِّقْتُ بِهِ بَابَ الشَّمَّاسِيَّةِ وَمَعِيَ غُلَامِي زَنْقُظَةُ ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ رَكِبَ الزُّورِقَ ، وَسَمِعْتُ عَنْهُ صَوْتًا أَذْهَلَنِي حَتَّى سَقَطَ سَوْطِي .

من يدي ولم أشعر به ، ثم أحتججت وقد أعتق بي برذوني أن أؤكفه بسوطي .
فقلت لغلامي : هات سوطك ؛ فقال : سقط والله من يدي لما سمعتُ هذا
الغناء . فغلبني الضحك حتى بان في وجهي . ودخلتُ الى المعتصم بتلك الحال . فلما
رأني قال لي : ما يُضحكك يا أبا عبد الله ؟ فحدثته ، فقال : أتتوب الآن من الطعن علينا
في السماع ؟ فقلت له : قبل ذلك من كان يُغنيك ؟ قال : عمي إبراهيم ، كان يُغنيني :

إن هذا الطويل من آل حفص * أنشأ المجد بعد ما كانت . مانا

ثم قال : أعده يا عم ليسمعه أبو عبد الله فإنني أعلم أنه لا يدعُ مذهبه . فقلت : بلى
والله لأدعنه في هذا ولا أمتك عليه . فقال : أما إذ كانت توبته على يدك يا عم
فلقد فزت بفخرها وعدلت برجل ضخم عن رأيه إلى شأننا .

٦٩
٩

فضله يحارق على
نفسه وعلى إبراهيم
الموصلى وابن جامع

١٠ حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني طلحة بن عبد الله الطلحي قال
حدثني الحسين بن إبراهيم قال :

كنت أسأل مُخارقاً : أى الناس أحسنُ غناءً ؟ فيُجيبني جواباً بجملاً حتى حُففتُ

عليه يوماً قال : كان إبراهيم الموصلى أحسنَ غناءً من ابن جامع بعشر طبقات ،
وأنا أحسنُ غناءً من إبراهيم الموصلى بعشر طبقات ، وإبراهيم بن المهدي أحسنُ
غناءً مني بعشر طبقات . قال ثم قال لي : أحسنُ الناسُ غناءً أحسنهم صوتاً ،
وإبراهيم بن المهدي أحسنُ الجنِّ والإنس والوحش والطير صوتاً ، وحسبك هذا .

سمع إسماعيل الموصلى
صوتاً من لحنه
وشعره فطرب له
واستعاده عامة
يومه وقصة ذلك

١٥ حدثني علي بن هارون المنتجم قال حدثني محمد بن أحمد بن علي بن يحيى قال
سمعت جدي علي بن يحيى يقول حدثني محمد بن الفضل الجرجاني قال :

(١) كذا في ج . وفي سائر الأصول : « إذا » وهو تحريف . (٢) في ب ، س : « الحسين
ابن إبراهيم بن رياح » وورد في الأصول المخطوطة كما أثبتناه . (٣) يقال حفه القوم وبه وحواليه
إذا أهدقوا به وأطافوا وعكفوا ، فلهذا يريد هنا حتى أهدقت به مضيقاً عليه بالجواب . (٤) كذا
في الطبري (ق ٣ ض ١٣٧٩ ، ١٤٠٧ ، ١٥١٤) وفي الأصول : « الجرجاني » وهو تحريف .

٢٠

انتهت يوماً مغسلاً، فدخل إلى الغلام فقال لي : إسحاق الموصلي^(١) بالبواب قبل
 أنت أصليّ الغداة . فقلت : يدخل ، في الدنيا إنسان يستأذن لإسحاق ! فدخل
 فقال : حملني الشوق إليك على أن بكرتُ هذا البكور ، وقد حملتُ معي نبيذى
 وعملتُ على المقام عندك . فقلت : مرحباً بك وأهلاً . ودعوت طباخي فسألته
 عما في المطبخ ، فذكر أشياء يسيرة ، منها قطعة جدي وطبايح^(٢) ودراج^(٣) معلّق . فقال :
 ما أريد غير ذلك ، هات الساعة . فقلت للطباخ : عجّل بإحضاره ، وعملت على الأكل
 معه وعلى أن نأخذ في شأننا . فدخل حاجبي فقال : رسول الأمير إسحاق بن إبراهيم
 بالبواب ، وإذا فرائق^(٤) يذكر أنه وجه به إلى محمد بن الفضل ليحضّره . قال فقال لي
 إسحاق : قم في حفظ الله وأجتهد في أن نتعجّل . قال : فتقدّمت إلى الخادم بإخراج
 الجوارى إليه ووضّعت النبيذ بين يديه ، وليست ثيابي ونرجعت وركبت . فلما
 سرت قليلاً قلت في نفسي : أنا أخسر الناس صفقة إن تركتُ إسحاق بن إبراهيم
 الموصلي في منزلي ومضيت إلى إسحاق بن إبراهيم المصعبي ، ولا أدري ما يريد مني .
 فقلت لفرائق : هل لك في خير؟ قال : وما هو؟ قلت : تأخذ ثلاثين درهما وتمضي
 فتقول : إنك وجدتي شارب دواء . قال نعم . فدفعْتُ إليه ثلاثين درهماً ، وختمتُ له
 ختماً ورجعت . فقال لي إسحاق : أسرعت الكرة ، فأخبرته بما صنعت ، فقال وفقت .
 فجلست وكان يأكل فأكلت معه ، فأخذنا في شأننا . وخرج الجوارى إلينا فغنين
 حتى مرّ صوت إبراهيم بن المهدي في شعره وهو :

جدّد الحبّ بلأياً * أمرها ليس يسيرا

(١) الطبايح : الكباب . (فارسي معرب) . والدراج : ضرب من الطير يطلق على الذكر والأنثى .

(٢) هو إسحاق بن إبراهيم المصعبي حاكم بغداد في أيام المأمون والمعتمد والواثق ، وهو من أرباب
 المكانة العالية في الرواية والأدب ونقد الغناء . (انظر الحاشية رقم ١ من كتاب التاج للباحظ ص ٣١) .

— رَحْلُهُ مِنَ الثَّقِيلِ الثَّانِي — قَالَ : فَطَرِبَ إِسْحَاقُ طَرَبًا مَارَأَيْتُهُ طَرِبَ مِنْهُ قَطُّ ، وَعَجِبَ مِنْ إِحْسَانِهِ فِي صَنْعَتِهِ وَجُودَةِ قِسْمَتِهِ ، وَلَمْ يَزَلْ صَوْتَنَا يَوْمَنَا أَجْمَعَ لَا نَفْقِي غَيْرَهُ حَتَّى شَرِبَ إِسْحَاقُ قَطْرَ مِيزِهِ ^(١) ، وَفِيهِ مِنَ الْمَشْمُسِ الَّذِي كَانَ يَشْرِبُهُ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَطْلًا ، وَكُلَّهَا حَضَرَتْ صَلَاةٌ قَامَ إِسْحَاقُ يَصَلِّي بِنَا ، فَصَلَّى بِنَا الْعَتَمَةَ وَقَدْ فَنِيَ قَطْرَ مِيزِهِ فَشَرِبَ مِنْ نَبِيذِي رِطْلَيْنِ عَلَى الصَّوْتِ . قَالَ : وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ يَنْزِلُ بِسُوقِ الثَّلَاثَاءِ وَإِسْحَاقُ يَنْزِلُ عَلَى نَهْرِ الْمَهْدِيِّ . وَقَدْ وَزَرَ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ لِلتَّوَكُّلِ قَبْلَ عِبِيدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى .

نسبة هذا الصوت

٧٠
٩

جَدَّ الْحَبِّ بِأَيَا * أَمْرُهَا لَيْسَ يَسِيرَا

كَبِيرَ الْحَبِّ وَقَدَمًا * كَانَ إِذْ حَلَّ صَغِيرَا

ذَلَّلَ الْحَبُّ رِقَابًا ^(٢) * كَانَ أَدْنَاهَا عَسِيرَا

لَيْسَ لِي مِنْ حَبِّ الْفَنَى * غَيْرُ حَرَمَانِي السَّرُورَا

الشَّعْرُ وَالْفَنَاءُ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ ثَانِي ثَقِيل .

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الصُّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى بْنِ حَمَّادٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَيْسَى قَالَ :

أحب جارية عند
بعض أهله وقال
فيها شعرا

اسْتَتَرَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ عِنْدَ بَعْضِ أَهْلِهِ مِنَ النِّسَاءِ ، فَوَكَّلَتْ بِخِدْمَتِهِ جَارِيَةً جَمِيلَةً وَقَالَتْ لَهَا : إِنْ أَرَادَكَ لَشَيْءٍ فَطَاوَعِيهِ وَأَعْلِمِيهِ ذَلِكَ حَتَّى يَتَّسِعَ لَهُ ، فَكَانَتْ تُؤْفِيهِ حَقَّهُ فِي الْخِدْمَةِ وَالْإِعْظَامِ وَلَا تُعَلِّمُهُ بِمَا قَالَتْ لَهَا ، فَجَلَّ مَقْدَارُهَا فِي نَفْسِهِ إِلَى أَنْ قَبِلَ يَوْمًا يَدَهَا ، فَقَبَّلَتْ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَقَالَ :

يَا غَزَا لِي إِلَيْهِ * شَافِعٌ مِنْ مُقْلَتِيهِ

(١) القطر ميز : قلة كبيرة من الزجاج ، فارسي معرب . (٢) كذا في ج ولعله يعني به نبذا من الأنبة صنع في الشمس . وفي أ ، م : « المشمش » . وفي ب ، س : « المشمش » . (٣) في أ ، م : « ملك » .

١٠

١٥

٢٠

والذى أجلتُ خَدَّ * يَهْ فَقَبَّلْتُ يَدَيْهِ

بأبى وجهك ما أكَ * ثَرُ حُسَّادَى عَلَيْهِ

أنا ضيفٌ وجزاءُ الضَّ * يَفْ إِحْسَانُ إِلَيْهِ

قال : وعمل فيه بعد ذلك لحناً فى طريقة المنزج .

وقال أحمد بن أبى طاهر :

غَنَّى إبراهيم بن المهديّ يوماً والمأمون مُضْطَبِّحٌ ، وقد كان خافه وبلغه عنه تنكُّه :

ذهبتُ من الدنيا وقد ذهبتُ مِنِّي * هَوَى الدهرُ بى عنها وولّى بها عَنِّي

فرَّقَ له المأمون لما سمعه ، وقال له : والله لا تذهب نفسك يا إبراهيم على يد

أمير المؤمنين ، فطَبَّ نفساً ؛ فإن الله قد أمَّنك إلا أن تُحدِثَ حَدَثًا يشهد عليك فيه

عَدْلٌ ، وأرجو ألا يكون منك حَدَثٌ إن شاء الله .

غنى للمأمون بشعره
وكان يخشى بطشه
فرق له وأمنه

نسبة هذا الصوت

صوت

ذهبتُ من الدنيا وقد ذهبتُ مِنِّي * هَوَى الدهرُ بى عنها وولّى بها عَنِّي

فإن أبىكَ نفسى أبىكَ نفساً نفيسةً * وإن أحتسبها أحتسبها على ضَنْ

الشعر والغناء لإبراهيم بن المهديّ ثانياً ثقيلاً بالوسطى . وهذا الشعر قاله إبراهيم

ابن المهديّ لما أخرج الجندُ عيسى بن محمد ابن أخى خالد من الحبس ، وله فى ذلك

خبر طويل ، وقد شَرَطْنَا ألا نذكر من أخباره إلا ما كان من جنس الغناء .

وفى هذه القصيدة يقول :

(١) كان من القواد ، وقد ناصر إبراهيم بن المهديّ فى وثوبه على الخلافة ، وكان من وجوه شيعته

ثم غضب عليه وأمر بضربه وحبسـه لخيانة ظهرت منه . (انظر تاريخ الطبرى ق ٣ ص ١٠٠٢ ،

١٠٠٤ ، ١٠٠٦ ، ١٠٠٧ ، ١٠١١ ، ١٠٢٢ ، ١٠٢٣ ، ١٠٣٠ — ١٠٣٤) .

وَأَفَاتَنِي عَيْسَى وَكَانَتْ خَدِيعَةً * حَلَّاتٍ بِهَا مُلْكِي وَقُلْتُ بِهَا سِنِي
 قَالَ ابْنُ أَبِي طَاهِرٍ وَحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرُ بْنُ الْخَصِيبِ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ :
 غَفَى إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ يَوْمًا عِنْدَ الْمَأْمُونِ فَأَحْسَنَ ، وَبِحَضْرَةِ الْمَأْمُونِ كَاتِبٌ لَطَاهِرٌ
 يُكْنَى أَبَا زَيْدٍ ، فَطَرِبَ حَتَّى وَثَبَ فَاخْذَ طَرَفَ ثَوْبِ إِبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ . فَنَظَرَ إِلَيْهِ الْمَأْمُونُ
 مُنْكَرًا لِفَعْلِهِ . فَقَالَ مَا تَنْظُرُ ! أَقْبَلَهُ وَاللَّهِ وَلَوْ قُتِلْتُ عَلَيْهِ ! فَتَبَسَّمَ الْمَأْمُونُ وَقَالَ : أَيْتَ
 إِلَّا ظَرْفًا .

١١
 ٩

أراد الحسن بن
 سهل أن يضع مـه
 فرض هو به

قَالَ ابْنُ أَبِي طَاهِرٍ وَحَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ سَمِعْتُ بَعْضَ أَصْحَابِنَا يَقُولُ :
 اجْتَمَعَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ وَالْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ عِنْدَ الْمَأْمُونِ ، فَأَرَادَ الْحَسَنُ أَنْ
 يَضَعَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا إِسْحَاقَ أَيُّ صَوْتٍ تَغْنِيهِ الْعَرَبُ أَحْسَنُ ؟ يَرِيدُ
 بِذَلِكَ أَنْ يُشَهِّرَ إِبْرَاهِيمَ بِالْغَنَاءِ وَالْعِلْمِ بِهِ . فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : يَدُ الْأَعَشَى :

* تَسْمَعُ لِلْحَيِّ وَسَوَاسًا إِذَا أَنْصَرَفَتْ *

أَيُّ إِنَّكَ مُوسِيوس ، وَكَانَ بِالْحَسَنِ شَيْءٌ مِنْ هَذَا .

أَخْبَرَنِي عَمِّي عَنْ جَدِّي عَنْ عَلِيِّ بْنِ يَحْيَى الْمُنْجَمِ قَالَ :

غَنَّتْ مُغْنِيَّةٌ وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ حَاضِرٌ :

* مَنْ رَأَى نُوقًا غَدَتْ سَحَرًا *

فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : أَنَا رَأَيْتُ هَذَا . قِيلَ لَهُ : وَأَيْنَ رَأَيْتَهُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ؟ قَالَ : رَأَيْتُ
 وَلَدَ عَلِيٍّ بْنِ رَيْطَةَ يَمْضُونَ فِي السَّحَرِ إِلَى الصَّيْدِ .

سمعه رومية
 أعجبت فبكت
 تأثرا من صوته

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْعَنْزِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي
 بَعْضُ السَّجَّابِ عَنْ رَيْقٍ قَالَتْ :

خرجتُ يوما الى سيدي (تغني إبراهيم بن المهدي) وقد صنع لحنه في:

وإذا تُباع كريمة أو تُشتري * فسواك بائعها وأنت المشتري

وإذا صنعت صنعة أتممتها * بيسدين ليس نذاهما بمكدر

وجاريه لنا رومية أعجمية لا تُفصح في أقصى الدار تكنس، وهو يطرح الصوت على شارية، والأعجمية تبكي أحرباء سمعته قط، فجعلتُ أعجب من بكائها وأنظر إليها حتى سكّت، فلما سكّت قطع البكاء، فعلمتُ أن هذا من غلبته بحسن صوته لكل طبع فصيح وأعجمي.

أخبرني الحسين بن يحيى وابن المكي وآبن أبي الأزهر عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال:

غنى الأمين
صوتا فأجازه

غنى إبراهيم بن المهدي ليله محمدا الأمين صوتا لم أرضه في شعر لأبي نواس وهو:

يا كثير النوح في الدمن * لا عليها بل على السكين

سنة العشاق واحدة * فإذا أحببت فاستكين

ظن بي من قد كلفت به * فهو يحفوني على الظن

رשא لولا ملاحظته * خلت الدنيا من الفتن

فأمر له بثلاثمائة ألف درهم. قال إسحاق فقال إبراهيم له: يا أمير المؤمنين قد أجرتني

إلى هذه الغاية بعشرين ألف درهم، فقال: هل هي إلا خراج بعض الكور! هكذا

ذكر إسحاق. وقد روى محمد بن الحارث بن بسخر هذه الحكاية عن إبراهيم فقال:

لما أردت الانصراف قال: أوقروا زورق عمي دنانير، فأنصرفت بمال جليل.

أخبرني أبو الحسن علي بن هارون قال ذكر لي أبو عبد الله الهشامي عن أهله

كان يحسن
الإيقاع على الطبل
والنسي

قال قال إبراهيم بن المهدي: وقد خرج إلى ذكر الطبل والإيقاع به — فقال إبراهيم:

(١) في ب، س: «دينار». (٢) في ب، س: «بعشرين ألف ألف درهم هل هي الخ».

هو من الآلات التي لا يجوز أن تُبلغ نهايتها، فقل له : وكيف خُصَّ الطُّبْلُ بذلك؟ فقال : لأنَّ عمل اليدين فيه عملٌ واحد، ولا بُدَّ من أن يُلْحَقَ اليسارُ فيه نَقْصٌ عن اليمين، ودعا بالطُّبْلِ ليرينا كيف ذلك فأوقع إيقاعاً لم تكن نظنَّ أن مثله يكون، وهو مع ذلك يرينا موضعَ زيادة اليمين على اليسار . قال وقال له الأمين في بعض خلواته : يا عمَّ أشتى أن أراك تَرمُرُ . فقال : يا أمير المؤمنين ، ما وضعتُ على فمي نائياً قط ولا أضعه ، ولكن يدعو أمير المؤمنين بفلانة — من موالى المهدي — حتى تَنفُخَ في الناي وأمرَ يدي عليه . فأحضرتُ ووضعتُ الناي على فيها وأمسكه إبراهيم ، فكلما مرَّ الهواءَ أمرَّ أصابعه ، فأجمع سائرُ من حضرَ على أنه لم يسمع مثله قط .

٧٢
٩

وأخبرني أبو الحسن عليّ بن هارون أيضاً قال حدثني أبي قال، حدثني عبيد الله ابن عبد الله وأبو عبد الله الهشاميّ قالا :

كان إبراهيم بن المهديّ إذا غنى لحنه :

هل تَطْمِسُونَ من السماء مُجُومَهَا * بأَكْمَمٍ أو تَسْتُرُونَ هَلاَهَا

فبلغ الى قوله :

* جبريلُ بَلَّغَهَا النَّبِيَّ فَقَالَهَا *

هَزَّ حَلْقَهُ فِيهِ وَرَجَّعَهُ تَرْجِيْعًا تَتَرَلَزَلُ مِنْهُ الْأَرْضُ .

أخبرني محمد بن إبراهيم قُريظ قال حدثني عبد الله بن المعتز قال حدثني الهشاميّ قال :

غنت مَتَمُّ الهشامية
لحنا فاخسلس
إيقاعه منها

كانت مَتَمُّ الهشامية ذات يوم جالسة بين يدي المعتصم ببغداد وإبراهيم بن المهديّ حاضر، فتغنّت مَتَمُّ في الثَّغِيلِ الأوَّلِ :

* لَزَيْنَبَ طَيْفٌ تَعْتَرِي طَوَارِقُهُ *

٢٠

فأشار إليها إبراهيم أن تعيده . فقالت متم للمعتصم : يا سيدي إن إبراهيم يهتيعدني الصوت وأظنه يريد أن يأخذه . فقال لها : لا تعيديه . فلما كان بعد أيام كان إبراهيم حاضراً يجلس المعتصم وكانت متم غائبة عنه ، فأنصرف إبراهيم بالليل إلى منزله ومتم في منزلها بالميدان وطريقه عليها وهي في منظرية لها مشرفة على الطريق وهي تطرح هذا الصوت على بعض جوارى بنى هاشم ، فتقدم الى المنظرية على دابته وتطاول حتى أخذ الصوت ، ثم ضرب باب المنظرية بمقرعته وقال : قد أخذناه بلا حمدك .

نسبة هذا الصوت

لزيّنَ طيفٌ تعتريني طوارقه * هُدوءاً اذا النجم ^(١) أرحجت لواحقه
سبيحك مرّان العشي يبييه * لطيف بنان الكف ^(٢) درم مرافقه
إذا ما بساط اللّهُومد وقربت * للذّاته أنماطه ونماقه ^(٣)
الشعر للتميزي . والغناء لمعبد ، ولحنه من القدر الأوسط من الثقل الأول بالنصر في مجراها عن إسحاق . وفيه لما لك خفيف ثقيل أول بالنصر عن يونس والهشام .
أخبرني علي بن هارون قال حدثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال :

كان محمد بن موسى المنتجم يقول : حكّت أُن إبراهيم بن المهدي أحسن الناس كلهم غناءً ببرهان ، وذلك أنّي كنت أراه يجالس الخلفاء مثل المأمون والمعتصم يغني المغنون ويغني ، فإذا أبتدأ الصوت لم يبق من الغلمان والمتصرفين في الخدمة وأصحاب الصناعات والمهن الصغار واليکار أحد إلا ترك ما في يده وقرب من أقرب موضع يمكنه أن يسمعه ، فلا يزال مضغياً إليه لاهياً عما كان فيه ما دام يغني ، حتى إذا أمسك وتغنى غيره رجّعوا إلى التّشاغل بما كانوا فيه ولم يلتفتوا إلى ما يسمعون .

برهان محمد بن موسى
المنتجم على أنه
أحسن الناس غناءً

(١) أرحجن النجم : مال نحو المغرب . (٢) المران : الكثير الرين ، ويقال : سحابة مرّان وقوس مرّان ، أي كثيرة الرين . والمراد هنا : آلة الطرب . (٣) درم : جمع أدرم وهو من لاجم لعظامه . (٤) نسب هذا البيت في الكامل للبرد ص ٧٠٨ طبع أوربا لنصيب .

ولا برهانه أقوى من هذا في مثل هذا من شهادة الفطن له واتفاق الطبائع — مع اختلافها وتسعّب طرقها — على الميل إليه والالتقاد له .

كانت له أشياء لم
يكن لأحد مثلها

٧٣

٩

حدّثني أحمد بن جعفر بحظّة قال حدّثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي قال :

قلت للعصم : كانت لأبي أشياء لم يكن لأحد مثلها . فقال : وما هي ؟ قلت :

شارية وزايرتها معمرة . فقال : أما شارية فعندنا ، فما فعلت الزائرة ؟ قلت : ماتت .

قال : وماذا ؟ قلت : وساقيته مكنونة ، ولم ير أحسن وجهاً ولا ألين ولا أظرف

منها . قال : فما فعلت ؟ قلت : ماتت . قال : وماذا ؟ قلت : نخلة كانت تحمل رطباً

طول الرطبة منها شبر . قال : فما فعلت ؟ قلت : بجرّتها بعد وفاته . قال : وماذا ؟

قلت : قدح الصّحاح . قال : وما فعل ؟ قلت : الساعة والله حجّمني فيه

أبو حرمة فسألته أن يهبه لي ففعل ، ووجهت به إلى منزلي فغسل ونظف وأعيد

إلى خزانتي ، فرأيت أبي فيما يرى النائم في ليلتي تلك وهو يقول لي :

أيترع ضحاحي دماً بعد ما غدت * على به مكنونة مُترعاً نمرأ

فإن كنت مني أو تحب مسرّي * فلا تغفلن قبل الصّباح له كسراً

فانتبهت فزعاً وما فرق الصّبح حتى كسرته .

كتب إليه إسحاق
الموصلي فأجابه

فأما المماظة التي كانت بينه وبين إسحاق فقد مضى في خبر إسحاق منها طرّف .

ونذكر هاهنا منها ما جرى مجرى محاسن إبراهيم والقيام بحجّته إن كانت له ، وعذره

فيما عيب عليه لأنه بذلك حقيق . فمن ذلك نسخت من كتاب أعطانيه أبو الفضل

العبّاس بن أحمد بن ثوبان رحمه الله بخط إسحاق في قرطاس — وأنا أعرف خطه —

وجواب لإبراهيم بن المهدي في ظهره بخط ضعيف وأظنه خطه ؛ لأنه لو كان خط

(١) جمر النخلة : قطع جمارها . (٢) فرق الصّبح : تبين واتضح . (٣) المماظة :

المخاصمة والمنازعة . (٤) في الأصول : « وعذر » من غير هاء الضمير .

- (١) كاتب لكان أجود من ذلك الخط ، وقد ذهب أول الكتاب فذهب به أول
الابتداء والجواب ، ونسخت بقيته ؛ فكان ما وجدته من ابتداء إسحاق :
- وكنْتَ — جُعِلْتُ فِدَاكَ — كتبت في كتابك الى محمد بن واضح تذكر أنك
مولاي وسيدى . فتى دفعت ذلك ! وهل لي نغز غيره ! أو لأحد علي وعلى أبي رحمه الله
من قبل نعمة سواكم ! . وأحب ذلك أن يكون ، وأرجو أن أموت قبل أن يتبينني
الله بذلك إن شاء الله . فأما ذكرك — جُعِلْتُ فِدَاكَ — الصنعة فقد أجل الله
قدرك عن الحاجة الى دفعها والاعتذار عنها . وأما أنا المسكين فانت تعلم أني
لم أُنْخِذَ ما نحن فيه صنعة قط ، وأنى لم أرْذُها إلا لكم شكراً لنعمتكم وحباً للقرب منكم
وإليكم . فليس ينبغي أن يعينني ذلك عندي ، ولا يجوز لأحد أن يعينني به إذ كان
لكم . وقد علمت أنك لم تضعني من علويه ومُخَارِق بحيث وضعتني إلا لغضب
أخوَجَك الى ذلك ، وإلا فانت تعلم أنهما لو كانا مملوكين لي لآثرت تعجيل الراحة
منهما بعقوبتهما أو تخليصة سبيلهما على ثمن أصيبه ببيعتهما أو حمداً أكتسبه بثنهما ،
فكيف أظن أنى عندك مثلهما ، أو أنك تقرنني إليهما وتذكرني معهما ! . أو تلومني
الآن على أن أنرس فلا أنطق بحرف ، وأن أفر من الغناء فرارك من الخطأ فيه ،
وأمتعض منه أمتعاضك ممن يُخفي عليك شيئاً من علومه ! . كيف ترى — جُعِلْتُ
فِدَاكَ — الآن سبابي وأنت ترى أن أحداً لا يُحسن السب غيرك ! . قد أحدثت لي —
جعلت فداك — أدباً وزدتني بصيرة فيما أحب من تركه وترك الكلام فيه .
فإن ظننت أن هذا فرار من المجبة وتعريد عن المناظرة ، كما قلت ، فقد ظفرت
وبصرت إلى ما أحببت ؛ وإلا فانه لا ينبغي للفر أن يتلهى بما لا تقوم لذته بمعرفته ،

٢٠ (١) كذا في ب ، س . وفي سائر النسخ : « كتابه » . (٢) كذا في أ ، م . وفي سائر
النسخ : « مولى وسيد » . (٣) كذا في الأصول ولعل صوابه : « ولا أحب ذلك أن يكون الخ » .
(٤) في الأصول : « تقرنني » وهو محريف . (٥) كذا في الأصول . (٦) التعريد : الفرار .

٧٤
٩

ولا لعاقِلٍ أن يبذل ما عنده لمن لا يَحْمَدُه، ولعلَّه لا يَقلِّبُ العينَ فيه حتى يَلْحَقَه ما يَكْرَهُ منه. وأما ما قاله أبي — رحمه الله — من أنه لم يزل يَتَنَبَّأُ أن يَرى من سادته مَنْ يَعْرِفُه، قَدَرَه حقَّ معرفته ويَبْلُغُ علمُه بهذه الصَّنَاعَةِ الغَايَةَ العَظْمَى حتى رَأَىكَ، فقد صَدَّقَ، ما زال يَتَنَبَّأُ ذلك وما زِلْتُ أَتَمَنَّا. فهل رَأَيْتَ — جُعِلْتُ فِدَاكَ — حَظِّي مِنْهُ إِلَّا بَأَن ساوَيْتَ به من لم يَكُنْ يَسَاوِي شِشْعَه، ولعلَّكَ لا تَرْضَى في بعض القوم حتى تَفْضُلَه عليه، لا تَنْفَعُه عِنْدَكَ مَعْرِفَةُ به، ولا رِعايَةُ لَطولِ الصُّحْبَةِ وَالْخِدْمَةِ، ولا حَفْظُ لَأَنَارٍ مَحْمُودَةٍ باقِيَةٍ نَذَرُهَا وَنَحْتَجُّ بِهَا. ثم ها أنا من بعده تَضَعُنِي بِالْمَوْضِعِ الَّذِي تَضَعُنِي به، وَتَنَسُبُنِي إِلَى مَا تَنَسِبُنِي إِلَيْهِ؛ لِأَنِّي تَوَخَّيْتُ الصُّوَابَ وَاجْتَهَدْتُ فِي الْبَدَلِ وَالْمُنَاصَحَةِ، لَا يَدْفَعُكَ عَنِّي حَفْظُ لَسَلَفٍ، وَلَا صِيَانَةُ نَخْلَفٍ، وَلَا اسْتِدَامَةُ لِقَدِيمٍ مَا نَعْلَمُ، وَلَا مَصَانَعَةُ لِمَا تَطْلُبُ، وَلَا وِلَاءَ مِمَّا أَكْرَهَ أَنْ أَقُولَه. فما أَرَى — جُعِلْتُ فِدَاكَ — من معرفتك بما في أَيْدِينَا إِلَّا تَجَرَّعَ الْحَسَرَاتِ، وَتَطْلُبَكَ لَنَا الْعَثَرَاتِ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ. كيف أَصْنَعُ جُعِلْتُ فِدَاكَ! إِنْ سَكَتُ لَمْ تَقْبَلْ ذَلِكَ مِنِّي، وَإِنْ صَدَقْتُ كَذَّبْتَنِي، وَإِنْ كَذَبْتُ ظَفِرْتَ بِي، وَإِنْ مَزَحْتُ لِأَطْرِبَكَ وَأُضْحِكَكَ وَأَقْرُبَ مِنْ أُنْسِكَ وَأَخَذَ بِنَصِيبِي مِنْ كَرَمِكَ غَضِبْتَ وَسَبَبْتَ، وَلَوْ كُنْتُ قَرِيبًا مِنْكَ لَضَرَبْتُ! وَلَيْتَكَ فَعَلْتَ، فَكَانَ ذَلِكَ أَيْسَرَ مِنْ غَضَبِكَ. ثم من أعظم المصائب عِنْدِي أَمْرُكَ إِيَّايَ أَنْ أَسْأَلَ مُحَمَّدَ بْنَ وَاضِحٍ عَنْ قَوْلِ قُلْتَهُ فِي عِنْدَ عَمْرِو بْنِ بَانَةَ. فوالله — جُعِلْتُ فِدَاكَ — إِنْ لَمْ أَشْعُرْ بِذِكْرِهِ فَكَيْفَ أُحِبُّ أَنْ أَذْكُرَهُ وَأُذَكِّرَ لَهُ! وإِنِّي لِأَرَى لَكَ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ، وَأَعْجَبَ مِنْ صَبْرِكَ عَلَيْهِ، مَعَ أَنِّي — أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ — لَوْ رَغِبْتُ فِي هَذَا مِنْهُ وَمِنْ مِثْلِهِ لَكُنْتُكَ وَنَفْسِي ذَلِكَ بَأَن أَكُفُّوا ثَوْبِي، وَأَوْهَبَ لَهُ دِينَارَيْنِ، أَوْ أَقُولَ لَهُ أَحْسَنْتَ فِي صَوْتَيْنِ، حَتَّى نَبْلُغَ أَكْثَرَهُمَا أَرَدْتُ لِي أَوْ أَرِيدَهُ لِنَفْسِي. فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ

(١) لعله: «حظه». (٢) كذا في ج. وفي سائر الأصول: «فيه» وهو تخر يفتح.
(٣) كذا في الأصول. (٤) بشع بالأمر: ضاق به ذرعا.

(١) كاتب لكان أجود من ذلك الخط ، وقد ذهب أول الكتاب فذهب منه أول الابتداء والجواب ، ونسخت بقيته ؛ فكان ما وجدته من ابتداء إسحاق :

وكنّت — جعلت فداءك — كتبت في كتابك الى محمد بن واضح تذكر أنك مولاي وسيدى ، فتي دفعت ذلك ! وهل لي نخر غيره ! أو لأحد على وعلى أبي رحمه الله

من قبلي نعمة سواكم ! . وأحب ذلك أن يكون ، وأرجو أن أموت قبل أن يتليني الله بذلك إن شاء الله . فأما ذكرك — جعلت فداءك — الصنعة فقد أجل الله

قدرك عن الحاجة الى دفعها والاعتذار عنها . وأنا أنا المسكين فانت تعلم أني لم ألتزم ما نحن فيه صنعة قط ، وأنى لم أركها إلا لكم شكراً لنعمتكم وحباً للقرب منكم وإليكم . فليس ينبغي أن يعينى ذلك عندكم ، ولا يجوز لأحد أن يعينى به إذ كان

لكم . وقد علمت أنك لم تضعنى من علويه ومخارق بحيث وضعتى إلا لغضب ١٠ أحوجك الى ذلك ، وإلا فانت تعلم أنهما لو كانا مملوكين لى لآثرت تعجيل الراحة

منهما بعقدهما أو تخليص سبيلهما على ثمن أصيبه ببيعهما أو حميد أكتسبه بثنهما ، فكيف أظن أنى عندك مثلهما ، أو أنك تقرننى إليهما وتذكرنى معهما ! . أو تلومنى

الآن على أن أحرص فلا أنطق بحرف ، وأن أفر من الغناء فرارك من الخطأ فيه ،

وأمتعض منه أمتاضك ممن يخفى عليك شيئاً من علومه ! . كيف ترى — جعلت ١٥

فداءك — الآن سبابى وانت ترى أن أحداً لا يحسن السب غيرك ! . قد أحدثت لى —

جعلت فداءك — أدباً وزدتنى بصيرة فيما أحب من تركه وترك الكلام فيه .

فإن ظننت أن هذا فرار من الحجّة وتعريد^(٦) عن المناظرة ، كما قلت ، فقد ظفرت

وصرت إلى ما أحببت ؛ وإلا فانه لا ينبغي للحر أن يتلهى بما لا تقوم لذته بمعرفته ،

٢٠ (١) كذا فى ب ، س . وفى سائر النسخ : « كتابه » . (٢) كذا فى أ ، م . وفى سائر

النسخ : « مولى وسيد » . (٣) كذا فى الأصول ولعل صوابه : « ولا أحب ذلك أن يكون الخ » .

(٤) فى الأصول : « تقرننى » وهو تحريف . (٥) كذا فى الأصول . (٦) التعريد : القرار .

٧٤
٩

ولا لعاقِلٍ أن يبذل ما عنده لمن لا يَحْمَدُه، ولعلَّه لا يَقلِّبُ العَيْنَ فيه حتى يَلْحَقَه ما يَكْرَهُ منه، وأما ما قاله أبي - رحمه الله - من أنه لم يزل يَتَمَنَّى أن يَرى من سادته مَنْ يَعْرِفُه، قَدَرَه حقَّ معرفته ويُلِّغُ علمُه بهذه الصَّنَاعَةِ العَظِيمَةَ حتى رَأَاكَ، فقد صَدَّقَ، ما زال يَتَمَنَّى ذلك وما زِلْتُ أَتَمَنَّاهُ. فهل رَأَيْتَ - جُعِلْتُ فِدَاكَ - حَظِّي^(١) منه إِلَّا بَأَن ساوَيْتَ به من لم يكن يساوي شُصَمَاءَه، ولعلَّكَ لا تَرْضَى في بعض القوم حتى تَفْضُلَه عليه، لا تَنْفَعُه عندكَ مَعْرِفَةُ به، ولا رِعايَةُ لِطَوْلِ الصُّحْبَةِ وَالْخِدْمَةِ، ولا حِفْظُ لَأَنَارٍ مَحْمُودَةٍ بَاقِيَةٍ نَذَرُهَا وَنَحْتِجُ بِهَا. ثم ها أَنَا من بعده تَضَعُنِي بِالْمَوْضِعِ الَّذِي تَضَعُنِي بِهِ، وَتَنْسُبُنِي إِلَى مَا تَنْسُبُنِي إِلَيْهِ؛ لِأَنِّي تَوَخَّيْتُ الصُّوَابَ وَأَجْتَهَدْتُ فِي الْبَدَلِ وَالْمُنَاصَحَةِ، لَا يَدْفَعُكَ عَنِّي حِفْظُ لَسَلَفٍ، وَلَا صِيَانَةُ خَلَفٍ، وَلَا اسْتِدَامَةُ لِقَدِيمٍ مَا نَعْلَمُ، وَلَا مَصَانَعَةُ لِمَا تَطْلُبُ، وَلَا وِلَاءٌ مِمَّا أَكْرَهَ أَنْ أَقُولَهُ. فما أَرَى - جُعِلْتُ فِدَاكَ - من معرفتك بما في أَيْدِينَا إِلَّا تَجَرُّعَ الْحَسَرَاتِ، وَتَطْلُبَكَ لَنَا الْعَثَرَاتِ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ. كيف أَصْنَعُ جُعِلْتُ فِدَاكَ! إِنْ سَكَتُ لَمْ تَقْبَلْ ذَلِكَ مِنِّي، وَإِنْ صَدَقْتُ كَذَّبْتَنِي، وَإِنْ كَذَبْتُ ظَلِمْتُ بِي، وَإِنْ مَرَحْتُ لِأَطْرِبِكَ وَأُصْحِكَكَ وَأَقْرَبَ مِنْ أُنْسِكَ وَأَخَذَ بِنَصِيبِي مِنْ كَرَمِكَ غَضِبْتَ وَسَبَبْتَ، وَلَوْ كُنْتُ قَرِيباً مِنْكَ لَضَرَبْتُ! وَلَيْتَكَ فَعَلْتَ، فَكَانَ ذَلِكَ أَيْسَرَ مِنْ غَضَبِكَ. ثم من أعظم المصائب عندي أَمْرُكَ لِإِيَّائِي أَنْ أَسْأَلَ مُحَمَّدَ بْنَ وَاسِعٍ عَنْ قَوْلِ قُلْتَهُ فِي عِنْدَ عَمْرِو بْنِ بَانَةَ. فَوَاللَّهِ - جُعِلْتُ فِدَاكَ - إِنِّي لَأُبْشِعُ^(٢) بِذِكْرِهِ فَكَيْفَ أَحِبُّ أَنْ أَذْكُرَهُ وَأُذَكِّرَ لَهُ! وَإِنِّي لَأُرْثِي لَكَ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ، وَأَعْجَبُ مِنْ صَبْرِكَ عَلَيْهِ، مع أَنِّي - أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ - لَوْ رَغَبْتُ فِي هَذَا مِنْهُ وَمِنْ مِثْلِهِ لَكُنْتُ بِكَ وَنَفْسِي ذَلِكَ بَأَن أَكْسُوهُ ثَوْبَيْنِ، أَوْ أَهَبَّ لَهُ دِينَارَيْنِ، أَوْ أَقُولَ لَهُ أَحْسَنْتَ فِي صَوْتَيْنِ، حَتَّى نَبْلُغَ أَكْثَرُ مَا أَرَدْتُ لِي أَوْ أُرِيدَهُ لِنَفْسِي. فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ

(١) لعله: «حظه». (٢) كذا في ج. وفي سائر الأصول: «فيه» وهو تخرجه. (٣) كذا في الأصول. (٤) بشع بالأمر: ضاق به ذرعاً.

حظي منك هذا! ومثله غير مستصغر لشأنك ولا مستقل لقليل حسن رأيك . والله
 ليسأل أن يطيل بقاءك، ويحسن جزاءك، ويجعلني فداك. قد طال الكتاب، وكثر
 العتاب . وجملة ما عندي من الإعظام والإجلال للذين لا أخاف أن أجعلهما
 عندك، والمحبة التي لا أمتنع منها ولا أعرف سواها، والسمع والطاعة في تسليم ما تحب
 تسليمه والإقرار بما أحببت أن أقتر به، وسأشهد على ذلك محمد بن واضح وأشهد
 لك به من أحببت وأؤذى الخراج . ولكن لا بد من فائدة وإلا أنكسر، فهات
 — جعلت فداك — وأوف وأستوف فانك واجد صحة وأستقامة إن شاء الله . مد الله
 في عمرك، وصبرني عليك، وقدمني قبلاً، وجعلني من كل سوء فداك .

نسخة جواب إبراهيم بعد ما ذهب منه

١٠ ... وأية سلامة أقدر لك عليها إلا أسوقها إليك، أعطاني الله ما أحب من ذلك لك .
 فإما أن أتكلم من وراءك بشيء تستثقله متعمداً؛ فما أنا إذا بمر ولا كريم، معاذ الله
 من ذلك! . ولئن جمعت وإياك وعلى بن هشام مجلساً لأستشهدنه على أشياء لم أذكرها
 لك، ولم أكتب بها إليك، لإجلالاً لقدرك حالك عندي من اعتداد به مثل ذلك مني،
 وأنت عنه غافل، والله به عليم . وأما الرشوة فأرجو أن تبيحك على ما تشتهي آتاك
 ١٥ الله ما تحب فيما تحب وتكره وجعلك له شاكراً . وأما الفوائد التي وعدت ورودها
 علينا فلأني لو اتقيت أنك لا تفيديني شيئاً فأنظر فيه إلا وجدني فيه فطناً أجيد تفتيشه
 وأعرف كنهه وأفيدك فيه وفيما استنبطت منه ما لا تجد عند نفسك أكثر منه،
 فأما غيرك فالهباء المنثور . ويا رأس المشنعين تقول إني عيرتك بالصناعة ثم تحجج
 بحذوقك في تحريف الأقوال رأكتساب الحجج، لتفهم خصمك، وتعلي حججك،

٧٥
٩

- ٢٠ (١) كذا في الأصول ولعلها: « وجملة ما عندي الإعظام والإجلال للذات الخ » .
 (٢) لعل إبراهيم يشير بهذا ونحوه إلى أشياء خاصة جرت بينه وبين إسماعيل .
 (٣) كذا في ج وفي سائر الأصول « المغنين » .

- فكيف أعيبك بحاجتي إليك، وما أنا داخل فيه معك! لا! ولكني قلت لك: إني لست كفلان وفلان ممن لو كان عنده أمر ينازعك به ثقل عليك، إنما أنا رجل من مواليك متوسل إليك بما يسرك، أو كصاحب لك تناظره بما تحب أن تجد من تناظره فيه، فليكن ذلك بالإنصاف وطلب الصواب أصبته أو أخطأته، لا بالحيلة والآنفة والحيلة لترد الحق بالباطل. هذا معنى قولي، وقد استشهدت عليك فيه
- أبا جعفر، وجاءني كتابك وهو عندي يشهد لي. والكتاب الذي هذا فيه بخطي عنده لم يرد علي، فتتبع ما فيه وخدني به. فلعمري لئن كنت قرنتك بمن ذكرت لأعيبك بالتشبيه لك بهم ما عبت غير رأيي، ولا جهلت غير نفسي. ولست أعتذر من هذا لأنك تشهد لي بالحق فيه، وإنما تريد أن تخصمني بلا حجة، فيكفيني عابك بما
- عندي، وإلا فانت إذا بي أجهل متى بك. وقلت: «تذكرني معهما» فقد ذكرت الله النار مع الجنة، وموسى مع فرعون، وإبليس مع آدم، فلم يئن بذلك موسى ولا آدم ولا أكرم فرعون وإبليس، فأعفني من المغالطة لي والتحريف لقولي، وأستمع بي وأمتنع بالمصادقة. فإن أنت لم تفعل بقيت واحدا مستوحشا، ولم تحذ فيرى إن علم ما تعلم لم ينقصك، وإن علم أكثر منك لم يشنك، وإن أفهمته كافاك، وإن استفهمته شفاك. لا والله ما أردت إلا ما ذكرته لك، ولا أحسبك ظننت في غير ذلك؛ لأنك لا تجهلني فأنا عندك خير جاهل. وواحدة هي لك دوني، والله ما كنت أبالي ألا أسمع من مخارق وعلويه شيئا حتى أسمع بنعيمهما، ولا أراهما حتى أراهما ميتين، وما في هذا غيرك والإعظام لك والإكرام. وذلك أنهما كانا لك غلامين فصيرتهما ندين تقول فيهما ويقولان فيك، وإتاهما صبيعتاك وحرَّجا
- (١) في ب، س: «عندك لم تزد علي». (٢) خصمه بخصمه (بكسر الصاد في المضارع): غلبه في الخصومة، وكسر عين الفعل في المضارع هنا شاذ في هذا الباب.
- (٣) يريد مخارقا وعلويه، كما سيأتي في السياق.

تأديبك وإن كانا غير طائل . فلو أعرضت عن أنتقاصهما ورفعت ما رفع الله من
 قدّك^١ عن الإفراط في عيبيهما ، لكان ذلك أشبه بك وأجمل بحلّك وخطرك ومكانك .
 وكذلك الذي تريئني له منه وصاحبه محمد بن الحارث ، فوالله ما أحبُّ لك في أدبك
 وفضلك ودينك ومحلك أن تُشهر نفسك لهما بهذا ومثله ، وأن ينتهي إليهما ذلك عنك .
 أقول يعلم الله في ذلك لا لهما^(١) . وإن ذلك ، لو صرت إليه ، لأجل بك وأجل لقدرك
 وإن كنت لتتخوّلها به . ولو أردت ذلك ، وإن زهدت فيه ، لم تَضَع نفسك ومحلك
 مع غلمانٍ أحداثٍ يبسطون ألسنتهم فيك بما بسطته منهم على نفسك ، ولو لم تفعل
 لكنت أعظم في عيونهم من بعض مواليمهم الذين تولّوا متّهم . هذا رأي لك بما
 هو أكبر لأمرك وأشبه بحلّك . والله ما غششتك ولا أوطأتك عشواء ، فأختر لنفسك
 ما رأيت . ولا والله لا سَمِعَا بهذا أبداً ولا بما قلته في إلا خزيًا حتى يموتا ، ولا أردتُ
 — يشهد الله — بهذا غيرك . وأما من ذكرتُ أني أسويه بأبي إسحاق رحمه الله وهو
 لا يساوي شِسْعَه فإنك عَنَيْتَ ابنَ جامع . وإنّك لا تدخل بيني وبين أبي إسحاق رضى
 الله عنه ، ولا أظنك والله أشدَّ حبًّا له مني ، ولا كان لك أشدَّ حبًّا منه لي ، فقد تعلم
 كيف كان لي ، ولكن لا أظلم ابنَ جامع كما تظلمه أنت يا أظلم البشر . ولئن ضَمِنْتَ
 أن تُصِفَنِي لأَكْمَنَكَ فيه بما لا تدفعه ، ولكنّي لا أكلّمك في شيء حتى أثقَ بهذه
 منك ، وإلاّ وسعني من السكوت ما وسعك . ومن العَجَب الذي لم أر مثله والمكابرة
 التي لا يشبهها شيء أعتدأؤلك على في التجزئة حيث تقول :

حَيِّياً أَمْ يَعْمَرَا * قَبْلَ تَخِيطِ مِنَ النَّوَى

(١) كذا في الأصول . ولعل صواب العبارة : « أقول — يعلم الله — ذلك لك لا لهما » .

(٢) في ج ، ب ، س : « حتى » .

يا أخو حبيب نفسي فأَنْظُرْ كم في هذا من العيوب!! قولك : «يا» ليكون مثل «شَحِطَ» في الوزن، أَيْكون مثل هذا في الكلام! وقولك في الجزء الثاني «حَى» حتى يكون مثل «قبل»، هل يكون مثل هذا! أو ليس في «يا» المشددة أربع ياءات، وفي «حَى» التي عطفت بها ثلاث فتصير سبع ياءات، وإنما هي ثلاث في الأصل: الياء المشددة وياء الاثنين حيث تقول^(١) «حييا!». والناس في هذا يبنون وينك بهائم، فمن أَسْتَعِدَى عليك! ولو أنصفت لعلمت أنه لا يمكن في :

* حَيَّيَا أُمَّ يَعْمَرَا *

غير ما جرأتُ أنا إلا بهذا الغلط الذي لا يحول من تحريك ساكني تجعله أول الكلام فقد زدت قبله حرفا، أو تسكين متحرك فتريد بعده حرفا؛ كقولك «أم يعمرًا قابل شحطن» حيث جعلت قبل الباء ألفا، وكقولك «أم يعمرن قبلا» فردت الألف لتسكت عليها لأن السكوت على متحرك لا يمكن. فأية حجة هذه! أو مَنْ يصبر لك على هذا! وإنما أردتُ أنا ما يجوز بخفي بجزئية واحدة، لا أريد غير ذلك منك. مالك يا أخى تنفس على الصواب فيما لا تقيصة عليك فيه ولا عيب، ثم آتخذتَ تَحْمَدِي إليك، بما قلتُ لك أن تسأل محمدا عن قولي فيك بظهر الغيب، ذنبًا بطبعك على الظلم والتحريف؛ حتى كأني أعلمتك أن أحدا تنقصك فحيمت لذلك، ولم يكن غير الرد عليه. والله ما مثلي يَمُنُّ بهذا، ولكني كنتُ إذا تحدثتُ مع محمد خالياً كلمته بمثل ما أكلّمك به من الرد والجدل، فلما كان عندنا من يُحْتَشِمُ^(٢) كان كلامي بما يجب أن أتكلّم به من الإكرام والتقديم، فقال لي: أي شيء هذا الذي أرى؟ فقلت له: هذا كلام الحشمة وذلك كلام الأُس. فأردتُ بإعلامك هذا أن تعلم أنني لا أريد بما أنازعك فيه شيئا يزيع عما تعرف مني، وأني أذكرك

(١) في ج، ب، س: «حَى». (٢) في الأصول: «من». (٣) في الأصول: «يجب».

بما يُشبهك في موضعه . فلو آتيت الله وأبقيت على الإخاء لما كنت تحرفه هذا
 بشيء، وهو جميل أرضاه من نفسي، فتصيرته قبيحاً تريد أن أعتذر إليك منه .
 وأما أداء الخراج والإشهاد، فهذا شيء لم أطلبه منك، إنما أنت طلبته مني
 ظالماً لي . وذلك لأنني لم أنازلك إلا منازعة مناظرٍ يُحب أن يعرف حسنَ قصده
 وثاقبَ نظره .

وأما الرياسة فقد جعلها الله لك على أهل هذا العمل، ولا رياسة لي عليهم
 ولا لك عليّ؛ لأنني في العلم مناظر وفي العمل متلذذ . فلا تظلمني ولا نفسك لي .
 ومن بعدُ فإنني أحبُّ أن تخبرني كيف أنت اليوم بعدُ . والله غممتني، لا غمك الله
 ولا غمّي بك . ولو شئت أرسلت إلى يحيى بن خالد طيبٍ أخى عبيد الله فإنه
 رفيقٌ مباركٌ عليم، وهو منك قريب في دار الروم، فأخذت برأيه ومن علاجه .
 وهب الله لك العافية ووهبها لي فيك برحمته .

ولما ذكرتُ هذا الابتداء وجوابه على طولها، وهما قليلٌ من كثير من
 مكاتباتهما، لتعرف بهما طرفاً من مقدارهما في المنازعة والمجادلة، وأن إسحاق كان
 يريد من إبراهيم التواضع له والخنوع برياسته ويتحامل عليه في بعض الأوقات،
 وينحو إبراهيم نحوه ما فعله به؛ لأن نفسه تأبى ما يريده إسحاق منه، فيستعمل معه
 من المباينة مثل ما استعمله، ويكونان في طرفين من الظلم يُبعد كل واحدٍ منهما عن
 انصاف صاحبه . وقد روى يوسف بن إبراهيم أخباراً فيما جرى بينهما — فوجدتُ
 كلامهما مرصوفاً رصف إبراهيم بن المهدي ومنظوماً نظم منطوقه — فيها تحاملٌ على
 إسحاق شديد، وحكاياتٌ ينسب من تقلها إلى جهل بصناعته كان إسحاق بعيداً من
 مثله، ففعلتُ أن إبراهيم عمل ذلك وألفه وأمر يوسف بنشره في الناس ليدور
 في أيديهم ذكرٌ له يفضل به . وذلك بعيدٌ وقوعه، ولن تُدفع الحقائق بالأكاذيب، ولا يُزيل

الخطأ الصواب، ولا الخطل السداد. وكفى من نضح عن إسحاق بأن أغاني إبراهيم ابن المهدي لا يكاد يُعرف منها صوت ولا يُروى منها إلا اليسير، وأن كلامه في تجنيس الطرائق أطرح، ونحمل على مذهب إسحاق، وأنقضى الصنع لإبراهيم بذلك مع آقضاء مدته، كما يضمحل الباطل مع أهله. فعدلتُ عن ذكر تلك الأخبار؛ لا لأنها لم تقع إلى، ولكنها أخبار يتبين فيها التحامل والحق، وتتضمن من السب لإسحاق والشتم والتجهيل ما يعلم أنه لم يكن يقضى على مثله لأحد ولو خاف القتل، فاستبردت ذلك وأطرحته، وأعتمدت من أخبار إبراهيم على الصحيح، وما جرى مجرى هذا الكتاب من خبر مستحسن وحكاية ظريفة دون ما يجري مجرى التحامل، فقد مضى في صدر الكتاب من أخبارهما وإغصاص إسحاق إياه بريته وتجريعه أمر من الصبر ما ينبئ عن بطلان غيره.



ومن صنع من أولاد الخلفاء عليّة بنت المهدي، ولا أعلم أحدا منهم بعد إبراهيم أخيها كان يتقدمها. وكان يقال: ما أجمع في الجاهلية ولا الإسلام أخ وأخت أحسن غناء من إبراهيم بن المهدي وعليّة أخته. وأخبارها تُذكر بعد هذا تالية لما أذكره من غنائها. فنصنعها:

صوت

تضحك عما لو سقت منه شفا * من أقحوان بله قطر الندى
أغرّ يجلو عن غشا العين العشا * حلو بعيني كل كهل وقى
إن فؤادي لا تسليه الرقى * لو كان عنها صاحباً لقد صحّا
الشعر لأبي النجم العجلى. والغناء لعليّة بنت المهدي رمل بالوسطى.

(١) في هذه الجملة غموض. ولعلها تصح على هذا الوجه «... ما يعلم أنه لم يكن يقضى بمثله على أحد ولو خاف القتل» أو نحو ذلك.

أخبار أبي النجم ونسبه

قال أبو عمرو الشَّيباني : اسمه المُفضَّل ، وقال ابن الأعرابي : اسمه الفضل .
 ابن قدامة بن عبيد الله بن عبد الله بن الحارث بن عبدة بن الحارث بن إلياس
 ابن عوف بن ربيعة بن مالك بن ربيعة بن عجل بن لحيم بن صعب بن علي بن بكر
 ابن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دُعْمَى بن جديلة بن أسد بن ربيعة .
 ابن نزار . وهو من رُجَّاز الإسلام الفُحول المقدمين وفي الطبقة الأولى منهم .

أصله ونسبه ، وهو
 في الطبقة الأولى
 من الرجاز

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحباب الجُمَحِيّ : إجازة عن محمد بن سلام وذكر
 ذلك الأصمعيّ أيضًا قالا قال أبو عمرو بن العلاء :
 كان أبو النجم أبلغ في النعت من العجاج .

هو أبلغ في النعت
 من العجاج

أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال حدثني أبو أيوب المَدِينِيّ قال حدثني الفضل
 ابن العباس الهاشمي عن أبي عبيدة قال :
 ما زالت الشعراء تغلب^(١) حتى قال أبو النجم :

انصف مع الرجاز
 من الشعراء
 ٧٨
 ٩

* الحمد لله الوهوب المجزّل *

وقال العجاج :

١٥ * قد جبر الدين الإله بغير *

وقال رؤبة :

* وقائم الأعماق خاوي المخترق^(٢) *

فانتصفوا منهم .

(١) كذا في ج . وفي سائر النسخ : « تقصر بالرجاز حتى ... الخ » . (٢) المخترق : الممر .

أعظمه رؤية
وقام له عن مكانه

ووجدتُ في أخبار أبي النجم عن أبي عمرو الشَّيبانيّ قال :
قال له فتیانٌ من عَجَلٍ : هذا رؤيةٌ بالمِرْبَدِ ^(١) يجلس فيُسمع شعره ويُشيد الناسُ
ويجتمع إليه فتیان من بني تميم ، فما يمنعك من ذلك ؟ قال : أوتجِبُون هذا ؟
قالوا نعم . قال : فأتوني بعس من نبيذ فأتوه به ، فشربه ثم نهَض وقال :
إذا أصطبحتُ أربعا عرفتني * ثم تجمستُ الذي جِسمتني
فلما رآه رؤية أعظمه وقام له عن مكانه وقال : هذا رَجَّاز العرب . وسأله أن
يُنشدهم فأنشدهم :

* الحمد لله الوهوب المَجْزِل *

وكان إذا أنشد أَرَبْدَ ووحش بَنابَه (أى رمى بها) . وكان من أحسن الناس إنشادا .
فلما فرغ منها قال رؤية : هذه أم الرَجَز . ثم قال : يا أبا النجم ، قد قُربت مرعاها
إذ جعلتها بين رجل وأبنه . يُؤم عليه رؤية أنه حيث قال :
تَبَقَّلْتُ من أَوَّلِ التَّبَقُّلِ * بين رَمَاحِي مالِكٍ ونَهْشَلِ ^(٢)

أنه يريد نَهْشَل بن مالك بن حَنْظَلَة بن زيد مَناة بن تميم . فقال له أبو النجم :
هيمات ! الكَرُّ تشابَه . أى إني إنما أريد مالك بن ضُبَيْعة بن قَيْس بن ثَعْلَبَة بن عُكَّابَة
ابن صَعْب بن عليّ بن بكر بن وائل . ونهشل قبيلة من ربيعة وهؤلاء يرعون الصَّمان ^(٣)

(١) يعنى مربد البصرة وهو من أشهر محالها ، كانت به سوق الابل قديما ثم صار محلة عظيمة سكنها
الناس ، وبه كانت مقارنات الشعراء ومجالس الخطباء . (٢) العس : القدح الكبير .

(٣) تبقلت : خرجت لطلب البقل . (٤) الكر : جمع كمر ، وهى رأس الذكر . يريد
أن الرجال اختلطت عليك . وقد صار هذا مثلا ، ولفظه «الكر أشباه الكر» . (٥) الصمان :

أرض فيها غلظ وارتفاع ، وفيها قيعان واسعة ورياض معشبة ، وإذا أخضبت ربت العرب جميعا .
وكانت الصمان في قديم الدهر لبني حنظلة ، والحزن لبني يربوع ، والدهناء لجماعتهم ، والصمان متأخم
للهناء . والعرض : الوادى .

٥

١٠

١٥

٢٠

وعرض الدهناء . قال أبو عمرو : وكان سببُ ذِكْرِ هاتين القبيلتين (يعني بني مالك ونهشل) أن دماءً كانت بين بني دَارِم وبني نَهْشَل وحروباً في بلادهم ، فتحامى جميعهم الرُّعَى فيما بين فُلجٍ والصَّيَّانِ مخافةً أن يعرفوا بشرَّ حتى عفا كَلَّوْهُ وطال ، فذكر أن بني عجل جاءت لِعِزِّها إلى ذلك الموضع فرعته ولم تخف من هذين الحَيِّين ، ففخر به أبو النِّجْم . قال : ويدلُّ على ذلك قول الفرزدق :

أترتع بالأحياء سعد بن مالك * وقد قتلوا مثنى بطناً واحد^(٤)
فلم يبق بين الحى سعد بن مالك * ولا نهشل إلا دماءُ الأساود^(٥)

وقال الأصمعي : قيل لبعض رواة العرب : من أربحُ الناس ؟ قال : بنو عجل ثم بنو سعد ثم بنو عجل ثم بنو سعد . (يريد الأغلب ثم العجاج ثم أبا النِّجْم ثم رؤبة) .

ترتيب الرجاز في
رأى بعض الرواة

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال قال عامر بن عبد الملك المسمعي :
كان رؤبته وأبو النِّجْم يجتمعان عندى فأطلب لهما النبيذ ، فكان أبو النِّجْم يتسرع إلى رؤبة حتى أكفَّه عنه .

كان يتسرع إلى
رؤبة فكفَّه عنه
المسمعي

ونسخت من كتاب أبي عمرو الشَّيباني قال حدثني بعض البصريين منهم أبو برزة المَرِّيدي — قال وكان عالماً راويةً — قال :

ناجز العجاج
حتى هرب منه

نرج العجاج متحفلاً عليه جبة نحر وعمامة نحر على ناقية له قد أجاد رحلها حتى
وقف بالمربد والناس مجتمعون ، فأنشدهم قوله :
* قد جبر الدين الإلهُ جَبَرَ *

(١) فلج : علم على عدة مواضع . (٢) يعرفون : يصابون . وفي الأصول : « يعرفون »
بالعين المعجمة وهو تصحيف . (٣) عفا : كثر . (٤) الظنة : التهمة .
(٥) الأساود : شيوخ القتل ، وهو جمع الجمع للسواد ؛ ومنه قول الأعشى :
تناهيت عفا وقد كان فيكم * أساود صرعى لم يسود قتلها
(٦) متحفلاً : مزينا .

٧٩
٩

فذكر فيها ربيعة وهجاءم . فجاء رجل من بكر بن وائل إلى أبي النجم وهو في بيته فقال له : أنت جالس وهذا العجاج يهيجونا بالمربد قد اجتمع عليه الناس !! قال : صنف لي حاله وزيه الذي هو فيه ، فوصف له . فقال : أبغني جملاً طحناً قد أكثر عليه من الهناء ، فجاء بالجل إليه . فأخذ سراويل له فجعل إحدى رجله فيها وأترز بالآخرى وركب الجمل ودفع خطامه إلى من يقوده ، فأنطلق حتى أتى المربد . فلما دنا من العجاج قال : آخلع خطامه نخلمه ، وأنشد :

* تذكر القلب وجهلاً ما ذكر *

فجعل الجمل يدنو من الناقة يتشممها ويتباعد عنه العجاج لئلا يفسد ثيابه ورحله بالقطران ، حتى إذا بلغ إلى قوله :

* شيطانه أنثى وشيطاني ذكر *

تعلق الناس هذا البيت وهرب العجاج عنه .

غلب الشعراء
عند عبد الملك بن
مروان أو سليمان
ابن عبد الملك
وظفرته بجارية

ونسخت من كتاب أبي عمرو قال سدي أبو الأزره ابن بنت أبي النجم عن أبي النجم أنه كان عند عبد الملك بن مروان - ويقال عند سليمان بن عبد الملك - يوماً وعنده جماعة من الشعراء ، وكان أبو النجم فيهم والفرزدق ، وجارية واقفة على رأس سليمان أو عبد الملك تدب عنه ، فقال : من صبحني بقصيدة يفتخر فيها وصدق في نخره فله هذه الجارية . فقاموا على ذلك ثم قالوا : إن أبا النجم يغلبنا بمقطعاته (يعنون بالرجز) ، قال : فإنني لا أقول إلا قصيدة . فقال من ليلته قصيدته التي نخر فيها وهي :

* علق الهوى بجبال الشعثاء *

ثم أصبح ودخل عليه ومعه الشعراء فأنشدوه، حتى إذا بلغ إلى قوله :
 مِنَّا الَّذِي رُبِعَ الْجِيُوشَ لظَهْرِهِ * عَشْرُونَ وَهُوَ يُعَدُّ فِي الْأَحْيَاءِ^(١)
 فقال له عبد الملك : قِفْ، إن كنت صدقت في هذا البيت فلا تُريد ما وراءه.
 فقال الفرزدق : وأنا أعرف منه ستة عشر، ومن ولد ولده أربعة كلهم قد رُبِعَ.
 فقال عبد الملك أو سليمان : ولد ولده هم ولده، ادفع إليه الجارية يا غلام . قال :
 فغلبهم يومئذ .

قال : وبلغني من وجه آخر أنه قال له : فإذا أقررت له بستة عشر فقد وهبتُ
 له أربعة، ودفع إليه الجارية، فقدم بها البادية فكان بينه وبين أهله شرٌّ من أجلها.
 وقال أبو عمرو :

بعث الجُنَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُرِّيَّ إِلَى خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ بِسَبْيِ
 ١٠ من الهند بيض، فجعل يهب لأهل البيت كما هو للزجل من قريش ومن وجوه
 الناس، حتى بقيت جارية منهم جميلة كان يدحرجها عليها ثياب أرضها فوطئها.
 فقال لأبي النّجم : هل عندك فيها شيء حاضر وتأخذها الساعة ؟ قال : نعم
 أصلحك الله ! فقال العُريَانُ بْنُ الْهَيْثَمِ النَّسَبيّ : كَذَبَ وَاللَّهِ مَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ.
 فقال أبو النّجم :

وصف جارية
 لخالد بن عبد الله
 القسري لساعته
 فوهبها له

١٥

عَلِقْتُ خَوْدًا مِنْ بَنَاتِ الزُّطِّ * ذَاتَ جِهَازٍ مُضْغَطٍ مُلَطِّ^(٢)
 رَأَيْي الْمَجَسَّ جَيِّدِ الْحَوِّطِ * كَأَنَّمَا قُطِّطَ عَلَى مِقْطِ^(٣)
 إِذَا بَدَا مِنْهَا الَّذِي تُغَطِّي * كَأَنَّ تَحْتَ ثَوْبِهَا الْمُنْعَطِ^(٤)

(١) ربع الجيوش : أخذ ربع أموالهم ، وكان ذلك حظ الرئيس عند الغلبة ، واسم هذا النصيب

المرباع . (٢) الزط : جبل أسود من السند . (٣) الجهاز هنا : فرج المرأة .

(٤) ملط : مستور، من ألت الشيء إذا ستره . (٥) انعط الثوب : انشق .

شَطَا رَمِيتَ فَوْقَهُ بِشَطِّ * لَمْ يَنْتَرْ فِي الْبَطْنِ وَلَمْ يَخْطَ^(١)
فِيهِ شِفَاءً مِنْ أَذَى التَّمَطَّى * كَهَامَةِ الشَّيْخِ الْيَمَانِيِّ الثُّطِّ^(٢)

وَأَمَّا بِيَدِهِ إِلَى هَامَةِ الْعُرْيَانِ بْنِ الْهَيْثَمِ . فَضَحِكَ خَالِدٌ وَقَالَ لِلْعُرْيَانِ : كَيْفَ تَرَى !
أَحْتَاجَ إِلَى أَنْ يَرَوْى فِيهَا يَا عُرْيَانُ ؟ ! قَالَ : لَا وَاللَّهِ ! وَلَكِنَّهُ مَلْعُونٌ أَبْنُ مَلْعُونٍ :
وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو فِي هَذِهِ الرَّوَايَةِ وَأَخْبَرَنِي بِهِ عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشُ قَالَ حَدَّثَنَا
مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْمُبَرَّدُ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ^(٣) بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ بَكَّارٍ عَنْ فُلَيْحٍ^(٤)
ابْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ بْنِ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ :

وَرَدَ أَبُو النَّجْمِ عَلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي الشُّعْرَاءِ . فَقَالَ لَهُمْ هِشَامٌ : صِبُّوا لِي
إِبْلًا فَقَطَّرُوهَا وَأَوْرِدُوهَا وَأَصْدِرُوهَا حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرَ إِلَيْهَا . فَأَنْشَدُوهُ وَأَنْشَدَهُ أَبُو النَّجْمِ :
* الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَهَّوبِ الْمُجْزِلِ *

غضب عليه هشام
ثم سمر معه ليلة
فرضى عنه

حَتَّى بَلَغَ إِلَى ذِكْرِ الشَّمْسِ فَقَالَ « وَهِيَ عَلَى الْأَفْقِ كَعَيْنٍ ... » وَأَرَادَ أَنْ يَقُولَ « الْأَحْوَلِ »
ثُمَّ ذَكَرَ حَوْلَةَ هِشَامٍ فَلَمْ يُتِمَّ الْبَيْتَ وَارْتَجَعَ عَلَيْهِ . فَقَالَ هِشَامٌ : أَجْرُ الْبَيْتِ . فَقَالَ
« كَعَيْنِ الْأَحْوَلِ » وَأَتَمَّ الْقَصِيدَةَ . فَأَمَرَ هِشَامٌ فُؤَيْدًا^(٥) عَنْقَهُ وَأَخْرَجَ مِنَ الرُّصَافَةِ ،
وَقَالَ لِصَاحِبِ شُرْطَتِهِ : يَا رَبِيعَ إِيَّاكَ وَأَنْ أَرَى هَذَا ! . فَكَلَّمَ وَجْهَهُ النَّاسُ صَاحِبَ
الشُّرْطَةِ أَنْ يَقْرَهُ فَفَعَلَ ، فَكَانَ يُصِيبُ مِنْ فَضُولِ أَطْعَمَةِ النَّاسِ وَيَأْوِي إِلَى الْمَسَاجِدِ .
وَقَالَ الزُّبَيْرُ فِي خَبَرِهِ قَالَ أَبُو النَّجْمِ : وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ بِالرُّصَافَةِ يُضِيفُ إِلَّا سُلَيْمَ بْنَ كَيْسَانَ
الْكَلْبِيِّ وَعَمْرُو بْنُ بَسْطَامِ التَّغْلَبِيِّ ، فَكَنتُ آتِي سُلَيْمًا فَأَتَعْدِي عَنْدهُ ، وَآتَى عَمْرًا
فَأَتَعْدِي عَنْدهُ ، وَآتَى الْمَسْجِدَ فَأَيْتُ فِيهِ . قَالَ : فَأَهَمَّ هِشَامٌ لَيْلَةً وَأَمْسَى لَقِيَ النَّفْسَ

(١) الشط : جانب السنام . (٢) الثط : الحفيف اللحية . (٣) يروى : يتروى ويفكر .
(٤) في أ ، م : « المغيرة بن محمد » . (٥) فطر الابل : قرب بعضها من بعض على نسق .
(٦) في ب ، س : « بوج ، عنقه وإخراجه » . يقال وجاءه باليد وبالسكين إذا صربه .

وأراد محدثاً يحدّثه، فقال لخادمٍ له: ابغني محدثاً أعرابياً أهوجَ شاعراً يروى الشعر.
 فخرج الخادم إلى المسجد فإذا هو بأبي النّجم، فضرّ به برجله وقال له: قُمْ أَجِبْ
 أمير المؤمنين. قال: إني رجل أعرابي غريب. قال: إياك ابغني، فهل تروى الشعر؟
 قال: نعم وأقوله. فأقبل به حتى أدخله القصر وأغلق الباب، قال: فأيقن بالشرّ،
 ثم مضى به فأدخله على هشام في بيت صغير، بينه وبين نسائه ستر رقيق والشمع^٥
 بين يديه تزهّر^(١). فلما دخل قال له هشام: أبو النّجم؟! قال: نعم يا أمير المؤمنين
 طريدك. قال: أجلس. فسأله وقال له: أين كنت تأوى ومن كان يترك؟ فأخبره
 الخبر. قال: وكيف آجتماعاً لك؟ قال: كنت أتغدى عند هذا وأعشى عند هذا.
 قال: وأين كنت تبيت؟ قال: في المسجد حيث وجدني رسولك. قال: وما لك
 من الولد والمال؟ قال: أما المال فلا مال لي، وأما الولد فلي ثلاث بنات وبنتي^{١٠}
 يقال له شيبان. فقال: هل زوجت من بناتك أحدا؟ قال: نعم زوجت اثنتين،
 وبقيت واحدة تجوز في أبياتنا كأنها نعام. قال: وما وصيت به الأول؟ — وكانت
 تسمى «برة» بالراء — فقال:

أوصيت من برة قلباً حراً * بالكلب خيراً والحماة شراً
 لا تسألي ضرباً لها وجراً * حتّى ترى حلوا الحياة مرّاً
 وإن كستك ذهباً ودراً * والحيّ عميهم بشر طراً
 فضحك هشام وقال: فما قلت للأخرى؟ قال قلت:

سبي الحماة وأبهي^(٤) عليها * وإن دنت فأزدلني إليها
 وأوجعي بالفهر ركبتيها^(٥) * ومرفقيها وأضربي جنبتيها

(١) زهر السراج: تلاًلاً. (٢) في ح، ب، س: «أخرجت». (٣) جزم: عدا وأسرع. (٤) بهته: قذفه بالباطل. وهي هنا على تضمين ابهي معنى افترى عليها فتعدى بعلى. (٥) الفهر: الحجر بملأ الكف.

ر وظاهري النذر لها عليها * لا تُخْرِى الدَّهْرَ بهِ أَبْنَتَيْهَا
قال : فضحك هشام حتى بدت نواجذُه وسقط على قفاه . فقال : وَيَحْك ! ما هذه
وصية يعقوب ولده ! فقال : وما أنا كييعقوب يا أمير المؤمنين . قال : فما قلت
لثالثة ؟ قال قلت :

أوصيك يا بنتي فإني ذاهبُ * أوصيك أن تحمديك القرائبُ
والجارُ والضيفُ الكريمُ السَّاعِبُ * لا يُرْجِعُ المسكينُ وهو خائبُ
ولا تني أظفارك السَّلاهَبُ^(١) * منهن في وجه الحماة كاتبُ
* والزَّوجَ إنَّ الزَّوجَ بئس الصَّاحُ ، *

$\frac{٨١}{٩}$

قال : فكيف قلت لها هذا ولم تتزوج ؟ وأى شيء قلت في تأخير تزويجها ؟ قال
قلت فيها :

كأن ظلامه أختَ شَيْبَانُ * يَتِيْمَةٌ ووالداها حَيَّانُ
الرَّأْسُ قُلُّ كُلِّهِ وَصَيْبَانُ^(٢) * وليس في السَّاقَيْنِ إلَّا خَيْطَانُ
* تلك التي يَفْزَعُ منها الشَّيْطَانُ *

قال : فضحك هشام حتى ضحك النساءُ لضحكك ، وقال للحِصِّي : كم بقي من نفقتك ؟
قال : ثلثمائة دينار . قال : أعطه إياها ليجعلها في رجل ظلامه مكان الخيطين .

وقال الأصمعي أخبرني عمي وأخبرني ببعض هذا الحديث ابنُ بنت أبي النجم
أن أبا النجم قال :

* الحمد لله الوهوب المَجْزِلُ *

في قَدَر ما يَمْشِي الإنسان من مسجد الأشياخ الى حاتم الجزار . ومقدار ما بينهما
غُلُوَّةٌ أَوْ نَحْوُهَا . قال : وكان أسرع الناس بديهة .

كان أسرع الناس
بديهة

(١) السلاهَب : الطويلة . (٢) الصَّيْبَان : جمع صَوَابَة وهي بيضة القمل .

(٣) الغُلُوَّة : رمية سهم أبعد ما يقدر عليه ، ويقال : هي قدر ثلثمائة ذراع الى أربعمائة .

أخبرني محمد بن خَلَف وَكِيع قال حدثنا أبو أيوب المَدِينِي قال حدثنا
 «الأُسود النَوْجَشَانِي» ^(١) قال :
 مرَّ أبي بالأصمعي وأنا عنده فقال له : يا أبا سعيد أيَّ الرِّجْزِ أحسن وأجود؟
 قال : رَجَزُ أبي النِّجَم .

سئل الأصمعي
 أي الرجز أحسن
 وأجود فقال
 رجز أبي النجم

نسختُ من كتاب أحمد بن الحارث الخَزَّاز قال حدثنا المدائني قال :
 دخلنا، أبو النِّجَم على هشام بن عبد الملك وقد أتت له سبعون سنة . فقال له
 هشام : ما رأيك في النساء ؟ قال : إني لأنظر إليهن شَرًّا ^(٢) وينظرن إليّ نَحْرًا .
 فوهب له جاريةً وقال له : أغدُ عليّ فأعلمني ما كان منك . فلما أصبح غدا عليه .
 فقال له : ما صنعت ؟ فقال : ما صنعتُ شيئاً ولا قدَرْتُ عليه ، وقد قلتُ في ذلك
 أبياتاً . ثم أنشده :

سأله هشام بن
 عبد الملك عن رأيه
 في النساء فأجابته

نظرتُ فأعجبها الذي في دِرْعِها * من حُسْنِه ونظرتُ في سِرِّها
 فرأيتُ لها كَفَلًا يَمِيلُ بِحَضْرَها * وَعَثَا ^(٣) رَوَادِفُه وَأَجْنَمُ ^(٤) جَانِبِها
 ورأيتُ مُنْتَشِرَ العِجَابِ مُقْلَصًا ^(٥) * رِيحًا مِفَاصِلُه وَجِلْدًا بَالِها
 أَذْنِي له الرِّكَبُ الحَلِيقُ كَأَنَّمَا * أَذْنِي إِلَيْه عَقَارِبًا وَأَفَاعِها
 إِنَّ النَّدَامَةَ والسَّدَامَةَ فَأَعْلَمَنَ * لو قد صَبَرْتُكَ لَلْوَأْسَى خَالِها
 ما بَالُ رَأْسِكَ من ورأى طَالِعًا * أَظُنَنْتَ أَنَّ حِرَّ الفَتَاةِ ورَائِها
 فَأَذْهَبَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ لَا تُرْتَجَى * أَبَدًا أَبِيدَ وَلَوْ عَمَّرْتَ لِيَالِها

(١) كذا في الأصول . ولم تقف على هذه النسبة فيما لدينا من كتب الأنساب . والظاهر أنها محرقة
 عن « النوشجاني » نسبة إلى نوشجان بلدة بفارس .

(٢) الشر : النظر بجانب العين في إعراض . والخزر : هو أن يكون الإنسان كأنه ينظر بمؤخر عينه .
 وتسكين الزاى في الخزر لغة . (٣) الوعث : اللين . (٤) الكناية هنا ظاهرة .
 (٥) العجبان : القضيبي المدود من الخصىة إلى الدبر . (٦) الركب : الفرج .

أَنْتِ الْغَرُورُ إِذَا خُبِرْتَ وَرَبِّهَا * كَانِ الْغَرُورُ لِمَنْ رَجَاهُ شَافِيَا
لَكِنْ أَيْرَى لَا يَرْجَى نَفْعُهُ * حَتَّى أَعُودَ أَخَا فَتَاءٍ نَاشِيَا
فَضِيحِكَ هَشَامُ وَأَمْرُهُ بِجَائِزَةٍ أُخْرَى .

قال أبو عمرو الشَّيْبَانِيُّ قال ابنُ كُكَّاسَةَ :

حدث هشام بن
عبد الملك عن نفسه
فاضحك

قال هشام بن عبد الملك لأبي النجم : يا أبا النجم حدثني . قال : عني أو عن
غيري ؟ قال : لا بل عنك . قال : إني لما كبرتُ عَرَضَ لِي الْبَوْلُ ، فَوَضَعْتُ عِنْدَ
رَجُلٍ شَيْئًا أَبُولُ فِيهِ . فَقَمَعْتُ مِنَ اللَّيْلِ أَبُولَ ، فَفَرَجَ مِنِّي صَوْتُ فَتَشَدَّدْتُ ، ثُمَّ عُدْتُ
فَفَرَجَ مِنِّي صَوْتُ آخَرَ ، فَأَوَيْتُ إِلَى فِرَاشِي ، فَقُلْتُ : يَا أُمُّ الْخِيَارِ هَلْ سَمِعْتِ شَيْئًا ؟
فَقَالَتْ : لَا وَاللَّهِ وَلَا وَاحِدَةً مِنْهُمَا ! فَضَحِكَ . قال : وَأُمُّ الْخِيَارِ الَّتِي يَعْنِي بِقَوْلِهِ :

٨٢
٩

قد أصبحتُ أُمُّ الْخِيَارِ تَدْعِي * عَلَى ذَنْبِ كُلِّهِ لَمْ أَصْنَعْ
وَهِيَ أَرْجُوزَةٌ طَوِيلَةٌ .

ذكر فتاة في شعره
فزوجت

وقال أبو عمرو الشَّيْبَانِيُّ :

أَنْتِ مَوْلَاةُ ابْنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ أَمَا النِّجْمُ فَذَكَرْتُ لَهُ أَنَّ بَنَاتَهَا أَدْرَكْتُ مِنْذُ
سَنْتَيْنِ ، وَهِيَ مِنْ أَجْمَلِ النِّسَاءِ وَأَمْدَهْنَ قَامَةً وَلَمْ يَخْطُبْهَا أَحَدٌ ، فَلَوْ ذَكَرْتَهَا فِي الشَّعْرِ !
فَقَالَ : أَفْعَلُ ، فَمَا أَسْمُهَا ؟ قَالَتْ : نَفِيسَةٌ . فَقَالَ :

نَفِيسَ يَا قَتَالََةَ الْأَقْوَامِ * أَقْصَدْتَ قَلْبِي مِنْكِ بِالسَّهَامِ
وَمَا يُصِيبُ الْقَلْبَ إِلَّا رَامَ * لَوْ يَعْلَمُ الْعِلْمَ أَبُو هَشَامِ
سَاقَ إِلَيْهَا حَاصِلَ الشَّامِ * وَحِزْيَةَ الْإِهْوَازِ كُلِّ عَامِ
وَمَا سَقَى النَّيْلُ مِنَ الطَّعَامِ * لِإِذْضَاقِ مِنْهَا مَوْضِعُ الْإِدْغَامِ^(١)

(١) الكناية في « موضع الإدغام » ظاهرة بفسرها البيت التالي .

أَجْمُ جَاثٍ مُسْتَدِيرٍ حَامٍ * يَعْضُ فِي كَيْنٍ لَهُ تُؤَامُ^(١)
* عَضَّ النَّجَارَى عَلَى اللَّجَامِ^(٢) *

فَقَالَتْ : حَسْبُكَ حَسْبُكَ ! وَوَفَدَ إِلَى الشَّامِ ، فَلَمَّا رَجَعَ مِمَّعِ الزَّمْرِ وَالْجَلْبَةِ ، فَقَالَ :
مَا هَذَا ؟ فَقَالُوا : نَفِيسَةٌ تَزُوجُكَ .

وصف فهود
عبد الملك بن بشر
ابن مروان
قال أبو عمرو وذكر علي بن المِسُور بن عمرو عن الأصمعي قال أخبرني بعض
الرواة وحدثني ابن أخت أبي النجم :

أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ بَشَرَ بْنَ مَرْوَانَ قَالَ لِأَبِي النَّجْمِ : صِفْ لِي فَهُودِي هَذِهِ . فَقَالَ :

إِنَّا نَزَلْنَا خَيْرَ مَنَازِلَاتٍ * بَيْنَ الْحَمِيرَاتِ الْمُبَارَكَاتِ
فِي لَحْمٍ وَحَسٍّ وَحُبَارِيَّاتٍ * وَإِنَّا أَرَدْنَا الصَّيْدَ ذَا اللَّذَاتِ^(٣)
جَاءَ مُطِيعًا لِمُطَاوَعَاتٍ * عَلَّمَنَّا أَوْ قَدْ كُنَّا عَالِمَاتِ
فَسَكَنَ الطَّرْفَ بِمُطَرِفَاتٍ * تُرِيكَ أَمَاقًا مَخْطُطَاتِ

١٠

ونسخت من كتاب الخزاز عن المدائني عن عثمان بن حفص أن أبا النجم مدح
الحجاج بن جرج يقول فيه :
مدح الحجاج بن جرج
وطلب إليه واديا
في بلاده

وَيْلَ أُمِّ دُورٍ عِزَّةً وَنَجْدٍ * دُورٍ تَقْيِيفٍ بِسَوَاءِ نَجْدٍ
* أَهْلُ الْحَصُونِ وَالْخِيُولِ الْجُرْدِ *

فَأَعْجَبَ الْحَجَّاجَ رَجَزُهُ وَقَالَ : مَا حَاجَتُكَ ؟ قَالَ تُقْطَعُنِي ذَا الْجَبِينِ . فَوَجَّمَ لَهَا
وَسَكَتْ ، ثُمَّ دَمَا كَاتِبَهُ فَقَالَ : أَنْظِرْ ذَا الْجَبِينِ مَا هُوَ ! فَإِنْ ذَا الْأَعْرَابِيِّ سَأَلْنِيهِ لَعَلَّهُ
نَهَرَ مِنْ أَنْهَارِ الْعِرَاقِ . فَسَأَلُوا عَنْهُ فَقِيلَ : وَادٍ فِي بِلَادِ بَنِي عَجَلٍ أَعْلَاهُ حَشْفَةٌ^(٤) وَأَسْفَلُهُ
سَبَخَةٌ يَخَاصِمُهُ فِيهِ بَنُو عَمٍّ لَهُ . فَقَالَ : أَكْتَبُوا لَهُ بِهِ . قَالَ : فَأَهْلُهُ بِهِ إِلَى الْيَوْمِ .

٢٠ (١) الكين : لحم باطن الفرج . (٢) لم نعر على هذه النسبة في مظانها . ولعله يريد به فرسا

كريم النجار . (٣) حباريات : مفردتها حبارى وهو طائر يضرب به المثل في البلاهة والحق .
(٤) الحشفة : صخرة رخوة في سهل من الأرض . والسبخة : أرض ذات تزولج .

أخطأ في أشياء
أخذت عليه

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدثني أبو أيوب المدينيّ قال قال الأصمعيّ :
أخطأ أبو النجم في أشياء أخذت عليه، منها قوله :

وهي على عذبة روى المنهل * دخل أبي المرقال خير الدّحل
* من تحت عاد في الزمان الأول *

قال الأصمعيّ : الدّحل لا تُورده الإبل إنما تُورده الرّكايا ^(١) . وقد عيب بهذا وعيب
بقوله في البيت الذي يليه : إنّ هذا الدّحل من تحت عاد . قال : والدّحلان لا تُخفّر
ولا تُنحت ، إنما هي خروق وشعاب في الأرض والجبال لا تُصيبها الشمس ، فتبقى فيها
المياه ، وهي هوة في الأرض يضيق فيها ثم يتسع فيدخل ماء السماء .

قال الأصمعيّ : وقال يصف فرسه وقد أجراه في حلبّة :

* تسبح أحرأه ويطفو أوله *

قال الأصمعيّ : أخطأ في هذا ؛ لأنه إذا سبّح أحرأه كان حمار الكساح أسرع
منه . قال الأصمعيّ : وحدثني أبي أنّه رأى فرسه هذا فقومه بسبعين درهما .
وإنما يوصف الجواد بأنه تسبح أولاه وتلحق رجلاه . قال : وخير عدو الذكور
أن تُشرف ، وخير عدو الإناث أن تيسط ^(٢) وتصنعي كعدو الذئب .

(١) الركايا : جميع ركية وهي البر . (٢) تصنعي : تميل .

أخبارُ عَلِيَّةَ بنتِ المهديّ ونسبها وتنفُّ من أحاديثها

عَلِيَّةُ بنتُ المهديّ أمُّها أُمٌ ولد مُغْنِيَّةٌ يُقال لها مَكْنُونَةٌ، كانت من جوارى المروانيَّةِ المغنِّيَّةِ .

أمها مكنونة أم ولد
اشترت للمهدي
في حياة أبيه

نسختُ من كتاب محمد بن هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات أن
أبن القَدَّاح حَدَّثَهُ قال :^(١)

كانت مكنونة جاريةً المروانيَّةِ - وليست من آل مروان بن الحكم،
هي زوجة الحسين بن عبد الله بن عُبيد الله بن عباس - مغنِّيَّةٌ، وكانت
أحسنَ جاريةً بالمدينة وجهًا، وكانت رَشَاءً^(٢)، وكان بعض من يمازحها يعبث بها
فيصيح : طَسَّتْ طَسَّتْ^(٣) . وكانت حَسَنَةُ الصدر والبطن ، فكانت تُوضِعُ بهما
وتقول : ولكن هذا ! . فاشترت للمهدي في حياة أبيه بمائة ألف درهم ، فغلبت عليه ،
حتى كانت الخيزران تقول : ما ملكَ امرأةٌ أَعْلَظَ على منها . وأسترا أمرها عن
المنصور حتى مات ، فولدت له عَلِيَّةَ بنتَ المهدي .

أخبرني عمِّي قال حدَّثني عليّ بن محمد التَّوْفَلِيّ عن عمِّه قال :

بعض صفاتها

كانت عَلِيَّةُ بنتُ المهديّ من أحسن الناس وأظرفهم تقول الشَّعْرَ الجيّدَ
وتصوغ فيه الألحانَ الحسنةَ ، وكان بها عيب ، كان في جبينها فَضْلٌ سَعَةٍ حتى
تسمع ، فأتخذت العصائب المكلَّلة بالجوهر لتستر بها جبينها ، فأحدثت والله شيئاً
ما رأيتُ فيما أبدعته النساء وأحدثته أحسن منه .

(١) في ١ ، م : « أبا القداح » . (٢) الرشاء : القليلة لحم العجز والفخذين .
(٣) لعل المراد تشبيهها في استواء عجزها مع ظهرها ونفوذها باستواء قعر الطست . (٤) في ب ، م :
« ويكنى هذا » . (٥) في ١ ، م : « تسفح » (بتشديد الفاء) . وفي ح : « تسجح » .
وعبارة النجوم الزاهرة (ج ٢ ص ١٩١ طبع دار الكتب المصرية) : « وكان في جبهتها سعة تشين وجهها » .

أخبرني الحسين بن يحيى ووكيع قالوا حدثنا حماد بن إسحاق قال سمعتُ إبراهيم بن إسماعيل الكاتب يقول :

كانت حسنة الدين
ولا تشرب ولا تنفى
إلا أيام حيضها

كانت عليّة حسنة الدين، وكانت لا تنفى ولا تشرب النبيذ إلا إذا كانت معتزلة الصلاة، فإذا ظهرت أقبلت على الصلاة والقرآن وقراءة الكتب، فلا تلتذ بشيء غير قول الشعر في الأحيان، إلا أن يدعوها الخليفة إلى شيء فلا تقدر على خلافه. وكانت تقول : ما حرم الله شيئاً إلا وقد جعل فيما حلل منه عوضاً، فبأي شيء يحتج عاصيه والمُنْتَهِك لحُرْماته ! . وكانت تقول : لا غفر الله لي فاحشة آرتكبها قط، ولا أقول في شعري إلا عبثاً .

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني عون بن محمد الكندي قال سمعت عبد الله ابن العباس بن الفضل بن الربيع يقول :

لم يجتمع في الإسلام
أخ وأخت أحسن
غناء منها ومن أخوها

ما اجتمع في الإسلام قط أخ وأخت أحسن غناء من إبراهيم بن المهدي وأخته عليّة، وكانت تُقدّم عليه .

أخبرني محمد قال حدثنا عون بن محمد الكندي قال حدثنا سعيد بن إبراهيم قال : كانت عليّة تحب أن تُراسل بالأشعار من تختصه ، فأختصت خادماً يقال له « طَلّ » من خدام الرشيد، فكانت تراسله بالشعر، فلم تره أياماً، ففشت على ميزاب وحديثه وقالت في ذلك :

كانت تحب
المكاتبة بالشعر
وكأبت طلالاً
فتعها الرشيد

٨٤
٩

قد كان ما كُلفته زمناً * يا طَلُّ من وجيد بكم يكفي
حتى أتيتك زائراً عجلاً * أمشي على حنّيف إلى حنّيف

خلف عليها الرشيد ألا تكلم طلالاً ولا تسميه باسمه، فضمنت له ذلك . وأستمع عليها يوماً وهي تدرس آخر سورة البقرة حتى بلغت إلى قوله عز وجل : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَنْصِبْهَا ^(١)

(١) كذا في أكثر النسخ . وفي ١ ، م : « تريد » وهي محرفة عن « تدبر » بالذال بمعنى قرأ .

وَأَيْلُ فَطْلٌ) وأرادت أن تقول : «فَطْلٌ» فقالت : فالذى نهانا عنه أمير المؤمنين .
فدخل فقبل رأسها وقال : قد وهبتُ لك طَلاً ، ولا أَمْنَعُكِ بعد هذا من شيء
تريدينه . ولها في طَلٍّ هذا عِدَّةُ أشعارٍ فيها لها صنعة . منها :

صوت

- ٥ ياربِّ إني قد غَرَضْتُ بهجرها * فإليك أشكو ذاك يا رَبَّاهُ
مولاةٌ سَوَّءٌ تستهين بعبدِها * نِعَمَ الغلامُ وبئستِ المولاةُ
«فَطْلٌ» ولكنِّي حُرِمْتُ نعيمه * ووصَّالَه إن لم يُغْنِنِي الله
يا ربِّ إن كانت حياتي هكذا * ضراً على ما أريد حياه
الشعر والغناء له خفيفٌ ثقيلٌ مطلقٌ في مجرى الوسطى . وقد ذكر ابنُ خُرداذبَةَ
١٠ أن الشعر والغناء لُنْبِيهِ الكوفيُّ ، وأنه هوى جارِيَةٌ تُغْنِي ، فتعلمُ الغناء من أجلها وقال
الشعر ، ولم يزل يتوصَّلُ إليها بذلك حتى صار مُقَدِّماً في المغنِّين ، وأنَّ هذا الشعر له
فيها والصنعة أيضاً .

أخبرني أحمد بن محمد أبو الحسن الأسدي قال حدثني محمد بن صالح بن شيخ
ابن عمير عن أبيه قال : حجب عنها طل
فقال فيه شعراً
وصحفت اسمه

- ١٥ حُجِبَ طَلٌّ عَنْ عَلِيَّةَ فَقَالَتْ وَصَحَّفَتِ اسْمَهُ فِي أَوَّلِ بَيْتٍ :
أَيَا سَرَوَةَ الْهَسْتَانِ طَالَ تَشَوُّقِي * فَهَلْ لِي إِلَى ظِلِّ لَدَيْكَ سَبِيلُ
مَتَى يَلْتَقِي مَنْ لَيْسَ يُقَضَّى خُرُوجُهُ * وَلَيْسَ لِمَنْ يَهْوَى إِلَيْهِ دُخُولُ
عَسَى اللَّهُ أَنْ نَرْتَاخَ مِنْ كُرْبِيَّةٍ لَنَا * فَيَلْقَى آغْتِبَاطًا خَلَّةً وَخَلِيلُ

(١) غرضت بهجرها أي ضجرت . وفي الأصول : « عرضت » بالعين المهملة وهو تصخيف

(٢) السزور : شجر حمن الهيئة قويم الساق ، وقد فسره صاحب القاموس العرعري .

عروضه من الطويل . الشعر والغناء لعلية خفيف رمل . كذا ذكر ميمون بن هارون ،
وذكر عمرو بن بانه أنه لسلسل خفيف رمل بالوسطى . وأول الصوت :

* متى يلتقى من ليس يقضى خروجه *

وذكر حبش أنه للهدلى خفيف رمل بالبصر .

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا أحمد بن محمد بن إسحاق الطالقاني قال
حدثني أبو عبد الله أحمد بن الحسين الهشامي قال :

قالت عليّة في ظلّ وصحفت أسمه في هذا الشعر وغنت فيه :

صوت

سَلَّم على ذاك الغزال * الأغيّد الحسن الدلال

سَلَّم عليه وقُل له * يا غُلّ ألباب الرجال

خلّيت جسمي ضاحياً * وسكنت في ظلّ المجال^(١)

وبلغت منى غاية * لم أدْرِ فيها ما أحتيال

الشعر والغناء لعلية خفيف رمل . وذكر في هذا أن الغناء لأحمد بن المكي في هذه الطريقة .

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني ميمون بن هارون عن محمد بن عليّ بن عثمان
الشطرنجي : ١٥

أن عليّة كانت تقول الشعر في خادم لها يقال له « رشأ » وتكنى عنه ، فمن
شعرها فيه وكنت عنه بزئب : ١٥
٩

صوت

وجَد الفؤاد بزئب * وجَدًا ديدًا متعباً

أصبحت من كلّفي بها * أدعى سقياً منصّباً^(٢)

(١) المجال : جمع حجلة وهي ستر العروس في جوف البيت . (٢) في ١ ، م : « شقيلاً » .

كانت تقول الشعر
في خادمها رشأ
وتكنى عنه بزئب

ولقد كَتَبْتُ عَنْ أَسْمَها * عَمْدًا لَكِي لَا تَغْضَبَا
 وَجَعَلْتُ زَيْنَبَ سُرَّةَ * وَكَتَمْتُ أَمْرًا مُعْجِبَا
 قَالَتْ وَقَدْ عَزَّ الْوَصَا * لَوْلَمْ أَجِدْ لِي مَذْهَبَا
 وَاللَّهِ لَا نَلَتْ الْمَوْدَةَ * أَوْ تَنَالَ الْكُوكَبَا

- هكذا ذكر ميمون بن هارون، وروايته فيه عن المعروف بالشَّطْرَنَجِيِّ ولم يحصل ما رواه . وهذا الصوت شعره لابن رُهَيْمَةَ المَدَنِيِّ . والغناء ليونس الكاتب، ولحنه من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر، وهو من زَيْنَبِ يونس المشهورات وقد ذكرته معها ^(١) . والصحيح أَنَّ عَلِيَّةَ غَنَّتْ فِيهِ لَحْنًا من الثقيل الأول بالوسطى ، حكى ذلك ابن المكي عن أبيه، وأخبرني به ذكاء عن القاسم بن زُرْزُور .

- أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني الحسين بن يحيى الكاتب أبو الجواز قال ^(٢) .
 حدثني عُبَيْدُ اللَّهِ بن العباس الرِّبَيعِيُّ قال :

لَمَّا عَلِمَ مِنْ عَلِيَّةَ أَنَّهَا تَكْنِي عَنْ رِشَا بَزِينَبَ قَالَتْ :

صوت

- الْقَلْبُ مُشْتَاقٌ إِلَى رَبِّ * يَا رَبَّ مَا هَذَا مِنَ الْعَيْبِ
 قَدْ تَيَمَّتْ قَلْبِي فَلَمْ أَسْتَطِعْ * إِلَّا الْبُكَاءَ يَا عَالِمَ الْغَيْبِ
 خَبَأْتُ فِي شَعْرَى اسْمَ الَّذِي * أَرَدْتُهُ كَالْخَلْبِ فِي الْجَلْبِ

قال : وَغَنَّتْ فِيهِ لَحْنًا من طريقة خفيف الرَّمْلِ الأول فصَحَّفَتْ أَسْمَها في ريب .

(١) انظر الجزء الرابع من الأغاني من هذه الطبعة ص ٤٠٢ وما بعدها . (٢) مر هذا الاسم في الجزء الخامس ص ٢٧٣ باسم « الحسين بن يحيى أبو الجمان » وفي الجزء السابع ص ٢٠٨ باسم « الحسين بن يحيى أبو الجمان » .

هجت طغيان حين
وشت بها الى رشا

قال : وكانت لأم جعفر جارية يقال لها طُغْيَانُ ، فوشتُ بعلية إلى رشا وحككتُ عنها ما لم تقل ، فقالت عليّة :

لَطُغْيَانُ خُفُّ مُدِّ ثَلَاثِينَ حِجَّةً * جَدِيدٌ فَلَا يَبْلَى وَلَا يَتَحَرَّقُ
وَكَيْفَ بَلَى خُفُّ هُوَ الدَّهْرُ كُلُّهُ * عَلَى قَدَمَيْهَا فِي الْمَوَاءِ مُعَلَّقُ
فَمَا خَرَقَتْ خُفًّا وَلَمْ تُبْلِ جَوْرَبًا * وَأَمَّا سَرَائِلَاتُهَا فَمَمَزَقُ

شعرها حين امتنع
رشا عن شرب
النبيذ

قال : وحلف رشا ألا يشرب النبيذ سنة ، فقالت :

صوت

(١)
قَدْ ثَبِتَ الْخُلَاتِمُ فِي خِنْصَرِي * إِذَا جَاءَنِي مِنْكَ تَجَنِّيكَ
حَرَمْتُ شَرْبَ الرَّاحِ إِذْ عَفَّتْهَا * فَلَسْتُ فِي شَيْءٍ أُعَاصِيكَ
فَلَوْ تَطَوَّعْتَ لِعَوَضَتْنِي * مِنْهُ رُضَابَ الرِّيقِ مِنْ فَيْكِ
فِيهَا عِنْدِي مِنْ نِعْمَةٍ * لَسْتُ بِهَا مَاعِشْتُ أَجْزِيكَ
يَا زَيْنَبًا قَدْ أَرَقْتُ مُقَلَّتِي * أَمْتَعْنِي اللَّهُ بِحَبْسِكَ

غَنَّتْ فِيهِ عَلِيَّةٌ هَزَجًا .

٨٦
٩

غنى عقيد المعتصم
بشعر فسأل عنه
فقال محمد بن
إسماعيل إنه لما
ففضب وأعرض
منه

أخبرني بَحْظَةُ وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى قَالَا حَدَّثَنَا مَيْمُونُ بْنُ هَارُونَ قَالَ حَدَّثَنِي

(٢)
الْحَسَنُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ رَبَاحٍ قَالَ : قَالَ لِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُوسَى الْهَادِي :

كُنْتُ عِنْدَ الْمُعْتَصِمِ وَعِنْدَهُ مُحَارِقٌ وَعَلَوِيَّةٌ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَارِثِ وَعَقِيدٌ ، فَتَغَنَّى
عَقِيدٌ وَكُنْتُ أَضْرِبُ عَلَيْهِ :

صوت

نَامُ عُدَالِي وَلَسْمُ أَنْيَمٍ * وَأَشْتَبِي الْوَاشُونَ مِنْ سَقَمِي
وَإِذَا مَا قُلْتُ بِي أَلَمٌ * شَكٌّ مِنْ أَهْوَاهِ فِي أَلْمِي

(١) الكناية هنا غير مفهومة وإن كان المعنى الإجمالي واضحاً . (٢) في ب ، س : « الحسبي » .

فطرب المعتصم وقال: لمن هذا الشعر والغناء؟ فأمسكوا. فقلت: لعلية، فأعرض عني، فعرفت غلطى وأت القوم أمسكوا عمداً، ففُطِعَ بي^(١). وتبين حالي، فقال: لا ترع يا محمد، فإن نصيبك فيها مثل نصيبي. الغناء لعلية خفيف رمل. وقد قال قوم: إن هذا اللحن للعباس بن أشرس الطنبوري مولى خزاعة، وإن الشعر لحالد الكاتب.

- أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني أحمد بن يزيد قال حدثني أبي قال: °
كنا عند المتصر، فغناه بنان لحناً من الرمل الثاني وهو خفيف الرمل: °
غنى بنان للمتصر
بلحن لها في شعر
الرشد

صوت

يَا رَبَّةَ الْمَنَزَلِ بِالسِّرِّ * وَرَبَّةَ السُّلْطَانِ وَالْمُلْكِ^(٢)
تَحْزُجِي بِاللَّهِ مِنْ قَتْلِنَا * لَسْنَا مِنَ الدَّيْلَمِ وَالْتُرْكِ

- ١٠ فضحككت. فقال لي: مِمَّ ضَحِكْتَ؟ قلت: من شرف قائل هذا الشعر، وشرف من عمل اللحن فيه، وشرف مستمعه. قال: وما ذاك؟ قلت: الشعر فيه للرشد، والغناء لعلية بنت المهدي، وأمير المؤمنين مستمعه. فأعجبه ذلك وما زال يستعيده.
- حدثني إبراهيم بن محمد بن بكشة قال سمعت شيخاً يحدث أبي وأنا غلام فحفظت عنه ما حدثه به ولم أعرف اسمه، قال حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال: °
أخذت من إسحاق
لحنًا وغنته الرشد
ثم غناه هو لأمون
فغنته
- عملت في أيام الرشد لحنًا وهو: °

صوت

سَقِيًّا لِأَرْضٍ إِذَا مَا نَمَتْ نَبْهَى * بَعْدَ الْهَدَوِّ بِهَا قَرْعُ النَّوَاقِيسِ
كَأَنَّ سَوَسَنَهَا فِي كُلِّ شَارْقِيَةٍ * عَلَى الْمِيَادِينِ أَذْنَابُ الطَّوَاوِيسِ

(١) قطع بي: يريد سدت على مسالك القول. (٢) البرك: علم على عدة مواضع.

- قال : فأعجبني وعملتُ على أن أباكر به الرشيد . فلقيني في طريق خادمٍ لعلية بنت المهدي ، فقال : مولائي تأمرك بدخول الدهليز لتسمع من بعض جواربها غناءً أخذته عن أبيك وشككت فيه الآن . فدخلتُ معه إلى حجرة قد أُفردت لي كأنها كانت معدّة ، بجلستُ ، وقُدّم لي طعامٌ وشرابٌ فَنلت حاجتي منهما ، ثم خرج إلى خادم فقال لي : تقول لك مولائي : أنا أعلم أنك قد غدوت إلى أمير المؤمنين بصوت قد أعددتَه له مُحَدِّثٌ ، فاسمعيه ولك جائزةٌ سنويةٌ تتعجلها ، ثم ما يأمر به لك بين يديك ، ولعله لا يأمر لك بشيءٍ أو لا يقع الصوت منه بحيث تُوخَّيتُ ، فيذهب سعيك باطلاً . فاندفعتُ فغَنيتُها إياه ، ولم تزل تستعيده مراراً ، ثم أخرجتُ إلى عشرين ألف درهم وعشرين ثوباً ، وقالت : هذه جائزتك ، ولم زل تستعيده مراراً . ثم قالت : اسمعه مني الآن ؛ فغَنيتَه غناءً ما حرق سمعي مثله . ثم قالت : كيف تراه ؟ قلت : أرى والله ما لم أر مثله . ٥
- قالت : يا فلانة أعيدى له مثل ما أخذ ؛ فأحضرتُ لي عشرين ألفاً أخرى وعشرين ثوباً . فقالت : هذا ثمنه ، وأنا الآن داخلةٌ إلى أمير المؤمنين ، أبدأ أنتغي به ، وأخبر أنه من صنعتي . وأعطى الله عهداً لئن نطقتُ أن لك فيه صنعةٌ لأقتلنك ! هذا إن نجوت منه إن علم بمصيرك إلى . فخرجتُ من عندها ووالله إنني لك الموقن بما أكره ١٠
- من جائزتها أسفاً على الصوت ، فما جَسَرْتُ والله بعد ذلك أن أتغنم به في نفسي فضلاً عن أن أظهره حتى ماتت . فدخلتُ على المأمون في أول مجلس جلسه للهو بعدها ، فبدأتُ به أول ما غَنيتُ . فتغيّر لونُ المأمون وقال : من أين لك ويلك هذا ؟ ! قلت : وليّ الأمان على الصدق ؟ قال : ذلك لك . فحدّثته الحديث . فقال : يا بغيض ! فما كان في هذا من النفاسة حتى شهّرتَه وذكّرتَ هذا منه مع ما قد أخذته من العوض ! وهجّنتني فيه هُجْنَةً ودَدْتُ معها أتى لم أذكره . فأليتُ ألا أغنيّه ٢٠
- (١) في ب ، س : « ولن أبدأ بغناء غيره » . (٢) في أ ، م : « ووالله إنني لأكاد أموت بما أكره الخ » .

بعدها أبدا . الشعرُ في هذا الصوت لإسماعيل بن يسار النَّسائي ، وقيل : إنه لإسحاق .
ولحنه من الثَّقِيلِ الأوَّلِ مُطْلَقٌ في مجرى الوسطى . وذكر حبش أنه للهذلي ،
ولم يحصل ما قاله .

أخبرني عمي قال حدثني الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا عبد الله بن
أبي سعد قال قال لي ينشئ المغني حدثني أبو أحمد بن الرشيد قال :

طارحت أخاها
إبراهيم الفناء
وسمعهما في مجلس
المأمون

كنت يوما عند المأمون وإلى جانبي منصور وإبراهيم عمّاي ، فجاء يأسر دخلة
فسأز المأمون . فقال المأمون لإبراهيم : إن شئت يا إبراهيم فأنهض ، فنهض . فنظرتُ
إلى ستر قد رُفِعَ مما يلي دار الحُرَمِ ، فما كان بأسرع من أن سمعت شيئا أقلقني .
فنظر إلى المأمون وأنا أميل فقال لي : يا أبا أحمد مالك تميل ؟ فقلت : إني سمعت
شيئا ما سمعتُ بمثله . فقال : هذه عمّتك عليّة تطارح عمّك إبراهيم :
* مالي أرى الأبصارَ بي جافية *

نسبةُ هذا الصوت .

صوت

مالي أرى الأبصارَ بي جافية * لم تلتفت مني إلى ناحية
لا ينظر الناس إلى المُبتَلَى * وإنما الناس مع العافية
صَحِيحِي سَأَلُوا رَبِّكُمْ العافية * فقد دهنتي بعدكم داهية
صارَ مِنِّي بعدكم سيِّدِي * فالعينُ من هجرانه باكية

الشعر لأبي العتاهية ، وذكر ابن المعتز أنه لعلية وأن اللحن لها خفيف رمل . وذكر
أنه لغيرها خفيف رمل مطلق ، ولحن عليّة مزموّم .

أخبرني عمي قال حدثني أبو العباس أن بشرًا المرثديّ قال قالت لي ربي :
كنتُ يوماً بين يدي الرشيد وعنده أخوه منصور وهما يشربان ، فدخلتُ إليه
خلوب^(١) (جارية لعلية) ومعها كأسان مملوءان وتحيّتان ، ومع خادم يتبعها عودٌ ، فغنتهما
قائمة والكأسان في أيديهما والتحيّتان بين أيديهما :

صوت

حيّا كما الله خليلاً * إن ميتاً كنتُ وإن حيّاً

إن قلتما خيراً فخيرٌ لكم * أو قلتما غيًّا فلا غيّا

فشرّياً . ثم دفعتُ إليهما رقعةً فإذا فيها : «صنعتُ يا سيديّ أُختُك هذا اللحنَ اليوم ،
وألقته على الجوّاري ، وأصطبحتُ فبعثتُ لكما به ، وبثتُ من شرابي إليكما ومن
تحياتي وأحذق جوارى لتغنيكما . هذا كما الله وسرّكما وأطاب عيشكما وعيشي بكما» .

أخبرني عمي قال حدثني بنحو من هذا أبو عبد الله بن المرزبان قال حدثني
إبراهيم بن أبي دلف العجليّ قال :

كنا مع المعتصم بالقاطول وكان إبراهيم بن المهديّ في حرّاقته بالجانب الغربيّ ،
وأبي وإسحاق بن إبراهيم الموصليّ في حرّاقتهما بالجانب الشرقيّ . فدعاهما في يوم
جمعة ، فعبرا إليه في زلال وأنا معهما وأنا صغير ، على أقبية ومنطقة . فلما دنونا من
حرّاقة إبراهيم فرآنا نهض ونهضتُ بنهوضه صبيّة له يقال لها «غضة» وإذا في يديها
كأسان وفي يده كأس . فلما صعدا إليه آندفع فغني :

(١) في ١ ، ٢ : « خلوي » . (٢) القاطول : اسم نهر كأنه مقطوع من دجلة ، وهو نهر
كان في موضع سامرا قبل أن تعمر ، وكان الرشيد أوّل من حفر هذا البرو بنى على فوهته قصراً .
(٣) ظاهر من السياق أنه نوع من السفن كالزورق ونحوه . وقد ورد هذا الاسم في كتاب تزيين
الأسواق لدارد الأنطاكي صفحة ٢٥٨ طبع حجر بمصر سنة ١٢٧٩ هجرية في قوله : « فعزمت على واسط
لأن لي بها صديقاً من الكتاب بحيث فرأيت زلالاً مهياً فطلبت الزول معهم فقالوا نملك بدرهمين ، ولكن
الزلال لها شئ لا يريد معه غريباً ، فترى بزينا كأنك بعض الملاحين ... » وكتب مصححه بالهامش :
« قوله زلالاً كأنه نوع من السفن كالزورق كما يظهر من بقية الكلام » اه وانظر الكلام عليه في قاموس دويم .

أرسلت إلى الرشيد
ومنصور شرباً
مع خلوب وغنّتهما
بلحن لها

دعا إبراهيم بن
المهديّ إسحاق
وأبا دلف وغنّهم
جاريته لحناً لها

حَيَّاكُمَا اللهُ خَلِيلَيَا * إِنْ مَيِّتَا كُنْتُ وَإِنْ حَيَّا
إِنْ قَلْتُمَا خَيْرًا فَأَهْلًا بِهِ * أَوْ قَلْتُمَا غَيًّا فَلَا غَيَّا^(١)

ثم ناول كل واحد منهما كأساً، وأخذ هو الكأس الثالث الذى فى يد الجارية وقال :
هَلَمْ نَشْرَبْ عَلَى رَيْقِنَا قَدْحًا . ثم دعا بالطعام فأكلنا ، وَوَضِعَ النِّيذُ فُشِرْنَا ، وَغَنِيَاهُ
وَعَنَاهُمَا وَضَرَبَا مَعَهُ وَضَرَبَ مَعَهُمَا ، وَغَنَّتِ الصَّبِيَّةُ ، فَطَرِبَ أَبُو وَقَالَ لَهَا : أَحْسَنْتِ
أَحْسَنْتِ ! . فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ : إِنْ كَانَتْ أَحْسَنْتِ نَحْنُهَا ، فَمَا أُخْرِجْتُهَا إِلَّا لَكَ .

شكت اليها أم جعفر
اقتطاع الرشيد
فقلت شعرا
وغنت به فرجع اليها

أخبرنى على بن صالح بن الهيثم وإسماعيل بن يونس قالا حدثنا أبو هفان قال :
أُهِدِيتُ إِلَى الرَّشِيدِ جَارِيَةً فِي غَايَةِ الْجَمَالِ وَالْكَالِ ، نَحْلًا مَعَهَا يَوْمًا وَأُخْرِجَ كُلُّ قَبِيلَةٍ
فِي دَارِهِ وَأَصْطَبَحَ ، فَكَانَ جَمِيعٌ مِنْ حَضْرِهِ مِنْ جَوَارِيهِ الْمَغْنِيَّاتِ وَالْخَدَمَةِ فِي الشَّرَابِ
زُهَاءُ أَلْفَى جَارِيَةٍ فِي أَحْسَنِ زَيٍّ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الثِّيَابِ وَالْجَوْهَرِ . وَأَتَّصَلَ
الْخَبَرُ بِأُمِّ جَعْفَرٍ فَعَلَّظَ عَلَيْهَا ذَلِكَ ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى عُلَيَّةَ تَشْكُو إِلَيْهَا . فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهَا عُلَيَّةُ :
لَا يَهْوُلَنَّكَ هَذَا ، فَوَاللَّهِ لَأُرْدَنَّهُ إِلَيْكَ ، قَدْ عَزِمْتُ أَنْ أَصْنَعَ شِعْرًا وَأَصَوِّغَ فِيهِ لَحْنًا
وَأُطْرَحَهُ عَلَى جَوَارِيٍّ ، فَلَا تَبْقَ عِنْدَكَ جَارِيَةٌ إِلَّا بَعَثْتُ بِهَا إِلَى وَالْبَيْسِينَ أَلَوَانَ الثِّيَابِ
لِيَأْخُذَنَّ الصَّوْتَ مَعَ جَوَارِيٍّ ، فَفَعَلْتُ أُمُّ جَعْفَرٍ مَا أَمَرَتْهَا بِهِ عُلَيَّةُ . فَلَمَّا جَاءَ وَقْتُ
صَلَاةِ الْعَصْرِ لَمْ يَشْعُرِ الرَّشِيدُ إِلَّا وَعُلَيَّةُ قَدْ حَرَجَتْ عَلَيْهِ مِنْ حُجْرَتِهَا ، وَأُمُّ جَعْفَرٍ مِنْ
حُجْرَتِهَا مَعَهَا زُهَاءُ أَلْفَى جَارِيَةٍ مِنْ جَوَارِيهَا وَسَائِرِ جَوَارِي الْقَصْرِ ، عَلَيْهِنَّ غِرَابُ
الْبِلَاسِ ، وَكُلُهُنَّ فِي لَحْنٍ وَاحِدٍ هَزَجٍ صَنَعَتْهُ عُلَيَّةُ :

صوت

مَنْفَصِلٌ عَنِّي وَمَا * قَلْبِي عَنْهُ مَنْفَصِلٌ

يَا قَاطِعِي الْيَوْمِ لِمَنْ * نُوَيْتَ بَعْدِي أَنْ تَصِلَ

(١) كذا فى ح . وفى أ ، م : « فأهله » . وفى ب ، س : « فغير لكم » .

(٢) كذا فى الأصول . ويلاحظ أن الكأس مؤنثة .

فطرب أنرشيد وقام على رجله حتى استقبل أمّ جعفر وعليّة وهو على غاية السرور، وقال : لم أر كاليوم قط . يا مسرور لا تُبقيّ في بيت المال درهمًا إلا نثرته . فكان مبلغ ما نثره يومئذ ستة آلاف ألف درهم ، وما سُمع بمثل ذلك اليوم قط .

كانت تحب لمن
الرمل

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد المبرّد قال : كانت عليّة تقول : من لم يُطربه الرمل لم يُطربه شيء . وكانت تقول : من أصبح وعنده طباهجة باردة^(١) ولم يصطبج فعليه لعنة الله .

٨٩
٩

غنت هي وأخوها
إبراهيم وزمر عليهما
أخوها يعقوب

حدثني عمي قال حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهديّ قال حدثني يوسف بن إبراهيم قال قالت لي عريب : أحسن يوم رأيته وأطيبه يوم اجتمعت فيه مع إبراهيم بن المهديّ عند أخته عليّة وعندهم أخوهم يعقوب ، وكان أحذق الناس بالزمر . فبدأت عليّة فغنتهم من صنعتها وأخوها يعقوب يزمر عليها :

١٠

صوت

تَحَبَّبْ فَإِنَّ الْحُبَّ دَاعِيَةُ الْحَبِّ * وَكَمْ مِنْ بَعِيدِ الدَّارِ مُسْتَوْجِبُ الْقَرَبِ
وَغَنَى إِبْرَاهِيمَ فِي صِنْعَتِهِ وَزَمَرَ عَلَيْهِ يَعْقُوبُ :

صوت

يَا وَاحِدَ الْحُبِّ مَا لِي مِنْكَ إِذْ كَلَفْتُ * نَفْسِي بِحَبِّكَ إِلَّا الْهَمُّ وَالْحَزَنُ
لَمْ يُنْسِنِيكَ سُرُورٌ وَلَا حَزَنٌ * وَكَيْفَ لَا ! كَيْفَ يُنْسِي وَجْهَكَ الْحَسَنُ
وَلَا خَلَا مِنْكَ قَلْبِي لَا وَلَا جَسَدِي * كُلُّ بَكَلٍّ مُشْغُولٌ وَمُرْتَهَنٌ
نُورٌ تَوَلَّدَ مِنْ شَمْسٍ وَمِنْ قَمَرٍ * حَتَّى تَكْمُلَ مِنْهُ الرُّوحُ وَالْبَدَنُ
فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ مَا سَمِعْتُهُ مِنْهُمَا قَطُّ ، وَأَعْلَمُ أَنِّي لَا أَسْمَعُ مِثْلَهُ أَبَدًا .

١٥

٢٠

(١) الطباهجة : ضرب من اللحم المقلّى .

تمارت خشف
وعريب في عدد
أصواتها بحضرة
المتوكل

قال ميمون بن هارون قلت لعريب :

- رأيتُ في النوم كأتى سألتُ عُلَيَّةَ بنتَ المهدي عن أغانيها فقالت لي : هي
نَيْفٌ وخمسون صوتاً . فقالت لي عريب : هي كذلك . وقد أخبرني بنحو هذا الخبر
عبد الله بن الربيع الربيعي قال حدثني وسوسة وهو أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم
قال حدثتني خشف الواحشية أنها تمارت هي وعريب في غناء عُلَيَّةَ بحضرة المتوكل .
أو غيره من الخلفاء ، فقالت هي : هي ثلاثة وسبعون صوتاً . فقالت عريب : هي آثنان
وسبعون صوتاً . فقال المتوكل : غنياً غناءها ، فلم تزلّا تغنّيان غناءها حتى مضى
آثنان وسبعون صوتاً ، ولم تذكر خشف الثالث والسبعين فقطع بها وأستولت
عريب عليها وأنكسرت . قالت : فلما كان الليل رأيتُ عُلَيَّةَ فيما يرى النائم فقالت :
يا خشفُ خالفك عريبُ في غنائِي ! قلت : نعم ياسيدي . قالت : الصواب معك ،
أفترين ما الصوتُ الذي أنسيته ؟ قلت : لا والله ! ولوددتُ أني فدّيت ما جرى
بكل ما أملك . قالت هو :

صوت

- بني الحبُّ على الجَورِ فلو * أنصفَ المعشوقُ فيه لسمَّجُ
ليس يُستحسنُ في حكم الهوى * عاشقٌ يُحسنُ تأليفَ الجَجَجِ
لا تعيين من محبٍّ ذلَّةٌ * ذلَّةُ العاشقِ مفتاحُ الفرجِ
وقليلُ الحبِّ صرفاً خالصاً * لك خيرٌ من كثيرٍ قد مُزجُ
وكانها قد أندفعت تغنّيني به ، فما سمعتُ أحسنَ مما غنّته ، ولقد زادت لي فيه أشياء
في نومي لم أكن أعرفها . فأنتهتُ وأنا لا أعقل فرحاً به . فباكرتُ الخليفةَ وذكّرتُ
له القصة . فقالت عريب : هذا شيء صنعته أنتِ ليأجري بالأمس ، وأما الصوت
فصحيح . فخلفتُ للخليفة بما رضى به أن القصة كما حكيتُ . فقال : رؤياك والله

عجب ، وَرَحِمَ اللهُ عَلِيَّةَ ! فَمَا تَرَكْتُ ظَرْفَهَا حَيَّةً وَمَيِّتَةً ، وَأَجَازَنِي جَائِزَةً سَنِيَّةً . وَلَعَلِّيَّةَ فِي هَذَا الصَّوْتِ أَغْنَى :

* بُنِيَ الْحُبُّ عَلَى الْجَوْرِ فَلَوْ *

لَحَنَانٌ : خَفِيفٌ ثَقِيلٌ وَهَزَجٌ . وَقِيلَ إِنَّ الْهَزَجَ لَغَيْرِهَا .

وَنَسَخْتُ مِنْ كِتَابِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الْكَاتِبِ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفَيْرَزَانِيُّ (١) قَالَ حَدَّثَنِي بَعْضُ خَدَمِ السُّلْطَانِ عَنْ مَسْرُورِ الْكَبِيرِ ، وَنَسَخْتُ هَذَا الْخَبَرَ بَيْنَهُ مِنْ كِتَابِ مُحَمَّدِ بْنِ طَاهِرٍ يَرْوِيهِ عَنْ أَبِي الْفَيْرَزَانِ (١) ، وَفِيهِمَا خِلَافٌ يَذْكُرُ فِي مَوْضِعِهِ ، قَالَ :

سمع الرشيد الحنين لها
من جاريته عند
إبراهيم الموصلي
فرجع إليها وسمعهما
منها ومدحهما

اشْتَقَ الرَّشِيدُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصَلِيِّ يَوْمًا ، فَكَبَّ حِمَارًا يَقْرُبُ مِنَ الْأَرْضِ ، ثُمَّ أَمَرَ بَعْضَ خَدَمِ الْخَاصَةِ بِالسَّعْيِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَخَرَجَ مِنْ دَارِهِ ، فَلَمْ يَزَلْ حَتَّى دَخَلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ . فَلَمَّا أَحَسَّ بِهِ اسْتَقْبَلَهُ وَقَبَّلَ رَجُلِيهِ . وَجَلَسَ الرَّشِيدُ فَنَظَرَ إِلَى مَوَاضِعِ قَدِّكَ فِيهَا قَوْمٌ ثُمَّ مَضَوْا ، وَرَأَى عِيدَانًا كَثِيرَةً ، فَقَالَ : يَا إِبْرَاهِيمُ مَا هَذَا ؟ بَفْعَلٍ يَدَافِعُ . فَقَالَ : يَا إِلَهَ ! أَصْدُقْنِي . فَقَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، جَارِيَتَانِ أَطْرَحُ عَلَيْهِمَا . قَالَ : هَاتِمَا . فَأَحْضَرَ جَارِيَتَيْنِ ظَرِيفَتَيْنِ ، وَكَانَتِ الْجَارِيَتَانِ لَعَلِّيَّةَ بِنْتِ الْمَهْدِيِّ بَعَثَتْ بِهِمَا يَطْرَحُ عَلَيْهِمَا . فَقَالَ الرَّشِيدُ لِأَحَدَاهُمَا : غَنِّي ، فَغَنَّتْ — وَهَذَا كُلُّهُ مِنْ رَوَايَةِ مُحَمَّدِ بْنِ طَاهِرٍ — :

بُنِيَ الْحُبُّ عَلَى الْجَوْرِ فَلَوْ * أَنْصَفَ الْمَعشُوقُ فِيهِ لَسَمَّجُ
لَيْسَ يُسْتَحْسَنُ فِي حَكْمِ الْهَوَى * عَاشِقٌ يُحْسِنُ تَأْلِيفَ الْجُحْجُجِ
لَا تَعْيِينَ مِنْ مَحَبٍّ ذِلَّةً * ذِلَّةُ الْعَاشِقِ مِفْتَاحُ الْفَرَجِ
وَقَلِيلُ الْحُبِّ صَرَفًا خَالِصًا * لَكَ خَيْرٌ مِنْهُ كَثِيرٌ قَدْ مُزِجُ

فَأَحْسَنْتُ جَدًّا ، فَقَالَ الرَّشِيدُ : يَا إِبْرَاهِيمُ لِمَنِ الشَّعْرُ ؟ مَا أَمْلَحَهُ ! وَلِمَنِ اللَّحْنُ ؟ مَا أَظْرَفَهُ ! فَقَالَ : لَا عِلْمَ لِي . فَقَالَ لِلْجَارِيَةِ ، فَقَالَتْ : لِسْتِي . قَالَ : وَمَنْ سِتُّكِ ؟ قَالَتْ : عَلِيَّةُ

أُخْتُ أمير المؤمنين . قال : الشعرُ واللحن ؟ ! قالت نعم ! فأطرق ساعة ثم رفع رأسه إلى الأخرى فقال : غنى ، فغنت :

صوت

تَحَبَّبْتُ فَإِنَّ الْحَبَّ دَاعِيَةُ الْحَبِّ * وَكَمْ مِنْ بَعِيدِ الدَّارِ مُسْتَوْجِبُ الْقَرَبِ
تَبَصَّرْتُ فَإِنَّ حَدَّثَتْ أَنَّ أَخَا هَوَى * نَجْمًا سَالِمًا فَارِحُ النَّجَاةِ مِنَ الْحَبِّ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحَبِّ مُنْخَطَّ وَلَا رِضًا * فَأَيْنَ حَلَاوَاتُ الرِّسَالِ وَالْكُتُبِ

— الغناء لعليّة خفيفة ثقیل . وفي كتاب علويه : الغناء له — فسأل إبراهيم عن الغناء والشعر؛ فقال : لا أعلم لي يا أمير المؤمنين . فقال للجارية : لمن الشعر واللحن ؟ فقالت لستى . قال : ومن سئلك ؟ فقالت : عليّة أخت أمير المؤمنين . فوثب الرشيد وقال : يا إبراهيم احتفظ بالجاريّتين . ومضى فركب حمّاره وأنصرف إلى عليّة . هذا كله في رواية محمد بن طاهر ، ولم يذكره محمد بن الحسن ، ولكنه قال في خبره : إن الرشيد زار الموصليّ هذه الزيارة ليلاً ، وكان سببها أنه أنقذ في نصف الليل فقال : هاتوا حماري فأني بحمار كان له أسود يركبه في القصر قريب من الأرض ، فركبه وخرج في درّاعة^(١) وشي متلماً بجمامة وشي ملتحفاً برداء وشي ، وخرج بين يديه مائة خادم أبيض سوى الفزاشين . وكان مسرور القرظاني جريئاً عليه لمكانته عنده ، فلما خرج على باب القصر قال : أين يريد أمير المؤمنين في هذه الساعة ؟ قال : أردت منزل الموصليّ . قال مسرور : فضي ونحن بين يديه حتى أنتهي إلى منزل إبراهيم ، فتلقاه وقبل حماره وقال : يا أمير المؤمنين ، جعلني الله فداءك ، أفى مثل هذه الساعة تظهر ! ! قال : نعم ! شوقاً طرق بي . ثم نزل بجلوس في طرف الإيوان وأجلس إبراهيم . فقال له إبراهيم : ياسيدي

٩١
٩

(١) في الأصول : « سببه » . (٢) الدراعة : ضرب من الثياب ، أروى حبة مشقوفة المقدم . ٢٠

أَتَنَشَطُ لَشَيْءٍ تَأْكُلُهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَمَاهُو؟ قَالَ: خَامِيزٌ ظَبِيٌّ. فَأَتَى بِهِ كَأَنَّمَا كَانَ مُعَدًّا لَهُ
فَأَصَابَ مِنْهُ شَيْئًا يَسِيرًا، ثُمَّ دَعَا بِشَرَابٍ كَانَ حُمْلَ مَعَهُ. فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ الْمُوصِلِيُّ:
أَوْغْنِيكَ يَا سَيِّدِي أَمْ يَغْنِيكَ إِمَاؤُكَ؟ فَقَالَ: بَلِ الْجَوَارِي. فَخَرَجَ جَوَارِي إِبْرَاهِيمَ
فَأَخَذَنَ صَدْرَ الْإِيوَانِ وَجَانِبِيهِ. فَقَالَ: أَيْضُرُّنَ كُلَّهُنَّ أَمْ وَاحِدَةٌ وَاحِدَةٌ؟ فَقَالَ:
بَلِ تَضْرِبُ اثْنَتَانِ اثْنَتَانِ وَتَغْنِي وَاحِدَةً وَاحِدَةً. ففعلن ذلك حتى مرَّ صدرُ الإِيوَانِ
وَأَحَدُ جَانِبِيهِ وَالرَّشِيدُ يَسْمَعُ وَلَا يَنْشَطُ لَشَيْءٍ مِنْ غَنَائِنَ، إِلَى أَنْ غَنَّتْ صَبِيَّةٌ
مِنْ حَاشِيَةِ الصَّفِّ:

صـوـت

يَا مُورِي الزَّيْدِ قَدْ أُعِيَتْ قَوَادِحُهُ * إَقْبِسْ إِذَا شِئْتَ مِنْ قَلْبِي بِمِقْبَاسِ
مَا أَقْبَحَ النَّاسَ فِي عَيْنِي وَأَسْمَجَهُمْ * إِذَا نَظَرْتُ فَلَمْ أَبْصُرْكَ فِي النَّاسِ

فَطَرِبَ لَغَنَائِهَا وَأَسْتَعَادَ الصَّوْتَ مِرَارًا وَشَرِبَ أَرْطَالًا، ثُمَّ سَأَلَ الْجَارِيَةَ عَنْ صَانِعِهِ
فَأَمْسَكَتْ، فَاسْتَدْنَاهَا فَتَقَاعَسَتْ، فَأَمَرَهَا فَأَقِيمَتْ إِلَيْهِ، فَأَخْبَرَتْهُ بِشَيْءٍ أَسْرَتْهُ إِلَيْهِ.
فَدَعَا بِجَمَارِهِ فَأَنْصَرَفَ وَالتَفَتَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ: مَا عَلَيْكَ إِلَّا تَكُونَ خَلِيفَةً! فَكَادَتْ
نَفْسُهُ تَخْرُجُ، حَتَّى دَعَا بِهِ بَعْدُ وَأَدْنَاهُ. هَذَا نَظْمُ رِوَايَةِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ فِي خَبَرِهِ. وَقَالَ
مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ فِي خَبَرِهِ: فَقَالَ لِلْمُوصِلِيِّ: أَحْتَفِظُ بِالْجَارِيَتَيْنِ، وَرِكَبَ مِنْ سَاعَتِهِ إِلَى عَلِيَّةَ
فَقَالَ: قَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ أَشْرَبَ عِنْدَكَ الْيَوْمَ. فَتَقَدَّمَتْ فِيمَا تُصَابِحُهُ، وَأَخَذَا فِي شَأْنِهِمَا.
فَلَمَّا أَنْ كَانَ فِي آخِرِ الْوَقْتِ حَمَلَ عَلَيْهَا بِالنَّبِيذِ، ثُمَّ أَخَذَ الْعُودَ مِنْ حِجْرِ جَارِيَةٍ فَدَفَعَهُ
إِلَيْهَا، فَأكْبَرَتْ ذَلِكَ. فَقَالَ: وَتُرَبَّةَ الْمَهْدِيِّ لَتَغَنَّ! . قَالَتْ: وَمَا أُغْنِي؟ قَالَ: غَنِّي:

* بُنِيَ الْحَبُّ عَلَى الْجَوْرِ فَلَوْ *

فعلمت أنه قد وقف على القصة فغنته . فلما أتت عليه قال لها غني :

* تَحَبَّبْ فَإِنَّ الْحَبَّ دَاعِيَةُ الْحَبِّ *

فَلَجَلَجَبْتُ ثُمَّ غَنَّتْهُ . فقام وقبل رأسها وقال : يا سيدي هذا عندك ولا أعلم ! وتتم يومه معها .

- ٥ . حَدَّثَنِي بِحِظَّةٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو الْعَيْسَى بْنُ حَمْدُونَ قَالَ قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُهْدِيِّ :
مَا خَجَلْتُ قَطُّ نَجَلْتِي مِنْ عُلْيَا أُخْتِي . دَخَلْتُ عَلَيْهَا يَوْمًا عَائِدًا فَقُلْتُ : كَيْفَ أَنْتِ يَا أُخْتِي جُعِلْتُ فِدَاكَ وَكَيْفَ حَالُكَ وَجِسْمُكَ ؟ فَقَالَتْ : بِخَيْرٍ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ . وَوَقَعْتُ عَيْنِي عَلَى جَارِيَةٍ كَانَتْ تَدْبُجُ عَنْهَا فَتَشَاغَلْتُ بِالنَّظَرِ إِلَيْهَا فَأَعْجَبْتَنِي وَطَالَ جُلُوسِي ، ثُمَّ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ عُلْيَا فَأَقْبَلَتْ عَلَيْهَا فَقُلْتُ : وَكَيْفَ أَنْتِ يَا أُخْتِي جُعِلْتُ فِدَاكَ وَكَيْفَ حَالُكَ وَجِسْمُكَ ؟ فَرَفَعَتْ رَأْسَهَا إِلَى حَاضِنَةٍ لَهَا وَقَالَتْ : أَلَيْسَ هَذَا قَدْ مَضَى مَرَّةً وَأَجْبَنَا عَنْهُ ! لَخَجَلْتُ نَجَلًا مَا خَجَلْتُ مِثْلَهُ قَطُّ ، وَقَمْتُ وَأَنْصَرَفْتُ .

عادها أخوها
إبراهيم وكرر
السؤال عنها فجل
من جوابها

أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الرَّبِيعِ الرَّبِيعِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ قَالَ :

أمرها الرشيد
بالغناء فغنته من
وراء ستار وكان
معه جعفر ففرقه بها

- شَهِدْتُ أَبِي جَعْفَرَ وَأَنَا صَغِيرٌ وَهُوَ يَحْدِثُ بِحِثِّ بْنِ خَالِدٍ جَدِّي فِي بَعْضِ مَا كَانَ يَخْبِرُهُ بِهِ مِنْ خَلَوَاتِهِ مَعَ الرَّشِيدِ ، قَالَ : يَا أَبَتِ ، أَخَذَ بِيَدِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى حُجْرَةٍ يَخْتَرِقُهَا حَتَّى آتَتْهُ إِلَى حُجْرَةٍ مُغْلَقَةٍ فَفَتَحَتْ لَهُ ، ثُمَّ رَجَعَ مَنْ كَانَ مَعَنَا مِنَ الْخَدَمِ ، ثُمَّ صَرْنَا إِلَى حُجْرَةٍ مُغْلَقَةٍ فَفَتَحَهَا بِيَدِهِ وَدَخَلْنَا جَمِيعًا وَأَغْلَقَهَا مِنْ دَاخِلِ بَيْدِهِ ، ثُمَّ صَرْنَا إِلَى رِوَاقٍ فَفَتَحَهُ وَفِي صَدْرِهِ مَجْلِسٌ مُغْلَقٌ فَقَعَدَ عَلَى بَابِ الْمَجْلِسِ ، فَتَقَرَّرَ هَارُونَ الْبَابَ بِيَدِهِ تَقَرَّرَاتٍ فَسَمِعْنَا حَسَا ، ثُمَّ أَعَادَ التَّقَرُّرَ فَسَمِعْنَا صَوْتَ عَوْدٍ ، ثُمَّ أَعَادَ التَّقَرُّرَ ثَلَاثَةً فَغَنَّتْ جَارِيَةٌ مَا ظَنَنْتُ وَاللَّهِ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ مِثْلَهَا فِي حُسْنِ الْغِنَاءِ وَجُودَةِ الضَّرْبِ .
- ٢٠ . تَقَالُ لَهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ أَنْ غَنَّتْ أَصْوَاتًا : غَنِّي صَوْتِي ، فَغَنَّتْ صَوْتَهُ ، وَهُوَ :

٩٢
٩

صوت

وَمُحَنِّثِ شَهْدِ الزَّفَافِ وَقَبْلَهُ * غَنَى الْجَوَارَى حَاسِرًا وَمُنْقَبًا
لَيْسَ الدَّلَالُ وَقَامَ يَنْقَرُ دَفَّهُ * تَقَرَّرَ أَقْرَبَهُ الْعِيُونَ وَأَطْرَبًا
إِنَّ النِّسَاءَ رَأَيْنَهُ فَعَشِقْنَهُ * فَشَكُونَ شِدَّةَ مَا بِهِنَّ فَكَذِبًا

— في هذا اللحن خفيف رمليّ نسبه يحيى المكيّ إلى ابن سريج ولم يصحّ له ، وفيه خفيف ثقيل في كتاب عليّة أنه لها ، وذكر عبد الله بن محمد بن عبد الملك الزيات أنه لريق . واللحن مأخوذ من :

* إِنَّ الرِّجَالَ لَمْ إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ *

وهو خفيف ثقيل للهذليّ ، ويقال إنه لابن سريج ، وهو يأتي في موضع آخر — قال : فطربت والله طرباً همتُ معه أن أنطح برأسي الحائط . ثم قال غنى :

* طال تكذيبي وتصديقي *

فغنت :

صوت

طال تكذيبي وتصديقي * لم أجِدْ عهداً لمخلوق

إِنَّ نَاسًا فِي الْهَوَى غَدَرُوا * أَحَدُوا^(١) تَقْصُصَ الْمَوَائِقِ

لَا تَرَانِي بَعْدَهُمْ أَبَدًا * أَشْتَكِي عِشْقًا لِمُعْشُوقٍ

— لحن عليّة في هذا الصوت هزج . والشعر لأبي جعفر محمد بن حميد الطوسي وله فيه

لحن خفيف ثقيل ، ولعريب فيه ثقل أول وخفيف ثقيل آخر — قال : فرقص الرشيد

ورقصت معه ، ثم قال : امض بنا فإني أخاف أن يبدو منا ما هو أكثر من هذا ، فضمنا .

فلما صرنا إلى الدهليز قال وهو قابض على يدي : أعرفت هذه المرأة ؟ قال قلت :

لا يا أمير المؤمنين . قال : فإني أعلم أنك ستسأل عنها ولا تكتم ذلك ، وأنا أخبرك

(١) في ب ، س : « حنوا » .

أَنهَا عَلِيَّةٌ بِنْتُ الْمَهْدِيِّ . وَوَاللهُ لئن لَفَظْتَ بِهِ بَيْنَ يَدَيَّ أَحَدٍ وَبَلَعْنِي لِأَقْتُلَنَّكَ . قَالَ :
فَسَمِعْتُ جَدِّي يَقُولُ لَهُ : فَقَدْ وَاللهُ لَفَظْتَ بِهِ ، وَوَاللهُ لَيَقْتُلَنَّكَ ! فَأَصْنَعُ مَا أَنْتَ صَانِعٌ .

نسبة الصوت الذي أخذ منه :

* وَمُحَنِّثٌ شَهِدَ الزَّفَافَ وَقَبْلَهُ *

صوت

إِنَّ الرِّجَالَ لَهْمٌ إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ * إِنْ يَأْخُذُوكَ تَكْجَلِي وَتَحْضِي
وَأَنَا أَمْرُوٌّ إِنْ يَأْخُذُونِي عَنُوءٌ * أَقْرَنُ إِلَى سَيْرِ الرِّكَّابِ وَأُجْنِبُ
وَيَكُونُ مَرْجُوكُ الْقَعُودِ وَحِدْجُهُ * وَأَبْنُ النَّعَامَةِ يَوْمَ ذَلِكَ مَرْكَبِي

٩٣
٩

- الناس يَرَوْنَ هذه الأبيات لعنترة بن شداد البهسي^(١)، وذكر الجاحظ أنها لخز بن
لؤذان، وهو الصحيح. وخز شاعر قديم يقال إنه قبل أمرئ القيس. وقد اختلف
١٠ في معنى قوله «أبن النعام» فقال أبو عبيدة والأصمعي: النعام فرسه وأبنها ظلها.
يقول: أقاد في الهاجة إلى جنبها فيكون ظل كالأكب لظلها. وقال أبو عمرو
الشياني: ابن النعام مقدم رجله مما يلي الأصابع. يقول: فلا يكون لي مركب
إلا رجلى. وقال خالد بن كلثوم: ابن النعام الخشبة التي يصلب عليها. يقول:
أقتل وأصلب فتكون الخشبة مركبي. وأحتج من ذكر أنه يعني ظل فرسه وأنه يكون
١٥ كالراكب له بقول الشاعر:

إِذَا ظَلَّ يَحْسَبُ كُلُّ شَيْءٍ فَارِسًا * وَيَرَى نَعَامَةً ظَلَّهُ فَيَحُولُ

قال: وأبن النعام: ظل كل شيء. وقد مضى هذا الصوت مفرداً مع خبره
في موضع آخر.

٢٠ (١) القعود: من الابل ما اتخذته الراعي للركوب وحمل الزاد والمناخ. والحدج: مركب من
مراكب النساء نحو الهودج والمحفة. (٢) كذا في القاموس (في مادة «لؤذ») وفي الأصول:
«حزن» وهو تحريف.

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا أحمد بن يزيد المَهَلَّبِيّ قال حدثنا حماد بن إسحاق قال :
زار الرّشيدُ عَلِيَّةَ فقال لها : بالله يا أُخْتِي غَنّيني . فقالت : وحياتِكَ لأعملنَّ
فيك شعراً ولاعملنَّ فيه لحناً ، فقالت من وقتها :

صوت

تَفْدِيكَ أَخْتُكَ قَدْ حَبَوْتَ بِنِعْمَةٍ * لَسْنَا نَعُدُّهَا الزَّمانَ عَدِيلاً
إِلَّا الْخُلُودَ ، وَذَاكَ قَرُبُكَ سَيِّدِي * لَا زَالَ قَرُبُكَ وَالْبَقَاءُ طَوِيلاً
وَحَمِدْتُ رَبِّي فِي إِجَابَةِ دَعْوَتِي * فَرَأَيْتُ حَمْدِي عِنْدَ ذَاكَ قَلِيلاً
وَعَمِلْتُ فِيهِ لِحْنًا مِنْ وَقْتِهَا فِي طَرِيقَةِ خَفِيفِ الرَّمْلِ ، فَأَطْرَبَ الرَّشِيدَ وَشَرِبَ عَلَيْهِ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ .
قال : وقالت للرّشيد أيضاً وقد طلب أختها ولم يطلبها .

طلب الرّشيد أختها
ولم يطلبها فقالت
شعراً وبعثت من
غناه له فأحضرها

صوت

مَالِي نَسِيتُ وَقَدْ نُودِيَ بِأَصْحَابِي * وَكُنْتُ وَالذِّكْرُ عِنْدِي رَائِحٌ غَادِي
أَنَا الَّتِي لَا أَطِيقُ الدَّهْرَ فُرْقَتَكُمْ * فَارْقِّ لِي يَا أَخِي مِنْ طَوْلِ إِبْعَادِ
قال : وَغَنَّتْ فِيهِ لِحْنًا مِنَ الثَّقِيلِ الثَّانِي ، وَبَعَثَتْ مِنْ غَنَائِهِ لِلرّشِيدِ ، فَبَعَثَ فَأَحْضَرَهَا .

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني عَوْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنِي زُرَّوْرُ الْكَبِيرُ
غلام جعفر بن موسى الهادي :
أَنَّ عَلِيَّةَ حَجَّتْ فِي أَيَّامِ الرَّشِيدِ ، فَلَمَّا أَنْصَرَفَتْ أَقَامَتْ بِطَيْرِزَابَادَ^(٢) أَيَّامًا ، فَأَتَتْهُ
ذَلِكَ إِلَى الرَّشِيدِ فَغَضِبَ . فقالت عَلِيَّةُ :

حجت وتأخرت
فذكر الرّشيد
فنظمت شعراً
وغته فرضى عنها

(١) في ٣ ، ٤ : « في البقاء » . (٢) كذا في معجم البلدان لياقوت . وطيرزاباذ :

موضع بين الكوفة والقادسية ، كان من أنزه المواضع محفواً بالكروم والشجر والحانات والمعاصر ، وكان من المواضع المقصودة للهو والبطالة . وفي الأصول : « طير تاباذ » وهو تحريف .

صوت

- أَيُّ ذَنْبٍ أَذْنَبْتُهُ أَيُّ ذَنْبٍ * أَيُّ ذَنْبٍ لَوْلَا رَجَائِي لِرَبِّي
بِمُقَامِي بِطَيْنَ نَابَازٍ يَوْمًا * بَعْدَهُ لَيْلَةٌ عَلَى غَيْرِ شُرْبٍ
ثُمَّ بَاكَرْتُهَا عُقَارًا شَمُولًا * تَفْتِنُ النَّاسِكَ الْحَلِيمَ وَتُضَيِّ
قَرَقَقًا قَهْوَةً تَرَاهَا جَهُولًا * ذَاتَ حِلْمٍ فَرَّاجَةً كُلَّ كَرْبٍ
- قال: وصنعت في البيتين الأولين لحنا من خفيف الثقيل، وفي البيتين الآخرين لحنا من الرمل. فلما جاءت وسميع الشعر والمخنين رضي عنها.

٩٤

٩

- أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني عبد الله بن المعتز قال حدثني عبد الله بن إبراهيم بن المهدي قال: اشتاق الرشيد وهو بالرقعة فطلبها لجاهله وقالت شعرا وعملت فيه لحنا
- أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني عبد الله بن المعتز قال حدثني عبد الله بن إبراهيم بن المهدي قال: اشتاق الرشيد إلى عمته بالرقعة، فكتب إلى خاله يزيد بن منصور في إخراجها إليه فأخرجها. فقالت في طريقها:

صوت

- اشْرَبْ وَغَنِّ عَلَى صَوْتِ النَّوَاعِيرِ * مَا كُنْتُ أَعْرِفُهَا لَوْلَا ابْنُ مَنْصُورٍ
لَوْلَا الرِّجَاءُ لِمَنْ أَمَلْتُ رُؤْيَاهُ * مَا جُرْتُ بِغَدَادٍ فِي خَوْفٍ وَتَغْرِيرٍ
وَعَمِلْتُ فِيهِ لَحْنًا فِي طَرِيقَةِ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ.

١٥

- أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني أحمد بن محمد بن إسحاق قال حدثنا الهشام بن أبو عبد الله قال: كانت مع الرشيد في الرقعة فغنت إلى المراق بشعر فردها
- لما خرج الرشيد إلى الرقي أخذ أخته علية معه. فلما صار بالمرج عملت شعرا وصاغت فيه لحنا في طريقة الرمل وغنت به، وهو:

- (١) المرج: يريد به مرج القلعة، بينه وبين حلوان منزل إلى جهة همدان. كذا ذكر ياقوت في معجمه وذكر البيتين الوارد في هذه القصة.

٢٠

صوت

وَمُغْتَرِبٍ بِالْمَرْجِ يَبْكِي لِشَجْوِهِ * وَقَدْ غَابَ عَنْهُ الْمُسْعِدُونَ عَلَى الْحَبِّ
إِذَا مَا أَتَاهُ الرُّكْبُ مِنْ نَحْوِ أَرْضِهِ * تَلْشَقُ يَسْتَشْفِي بِرَائِحَةِ الرُّكْبِ
فَلَمَّا سَمِعَ الصَّوْتَ عَلِمَ أَنَّهَا قَدْ أَشْتَاكَتْ إِلَى الْعِرَاقِ وَأَهْلِهَا بِهِ فَرَدَّهَا .

ونسختُ من كتاب هارون بن محمد الزِّيَّاتِ حَدَّثَنِي بَعْضُ مَوَالِي أَبِي عَيْسَى بْنِ
الرَّشِيدِ عَنْ أَبِي عَيْسَى: أَنَّ عَلِيَّةَ غَنَّتِ الرَّشِيدَ فِي يَوْمِ فِطْرِ:

صوت

طَالَتْ عَلَى لَيْلَى الصَّوْمِ وَأَتَّصَلْتُ * حَتَّى لَقَدْ خَلَّيْتُهَا زَادَتْ عَلَى الْإَبْدِ
شَوْقًا إِلَى مَجْلِسِ يُرْهِى بِصَاحِبِهِ * أُعِيدُهُ بِجَلَالِ الْوَاحِدِ الصَّمَدِ

١٠ الغِنَاءُ لَعُليَّةَ ثَانِي ثَقِيلٌ لَا يُشَكُّ فِيهِ، وَذَكَرَ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّهُ لِلوَائِقِ، وَذَكَرَ آخَرُونَ
أَنَّهُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ الرَّبَّيعِيِّ . وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ لَعُليَّةَ . وَفِيهِ لَعَرِيبٌ ثَقِيلٌ أَوَّلُ غَنَّتْهُ
الْمُعْتَمِدَ يَوْمَ فِطْرِ فَأَمَرَ لَهَا بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ .

وقال ميمون بن هارون حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ أَبُو الْجَهْمِ قَالَ :

كَانَ لَعُليَّةَ وَيُكَلِّمُهَا سَبَاعٌ، فَوَقَفْتُ عَلَى خِيَانَتِهِ فَضَرَبْتُهُ وَحَبَسْتُهُ، فَاجْتَمَعَ
جِيرَانُهُ إِلَيْهَا فَعَزَفُوهَا بِحَمِيلٍ مَذْهَبِهِ وَكَثْرَةَ صِدْقِهِ، وَكَتَبُوا بِذَلِكَ رَقْعَةً، فَوَقَعْتُ فِيهَا:

أَلَا أَيُّهَا الزَّاكِبُ الْعَيْسَ بَلَّغْنِي * سَبَاعًا وَقُلْ إِنِّ ضَمَّ دَارَكُمْ السَّفَرُ^(١)
أَتَسْلُبُنِي مَالِي وَإِنْ جَاءَ سَائِلٌ * رَقَّقْتَ لَهُ إِنْ حَطَّه نَحْوَكَ الْفَقْرُ^(٢)
كَشَافِيَةِ الْمَرَضَى بِعَائِدَةِ الزَّنَا * تَوَمَّلْ أَجْرًا حَيْثُ لَيْسَ لَهَا أَجْرُ

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ . وَالْأَظْهَرُ أَنَّ تَكُونُ «ضَمَّ رَكْبِكُمْ» أَوْ «حَلْ — أَوْ جَازَ — دَارَكُمْ السَّفَرُ»

٢٠ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ . (٢) السَّفَرُ : الْقَوْمُ الْمَسَافِرُونَ .

ضربت ويلها
سباعا وحبسته
نليانته فشفع فيه
جيرانه فقالت شعرا

تركت الذناء لموت
الرشيد فألح عليها
الأمين فغنته

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني ميمون بن هارون قال حدثتني عَلمُ السَّمراءُ
جارية عبد الله بن موسى الهادي أنها شهدت عُلَيَّةَ غَنَّتْ الأَمِينَ في شعر لها ، وهو
آخر شعر قالته فيه ، وطريقته من الثقيل الثاني . وكانت لما مات الرشيد جَزَعَتْ
جَزَعًا شَدِيدًا وتركت النَّبِيذَ والغِنَاءَ . فلم يزل بها الأَمِينُ حتى عادت فيهما
على كره . والشعر :

صوت

أَطْلَتِ عَاذِلَتِي لَوَمِي وَتَفْنِيدِي * وَأَنْتِ جَاهِلَةٌ شَوْقِي وَتَسْهِيدِي
لَا تَشْرَبِ الرَّاحِ بِبَيْنِ الْمُسْمِعَاتِ وَزُرْ * ظَنِيًّا غَيْرِيًّا نَقِيَّ الْخَدِّ وَالْحِيدِ
قَدْ رَحَّتْهُ شُمُولٌ فَهُوَ مُنْجَدِلٌ * يَتَحَكَّى بِوَجْتِهِ مَاءَ الْعَنَاقِيدِ
قام الأَمِينُ فَاغْنَى النَّاسَ كُلَّهُمْ * فَمَا فَقِيرٌ عَلَى حَالٍ بِمَوْجُودِ
لَحْنُ عُلَيَّةَ فِي هَذَا الشَّعْرِ ثَانِي ثَقِيلٌ . وَلَعَرِيبَ فِيهِ هَزَجٌ ، وَقِيلَ إِنَّ الْمَهْزَجَ لِإِبْرَاهِيمَ
ابن المهدي .

٩٥
٩

وقال ميمون بن هارون حدثني محمد بن أبي عون قال حدثتني عَرِيبُ أَنَّ عُلَيَّةَ
قَالَتْ فِي لُبَانَةٍ بَنَتْ أَخِيهَا عَلَى بْنِ الْمَهْدِيِّ شَعْرًا وَغَنَّتْ فِيهِ مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ :
قَالَتْ شَعْرًا فِي لُبَانَةٍ
بَنَتْ أَخِيهَا عَلَى بْنِ
الْمَهْدِيِّ وَغَنَّتْ فِيهِ

صوت

وَحَدَّثَنِي عَنْ مَجْلِسِ كُنْتِ زَيْنَهُ * رَسُولُ أَمِينٍ^(٢) وَالنِّسَاءُ شُهُودُ
فَقُلْتُ لَهُ كَرُّ الْحَدِيثِ الْإِذْيِ مَضَى^(١) * وَذِكْرُكَ مِنْ ذَاكَ الْحَدِيثِ أُرِيدُ
وَقَدْ ذَكَرَ الْهَشَامِيُّ أَنَّ هَذَا اللَّحْنَ لِإِسْحَاقَ غَنَّاهُ بِالرَّقَّةِ . وَلَيْسَ ذَلِكَ بِصَحِيحٍ .

(١) في ح : « فقلت لها كرى » . (٢) في ب ، س : « من بين الحديث » .

سميها إسماعيل
ابن الهادي تغني
مستترة عند المأمون
وأذهله غناؤها

أخبرني محمد بن يحيى عن عَوْن بن محمد عن أبي أحمد بن الرّشيد، ونسخت هذا الخبر من كتاب محمد بن الحسن عن عَوْن بن محمد عن أبي أحمد بن الرّشيد واللفظ له قال : دخل يوماً إسماعيل بن الهادي إلى المأمون ، فسمع غناءً أذهله . فقال له المأمون : مالك ؟ قال : قد سمعتُ ما أذهلني ، وكنتُ أكذبُ بأن الأُرغُن الرُّوميّ يقتل طرباً ، وقد صدقتُ الآن بذلك . قال : أو لا تدري ما هذا ؟ قال : لا والله ! قال : هذه عمّتك عليّة تُلقِي على عمّك إبراهيم صوتاً من غنائها . إلى هاهنا رواية محمد ابن يحيى . وفي رواية محمد بن الحسن قال : هذه عمّتك تُلقِي على عمّك إبراهيم صوتاً استحسنه من غنائها . فأصغيتُ إليه فإذا هي تُلقِي عليه :

صوت

ليس خطبُ الهوى بخطبِ يسير * ليس يُنْيِكُ عنه مثْلُ حبير
ليس أمرُ الهوى يُدَبَّرُ بالرأ * ي ولا بالقياس والتفكير
الْحَنُّ في هذا لعليّة ثَقِيلٌ أوَّل . وفيه لإبراهيم بن المهديّ ثاني ثَقِيلٌ عن الهشام .

تسوفيت ولها
خمسون سنة ،
وسبب وفاتها

أخبرني بِحُظَّةُ قال حدّثني هبةُ الله بن إبراهيم بن المهديّ عن أبيه :
أَنَّ عَلِيَّةَ بِنْتَ المَهْدِيِّ وُلِدَتْ سَنَةَ سِتِّينَ وَمِائَةَ ، وَتُوفِيَتْ سَنَةَ عَشْرٍ وَمِائَتَيْنِ (١)
ولها خمسون سنة . وكانت عند موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن عليّ بن عبد الله ابن عباس . وأخبرني محمد بن يحيى عن عَوْن بن محمد قال حدّثني محمد بن عليّ بن عثمان قال : ماتت عليّة سنة تسع ومائتين ، وصَلَّى عليها المأمون . وكان سبب وفاتها أَنَّ المأمون ضَمَّها إليه وجعل يقبِّلُ رأسها ، وكان وجهها مُغَطَّى ، فَشَرِقَتْ من ذلك وسعلت ثم حُمَتْ بعقب هذا أياماً يسيرةً وماتت .

(١) في الأصول : « ست عشرة ومائتين » والتصويب عن نهاية الارب والنجوم الزاهرة .

وممن صنع من أولاد الخلفاء أبو عيسى بن الرشيد

فرن - صنعته :

صوت

قام بقلبي وقعد * ظبي نقي عنى الجلد
خلفني مدحاً * أهيهم في كل بلد
أسهرني ثم رقد * وما رثي لي من كد
ظبي إذا أزددت له * تذلاً تاه وصد
واعطشنا إلى فسيم * يمجج نحرًا من برد

٩٦
٩

عروضه من مجزوء الرجز. وأنشعر والغناء لأبي عيسى بن الرشيد، ولحنه فيه ثقل أول
مطلق في مجرى الوسطى من رواية عبد الله بن المعتز والهشامي. وذكر الهشامي أن
له أيضًا فيه لحنًا من ثقل الرمل، وذكر حبش أن الرمل لحسين بن محرز. وفيه
لأبي العباس بن حمدون خفيف ثقل.

أخبار أبي عيسى بن الرشيد ونسبه

اسمه أحمد، وقيل بل اسمه صالح بن الرشيد. وهذا النسب أشهر من أن يُشرح. شيء من أوصافه وأمه أم ولدٍ بربرية. وكان من أحسن الناس وجهاً ومجالسةً وعشرةً، وأجملهم وأحدهم نادرةً وأشدّهم عبثاً. وكان يقول شعراً ليناً طيباً من مثله.

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد الوراق قال كان جميل الوجه حدثني محمد بن عبيد الله بن طاهر أنه سمع أباه يقول: سمعتُ أبي (يعني طاهر ابن الحسين) يحدث أنه سمع الرشيد يقول للأُمون: أنت تعلم أنك أحب الناس إلى، ولو أستطيع أن أجعل لك وجه أبي عيسى لفعلت.

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني مسيح بن حاتم العكلي قال حدثنا إبراهيم بن محمد قال: ١٠

كان يقال: انتهى جمال ولد الخلافة إلى أولاد الرشيد، ومن أولاد الرشيد إلى محمد وأبي عيسى. وكان أبو عيسى إذا عزم على الركوب جلس الناس له حتى يروه أكثر مما يجلسون للخلفاء.

حدثني محمد قال حدثني يعقوب بن بنان قال حدثني علي بن الحسين الإسكافي قال: ١٥ كذت عند أبي الصقر إسماعيل بن بلبل وعنده عريب، فسمعتها تقول: انتهى جمال الرشيد إلى محمد الأمين وأبي عيسى، ما رأى الناس مثلهما، وكان المعتر في طرازهما. قال: وسمعتها تقول لأبي العباس بن حمدون: ما غناؤك من غناء أبي عيسى ابن الرشيد! وما سمعت قط غناء أحسن من غناؤه، ولا رأيت وجهاً أحسن من وجهه.

(١) كذا في ١، ٢، ٣. وفي ح: «في غنائك من غناء أبي عيسى الخ». وفي ب، س: «في غنائك مشابة من غناء أبي عيسى الخ». ٢٠

مدحت عريب
حسنه وغناه

- أخبرني محمد قال حدثني الغلابي قال حدثنا يعقوب بن جعفر قال .
 قال الرشيد من
 جواب له في صباه
 وقبله
- قال الرشيد لأبي عيسى آبنه وهو صبي : ليت جمالك لعبد الله (يعني المأمون) .
 فقال له : على أن حظه منك لي . فعيجب من جوابه على صباه وضمه إليه وقبله .
- وأخبرني الحسن بن علي وأحمد بن عبيد الله بن عمار قالا حدثنا عبد الله بن
 أبي سعد عن محمد بن عبد الله بن طاهر عن أبيه قال :
 شخص من رؤية
 هلال شهر رمضان
- حدثني من شهد المأمون ليلة وهم يترأءون هلال شهر رمضان وأبو عيسى
 أخوه معه وهو مستلق على قفاه ، فرأوه وجعلوا يدعون . فقال أبو عيسى قولاً أنكر
 عليه في ذلك المعنى . كأنه كان متسخطاً لورود الشهر ، فما صام بعده .
- أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا الحسين بن فهم قال : قال أبو عيسى بن الرشيد :
 ١٠ دهاني شهر نصوم لا كان من شهر * وما ضمت شهرًا بعده آخر الدهر
 فلو كان يعديني الإمام بقدره * على الشهر لاستعديت جهدي على الشهر
 فناله بعقب قوله هذا الشعر صرع ، فكان يصرع في اليوم مرّات إلى أن مات ، ولم
 يبلغ شهرًا آخر .
- وذكر علي بن الهشام عن جده آبن حمدون قال : قلت لإبراهيم بن المهدي :
 ١٥ من أحسن الناس غناء ؟ قال : أنا . قلت : ثم من ؟ قال : أبو عيسى بن الرشيد .
 قلت : ثم من ؟ قال : مخارق .
- أخبرني الحسن بن علي قال حدثني آبن أبي سعد قال حدثنا محمد بن عبد الله
 آبن طاهر قال حدثنا محمد بن سعيد أخو غالب الصّعدى^(١) قال :
 عابث طاهر بن
 الحسين أمام
 المأمون فغضب
 قرضاه
- كان أبو عيسى بن الرشيد وطاهر بن الحسين يتغديان مع المأمون ، فأخذ
 ٢٠ أبو عيسى هندباء فغمسها في الخل وضرب بها عين طاهر الصحيحة . فغضب طاهر^(٢)
 (١) هذه النسبة إلى صعدة ، وهي من بلاد اليمن . (٢) الهندباء : صفتان من النبات : أحدهما
 قريب الشبه من الخس عريض الورق ، والآخر أدق وأرق منه وفي طعمه سراحة . (انظر مفردات
 ابن البيطار طبعة بلاق ج ٢ ص ١١٨) .

وَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِحْدَى عَيْنَيَّ ذَاهِبَةً ، وَالْأُخْرَى عَلَى يَدَيَّ
مَذْلُومَةً ، يُفْعَلُ هَذَا بِي بَيْنَ يَدَيْكَ !! فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ : يَا أَبَا الطَّيِّبِ إِنَّهُ وَاللَّهِ لَيَعْبَثُ
بِي أَكْثَرَ مِنْ هَذَا الْعَبَثِ .^(١)

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو سَعْدٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
عَزَّصَ يَعْقُوبُ بْنُ
الْمَهْدِيِّ فَضَحَكَ
الْمَأْمُونُ وَنَهَاةً

أَبْنِ طَاهِرٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو عِيْسَى بْنُ عَلِيٍّ بْنُ عِيْسَى بْنُ مَاهَانَ قَالَ :

بَيْنَا الْمَأْمُونُ يَخُطِّبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ عَلَى الْمَنْبَرِ بِالرُّصَافَةِ وَأَخُوهُ أَبُو عِيْسَى تَلْقَاءَ وَجْهَهُ
فِي الْمَقْصُورَةِ ، إِذْ أَقْبَلَ يَعْقُوبُ بْنُ الْمَهْدِيِّ وَكَانَ أَفْسَى النَّاسِ ، مَعْرُوفًا بِذَلِكَ . فَلَمَّا أَقْبَلَ
وَضَعَ أَبُو عِيْسَى كَفَّهُ عَلَى أَنْفِهِ ، وَفَهِمَ الْمَأْمُونُ مَا أَرَادَ فَكَادَ أَنْ يَضْحَكَ . فَلَمَّا أَنْصَرَفَ
بَعَثَ إِلَى أَبِي عِيْسَى فَأَحْضَرَهُ وَقَالَ لَهُ : وَاللَّهِ لَهَمَمْتُ أَنْ أَبْطَحَكَ فَأَضْرِبَكَ مِائَةَ دَرَّةٍ !
وَيْلَكَ ! أَرَدْتُ أَنْ تَفْضَحَنِي بَيْنَ أَيْدِي النَّاسِ يَوْمَ جُمُعَةٍ وَأَنَا عَلَى الْمَنْبَرِ ! إِيَّاكَ أَنْ

تَعُودَ لِمِثْلِ هَذِهِ ! . قَالَ : وَكَانَ يَعْقُوبُ بْنُ الْمَهْدِيِّ لَا يَقْدِرُ أَنْ يُمَسِكَ الْقَسَاءَ إِذَا جَاءَهُ ،
فَاتَّخَذَتْ لَهُ دَايَةً مُثَلَّثَةً وَطَيَّبَتْهَا وَتَنَوَّقَتْ فِيهَا . فَلَمَّا وَضَعَتْهَا تَحْتَهُ فَمَّا ، فَقَالَ : هَذِهِ
لَيْسَتْ بِطَيِّبَةٍ . فَقَالَتْ لَهُ الدَّايَةُ : فِدَيْتُكَ ! هَذِهِ قَدْ كَانَتْ طَيِّبَةً وَهِيَ مُثَلَّثَةٌ ، فَلَمَّا رُبَعْتُهَا
فَسَدَتْ . قَالَ : وَكَانَ يَعْقُوبُ هَذَا مُحَقِّقًا ، كَانَ يَخْطُرُ بِبَالِهِ الشَّيْءُ فَيُشْتَبِهُ فَيُثَبِّتُهُ

فِي إِحْصَاءِ خَزَائِنِهِ . فَضَحَّ خَازِنُهُ مِنْ ذَلِكَ ، فَكَانَ يُثَبِّتُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُثَبِّتُ تَحْتَهُ أَنَّهُ
لَيْسَ عِنْدَهُ ، وَإِنَّمَا أُثَبِّتَهُ لِيَكُونَ ذِكْرُهُ عِنْدَهُ إِلَى أَنْ يَمْلِكَهُ . فَوُجِدَ فِي دَفْتَرِهِ فِيهِ
تَبَتُّ ثِيَابٍ : « تَبَتُّ مَا فِي الْخَزَانَةِ مِنَ الثِّيَابِ الْمَثْقَلَةِ الْإِسْكَدَرَانِيَّةِ وَالْهَشَامِيَّةِ ، لِأَشْيَاءِ
— أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ — بَلْ عِنْدَنَا مِنْهَا زُرْحِيَّةٌ كَانَتْ لِلْمَهْدِيِّ . الْفُصُوصُ الْيَاقُوتُ الْأَحْمَرُ
الَّتِي مِنْ حَالِهَا كَذَا وَكَذَا لَا شَيْءَ — أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ — بَلْ عِنْدَنَا مِنْهَا دُرٌّ كَانَ فِيهِ

(١) فِي ح ، ب ، س : « مَعَى » . (٢) كَذَا فِي ح . وَفِي سَائِرِ الْأَصُولِ : « ... دَفْتَرُهُ عِنْدَهُ

لَهُ فِيهِ » . (٣) ظَاهِرٌ مِنَ السِّيَاقِ أَنَّهَا ضُرِبَ مِنَ الثِّيَابِ ، وَلَمْ نَعْرِ عَلَيْهَا فَمَا عَرَفْنَاهُ مِنْ مِثْلِهَا .

للهدى خاتم هذه صفته . فحمل ذلك الدفتر الى المأمون ، فضحك لما قرأه
حتى فخص برجله وقال : ما سمعتُ بمثل هذا قط . .

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا سليمان بن داود المهلبى قال حدثني الهيثم
ابن محمد بن عباد عن أبيه قال : كان المأمون يحبه
ورغبني أن يلى الأمر
بعده

كان المأمون أشد الناس حبا لأبي عيسى أخيه ، كان يُعده للأمر بعده ، وتذاكرنا
ذلك كثيرا . وسمعته يقول يوما : إنه ليسهل على أمر الموت وفقد الملك ، وما يسهل
شيء منهما على أحد ، وذلك لحبتي أن يلى أبو عيسى الأمر من بعدى لشدة حبي لإياه .

أخبرني محمد بن عيسى قال حدثني عبد الله بن المعتز قال :
كان سبب موت أبي عيسى بن الرشيد أنه كان يحب صيد الخنازير ، فوقع
عن دابته فلم يسلم دماغه ، فكان يخبط في اليوم مرات إلى أن مات .

حدثني محمد قال حدثنا أبو العيَّان قال حدثنا محمد بن عباد المهلبى قال :
لما مات أبو عيسى بن الرشيد دخلت إلى المأمون وعمامتى على ، فخلعت عمامتى
ونبذتها وراء ظهري — والخلفاء لا تعزى في العمام — ودنوت . فقال لى : يا محمد ،
حال القدر دون الوطر . فقلت : يا أمير المؤمنين ، كل مصيبة أخطأتك تهون ، فجعل
الله الحزن لك لا عليك .

أخبرنا محمد قال حدثنا عون بن محمد قال سمعت هبة الله بن إبراهيم يقول :
مات أبو عيسى بن الرشيد سنة تسع ومائتين ، وصلى عليه المأمون ونزل في قبره ،
وأمتنع من الطعام أياما حتى حاف أن يضرب ذلك به .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمَّار قال حدثني أبو العيَّان قال سمعت محمد
ابن عباد يقول : وجد عليه المأمون
وجدا شديدا

لَمَّا تَوَفَّى أَبُو عَيْسَى بْنُ الرَّشِيدِ وَجَدَ الْمَأمُونَ عَلَيْهِ وَجَدًا شَدِيدًا، وَكَانَ لَهُ مُجِبًا وَإِلَيْهِ مَائِلًا. فَرَكِبَ إِلَى دَارِهِ حَتَّى حَضَرَ أَمْرَهُ وَصَلَّى عَلَيْهِ، وَحَضَرَهُ النَّاسُ، وَكُنْتُ فِيْمَنْ حَضَرَ، فَمَا رَأَيْتُ مُصَابًا حَزِينًا قَطُّ أَجْلَ أَمْرًا فِي مُصِيبَةٍ وَلَا أَحْرَقَ وَجَدًا مِنْهُ مِنْ رَجُلٍ صَامَتِ تَجْرَى دُمُوعُهُ عَلَى خَدَّيْهِ مِنْ غَيْرِ كَلْحٍ وَلَا اسْتِنْتَارٍ^(١).

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو سَعْدٍ الْوَرَّاقُ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادَ :
دَخَلْتُ عَلَى الْمَأمُونَ فِي أَوَّلِ صَحْبَتِي إِيَّاهُ وَقَدْ تَوَفَّى أَخُوهُ أَبُو عَيْسَى وَكَانَ لَهُ مَجِبًا وَهُوَ يَبْكِي وَيَمْسَحُ عَيْنَيْهِ بِمَنْدِيلٍ، فَقَعَدْتُ إِلَى جَنْبِ عَمْرِو بْنِ مَسْعَدَةَ وَتَمَثَّلْتُ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

نَقَصُ مِنَ الدُّنْيَا وَأَسْبَابُهَا * نَقَصُ الْمَنَآيَا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ
وَلَمْ يَزَلْ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ سَاعَةً يَبْكِي، ثُمَّ مَسَحَ عَيْنَيْهِ وَتَمَثَّلَ :

سَابِكُكَ مَا فَاضَتْ دُمُوعِي فَإِنْ تَغَضَّ * فَخَسْبُكَ مَنَى مَا تُجِنُّ الْجَوَانِحَ
كَأَنَّ لَمْ يَمُتْ حَتَّى سَوَاكَ وَلَمْ تَنْعُ * عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَيْكَ الذَّوَانِحُ
ثُمَّ التَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ : هَيْه يَا أَحْمَدُ ! نَتَمَثَّلْتُ قَوْلَ عَبْدِ بْنِ الطَّيِّبِ :

عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ * وَرَحْمَتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَرْجَحَا
نَحِيَّةً مَنْ أَوْلَيْتَهُ مِنْكَ نِعْمَةً * إِذَا زَارَ عَنْ شَحْطِ بِلَادِكَ سَلَمًا
وَمَا كَانَ قَيْسٌ هُلُكُهُ هُلُكَ وَاحِدٍ * وَلَكِنَّهُ بَنَانُ قَوْمٍ تَهْدَمَا

فَبَكَى سَاعَةً ثُمَّ التَفَتَ إِلَى عَمْرِو بْنِ مَسْعَدَةَ فَقَالَ : هَيْه يَا عَمْرُو ! قَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
بَكُّوا حَذِيفَةَ لَمْ تُبَكُّوا مِثْلَهُ * حَتَّى تَعُودَ قِبَائِلُ لَمْ تُخْلَقِ

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ . وَالَّذِي فِي كِتَابِ اللَّغَةِ : كَلَحَ وَجْهَ الرَّجُلِ كَلَحًا وَكَلَاحًا (كَفَرَاب) :

تَكَثَّرَ فِي عُبُوسٍ أَوْ عَيْسٍ فَأَنْرَطَ فِي تَعْبِهِ . وَالْاسْتِنْتَارُ : إِنْجَرَجَ مَا فِي الْأَنْفِ مِنْ أَدَى .

بكاه المأمون وتمثل
شعرا وعزاه فيه
ابن أبي دواد
وعمر بن مسعدة
وناحت عليه عريب

٥

١٠

١٥

٢٠

فإذا عَرِيبٌ وَجَوَارٍ معها يَسْمَعَنَّ ما يدور بيننا، فقلن : اجعلوا لنا معكم فؤاد القول نصيحا . فقال لها المأمون : قُولِي، فُربَّ صوابٍ منك كثير . فقالت :

كذا قَلِيلٌ الخَطْبُ وَلَيْفَدَجِ الأمرُ * وليس لعينٍ لم يَفِضْ مأوئها عُذْرُ^(١)

كَأَنَّ بنى العباسِ يومَ وفاته * نجومُ سماءٍ خرَّ من بينها البدر

فبكى وبكىنا . ثم قال لها المأمون : نُوحِي، فناحت ورَدَّ عليها الجوارى . فبكى المأمون حتى قلتُ : قد خرجتُ نفسهُ، وبكىنا معه أحْرَبَاءً، ثم أَمَسَكَتْ . فقال لها المأمون : اصْنَعِي فِيهِ لَحْنًا وَغَنِّي بِهِ . فصنعتُ فيه لَحْنًا على مذهب النُّوحِ وَغَنَّتْهُ إِيَّاهُ على العُودِ . فوالذي لا يُحْلَفُ بِأَجَلٍ منه لقد بَكَيْتُنا عليه غِنَاءً أَكْثَرُ مِمَّا بَكَيْتُنا عليه نَوْحًا .

أخبرني محمد بن يحيى قال حَدَّثَنَا الطَّبِيبُ بن محمد الباهلي قال حَدَّثَنِي موسى ابن سعيد عن أخيه عمرو قال :

طلب المأمون من أبي العتاهية أن يسليه عنه

٩٩
٩

لَمَّا مات أبو عيسى بن الرشيد وَجَدَ عليه المأمون وَجْدًا شَدِيدًا حتى أَمْتَنَعَ من التَّوْمِ ولم يَطْعَمْ شَيْئًا . فدخل عليه أبو العتاهية ، فقال له المأمون : حَدِّثْنِي : يَا بُنَا إِسْحَاقَ بِحَدِيثِ بعض الملوك من كان في مثل حالنا رفاقها . فقال : يا أمير المؤمنين ، ليس سليمان بن عبد الملك أنْفَرَ ثِيَابَهُ وَمَسَّ أَطْيَبَ طَابَهُ وَرَكِبَ أَفْرَهُ خَيْلَهُ وَتَقَدَّمَ إلى جميع مَنْ معه أن يركب في مِثْلِ زِيَّهِ وَأَكَلَ سِلَاحَهُ ، ونظر في مِرْآةٍ فأعجبته هَيْئَتُهُ وَحَسَنَتُهُ ، فقال : أنا الملك الشاب ، ثم قال لجارية له : كيف تَرَيْنَ ؟ فقالت :

أَنْتَ نَعِمَ الْمَتَاعُ لو كُنْتَ تَبَقَى * عَيْرَ أَنْ لَا بَقَاءَ لِلْإِنْسَانِ

أَنْتَ خَلَوْتَ مِنَ الْعُيُوبِ وَمِمَّا * يَكْرَهُ النَّاسُ غَيْرَ أَنَّكَ فَانِي

(١) يلحظ أن هذا الشعر لأبي تمام في رثاء محمد بن حميد الطوسي ، وقد قتل هذا الأمير في حرب كانت

بينه وبين أصحاب بابك الخرمي سنة ٢١٤ هجرية . والمراد هنا أن أبا عيسى بن الرشيد مات سنة ٢٠٩ هجرية ، فأمل هذا . وأصل الشعر « كان بنو نهان » فغير وجعل « كان بنو العباس » .

(٢) في ب ، س : « الطيب » .

فأعرض بوجهه ، فلم تدُرْ عليه الجمعة إلّا وهو في قبره . قال : فبكى المأمون والناس ،
فما رأيت بائِكًا أكثر من ذلك اليوم . قال : وهذان البيتان لموسى شهوات .

ومن غناء أبي عيسى وجيد صنعته ، والشعر له ، وطريقته من الثقيل الثاني مطلق
في مجرى البنصر . وذکر حبش أن فيه لحسين بن محرز أيضًا صنعة من خفيف الرمل :

صوت

رَقَدَتْ عَنْكَ سَلَوَتِي * وَالْهَوَى لَيْسَ يَرْقُدُ
وَأَطَارُ السُّهَادُ نَوَى * مَيَّ فَنَوِي مُشَرَّدُ
أَنْتَ بِالْحُسْنِ مِنْكَ يَا * حَسَنَ الْوَجْهِ تَشْمَدُ
وَفؤَادِي بِحُسْنِ وَجْهِ * يَهْكَ يَشْقَى وَيَكْدُ

ومن غنائه أيضًا وهو من صدور صنعته في شعر الأخطل — ولحنه من الثقيل الأول — :

صوت

إِذَا مَا زِيَادٌ عَلَّانِي ثُمَّ عَلَّانِي * ثَلَاثَ زُجَاجَاتٍ لَهْنٌ هَدِيرُ
نَحْرَجْتُ أَجْرَ الذَّيْلِ حَتَّى كَأَنَّي * عَلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمِيرُ
وَلَا يَحْتَاقُ فِي هَذَا الشَّعْرِ رَمْلٌ بِالْبَنْصَرِ عَنْ عَمْرُو .

*

وَمَنْ عُرِفَتْ لَهُ صِنْعَةٌ مِنْ أَوْلَادِ الْخُلَفَاءِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُوسَى الْهَادِي
فَمِنْ صِنْعَتِهِ :

صوت

تَقَاضَاكَ دَهْرُكَ مَا أَسْلَفَا * وَكَدَّرَ عَيْشَكَ بَعْدَ الصَّفَا
فَلَا تَجْزَعَنَّ فَإِنَّ الزَّمَانَ * رَهِينٌ بِتَشْتِيتِ مَا أَلْفَا
وَمَا زَالَ قَلْبُكَ مَأْوَى السَّرُورِ * كَثِيرَ الْهَوَى نَاعِمًا مُتَرَفَا
أَلْحَ عَلَيْكَ بِرَوْعَاتِهِ * وَأَقْبَلَ يَرْمِيكَ مُسْتَهْدِفَا

الشعر والغناء لعبد الله بن موسى . ولحنه مأخوذة وهو خفيف الثقيل الثاني بالوسطى .

أخبرني أحمد بن جعفر بحظرة قال حدثني أبو حشيشة قال :

- ب كان عبد الله بن موسى الهادي أضرب الناس بالعود وأحسنهم غناءً . وكان له غلام أسود يقال له قلم ، فعلمه الصوت وحدقه . فأشترته منه أم جعفر بثلاثمائة ألف درهم . قال أبو حشيشة فحدثني دلشاد غلام عبد الله بن موسى قال : كنت أنا وثقيف الخادم الأسود مولى الفضل بن الربيع نصارب مولاى عبد الله بن موسى . وقد أخذ النبيذ من الجماعة . فضرب عبد الله وثقيف صوتا فأختلفا فيه وتشابرا . فقال عبد الله : كذا أخذته من منصور زلزل . وقال ثقيف : كذا أخذته منه ، وطال تشابرها فيه . وكان ثقيف معريدا يذهب عقله من أدنى شيء يشربه ، وكان عبد الله أيضا معريدا . فغضب ثقيف ورفع العود وهو لا يعقل ، فضرب به رأس عبد الله ابن موسى فطوقه إياه . وأبتدر خدم عبد الله ؛ فقال لهم عبد الله بن موسى : لا تمسوه وأخرجوا العود من عنقي فأخرجوه . وكان عبد الله بن موسى أشد خلق الله عريدة أيضا ، فُرِزِقَ في ذلك اليوم حلما لم يرمثله ، وقال لخدمته : إن قتلتني قتل كلبا وتحديث الناس بذلك ، ولكن آخلعوا عليه وهبوا له ولا يدخل منزلي أبدا .

قال بحظرة قال أبو حشيشة أخبرني الحفصي المعرفي قال :

- ١٥ دعاني عبد الله بن موسى يوما ودعاني أخوه إسماعيل ؛ فأثرت إسماعيل لما كان في عبد الله من العريدة . فلم نشعر إلا بعبد الله قد وافانا وقت العصر على بردون أشهب متقلدا سيفا وهو سكران . فلما رأيناه تطايرنا في الحجر ، فنزل عن دابته وجلس . وجنا إسماعيل بين يديه إجلالا له ، وقال له : ياسيدي قد سررتني بتفضلك ومصيرك إلى . قال : دعني من هذا ، من عندك ؟ قال : فلان وفلان ، فعد جماعة من كان عنده . قال له : هاتهم . فدعا بنا فخرجنا وقد متنا فرعا . فأقبل علي من بينهم فقال لي : يا حفصي ! أبعث إليك ثلاثة أيام تباعا فتدعني وتجيء إلى إسماعيل ! وضرب بيده إلى سيفه ،

اختلف مع ثقيف الخادم في صوت ف ضرب ثقيف رأسه بالعود فلم عليه ، وكان معريدا

١٠٠
٩

دعا الحفصي فآثر عليه أخاه إسماعيل

فقام إسماعيل بنى وبينه وقال : نَعَمْ ! يَجِئْنِي وَبَدْعُكَ ؛ لَأَنَّهُ لَا يَنْصَرِفُ مِنْ عِنْدِكَ إِلَّا بِشَجَّةٍ أَوْ عَرَبْدَةٍ مَعَ حِرْمَانٍ ، وَلَا يَنْصَرِفُ مِنْ عِنْدِي إِلَّا بِرُحٍّ مَعَ خِلْعَةٍ وَوَعْدٍ مُحْصَلٍّ ، أَفْتَلَوْنَاهُ عَلَى ذَلِكَ ! . فَكَفَّ عَبْدُ اللَّهِ وَكَانَ شَدِيدَ الْعَرَبْدَةِ وَقَامَ وَأَنْصَرَفَ .

أَخْبَرَنِي الصُّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي عَوْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكِنْدِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ عَنْ أَبِيهِ سَلِيمَانَ بْنِ دَاوُدَ — وَكَانَ يَكْتُبُ لِأَبِي جَعْفَرٍ — قَالَ :

كُنْتُ جَالِسًا مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُوسَى الْهَادِي ، فَمَرَّ بِهِ خَادِمٌ لِصَالِحِ بْنِ الرَّشِيدِ . فَقَالَ لَهُ : مَا أَسْمُكَ ؟ فَقَالَ لَهُ : إِسْمِي ”لَا تَسْلَ“ . فَأَعْجَبَهُ حُسْنُهُ وَحُسْنُ مَنْطِقِهِ فَقَالَ لِي : قُمْ بِنَا حَتَّى تُسَرَّ الْيَوْمَ بِذِكْرِ هَذَا الْبَدْرِ ، فَقُمْتُ مَعَهُ . فَأَنْشَدَنِي فِي ذَلِكَ الْيَوْمَ :

وَشَادِنِ مَرَّ بِنَا * يَجْرَحُ بِاللَّحْظِ الْمُقْلَ

مَظْلُومَ خَصِيرِ ظَالِمٍ * مِنْهُ إِذَا يَمْشِي الْكَفْلَ

اعْتَدَلْتُ قَامَتُهُ * وَاللَّحْظُ مِنْهُ مَا عَدَلَ

بَدْرٌ تَرَاهُ أَبَدًا * طَالَعَ سَعِيدٌ مَا أَفْلَ

سَأَلْتُهُ عَنْ أَسْمِهِ * فَقَالَ لِي أَسْمِي ”لَا تَسْلَ“

وَأُطَاعَتْ فِي وَجْتِهِ * لَهُ وَرْدَتَانِ مِنْ نَجَلٍ

فَقُلْتُ مَا أَخْطَأَ مَنْ * سَمَّاكَ بِلِ قَالِ الْمَثَلِ

لَا تَسْأَلُنْ عَنْ شَادِنٍ * فَاقْ بِجَمَالٍ وَكَمَلٍ

قَالَ : وَقَالَ فِيهِ — وَقَدْ قِيلَ لِمَنَّهُ مِنْ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ — :

عَنْ الَّذِي نَهَوَى وَذَلَّ * صَبَّ الْفُؤَادِ مُحْتَبَلٍ

بَلَّ بِهِ الْهَجْرُ وَذَا الـ * هَجَرُ إِذَا بَلَ قَتَلَ

مَنْ شَادِنٍ مُتَطَيِّقٍ * فَاقْ بِجَمَالٍ وَكَمَلٍ

تَنَاصَفَ الْحُسْنَ بِهِ * فَلَا تَسْلَ عَنْ ”لَا تَسْلَ“

وقال حدثني محمد بن أحمد المكي عن أبيه قال :

دعاني عبد الله بن موسى يوماً فقال لي : أتقوم غلاماً ضارباً مغنياً قيمة عدلٍ
لا حيف فيه على البائع ولا على المشتري ؟ فقلت نعم . فأخرج إلى أبيه القاسم
وكنث قد عرفته ، وهو أحسن من القمر ليلة البدر ، فأخذ عوداً فضرب ، فأكببتُ
على يديه أقبلهما . فقال لي عبد الله : أتقبل يد غلام مملوك ! ! قلت : بأبي وأمي
هو من مملوك ! وقببتُ رجله أيضاً ، فقال : أما إذ عرفته فأحب أن تضاربه ، ففعلت .
فلما رأى الغلام زيادتي عليه في الضرب آغم وأقبل على أبيه فقال له كالمعتذر من
ذنبه : أنا متلذذٌ وهذا متكسبٌ . فضجحتُ وقلت : هو ذاك يا سيدي . وعجبت
من حدة جوابه معتذراً على صغريته .

كان له ابن جيد
الضرب وطلب إلى
المكي أن يقومه
مهما أنه مملوك

أخبرني الصولي قال حدثني عبد الله بن المعتز قال :

كان عبد الله بن موسى جواداً كريماً ممدحاً ، وفيه يقول الشاعر — وفيه لعلويه
لحن من خفيف الثقليل الأول بالنصر — :

كان كريماً ممدحاً

صوت

أعبد الله أنت لنا أمسيرٌ * وأنت من الزمان لنا مجيرٌ
حكيت أباك موسى في العطايا * إمام الناس والملك الكبير
قال محمد بن يحيى والعنابي : ولعبد الله بن موسى غناء في قول عمر بن أبي ربيعة -

غنى بشعر لعمر بن
أبي ربيعة

صوت

إق أسماء أرسلت * وأخوال الشوق مُرسِلُ
أرسلت تستريري * وتقدى وتعذل
ولحنه فيه رمل . قال : وفيه لابن سريج والغريض ومالك الحان .

٢٠

أخبرني علي بن سليمان الأخفش في كتاب المغتالين قال حدثني أبو سعيد
السكري عن محمد بن حبيب قال :

عبد الله بن موسى الهادي
نحبه ثم سمعته فأت

كان عبد الله بن موسى الهادي معرباً ، وكان قد أحفظ المأمون^(١) مما يعرف
عليه إذا شرب معه ، فأمر بأن يُحبس في منزله فلا يخرج منه ؛ وأُقيّد على باب حرساً .
ثم تذكّر من ذلك فأظهر له الرضا وصرف الحرس عن بابه ، ثم نادى فعرّب عليه
أيضاً وكلّمه بكلام أحفظه . وكان عبد الله مغرباً بالصيّد ، فأمر المأمون^(٢) خادماً من
خواصّ خدمه يقال له "حسين" فسّمّه في درّاج وهو بمرسى أباد ، فدعا عبد الله
بالعشاء ، فأتاه حسين بذلك الدّراج فأكله . فلما أحسّ بالسمّ ركب في الليل
وقال لأصحابه : هو آخر ماتروني . قال : وأكل معه من الدّراج خادمان ، فأما أحدهما
فمات من وقته ، وأما الآخر فبقى مدّة ثم مات ، ومات عبد الله بعد أيام .

٥

١٠

* *

وممن رويت له صنعة من أولاد الخلفاء عبد الله بن محمد الأمين

١٠٢
٩

فن مشهور صنعته :

ألا يا دير حنظلة المفدى * لقد أورتني سقماً وكداً^(٣)
أزف من العقار إليك دنا^(٤) * وأجعل تحته الورق المندي

١٥

الشعر والغناء لعبد الله بن محمد الأمين ، أخبرني بذلك محمد بن يحيى الصولي عن
عبد الله بن المعتز وله فيه لحنان خفيف رمل وخفيف ثقيل . وفيه لعبد الله بن
موسى الهادي رمل . وفيه ثاني ثقيل ، وذكر حبش — وهو ممن لا يُحصل قوله —
أنه لحنين ، ولم يصحّ عندنا من صانعه .

٢٠

(١) في ج : « وكان قد أعضل بالمأمون » أي أعياه أمره وضاق به الحيل فيه .
(٢) لم تقف على هذا الموضع . (٣) سيذكر المؤلف هذا الديرق في ص ٢٠٠ — ٢٠١ .
(٤) في أ ، م ، ح : « زفا » بالفاء وهي مصحفة عن « زفا » بالفاء .

أخبار عبد الله بن محمد ونسبه

عبدُ الله بن محمد الأمين بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب . وأمُّ عبد الله بن محمد أمُّ وَلَد . وكان ظريفاً غزيراً لا يقول شعراً ليناً ويصنع صنعةً صالحةً . وأمُّ محمد الأمين زُبَيْدَةُ بنتُ جعفر بن المنصور . وزبيدة لَقَبُ غَلَبَ عليها ، وأسمها أُمَّةُ العزيز . وكان المنصور يرقصها وهي صغيرة — وكانت سمينَةً حسنةَ البدن — فيقول لها : يا زُبَيْدَة يا زُبَيْدَة ، فغَلَبَ عليها ذلك .

نسبه

أخبرني الصولي قال حدثني عون بن محمد الكندي قال : كانت بين عبد الله بن محمد الأمين وبين أبي نهشل بن حميد مودة . فاعترض عبد الله جاريةً مغنيّةً لبعض نساء بني هاشم وأعطى بها مالاً عظيماً . فعرفت منه رغبةً فيها فزادت عليه في السّوم ، فتركها ليكرههم . فجاء أخ لأبي نهشل بن حميد فأشترها وزاد . فتبعها نفسُ عبد الله ، فسأل أبا نهشل أن يسأل أخاه النزول له عندها ، فسأله ذلك فومده ودافعه . فكتب عبد الله إلى أبي نهشل :

كان صديقا لأبي
نهشل فأحب جارية
اشترها أخوه
فكتب له شعرا
فأخذها له منه

يَا بَنَ حَمِيدٍ يَا أَبَا نَهْشَلٍ * مِفْتَاحَ بَابِ الْحَدِيثِ الْمُقْفَلِ
يَا أَكْرَمَ النَّاسِ وَدَادًا وَأَرْ * عَاهِمَ لِحَقِّ ضَائِعِ مُهْمَلِ
أَحْسَنْتَ فِي وَدِّي وَأَجْمَلْتَ بِلِ * جُرْتَ فِعَالِ الْحُسَيْنِ الْمُجْمَلِ
بِلَيْتِكَ فِي ذِي يَمَنِ شَاخٍ * تَقْصُرُ عَنْهُ قُتَّتَا يَدْبَلِ^(١)
خَلَقْتَ فِينَا حَاتِمًا دَا النَّدَى * وَجُدْتَ جَوْدَ الْعَارِضِ الْمُسِيلِ
أَيُّ أَخٍ أَنْتَ لِيذِي وَحْدَةٍ * تَرْكُتَهُ بِالْعِزِّ فِي جَحْفَلِ

نجومُ حَظَى مِنْكَ مَسْعُودَةٌ * فَمَا أَرْجَى لَسَنَ بِالْأَفْئِلِ
فَصَدَّقِ الظَّنَّ بِمَا قَلْتَهُ * وَسَهِّلِ الْأَمْرَ بِهِ يَسْهَلِ
لَا تَحْرِمْ نِيَّ وَلَدَيْكَ الْمُنَى * بِاللَّهِ صَيْدَ الرَّشَاءِ الْأَخْلِلِ
رُمِيتُ مِنْهُ بِسِهَامِ الْهَوَى * وَمَا دَرَى بِالرَّغْبِ فِي مَقْتَلِي
أَدْنَيْتَنِي بِالْوَعْدِ فِي صَيْدِهِ * إِذَا نَاءَ عَطْشَانٍ مِنَ الْمَنْهَلِ
ثُمَّ تَنَاسَيْتُ وَأَسْكَمْتَنِي * إِلَى مِطَالٍ مُوَحِّشِ الْمَنْزِلِ
تَرَكْتَنِي فِي لُحْيَةٍ عَائِمًا * لَا أَعْرِفُ الْمُدِيرَ مِنْ مُقْبِلِ
صَرَاحٍ بِأَمْرٍِ وَاضِحٍ بَيْنِي * لَا خَيْرَ فِي ذِي لَبْسٍ مُشْكِلِ

١٠٣
٩

قال : فلم يزل أبو نهشلٍ بأخيه حتى نزل له عنها .

وأخبرني الصُّوْلِيُّ أيضًا بغير إسناد، ووجدتُ هذا الخبر في كتابٍ لمحمد
ابن الحسن الكاتب يرويه عن أبي حسان الفَرَّازِيِّ قال :

خرج الى ضيعته
وتكاتب هو ونديمه
أبو نهشل يشعر

كَانَ أَبُو نَهْشَلٍ بْنُ حَمِيدٍ صَدِيقًا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَمِينِ وَنَدِيمًا لَهُ . وَكَانَتْ لِعَبْدِ اللَّهِ
صَبِغَةٌ بِالْأَسْوَدِ تُعْرَفُ بِالْعَمْرِيَّةِ ، فَفُجِرَ إِلَيْهَا وَأَقَامَ بِهَا أَيَّامًا ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو نَهْشَلٍ :
سَقَى اللَّهُ بِالْعَمْرِيَّةِ الْغَيْثَ مَازِلًا * حَلَلْتُ بِهِ يَا مُؤْنِسِي وَأَمِيرِي .
فَأَنْتَ الَّذِي لَا يَخْلُقُ الدَّهْرَ ذِكْرُهُ * وَأَنْتَ أَخِي حَقًّا وَأَنْتَ سِرُّوْرِي
فَأَجَابَهُ عَبْدُ اللَّهِ :

لَئِنْ كُنْتُ بِالْعَمْرِيَّةِ الْيَوْمَ لَاهِيًا * فَإِنَّ هَوَاكُمَ حَيْثُ كُنْتُ ضَمِيرِي
فَلَا تَحْسِبْنِي فِي هَوَاكُمَ مُقَصِّرًا * وَكُنْ شَافِعِي مِنْ مُخْطَطِكُمْ وَمُجِيرِي

قال محمد بن الحسن في خبره : وصنع عبد الله في هذه الأبيات الأربعة لحنًا، وصنع
فيها سُلَيْمٌ بْنُ سَلَامٍ لَحْنًا آخَرَ .

(١) في ح : « ما الرى » . (٢) حرك لضرورة الشعر . (٣) في الأصول : « فيه » .

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا عبد الله بن المعتز قال :
كان عبد الله بن محمد الأمين ينادم الوراق ثم نادى بعده سائر الخلفاء إلى المعتد .
قال : وأنشدني له في المعتد :

نادم الوراق
والخلفاء من بعده
إلى المعتد ،
وشعره فيه

رَأَيْتُ الْهَلَالَ عَلَى وَجْهِكَ * فَارْتَدْتُ أَدْعُو إِلَهِي لَكَ
فَلَا زِلَّاتٍ تَحِيَا وَأَحْيَا مَعًا * وَأَمْنِي اللَّهُ مِنْ فَقْدِكَ
قال : ومن شعره — وله فيه لحن من الرمل الثاني وهو خفيف الرمل — :

صوت

يَا مَنْ بِكُلِّ خَلْقٍ * تَرَاهُ صَبًا مُتِمًّا
وَمَنْ تَجَالَلَ نَيْمًا * فَبِهِ تَرَاهُ يُكَلِّمُ
لَا شَيْءَ أَعْجَبُ عِنْدِي * مِمَّنْ يَرَاكَ فَيَسَلِّمُ

فأما دير حنظلة الذي ذكره في شعره وفيه الغناء المذكور من صناعته متقدما ،
فإنه دير بالجزيرة . أخبرني بخبره هاشم بن محمد أبو دلف الخزازي قال حدثنا الرباشي
قال أنشدني أبو المحلم الحنظلة بن أبي عفراء أحد بني حبة الطائيين وهم رهط
أبي زبيد ورهط إياس بن قبيصة :
(١) (٢)

ومهما يكن رَيْبُ الزمانِ فَإِنِّي * أَرَى قَمَرَ اللَّيْلِ الْمُغْرَبِ كَالْفَتَى
يَهْلُ صَغِيرًا ثُمَّ يَعْظُمُ ضَوْؤُهُ * وَصُورُهُ حَتَّى إِذَا مَا هُوَ أَسْتَوَى
تَقَارِبُ يَنْخَبُ ضَوْؤُهُ وَشُعَاعُهُ * وَيَمْصَحُ حَتَّى يَسْتَسِيرَ فَلَا يُرَى
(٣)

(١) هو حرمة بن المنذر بن معد يكرب الطائي ، كان نصرانيا وهو من أدرك الجاهلية والإسلام .
(٢) انظر ترجمته في الأغاني ج ١١ ص ٢٤ طبع بلاق . (٣) كان واليا لكسرى على الحيرة بعد
قتله النعمان بن المنذر . (انظر تاريخ ابن الأثير ج ١ ص ٣٥٦ — ٣٦٩) . (٣) مصح : ٢٠
ذهب وانقطع .

كذلك زَيْدُ الْمَرْءِ ثُمَّ أَنْتَقَاصُهُ * وَتَكَرُّرُهُ فِي دَهْرِهِ بَعْدَ مَا مَضَى^(١)
تَصَبَّحَ أَهْلَ الدَّارِ وَالْدارُ زِينَةً * وَتَأْتَى الْجِبَالَ مِنْ شَمَارِيجِهَا الْعُلَا^(٢)
فَلَا ذَا غِنَى يُرْجَى عَنْ فَضْلِ مَالِهِ * وَإِنْ قَالَ أُخْرَى وَخُذْ رِشْوَةً أَبَى^(٣)
وَلَا عَنْ فَقِيرٍ يَأْتِيهِ لِقْفَرُهُ * فَتَنْفَعَهُ الشُّكْوَى إِلَيْهِ إِنْ شَكَّى
قال : وَكَانَ حَنْظَلَةُ هَذَا قَدْ تَعَبَّدَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَتَفَكَّرَ فِي أَمْرِ الْآخِرَةِ وَتَنَصَّرَ وَبَنَى دَيْرًا
بِالْحَزِيرَةِ ؛ فَهُوَ الْآنَ يُعْرَفُ بِهِ يَقَالُ لَهُ دَيْرُ حَنْظَلَةَ . وَفِيهِ يَقُولُ الشَّاعِرُ
يَا دَيْرَ حَنْظَلَةَ الْمَهْيِجِ لِي الْمَوَى * قَدْ تَسْتَطِيعُ دَوَاءَ عَشْقِ الْعَاشِقِ



وَمِنْ صَنَعٍ مِنْ أَوْلَادِ الْخُلَفَاءِ أَبُو عَيْسَى بْنُ الْمُتَوَكِّلِ

١٠ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُتَوَكِّلِ جَمَعَ لَهُ صِنْعَةً مَقْدَارُهَا أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثَةِ صَوْتٍ ، مِنْهَا الْجَيْدُ
الصَّنْعَةِ وَفِيهَا الْمُتَوَسُّطُ ، قَدْ سَمِعْنَا كَثِيرًا مِنْهَا ؛ إِلَّا أَنِّي أَذْكَرُ مِنْ ذَلِكَ بِهَا عَرَفْتُ شَاعِرَهُ
وَكَانَ لَهُ خَبَرٌ يَتَّصِلُ بِهِ حَسَبَ مَا شَرَطْنَا فِي هَذَا الْكِتَابِ وَضَمَّنَاهُ إِيَّاهُ مِنَ الْأَخْبَارِ ،
ثُمَّ أَذْكَرُ أَخْبَارَ أَبِي عَيْسَى بَعْدَ ذَلِكَ

١٥ قَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ حَدَّثَنِي الثَّمِيرِيُّ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَيْسَى بْنُ الْمُتَوَكِّلِ يَقُولُ : إِذَا أَتَمَمْتُ
صِنْعَةَ ثَلَاثَةِ صَوْتٍ وَسِتِينَ صَوْتًا عَدَدَ أَيَّامِ السَّنَةِ تَرَكْتُ الصَّنْعَةَ ، فَلَمَّا صَنَعْتُهَا تَرَكْتُ
الصَّنْعَةَ . فَمِنْهَا — وَهُوَ لَعَمْرِي مِنْ جَيْدِ الْغِنَاءِ وَفَاخِرِ الصَّنْعَةِ ، وَلَوْ لَمْ يَصْنَعْ غَيْرَهُ
لَكَفَاهُ — فِي شِعْرِ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ :

(١) فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ : « فِي إِثْرِهِ » . (٢) فِي الْأَصُولِ : « رِيَّة » وَالتَّصْوِيبُ عَنْ
مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ . (٣) يَلَاظُ أَنَّ الضَّمَّارَ فِي هَذَا الْبَيْتِ وَالَّذِي بَعْدَهُ مُتَابِيَةٌ ، وَالْمُرَادُ بِهَا وَاحِدٌ
هُوَ الْمَوْتُ ، فَإِذَا كَانَ ضَمِيرُ جَمْعٍ فَالْمُرَادُ الْمُنَايَا . ٢٠

صوت

يَضْطَرِبُ الخَوْفُ والرجاءُ إذا * حَرَّكَ موسى القُضيبَ أو فَكَّرَ
ولحنه من الثَّقِيلِ الأول . والشعرُ لأبي العتاهية، وقد مَضَتْ أخبارُه؛ وإنما قَدِمْتُ
ذِكْرَها بِجُودَةِ صَنَعَتِهِ وأنه شُبِّهَ فيه بِصَنَعَةِ الفَحُولِ ومُحْكَمِ أَغَانِي الأَوَائِلِ .

ومنها :

صوت

هِيَ النَّفْسُ مَا حَمَلَتْهَا تَحَمَّلُ * وللدَّهْرِ أَيَّامٌ تَجْوَرُ وتَعْدِلُ
وعاقِبَةُ الصَّبْرِ الجَمِيلِ جَمِيلَةٌ * وأَفْضَلُ أخلاقِ الرِّجالِ التَّجَمُّلُ
الشعرُ لعلِّي بنِ الجَهم . والغناءُ لأبي عيسى بنِ المُنْتَوَكِلِ ، ثاني ثَقِيلٍ بالوَسْطَى .

أخبار علي بن الجهم ونسبه

هو علي بن الجهم بن بدر بن الجهم بن مسعود بن أسيد بن أذينة بن كراز بن كعب
 ابن مالك بن عيينة بن جابر بن الحارث بن عبد البيت بن الحارث بن سامة بن لؤي^(١)
 ابن غالب . هكذا يدعون ، وقريش تدفعهم عن النسب وتسميهم بنى ناجية ،
 ينسبون إلى أمهم ناجية ، وهي امرأة سامة بن لؤي . وكان سامة ، فيما يقال ، خرج
 إلى ناحية البحر بن مغاضباً لأخيه كعب بن لؤي في ممّاظة كانت بينهما ، فطأ طأت
 ناقته رأسها إلى الأرض لتأخذ شيئاً من العشب ، فعلق بمشفرها أفعى فعطفته على قنبا
 فحكته به ، فدب الأفعى على القتب حتى نهش ساق سامة فقتله . فقال أخوه يرثيه :
 عين جودي لسامة بن لؤي * علق ساق سامة العلاقه^(٢)
 رب كأس هرقها ابن لؤي * حذر الموت لم تكن مهورقه

نسبه ونسب قبيلته
 بنى سامة

وقال من يدفع بنى سامة من نسأبي قريش : وكانت معه امرأته ناجية . فلما مات
 تزوجت رجلاً من أهل البحرين فولدت منه الحارث ، ومات أبوه وهو صغير . فلما
 ترعرع طمعت أمه في أن تلحقه بقريش ، فأخبرته أنه ابن سامة بن لؤي . فرحل

(١) في ابن خلكان : « بن كعب بن جابر بن مالك » . (٢) في ابن خلكان : « عتبة » .
 (٣) في ابن خلكان : « ... ابن الحارث بن قطن بن خديج بن قطن بن أحم بن ذهل بن عمرو بن مالك
 ابن عبيدة بن الحارث بن سامة ... الخ » . (٤) المماظة : المخاصمة والمنازعة . (٥) ورد في لسان
 العرب (في مادة « فوق ») أن امرأة رجل من الأزد هي التي قالت هذا الشعر ترثيه وكان سامة نزل على زوجها
 ضيقاً . فلما أصبح قعد يستن ، فنظرت إليه زوجة الأزد فأبهجها . فلما رى سوا كه أخذتها فصبتها .
 فنظر إليها زوجها ، فلب ناقة وجعل في حلالها سما وقدمه إلى سامة ، فغمزته المرأة فهراق اللبن وخرج يسير .
 فيينا كان في موضع يقال له جوف الخيلة نهش أفعى ، كما جاء في الأصل . وانظر بقية هذا الشعر في لسان
 العرب . (٦) العلاقة : في الأصل المنية . ويريد بها هنا الحية .

(١) من البحرين إلى عمه كعب وأخبره أنه ابن أخيه سامة . فعرف كعب أمه وظنه صادقا في دعواه . ومكث عنده مدة ، حتى قدم مكة ركب من أهل البحرين ، فرأوا الحارث فسألوا عليه وحادثوه ساعة . فسألهم عنه كعب بن لؤي ومن أين يعرفونه ، فقالوا له : هذا ابن رجل من أهل بلدنا يقال له فلان ، وشرحوا له خبره . فنفاه كعب ونفى أمه ، فرجعا إلى البحرين فكانا هناك ، وتزوج الحارث وأعقب هذا العقب .
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «عَمَى سَامَةُ لَمْ يُعَقِبْ» . وكان بنوناجية آرتدوا عن الإسلام . ولما ولي علي بن أبي طالب رضى الله عنه الخلافة دعاهم إلى الإسلام ؛ فأسلم بعضهم وأقام الباقون على الوثنية فسباهم وأسترقهم ؛ فاشتراه مصقلة ابن هبيرة منه وأدى ثلث ثمنهم وأشهد بالباقي على نفسه ، ثم أعتقهم وهرب من تحت يده إلى معاوية ، فصاروا أحرارا ، ولزمه الثمن ، فشعث على بن أبي طالب شيئا من داره ، وقيل بل هدمها . فلم يدخل مصقلة الكوفة حتى قُتِل علي بن أبي طالب رضى الله عنه .

وزعم ابن الكلبي : أن سامة بن لؤي ونَدَّ غالب بن سامة وأمّه ناجية ، ثم هلك سامة فخلف عليها ابنه الحارث بن سامة ، ثم هلك أبنا سامة ولم يُعقب ، وأن قوما من بنى ناجية بذت جرم بن ربان علاف أدعوا أنهم بنو سامة بن لؤي ، وأن أمهم ناجية

(١) في الأصول : « من أهل البحرين » . (٢) انظر هذه القصة مفصلة في الطبرى

ق ١ ص ٣٤٣٩ — ٣٤٤٢ (٣) يريد أنه نقض بعضا منها .

(٤) في ١ ، ٣ : « ثم هلك ابن سامة ولم يعقب » . (٥) في الأصول هنا : « ابن جرم » .

(٦) ربان علاف : بالراء المهملة المفتوحة والياء الموحدة المشددة ، وليس في العرب غيره ، ومن

سواه فبالزاي المعجمة . وقد ورد هذا الاسم في الأصول محرفا بصورتي ، وفي أكثرها زيادة « ابن » .
بين ربان وعلاف ، وهما لشخص واحد ، كما ذكر ذلك المؤلف في الصفحة التالية . (راجع القاموس وشرحه في مائتي ربان وعلاف) .

هذه ونسبوها هذا النسب، وأُتِمَّوا إلى الحارث بن سامة وهم الذين باعهم علي بن أبي طالب إلى مصقلة . قال : ودليل ذلك وأن هؤلاء بنو ناجية بنت جرم قول علقمة الخصى التميمي أحد بني ربيعة بن مالك :

زعمتم أن ناجي بنت جرم * عجوز بعد ما بلي السنام
فإن كانت كذاك فاليسوها * فإن الحلي للأثني تمام

وهذا أيضا قول الهيثم بن عدي . فأما الزبير بن بكار فإنه أدخلهم في قريش وقال : هم قريش العازبة . وإنما سُموا العازبة لأنهم عَزَبُوا عن قومهم فَنُسِبُوا إلى أمهم ناجية بنت جرم بن ربان وهو عَلاف ، وهو أول من اتخذ الرِّحَالِ العَلافِيَّةَ فَنُسِبَتْ إليه . وأسم ناجية ليلي ؛ وإنما سُميت ناجية لأنها سارت في مَقَاذِيرٍ معه فَعَطِشَتْ فَاسْتَسْقَتْ ماء ، فقال لها : الماء بين يديك ، وهو يريها السَّراب ، حتى جاءت الماء فشربت وسميت ناجية . وللزبير في إدخالهم في قريش مذهب وهو مُحَالِفَةٌ فَمِلَ أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وميله إليهم لإجماعهم على بُغْضِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، حَسَبَ المشهور المأثور من مذهب الزبير في ذلك .

وكان علي بن الجهم شاعرا فصيحاً مطبوعاً ؛ وَخُصَّ بالمتوكل حتى صار من جُلَسَائِهِ ، ثم أَبْغَضَهُ لَأَنَّهُ كَانَ كثير السَّعَايَةِ إِلَيْهِ بِدُمَائِهِ وَالذِّكْرَ لَهُم بِالْقَبِيحِ عِنْدَهُ ، وَإِذَا خَلَا بِهِ عَرَّفَهُ أَنَّهُمْ يَعْيِبُونَهُ وَيَثْلِبُونَهُ وَيَنْقُصُونَهُ ، فَيَكْشِفُ عَنْ ذَلِكَ فَلَا يَجِدُ لَهُ حَقِيقَةً ، فَنَفَاهُ بَعْدَ أَنْ حَبَسَهُ مَدَّةً . وَأَخْبَارُهُ تُذَكِّرُ عَلَى شَرِّ بَعْدِ هَذَا . وَكَانَ يَنْحَوْنَحُو مروان بن أبي حَفْصَةَ فِي هَجَاءِ آلِ أَبِي طَالِبٍ وَذَمِّهِمُ وَالْإِغْرَاءِ بِهِمْ وَهَجَاءِ الشَّيْعَةِ ، وَهُوَ الْقَائِلُ :

ورافضة تقول بشعب رَضَوِي * إمام ، خاب ذلك من إمام
إمام من له عشرون ألفاً * من الأتراك مُشْرِعَةُ السَّهَامِ

كان شاعرا فصيحاً
اختص بالمتوكل
وهجا عليا وشيعته

١٥

٢٠

وفيه يقول البحتري :

- إذا ما حُصِّلَتْ عَلَيَا قُرَيْش * فلا في العير أنت ولا النفير
وما رُغْنَاؤُكَ الْجَهْمُ^(١) بِنُ بَدْرِ * من الأفار ثم ولا البدور^(٢)
ولو أعطاك ربك ما تَمَنَّى * لزاد الخلق في عِظَمِ الأيُور
عَلَامَ هَجَوْتَ مجتهدًا عَلَيَا * بما لَفَقْتَ من كَذِبٍ وزُور
أما لَكَ في آسَتِكَ الوجعَاءُ شُغْلُ * يَكُفُّكَ عن أذى أهل القبور
وسمعه أبو العيناء يومًا يطعن على علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، فقال له :
أنا أدري لم تطعن على علي أمير المؤمنين : فقال له : أتعني قصة بيعته أهلى من
مصقلة بن هبيرة ؟ قال : لا ! أنت أوضع من ذلك ، ولكن لأنه قتل الفاعل فعَل
قوم لوط والمفعول به ، وأنت أسفلهما .

١٠

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن سعد الهشامي قال :

كان علي بن الجهم قد هجا بختيشوع^(٣) ، فسبّه عند المتوكل فحبسه المتوكل . فقال
علي بن الجهم في حبسه عِدَّةَ قصائد كتب بها الى المتوكل فأطلقه بعد سنة ، ثم نفاه
بعد ذلك الى نُرَاسان . فقال أول ما حُسِّسَ تصيدَةً كتب بها الى أخيه ، أوّلها قوله :

هجا بختيشوع فسبّه
عند المتوكل فحبسه
سنة ثم نفاه وقال
في ذلك شعرا

١٥

تَوَكَّلْنَا على رَبِّ السماء * وسألنا لأسباب القضاء
ووطنًا على غير الليالى * نفوسًا ساحت بعد الإباء
وأفئنة الملوك محجبات * وباب الله مبدول الفناء

(١) الرغناء : أصلها عصب أو عرق في الثدي يدر اللبن . واستعملها البحتري هنا في الأب .

(٢) في ديوان البحتري طبع مطبعة الجوائب :

٢٠

ولو أعطاك ربك ما تمنى * عليه ل زاد في غلظ الأيور

(٣) هو بختيشوع بن جبريل بن بختيشوع الأكبر المتطهب . (انظر الطبري ق ٣ ص ٦٦٧ ،

١٤٣٧ ، ١٤٤٧ ، ١٧٩٠) .

هي الأيام تَكَلُّمُنَا ونَأْسُو * وتَأْتِي بالسعادة والشقاء
وما يُجِدِي الثَّراءُ على غَنَى * إذا ما كان محظورَ العطاء
حَلَبْنَا الدَّهْرَ أَشْطَرُهُ وَمَرَّتْ * بنا عَقَبُ الشَّدَائِدِ والرَّخَاءِ
وجَرَّبْنَا وجَرْبَ أَوْلُونَا * فلا شَيْءٌ أَعَزَّ من الوفاء
ولم نَدِجِ الحِيَاءَ لِمَسَّ ضَرْبٍ * وبَعْضُ الضَّرْبِ يَذْهَبُ بالحِيَاءِ
ولم نَحْزَنْ على دُنْيَا بَوَلَّتْ * ولم نُسَبِّقْ إلى حُسْنِ العَزَاءِ
تَوَقَّ النَّاسُ يَا بَنَ أَبِي وَأُمِّي * فَهَمَّ تَبِعَ الخُفَاةِ والرَّجَاءِ
ولا يَغْرُرُكَ من وَغْدِ إِخَاءٍ * لِأَمْرٍ مَا غَدَا حَسَنَ الإِخَاءِ
أَلَمْ تَرْمُظْهِرِينَ على عَيْبِ^(٢) * وَهَمَّ بِالْأَمْسِ إِخْوَانُ الصَّفَاءِ
فَلَمَّا أَنْ يُلَيْتُ غَدَوًا وَرَاحُوا * على أَشَدِّ أَسْبَابِ الْبَلَاءِ
أَبَتْ أَخْطَارُهُمْ أَنْ يَنْصُرُونِي * بِمَالٍ أَوْ بِجَاهٍ أَوْ ثَرَاءِ
وَخَافُوا أَنْ يَقَالَ لَهُمْ خَذَلْتُمْ * صَدِيقًا فَأَدْعُوا قَدَمَ الْخَفَاءِ
تَضَافَرَتِ الرُّوَا فَضُّ وَالتَّصَارِي * وَأَهْلُ الْإِعْتِرَالِ على هِجَائِي

— يعني بأهل الاعتزال علي بن يحيى المنجم وقد كان بلغه عنه ذكر له : —

وعَابُونِي وما ذَنْبِي إِلَيْهِمْ * سَوَى عِلْمِي بِأَوْلَادِ الزَّيْنِ
فَبَخْتِيشَوْعُ يَشْهَدُ لابْنِ عَمْرُو * وَعَزُّوهُ لَهَارُونَ المُرَائِي
وما الْجَدْمَاءُ بِنْتُ أَبِي سُمَيْرٍ * يَجْذِمَاءُ اللِّسَانِ عَنِ الْخَنَاءِ
إِذَا مَا عُذَّ مِثْلُكُمْ رَجَالًا * فَمَا فَضَّلَ الرِّجَالُ على النِّسَاءِ
عَلَيْكُمْ لَعْنَةُ اللَّهِ أَبْتَدَاءً * وَعَوْدًا فِي الصَّبَاحِ وَفِي الْمَسَاءِ

(١) العقب : جمع عقبة وهي النوبة . (٢) كذا في ح . وفي سائر الأصول : « عبا »

وهو تصحيف .

إِذَا سُمِّيْتُمْ لِلنَّاسِ قَالُوا * أَوْلَيْكَ شَرٌّ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ
أَنَا الْمُتَوَكِّلُ هَوَى وَرَأْيَا * وَمَا بِالْوَأْتِقَةِ مِنْ خَفَاءِ
وَمَا حَبَسُ الْخَلِيفَةِ لِي بَعَارٍ * وَلَيْسَ بِمُؤَيَّسٍ مِنْهُ التَّنَائِي

قال أبو الشَّيْبِل : قال أخبرني عَمِّي قال حدثنا محمد قال قال لي أبو الشَّيْبِل الْبُرْجُمُي : ما شعر على
شعره في الحبس
كشعر عدى بن زيد
ابن الجهم في الحبس بدون شعر عدى بن زيد :
(١)

أخبرني عَمِّي قال حدثنا محمد قال :
كان سبب حبس المتوكل على بن الجهم أن جماعة من الجلساء سَعَوْا به إليه
وقالوا له : إنه يَجْمَشُ الْخَدَمَ وَيَغْمِزُهُمْ ، وإنه كثير الطعن عليك والعيب لك والإضرار
على أخلاقك ؛ ولم يزلوا به يُوغِرُونَ صدره فقلبه حتى حبسه ؛ ثم أبلغوه عنه أنه
هجاه . فنفاه إلى خراسان وكتب بأن يُصَلَّبَ إذا وَرَدَهَا يوماً إلى الليل . فلما وصل إلى
الشاذيَاخ حبسه طاهر بن عبد الله بن طاهر بها ، ثم أُخْرِجَ فَصَلَّبَ يوماً إلى الليل
مجرداً ثم أُنْزِلَ . فقال في ذلك :
(٢)

لَمْ يَنْصَبُوا بِالشَّاذِيَاخِ عَشِيَّةَ الْإِثْنَيْنِ مَسْبُوقًا وَلَا مَجْهُولًا
نَصَبُوا بِمُحَمَّدِ اللَّهِ مِلءَ قُلُوبِهِمْ * شَرَفًا وَمِلءَ صُدُورِهِمْ تَبْجِيلًا
مَا أَزْدَادَ إِلَّا رَفْعَةً بُنْكَوْلَهُ * وَأَزْدَادَتِ الْأَعْدَاءُ عَنْهُ نُكُولًا
هَلْ كَانَ إِلَّا اللَّيْثَ فَارِقَ غَيْلَةٍ * فَرَأَيْتَهُ فِي تَجْمَلٍ مَحْمُولًا

(١) عدى بن زيد الشاعر حبسه النعمان ، وله شعر في حبسه . (انظر ترجمته في الجزء الثاني ص ٩٧)
وما بعدها من هذه الطبعة) . (٢) يجمش الخدم : يلاعهم ويقرصهم . (٣) الشاذيَاخ :
من ضواحي نيسابور أم بلاد خراسان ، وكانت قديماً بستاناً لعبد الله بن طاهر بن الحسين ملاصقاً بمدينة
نيسابور ، فبنى فيه داراً له ، ثم أمر الجنيد بالبناء حوله فعمرت حتى اتصل بناؤها ببناء نيسابور وصارت
من جملة محالها . (عن معجم البلدان لياقوت) . (٤) يريد بنكوله الأولى التثنية به ، وبالثانية
الفرار عنه والاحجام . ويلاحظ في الأولى أنه يقال : نكل به تنكيلاً ونكل به تخفف والاسم النكال بالفتح .

لَا يَأْمَنُ الْأَعْدَاءُ مِنْ شِدَاتِهِ * شَدًّا يَفْصِلُ هَامَهُمْ تَفْصِيلاً
مَا عَابَهُ أَنْ بُزَّ عَنْهُ لِبَاسُهُ * فَالسَّيْفُ أَهْوَلُ مَا يُرَى مُسَلَوِلاً
إِنْ يُتَبَذَّلُ فَالْبَدْرُ لَا يُزْرَى بِهِ * أَنْ كَانَ لَيْلَةً تَمَّهِ مَبْذُولاً
أَوْ يَسْلُبُوهُ الْمَالَ يُحْزِنُ فَقْدُهُ * ضَيْقاً أَلَمَ وَطَارِقاً وَتَزِيلاً
أَوْ يُحْبِسُوهُ فَلَيْسَ يُحْبَسُ سَائِرٌ * مِنْ شَعْرِهِ يَدْعُ الْعَزِيزَ ذَلِيلاً
إِنَّ الْمَصَائِبَ مَا تَعَدَّتْ دِينَهُ * نَعَمْ وَإِنْ صَعِبَتْ عَلَيْهِ قَلِيلٌ
وَاللَّهُ لَيْسَ بِغَافِلٍ عَنْ أَمْرِهِ * وَكَفَى بِرَبِّكَ نَاصِراً وَوَكِيلاً
وَلَتَعْلَمَنَّ إِذَا الْقُلُوبُ تَكْشَفَتْ * عَنْهَا الْأَكِنَّةُ عَنْ أَضَلِّ سَبِيلِ

كتب المتوكل

طاهر باطلاته

فأطلقه فقال شعراً

أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال :

كتب المتوكل إلى طاهر بن عبد الله بإطلاق علي بن الجهم . فلما أطلقه قال :

أَطَاهِرُ إِنِّي عَنْ خُرَاسَانَ رَاحِلٌ * وَمُسْتَخْبِرٌ عَنْهَا فَمَا أَنَا قَائِلٌ
أَأَصْدُقُ أَمْ أَكْذِبُ عَنِ الصِّدْقِ أَيُّمَا * تَخَيَّرْتَ أَذْنَهُ لِيَلِكِ الْحَافِلُ
وَسَارَتْ بِهِ الرُّجَانُ وَأَصْطَفَقَتْ بِهِ * أَكُفِّ قِيَانٍ وَأَجْتَبَتْهُ الْقَبَائِلُ
وَلِإِنِّي بِنُغَالِي الْحَمْدِ وَالذَّمِّ عَالِمٌ * بِمَا فِيهِمَا نَامِي الرِّمِيَةِ نَاضِلٌ
وَحَقًّا أَقُولُ الصِّدْقُ إِنِّي لِمَائِلٌ * لِيَلِكَ وَإِنْ لَمْ يَحْظَ بِالْوَدِّ مَائِلٌ
أَلَا حُرْمَةٌ تُرْعَى أَلَا عَقْدُ ذِمَّةٍ * لِحَارٍ أَلَا فِعْلٌ لِقَوْلٍ مُشَاكِلٌ
أَلَا مُنْصِيفٌ إِنْ لَمْ نَجِدْ مُنْقَضاً * عَلَيْنَا أَلَا قَاضٍ مِنَ النَّاسِ عَادِلٌ

(١) في ٤١ م : « وليعلمن » بالياء المثناة من تحت . (٢) في ٤١ م : « عن الحق » . (٣) الرمية

النامية : التي أصيبت ثم غابت عن الرامي وماتت ؛ يقال أنمي فلان الصيد فني ؛ قال امرؤ القيس يهجو :

فهو لا تني رميته * ماله لا عد من قصره

يريد علي بن الجهم أنه يصيب غرامه . وناضل : وصف من فضله إذا سبقه أرغله في المناضلة

وهي المباراة في الرمي .

فلا تَقْطَعَنَّ غَيْظًا عَلَيَّ أَنَا مَلًّا * فقبلك ما عُصَّتْ عَلَيَّ الْأَنَامُ
أَطَاهِرُ إِن تُحْسِنُ فَإِنِّي مُحْسِنٌ * إِلَيْكَ وَإِن تَبْخُلُ فَإِنِّي بَاخِلٌ
فقال له طاهر: لا تقل إلّا خيراً فإنّي لا أفعل بك إلّا ما تحبّ، فوصله وحمله وكساه.

أخبرني عمي قال حدثني محمد قال :

جش جارية فباعده
فقال شعراً فأجابته

كان عليّ بن الجهم في مجلس فيه قينة، فعآبها وجمشها، فباعده وأعرضت
عنه، فقال فيها :

خَفِيَ^(١) اللَّهُ فِيمَنْ قَدْ تَبَلَّتْ فَوَادَهُ * وغادرته نضواً كأنّ به وقرأ
دعني البخل لا أسمع به منك إمّا * سألتك أمراً ليس يُعْرِى لَكُمْ ظَهراً
فقال له : صدقت يا أبا الحسن، ليس يُعْرِى، لنا ظهراً، ولكنه يملأ بطناً !!

: أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا
إبراهيم بن المدبر قال حدثنا عليّ بن الجهم قال

كان يتشامم من
الحارثي فرآه فقال
شعراً

كان الحارثي يجيء إلى حلوان وأنا أتولاها — وكان عليّ بن الجهم على مظالمها —
فإذا وردّها وقع الإرجاف^(٢)، فلم يزل متصلاً حتى يخرج، فإذا خرج سكن الإرجاف.
فأتاني مرّة وظهر كوكب الدّنب في تلك الليلة، فقلت :

لَمَّا بَدَأَ أَيْقَنْتُ بِالْعَطَبِ * فسألتُ ربّي خيراً مُنْقَلَبٍ
لَمْ يَطْلُعْ إِلَّا لَآبِسَةً^(٤) * الحارثي وكوكب الدّنب

(١) كذا في الأصول باثبات الياء في «خفي» في هذا البيت، وفي «دعي» في البيت بعده .
ونحسب أن هذه الياء من زيادات النساخ، وأن الخطاب للذكر والمراد به أنثى، كما يدل عليه سياق الكلام .
لا فيريد أن يقع مثل عليّ بن الجهم في هذا الخطأ اللغوي، إذ الأمر من «خاف» للخطابة «خافي» .
(٢) حلوان : مدينة بالعراق . (٣) الإرجاف هنا : الزلزلة . يقال رجفت الأرض
وارجفت . (٤) الآبدة : الداهية الخالدة الذكر، والأمر العظيم تنفر منه وتستوحش .

قال ابن المدبر: . وكان الحارثي أعور مُقَبِّح الوجه، وفيه يقول أبو علي البصير:

يا معشر البُصَرَاءِ لَا تَنْطَرِفُوا^(١) * جيشي وَلَا تَتَعَرَّضُوا لِلنِّكَيرِ
رُدُّوا عَلَيَّ الْحَارِثِيَّ فَإِنَّهُ * أَعْمَى يَدَلِّسُ نَفْسَهُ فِي الْعُورِ^(٢)

أخبرني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال أنشدني إبراهيم بن المدبر علي^(٣) النحل شعر إبراهيم
ابن العباس

ابن الجهم وذكر أن علياً أنشده إياه لنفسه :

أَمِيلُ مَعَ الدَّمَامِ عَلَى ابْنِ أُمِّ * وَأَخُذُ لِلصَّدِيقِ مِنَ الشَّقِيقِ
وَلَمَّا أَلْفَيْتَنِي حُرًّا مُطَاعًا * فَإِنَّكَ وَاجِدِي عَبْدَ الصَّدِيقِ
أَفَرَّقَ بَيْنَ مَعْرُوفِي وَمَنِّي * وَأَجَمَعَ بَيْنَ بَالِي وَالْحَقِيقِ

فقال إبراهيم : كَذَبَ وَاللَّهِ عَلَى ابْنِ الْجَهْمِ وَأَيْمٌ . وَاللَّهِ لَهَذَا الشَّعْرُ أَشْهُرُ بِإِبْرَاهِيمَ بْنِ

العباس من إبراهيم بالعباس أبيه . ١٠

أخبرني الحسن قال حدثني ابن مهرويه قال حدثنا إبراهيم بن المدبر قال
قال المتوكل

علي بن الجهم أَكْذَبُ خَلْقِ اللَّهِ . حَفِظْتُ عَلَيْهِ أَنَّهُ أَخْبَرَنِي أَنَّهُ أَقَامَ بِحُرَّاسَانَ
ثَلَاثِينَ سَنَةً ، ثُمَّ مَضَتْ مَدَّةٌ أُخْرَى وَأُنْسِيَ مَا أَخْبَرَنِي بِهِ ، فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ أَقَامَ بِالثَّغُورِ
ثَلَاثِينَ سَنَةً ، ثُمَّ مَضَتْ مَدَّةٌ أُخْرَى وَأُنْسِيَ الْحِكَايَتَيْنِ جَمِيعًا ، فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ أَقَامَ بِالْجَبَلِ
ثَلَاثِينَ سَنَةً ، ثُمَّ مَضَتْ مَدَّةٌ أُخْرَى فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ أَقَامَ بِمِصْرَ وَالشَّامِ ثَلَاثِينَ سَنَةً ،
فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ عُمُرُهُ عَلَى هَذَا وَعَلَى التَّقْلِيلِ مِائَةً وَخَمْسِينَ سَنَةً ، وَإِنَّمَا يُزَاهِي سَنَةَ^(٤)
الْخَمْسِينَ سَنَةً . فَلَيْتَ شَعْرِي أَى فَائِدَةٍ لَهُ فِي هَذَا الْكَذْبِ وَمَا مَعْنَاهُ فِيهِ !!

١٠٩
٩

(١) تطرف الشيء : تحيفه وأخذ من أطرافه . (٢) كذا في ح . وفي سائر النسخ

(٣) بالعوذ . (٤) في ب ، سم : « أشبه » . (٤) يلاحظ أن مجموع السنين التي ذكرها لا يبلغ مائة وخمسين . ٢٠

أخبرني محمد بن إبراهيم قال حدثنا عبد الله بن المعتز، وحدثني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال :

عربد عليه بعض
ولد علي بن هشام
فهباهم

اجتمع علي بن الجهم مع قوم من ولد علي بن هشام في مجلس ، فعربد عليه بعضهم ، فغضب وخرج من المجلس ، وأتصل الشر بينهم حتى تقاطعوا وهجروه وعابوه وأغتابوه . فقال يهجوهم :

- بني مُتَمِّ هل تَدْرُونَ ما الخَبْرُ * وكيف يُسْتَرَامَرُ ليس يَسْتَتِرُ
حاجيتكم : مَنْ أبوكم يابني عُصَبٍ * شَتَّى وَلَكِنَّا للعاهر الجَحَرُ
قد كان شَيْخُكُمْ شَيْخًا لَهُ خَطَرُ * لَكِنْ أُمَّكُمْ في أمرها نَفَرُ
ولم تكن أُمَّكُمْ - والله يَكَلِّوْهَا - * محجوبةً دونها الحُرَّاسُ والسُّتُرُ
كانت مَغْنِيَةَ الْفَتَيَانِ إن شَرِبُوا * وغير ممنوعةٍ منهم إذا سَكِرُوا
وكان إخوانه غُرًّا غَطَارِفَةً * لا يُمكنُ الشَّيْخُ أن يَعِصِيَ إذا أَمَرُوا
قومٌ أَعْقَاءُ إِلَّا في بيوتكم * فَإِنَّ في مِثْلِها قد تُخْلَعُ الأُذُرُ
فاصبحتُ كَرَّاجٍ الشُّوْلُ حَافِلَةٌ * من كُلِّ لَاقِيَةٍ في بطنها دَرَرُ
بِفَتْمٍ عُصَبًا من كُلِّ نَاحِيَةٍ * نوماً نَخَانِيثَ في أعناقها الكَبَرُ^(١)
فوَاحِدٌ كَسَرَوِيٌّ في قَرَّاطِقِهِ * وآخِرُ قَرَشِيٍّ حينَ يُخْتَبَرُ^(٢)
ما عِلْمُ أُمَّكُمْ منَ حَلِّ مِثْرَها * وَمَنْ رماها بكم يَأْيُها القَدَرُ^(٣)

- (١) في الأصول : « كرمج » والمراح : مأوى الإبل . والشول من النوق : التي خف لبها وارتفع ضرعها وأتى عليها سبعة أشهر من يوم نتاجها أو ثمانية ، فلم يبق في ضروعها إلا شول من اللبن أي بقية مقدار ثلث ما كانت تحلب حدثان (بكسر أوله وسكون ثانيه) نتاجها . واحدها شائلة ، وهو جمع على غير قياس . وأما الناقاة الشائل (بغير س) فهي اللاتخ التي شول بذنبها للفعل أي ترفعه ، فذلك آية لقاحها ، وترفع مع ذلك رأسها وتشمخ بأفئها ، وهي حينئذ شامدة ، وجمعها شول وشمذ . والمراد من البيت ظاهر .
(٢) كذا في الأصل أي وهما نوما نخانيث ... الخ ، فسرهما في البيت الثاني ، وإن كان مع ذلك يحتمل أنها حرفت عن كلمة على وزن فعل بضم أوله جمعا لأفعل ، مثل نوك جمع أنوك أو نحو ذلك .
(٣) الكبير : الطبل . معرب . (٤) القراطق : جمع قرطق وهو القباء .

يوم إذا نُسبوا فالأثم واحدة * والله أعلم بالآباء إذ كثروا
لم تعرفوا الطعن إلا في أسافلكم * وأنتم في المخازي فتية صبر
أحببت إءلامكم إني بأمركم * وأمر غيركم من أهلكم خبر
تفكّهون بأعراض الكرام وما * أنتم وذُرُكم السادات يا عمر (١)
هذا الهجاء الذي تَبَقَّى مياسمه (٢) * على جباهكم ما أَوْرَق الشجر

سعى عند المتوكل
بندمائه وبلغه أنه
هجاه فخبسه ،
وأحسن شعره
في الحبس

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مَهْرُويه قال حدثني إبراهيم بن المدبر قال :
كتب صاحب الخبر إلى المتوكل أن الحسن بن عبد الملك بن صالح أحترق
فمات . فقال علي بن الجهم : قد بلغني أن العامل قتله وصانع صاحب الخبر حتى
كتب بهذا . وكان يسعى بالجلساء إلى المتوكل فأبغضه وأمره بأن يلزم بيته ، ثم بلغه
أنه هجاه فخبسه . وأحسن شعره قاله في الحبس قصيدته التي أولها :

قالت حُبِسْتُ فقلت ليس بضائري * حبسى وأى مُهَنِّدٍ لا يُغَمِّدُ (٣)
أوما زأيت اللَّيْثَ يَأْلُفُ غِيْلَهُ * كِبَرًا وأوباشُ السَّبَاعِ تَرَدُّو
والشمسُ لولا أنها محجوبة * عن ناظرِكَ لما أضاء الفَرْقَدُ
والبدرُ يُدْرِكُهُ السَّرَارُ فَتَنْجِلِي (٤) * أَيَّامُهُ وَكَأَنَّهُ مُتَجَدِّدُ
والغَيْثُ يُحْصِرُهُ الْغَمَامُ فَا يَرَى * إِلَّا وَرَيْقَهُ يَرُوعُ وَيَرْعَدُ (٥)
وَالزَّاعِيَةُ لَا يُقِيمُ كُعُوبَهَا * إِلَّا التَّقَافُ وَجَدْوَةٌ تَتَوَقَّدُ (٦)
وَالنَّارُ فِي أَجْجَارِهَا مَحْبُوءَةٌ * لَا تُصْطَلَى إِنْ لَمْ تُثْرَا الْأَزْنَدُ

١١٠
٩

(١) العرر : جمع عرة وهو الرجل يكون شين القوم ؛ يقال : فلان عرة أهله .
(٢) الميامم : جمع ميسم (بكسر الميم) وهو هنا أثر الوسم والجمع مواسم على الأصل باعتباره من وسم ،
وميامم على اللفظ . (٣) في ب ، سه : « قالوا » . (٤) السرار : (بالفتح والكسر)
آخر أيام الشهر . (٥) في الأصول : « يراع » . (٦) الزاعية : رماح منسوبة إلى
رجل من الخزرج يقال له زاعب كان يعمل الأستة . (٧) التقاف : آلة من خشب تسوى بها الرماح

والحبس ما لم تغشه لذنية * شعاء نعم المنزل المتوحد^(١)
 بيت يحد للكرم كرامة * ويزار فيه ولا يزور ويحمد
 لو لم يكن في الحبس إلا أنه * لا يستذلك بالحجاب الأعبد
 كم من عليل قد تخطاه الردى * فنجى ومات طيبه والعود
 يا أحمد بن أبي دؤاد إنما * تدعى لكل عظمة يا أحمد
 أبلغ أمير المؤمنين فدونه * خوض الردى وغاوى لا تنفد
 أنتم بنو عم النبي محمد * أولى بما شرع النبي محمد
 ما كان من كرم فاتم أهله * كرم مغارسكم وطاب الخيد
 من السوية يا بن عم محمد * خصم تقربه وأخر تبعه
 إن الذين سعوا إليك بباطل * حساد نعمتك التي لا تحسد
 شهدوا وغبنوا عنهم فتحكموا * فينا وليس كغائب من يشهد
 لو يجمع الخصماء عندك مجلس * يوماً لبان لك الطريق الأقص
 فبأي جرم أصبحت أعراضنا * نهبا تقسمها للثيم الأوغد

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني حماد بن إسحاق قال قال لي أبو الفضل
 الربيعي^(٢) قال قال لي علي بن الجهم :

دخلت على المتوكل وقد بلغني أنه كلم قبيصة جاريته فأجابته بشيء أغضبه،
 فرماها بمخدة فأصابته عينها فأثرت فيها، فتأوهت وبكت وبكى المعتزل بكائها، ففرج
 المتوكل وقد حم من الغم والغضب، فلما بصرتي دعاني وإذا الفتح يرى^(٣) بحتيشوع
 القارورة ويشاوره فيها، فقال لي : قل يا علي في عتي هذه شيئا وصف أن الطبيب
 ليس يدري ما بي، فقلت :

دخل على المتوكل
 والطبيب يفحص
 عله وكانت جاريته
 قبيصة أغضبه
 فضر بها ثم اغتم
 لذلك فقال هو
 في ذلك شعرا

(١) المتورد : الذي يورد ويزار مثل المورد، وفي ب، سه : " المتورد " وهو تحريف .

(٢) في أ ، م : « الربيعي » . (٣) هو الفتح بن خاقان وزير المتوكل بن أبيه .

- تنصّر حال عِلَّتِي الطَّيِّبُ * وقال أَرَى بِجِسْمِكَ مَا يَرِيْبُ
جَسَنَسْتُ الْعِرْقَ مِنْكَ فَدَلَّ جَسِي * عَلَى أَلَمٍ لَهُ خَبْرٌ عَجِيبُ
فما هذا الذي بك هاتِ قُلْ لِي * فكان جوابه مِنِّي النَّحِيبُ
وقلت أيا طيِّبُ الهَجْرُ دَائِي * وقلبي يا طيِّبُ هو الكَثِيبُ
فَرَّكَ رَأْسَهُ نَجَبًا لِقَمِي * وقال الحب ليس له طيِّبُ
فأعجبني الذي قَدْ قَالَ جِدًّا * وقلت بَلَى إِذَا رَضِيَ الْحَبِيبُ
فقال هو الشِّفَاءُ فلا تُقَصِّرْ * فقلت أَجَلٌ وَلَكِنْ لَا يُجِيبُ
أَلَا هَلْ مُسْعِدٌ يَبْكِي أَشْجَوِي * فَأَتَى هَائِمٌ قَرْدٌ غَرِيبُ
فقال: أَحَسَنْتَ وَحَيَاتِي! يَا غَلَامَ اسْقِنِي قَدَحًا؛ لِحَاجَةٍ بِقَدَحٍ فَشَرِبَ وَسُقِيَتِ الْجَمَاعَةُ
مِثْلَهُ. وَخَرَجَتْ إِلَيْهِ فَضَّلُ الشَّاعِرَةُ بِأَبْيَاتٍ أَمَرَتْهَا قَبِيحَةٌ أَنْ تَقُولَهَا عَنْهَا، فَقَرَأَهَا فَادَّاهَى: ١٠
- لَا كُتُبَنَّ الَّذِي فِي الْقَلْبِ مِنْ حُرْقٍ * حَتَّى أَمُوتَ وَلَمْ يَعْلَمْ بِهِ النَّاسُ
وَلَا يَقَالُ شَكَا مَنْ كَانَ يَعَشُّقُهُ * إِنَّ الشُّكَاةَ لَمَنْ تَهَوَّى هِيَ الْيَأْسُ
وَلَا أَبُوحُ بِشَيْءٍ كُنْتُ أَكْتُمُهُ * عِنْدَ الْجُلُوسِ إِذَا مَا دَارَتْ النَّكَاسُ
فقال المتوكل: أَحَسَنْتَ يَا فَضْلُ. وَأَمَرَ لَهَا وَلِي بِعَشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، وَدَخَلَ إِلَى
قَبِيحَةٍ فَتَرَضَّاهَا. ١٥

١١١
٩

خرج مع جماعة
الى الشام فقطع
عليهم الأعراب
الطريق فقرأ أصحابه
وثبت هو وقال
شعرا

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن سعد قال :
خرج علي بن الجهم الى الشام في قافلة ، فخرجت عليهم الأعراب في خساف (١)
فهرب من كان في القافلة من المقاتلة ، وثبت علي بن الجهم فقاتلهم قتالا شديدا ،
وثاب الناس إليه فدفعهم ولم يحطوا بشيء . فقال في ذلك :

٢٠ (١) في الأصول «خساف» بالخاء المهملة وهو تصحيف . وخساف : بركة بين بالس وحلب .
(معجم البلدان لياقوت) .

صَبَرْتُ وَمِثْلِي صَبْرُهُ لَيْسَ يُنْكَرُ * وَلَيْسَ عَلَى تَرْكِ التَّقَحُّيمِ يَعْدَرُ
 غَرِيزَةُ حَرًّا لَا اخْتِلَاقُ تَكْلُفٍ * إِذَا خَافَ^(١) فِي يَوْمِ الْوَعَى الْمُتَصَبِّرُ
 وَلَمَّا رَأَيْتُ الْمَوْتَ تَهْفُو بُنُودَهُ * وَبَانَتْ عَلَامَاتُ لَهُ لَيْسَ تُنْكَرُ
 وَأَقْبَلَتِ الْأَعْرَابُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ * وَنَارُ عَجَاجِ أَسْوَدُ اللَّوْنِ أَكْدَرُ
 بِكُلِّ مُشِيحٍ مُسْتَمِيتٍ مُشَمِّرٍ * يَحُولُ بِهِ طَرْفُ أَقْبُ^(٢) مُشَمِّرُ
 بَارِضٍ خُسَافٍ حِينَ لَمْ يَكُ دَافِعٌ * وَلَا مَانِعٌ إِلَّا الصَّفِيحُ الْمَذْكُرُ^(٣)
 فَقَلَّلَ فِي عَيْنَيَّ عُظْمَ جَمْعِهِمْ * عَزِيمَةُ قَلْبٍ فِيهِ مَا جَلَّ يَصْغُرُ
 بُعْتَرَكُ فِيهِ الْمَنَايَا حَوَاسِرُ * وَنَارُ الْوَعَى بِالْمَشْرِفَةِ تُسْمَرُ
 فَمَا صُنْتُ وَجْهِي عَنْ ظُبَاتِ سِيوفِهِمْ * وَلَا أُنْخَزْتُ عَنْهُمْ وَالْقَنَا تَتَكَسَّرُ
 وَلَمْ أَلِكُ فِي حَرِّ الْكَرْهَةِ مُحْجِمًا * إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحَرْبِ لِلْوَرْدِ مَصْدَرُ
 إِذَا سَاعَدَ الطَّرْفُ الْفَتَى وَجَنَانَهُ * وَأَسْمَرُ خَطِيٌّ وَأَبْيَضُ مِبْتَرُ^(٤)
 فَذَاكَ، وَإِنْ كَانَ الْكَرِيمُ بِنَفْسِهِ، * إِذَا أَصْطَكَّتِ الْأَبْطَالُ فِي النَّقْصِ عَسْكَرُ
 مَنَعْتَهُمْ مِنْ أَنْ يَنْالُوا قَلَامَةً * مَكْنَتُ شَجَاهِمِ وَالْأُسْنَةُ تَقْطُرُ
 وَتَلِكُ سَبَايَا قَدِيمًا وَحَادَثًا * هَا عُرِفَ الْمَاضِي وَعَزَّ الْمُؤَخَّرُ
 أَبْتُ لِي قُرُومٌ أَنْجَبْتَنِي أَنْ أُرَى * وَإِنْ جَلَّ خَطْبٌ خَاشِعًا أَنْضَجَرُ
 أَوْلَيْكَ آلُ اللَّهِ فَهَرُ بْنُ مَالِكٍ * بِهِمْ يُجْبَرُ الْعِظْمُ الْكَسِيرُ وَيُكْسَرُ
 هُمُ الْمَذْنِكِبُ الْعَالِي عَلَى كُلِّ مَنَكِبٍ * سِيُوفُهُمْ تَفْنِي وَتَغْنِي وَتُفْقِرُ

(١) خام : نكص وجبن . (٢) المشيح : المجيد . (٣) الطرف : الكريم

من الخيل . والأقرب : الدقيق الخضر الضامر البطن . (٤) الصفيح هنا : السيف العريض .

(٥) المعروف في كتب اللغة أن يقال سيف بآثر وبنا (بقتل يد التاء) وبنا (وزان غراب) وبثورة

ولكن على بن الجهم استعمل هنا هذه الصيغة ، فرجحنا هذا الضبط ، إذ المستعمل في القطع من هذه المادة

إنما هو « بتر » الثلاثي ، واسم الآلة منه مِبْتَر .

أخبرني عيسى بن الحسين الوزاق والحسن بن علي قالاً جميعاً حدثنا محمد ابن القاسم بن مَهْرويه قال حدثني عيسى بن أبي حَرْب قال حدثني علي بن الجهم قال : حبسني أبي في الكتاب ، فكتبت إلى أمي :

قال إن أباه حبسه في الكتاب وهو صبي فكذب إلى أمه شعراً فكذبه إبراهيم بن المدبر

يا أمّنا أَفْدِيكَ مِنْ أُمٍّ * أَشْكُو إِلَيْكَ قَظَاظَةَ الْجَهْمِ
قد سُرِّحَ الصَّبِيانُ كُلُّهُمُ * وَبَقِيَتْ مُحْصُوراً بِلا جُرْمِ

قال : وهو أول شعر قلته وبعثت به إلى أمي ؛ فأرسلت إلى أبي : والله لئن لم تُطْلِقْهُ لَأَخْرُجَنَّ حَاسِرَةً حَتَّى أُطْلِقَهُ . قال عيسى فحدثت بهذا الخبر إبراهيم بن المدبر فقال : علي بن الجهم كذاب ، وما يمنعه من أن يكون وَلَدَ هذا الحديث وقال هذا الشعر وله ستون سنة ، ثم حدثكم أنه قاله وهو صغير ، ليرفع من شأن نفسه ! .

١١٢
٩

أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال :

مدح أحمد بن أبي دؤاد وكان منحرفاً عنه ليشفع له في حبسه فقعد عنه فهجاه وشتم به بعد أن نقاه المتوكل

كان أحمد بن أبي دُؤَادٍ منحرفاً عن علي بن الجهم لأعتقاده مذهب الحشوية .^(١)
فلما حُيِّسَ علي بن الجهم مدح أحمد بن أبي دؤاد عدة مدائح ، وسأله أن يقوم بأمره وَيَشْفَعَ فِيهِ ، فلم يفعل وقعد عنه . فمنها قوله :

يا أحمدُ بنَ أبي دُؤَادٍ إِنَّمَا * تُدْعَى لِكُلِّ عَظِيمَةٍ يَا أَحْمَدُ
أَبْلُغْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَدُونَهُ * خَوْضَ الرَّدَى وَخَوَافَ لَا تَنْقُدُ
أَنْتُمْ بَنُو عَمِّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ * أَوْلَى بِمَا شَرَعَ النَّبِيُّ مُحَمَّدُ

وهذه الأبيات من قصيدته التي أولها :

* قَالَتْ حُيِّسَتْ فَقُلْتُ لَيْسَ بِضَائِرِي ،

(١) الحشوية : طائفة يقولون : حكم الأحاديث كلها واحد ، وعندهم أن تارك النفل كترك الفرض .

وهم فرقة من المرجئة . (انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٤ ص ١٦٢ طبع دار الكتب المصرية) .

فلما نقي المتوكل أحمد بن أبي دؤاد شئت به علي بن الجهم وهجاه فقال :
يا أحمد بن أبي دؤاد دعوة * بعثت إليك جنادلاً وحديدا
ما هذه يدع التي سميتها * بالجهل منك العدل والتوحيداً
أفسدت أمر الدين حين وليته * ورميته بأبي الوليد وليدا^(١)
لا محكاً جزلاً ، ولا مستطرفاً^(٢) * كهلاً ، ولا مستحدثاً معموداً^(٣)
شراً ، إذا ذكر المكارم والعلا^(٤) * ذكر أنقلاباً مبدئاً ومعيداً
ويؤد لو مسخت ربيعة كلها * وبنو إباد صحفة وثريدا
وإذا تربع في المجالس خلته * ضبعاً وخت بنى أبيه قريدا
وإذا تبسم ضاحكاً شبهته * شريقاً تعجل شربه مردودا
لا أضبحت بالخير عين أبصرت * تلك المناخر والثنايا السوداء

أخبرني عمي قال حدثنا محمد قال :

كتب من حبسه
شعرا لطاهر بن
عبد الله بن طاهر
ابن الحسين

كتب علي بن الجهم الى طاهر من الحبس :

إن كان لي ذنب في حرمة * والحق لا يدفعه الباطل
وحزمتي أعظم من زلتى * لو نالني من عدلكم نائل
ولي حقوق غير مجهولة * يعرفها العاقل والجاهل
وكل إنسان له مذهب * وأهل ما يفعله الفاعل
وسيرة الأملاك منقولة * لا جائر يخفى ولا عادل
وقد تعجلت الذي خفته * منك ولم يأت الذي أمل

(١) أبو الوليد هو محمد بن أحمد بن أبي دؤاد، كان يتولى المظالم بسامرا وعزله المتوكل سنة ٢٣٧هـ.

(٢) الجزل هنا: الجيد الرأي أصيله. (٣) لعلها « مستطرفا » بالطاء المعجمة أى معدودا ظريفا.

(٤) لعلها : « محمودا ». (٥) القلايا : المقاليات ، مفردة قليلة . (٦) بعد هذه

الكلية وقبل الشعر كلمة « صوت » في ح ، ب ، س ، د ، ولم يذكر فيه ألحانا حتى يكون لهذه الكلمة موقع .

شعره في مقين
كان ينزل عنده
في جماعة بالكرخ

حدثني عمي قال حدثنا محمد قال :

كان علي بن الجهم يعاشر جماعة من فتيان بغداد لما أطلق من حبسه ورد من النفي، وكانوا يتقانون ببغداد، ويلزمون منزل مقين بالكرخ يقال له المفضل. فقال فيه علي بن الجهم :

نزلنا بباب الكرخ أطيب منزل * على محسنات من قيان المفضل
فلا بن سريخ والغريص ومعبد * بدائع في أسمعنا لم تبدل
وأنا من ما للضيف منهن حشمة * ولا رهبر بالجليل المجل
يسر إذا ما الضيف قل حياؤه * ويفعل عنه وهو غير مغفل
ويكثر من ذم الوقار وأهله * إذا الضيف لم يأنس ولم تبدل
ولا يدفع الأيدي المريسة غيرة * إذا نال حظا من لبوس وما كل
ويطرق أطراق الشجاع مهابة * ليطلق طرف الناظر المتأمل
أشرب يد وأغمز بطرف ولا تحف * رقيقا إذا ما كنت غير مبخل
وأعيرض عن المصباح والهج بمثله * فإن نحمد المصباح فاذن وقيل
وسل غير ممنوع وقل غير مسكت * ونم غير مدعور وقم غير معجل
لك البيت ما دامت هداياك جمّة * وكنت مليا بالنبيذ المعسل
فبادر بأيام الشباب فإنها * تقضى وتفتي والغوايه تتجلى
ودع عنك قول الناس أتلّف ماله * فلا أنفأضي مبدرا غير مقيل
هل الدهر إلا ليلة طرحت بنا * وأاخرها في يوم لمومعجل

١١٣
٩

(١) . ظاهر أن معناه : يجالسون القيان ، وأن معنى مقين صاحب قيان .

سقى الله باب الكرخ من مُتَرَّزَةٍ * إلى قَصْرِ وَضَّاحٍ فَبِرْكَةٍ زَلْزَلِ^(٢)
 مَسَاحِبُ أَذْيَالِ الْقِيَانِ وَمَسَرَّحِ الْ * حِسَانِ وَمَثْوَى كُلِّ خَرَقٍ مُعَدِّلِ^(٣)
 لَوْ أَنَّ أَمْرَأَ الْقَيْسِ بَنَ حُجْرٍ يُحِلُّهَا * لِأَقْصَرَ عَنْ ذِكْرِ الدَّخُولِ وَحَوْمِلِ^(٤)
 إِذَا لَرَأَى أَنْ يَمْنَحَ الْوَدَّ شَادِنًا * مَقْصَرِ أَذْيَالِ الْقَبَا غَيْرَ مُسْبِلِ^(٥)
 إِذَا اللَّيْلُ أَدْنَى مَضْجَعِي مِنْهُ لَمْ يَقُلْ * عَقَرْتَ بَعِيرِي يَا أَمْرَأَ الْقَيْسِ فَأَنْزِلِ^(٦)

حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو مَهْرُويَه قَالَ حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَدْبَرِ
 قَالَ أَتَشَدُّنِي عَلَى بَنِ الْجَهْمِ لِنَفْسِهِ :

وَإِذَا جَزَى اللَّهُ أَمْرَأً بِفَعَالِهِ * بَحْزَى أَخَا لِي مَا جِدًّا سَمَحًا
 نَادَيْتُهُ عَنْ كُرْبَةٍ فَكَأَنَّمَا * أَطْلَعْتُ عَنْ لَيْلٍ بِهِ صُبْحًا

أَنشَدَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ
 الْمَدْبَرِ شِعْرًا لِنَفْسِهِ
 فَكَذَبَهُ وَقَالَ إِنَّ
 الشَّعْرَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ
 الْعَبَّاسِ

فَقُلْتُ لَهُ : وَيْلَكَ ! هَذَا لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ يَقُولُهُ فِي مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتِ !
 بَحَّحَدْنِي وَكَابِر . فَدَخَلَ يَوْمًا عَلَى بَنِ الْجَهْمِ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ وَأَنَا عِنْدَهُ . فَلَمَّا
 رَأَى قَالَ : اجْتَمَعَ الْإِبْرَاهِيمَانِ . فَتَرَكْتُهُ سَاعَةً ثُمَّ أَتَشَدُّتُ الْبَيْتَيْنِ ، وَقُلْتُ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ
 الْعَبَّاسِ : إِنَّ هَذَا يُزْعَمُ أَنَّ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ لَهُ . فَقَالَ : كَذَبٌ ، هَذَانِ لِي فِي مُحَمَّدِ

(١) قَصْر وَضَّاحٍ : قَصْرٌ بَنَى لَهُ هَدْيٌ قَرِيبَ رَصَافَةِ بَغْدَادَ ، وَقَدْ تَوَلَّى الزُّنْفَرَةَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْأَنْبَارِ يُقَالُ لَهُ
 وَضَّاحٌ فَتَنَسَّبَ إِلَيْهِ . وَقِيلَ وَضَّاحٌ مِنْ مَوَالِي الْمَنْصُورِ . وَقَالَ الْخَطِيبُ : لَمَّا أَمَرَ الْمَنْصُورُ بِنَاءَ الْكَرْخِ قَدْ ذَلِكَ رَجُلًا
 يُقَالُ لَهُ الْوَضَّاحُ بْنُ شَبَا ، فَبَنَى الْقَصْرَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ قَصْرُ الْوَضَّاحِ . (مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ لِيَاقُوتَ) . (٢) بَرَكَةُ زَلْزَلٍ :
 يَبْقَادُ بَيْنَ الْكَرْخِ وَالصَّرَاةِ (بِفَتْحِ أَوَّلِهِ) وَبَابِ الْحَوْلِ (بِتَشْدِيدِ الْوَاوِ مَعَ فَتْحِهَا) وَسُورَةُ أَبِي الْوَرْدِ تَنَسَّبَ
 إِلَى زَلْزَلِ الضَّارِبِ . (مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ لِيَاقُوتَ) . (٣) الْخَرَقُ مِنَ الرِّجَالِ : الْكَرِيمُ الَّذِي يَخْرُقُ فِي كَرَمِهِ
 أَيْ يَتَسَّعُ فِيهِ . وَالْمَعْدِلُ : الَّذِي يَكْثُرُ النَّاسُ عِنْدَهُ وَلَوْ مَهْ عَلَى إِسْرَافِهِ فِي الْكَرَمِ . (٤) رَوَايَةُ مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ :

مَنَازِلُ لَا يَسْتَتِيعُ الْغَيْثُ أَهْلَهَا * وَلَا أَوْجَهُ اللَّذَاتِ عَنْهَا بِمَعْزَلِ
 مَنَازِلُ لَوْ أَنَّ أَمْرَأَ الْقَيْسِ حَلَّهَا * لِأَقْصَرَ عَنْ ذِكْرِ الدَّخُولِ فَحَوْمِلِ
 (٥) فِي يَاقُوتَ :

إِذَا لَرَأَى أَمْنَحَ الْوَدَّ شَادِنًا * مَقْلُصٌ

(٦) فِي الْأَصُولِ : «لَمْ أَقُلْ» . وَالتَّصْوِيبُ مِنْ مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ لِیَاقُوتَ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى قَصْرِ وَضَّاحٍ .

أبن عبد الملك الزيات . فقال له علي بن الجهم بيقية : ألم أنك أن تتحل شعري !
فغضب إبراهيم وجعل يقول له بيده : سوءة عليك سوءة لك ! ما أوحك ! وهو
لا ينكر في ذلك ولا يتجمل . ثم التقينا بعد مدة فقال : رأيت كيف أخزيت إبراهيم
أبن العباس ! ! فجعلت أعجب من صلابته وجهه .

حدثني عمي قال أنشدنا محمد بن سعد لعلي بن الجهم وفيه غناء :
شعر له في الفراق

١١٤
٩

إعلمي يا أحب شيء إليا * أن شوقي إليك قاض عليها
إن قضه الله لي رجوعاً إليكم * لا ذكرت الفراق ما دمت حيا
إن حر الفراق أنحل جسمي * وكوى القلب منك بالشوق نكا

كانت محمد بن
عبد الملك الزيات
منحرفاً عنه ويسميه
عند الخليفة فهجاه

حدثني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال :
كان محمد بن عبد الملك الزيات منحرفاً عن علي بن الجهم وكان يسبّه عند
الخليفة ويعيبه ويدكره بكل قببح . فقال فيه علي بن الجهم :

لعمري الله متابعات * مصبحات ومهجرات
على أبن عبد الملك الزيات * عرض شمل الملك للشئات
وأنفذ الأحكام جارات * على كتاب الله ذاريات^(٤)
وعن عقول الناس خارجات * يرمي الدواوين بتوقعات
معتقدات كركي الحيات * سبحان من جل عن الصفات
بعد ركوب الطوف في القرات^(٥) * وبعد بيع الزيت بالحبّات

(١) في ح ، ب ، س : « لا يفكر » . (٢) في ب ، س ، ح : « قال حدثني الخ »
وكلمة « قال » هنا لا موقع لها . (٣) سبعة (من باب سرب ومنع) شتمه ووقع فيه . وهذه
الكلمة محرفة في الأصول ، ففي ب ، س : « يسبه » وفي أ ، م : « يشمه » وفي ح : « يسبه » .
(٤) كذا في الأصول بالذال المعجمة . وذاريات من ذرت الريح التراب تذروه وتذريه : فرقته
وأطارته . يريد أنها تعني كتاب الله . ويحتمل أن يكون ذاريات بالزاي أي عابثات .
(٥) الطواف : قرب ينفخ فيها ويشد بعضها إلى بعض كهيئة السطح يركب عليها في الماء ويحمل عليها .

صرتَ وزيراً شامخَ الثَّباتِ ^(١) * هارونَ ^(٢) يابنَ سَيِّدِ السَّادَاتِ
أما ترى الأمورَ مُهَمَّلاتٍ * تشكو إليك عَدَمَ الكُفَاةِ
فعاجلِ العِلَجَ بِمُرَهَفَاتٍ * من بعد ألفِ صُحْبِ الأصواتِ
بمُثَمِّراتٍ غيرِ مُورِقَاتٍ * ترى بِمَتْنِيهِ مَرَضَاتٍ ^(٤)
* تَرَضَّفَتِ الأسنانُ في اللُّثَّاتِ * ^(٥)

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن سعد قال :
كان علي بن الجهم سأل عمر بن الفرج الرُّحَيْجِيَّ معاونته ، وأسترفده في نكته
فلم يعاونه ولم يرفده ، ثم قبض على عمر بن الفرج وأسلم إلى نجاح ليصادره . فقال
علي بن الجهم له :

استرفد عمر بن
الفرج فلم يرفده
ثم قبض على عمر
فشتم به وقال
شعرا

أبلغ نجاحاً في الفتيانِ مألُكَةً * تَمَضِي بها الرِّيحُ مُصْدَاراً وإيراداً
لن يخرج المالُ عفواً من يَدَيِ عُمَرَ * أو يُغَمَدَ السَّيْفُ في فَوْدِيهِ لإغماره
الرُّحَيْجِيُّونَ لَا يُؤْفُونَ ما وَعَدُوا * والرُّحَيْجِيَّاتُ لَا يُخْلِفْنَ مِيعَاداً
قال وقال في عمر بن الفرج أيضاً :

جمعتُ أمرين ضاع الحزمُ بينهما * تيهَ المملوكِ وأفعال المالكِ

٢١٥

(١) كذا في الأصول والنفس غير من حاجة لها (٩) :

(٢) يريد هارون الواثق الخليفة العباسي . (٣) يريد ألقا من السياط .

(٤) مثرات : لها ثمر . والثمر من السوط : عقدة في طرفه تشبها بالثمر في الهيئة والتدلي عنه كتندي الثمر .

(٥) كان هو وأبوه فرج من أعيان الكتاب في أيام المأمون إلى أيام المتوكل . غضب عليه المتوكل ؛

لأن الواثق وكله به حين أغضب عليه ، يكتب عنه ويحفظ أخباره . فلما ولي الخلافة نكبه في شهر رمضان

سنة ٢٣٣ هـ وأمر بحبسه ومصادرة أمواله . (راجع الطبري ق ٣ ص ١٣٧٠ و ١٣٧٧) ٢٠

(٦) هو نجاح بن سلة أبو الفضل ، كان على ديوان التوقيع والتتبع على العمال في عهد المتوكل ، ثم نكبه
عنده عبيد الله بن يحيى بن خاقان سنة ٢٤٥ هـ ، وكان متكبها من المتوكل وإليه الوزارة وإمامة أعماله .

(راجع الطبري ق ٣ ص ١٤٤٠ + ١٤٤٧) (٧) المألُكة : الرسالة .

أُهِدَتْ شَكْرًا بِلَا يَرْوَمُزِيَّةً ^(١) * لَقَدْ سَلَكَتْ طَرِيقًا غَيْرَ مَسْلُوكِ
ظَنَنْتَ عِرْضَكَ لَا يُرْتَمَى بِقَارِعَةٍ * وَمَا أُرَاكَ عَلَى حَالٍ بِمَتْرُوكِ

تمثل بشعره نديم
لسليمان بن وهب
وكان عربد عليه
وأخيه فرضى عنه

أخبرني عمي قال حدثني الحسن بن الحسن بن رجاء عن أبيه قال :
كَانَ لِسُلَيْمَانَ بْنِ وَهْبٍ نَدِيمٌ يَأْتِسُ بِهِ وَيَأْلَفُهُ ، فَعَرَبَدَ عَلَيْهِ لَيْلَةً مِنَ اللَّيْلِ
عَرَبْدَةً قَبِيحَةً ، فَأَطْرَحَهُ وَجْهًا ^(٢) ، فَوَقَفَ لَهُ عَلَى الطَّرِيقِ . فَلَمَّا مَرَّ بِهِ وَثَبَ
إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْوَزِيرُ ، أَلَا تَكُونُ فِي أَمْرٍ كَمَا قَالَ عَلَى بْنُ الْجَهْمِ ^(٣) :

الْقَوْمُ إِحْوَاهُ صَدِيقٌ بَيْنَهُمْ تَسَبُّ * مِنَ الْمَوَدَّةِ لَمْ يُعَدِّلْ بِهَا تَسَبُّ
تَرَاضَعُوا دِرَّةَ الصَّبَاءِ بَيْنَهُمْ * فَأَوْجَبُوا لِرَصِيعِ الْكَأْسِ مَا يَجِبُ
لَا يَحْفَظُظْنَ عَلَى السَّكْرَانِ زَلَّتْ * وَلَا تَرِيثُكَ مِنْ أَحْلَاقِهِ رَيْبُ

١١٥
٩

١٠ فقال له سليمان : قَدْ رَضِيتَ عَنْكَ رَضًا صَحِيحًا ، فَعُدَّ إِلَى مَا كُنْتَ عَلَيْهِ مِنْ مَلَازِمِي .
وَأَوَّلُ هَذِهِ ^(٤) بَيَات :

الْوَرْدُ يَضْحَكُ وَالْأَوْتَارُ تَصْطَخِبُ * إِيوَالْنَّاءُ يَنْدُبُ أَشْجَانًا وَيَنْتَحِبُ
وَالرَّاحُ تُعْرِضُ فِي نَوْرِ الرَّبِيعِ كُلِّ * تُجَلِّيُ الْعُرُوسَ عَلَيْهَا الدَّرُّ وَالذَّهَبُ
وَاللَّهُوُ يُلْحِقُ مَغْبُوقًا بِمُصْطَبِحِ * ^(٥) وَالِدُورِ سَيَّانَ مَحْثُوثٍ وَمُتَخَبِّ
وَكُلَّمَا آنَسَكَيْتَ فِي الْكَأْسِ آوَنَهُ * أَقْسَمْتُ أَنْ شُعَاعَ الشَّمْسِ يَنْسَكِبُ

١٥

^(١) يقال : رزاه ماله من باب قطع وعلم رزاه ومرزاة إذا أصاب منه خيرا .

^(٣) هو أبو أيوب سليمان بن وهب بن سعيد . كتب للأُموي وهو ابن أربع عشرة سنة ثم لإيتاخ ثم
لأشناس ، ثم ولى الوزارة للهندى بالله ثم للعمد على الله ، وقد مدحه خلق كثير من أعيان الشعراء كأبي تمام
والبخري . وينقل سليمان المذكور في الدرر والكنز والوزارة . ولم يزل كذلك حتى توفي مقبوضا عليه
في منتصف صفر سنة ٢٧٢ . (راجع ابن خلكان) .

٢٠

^(٢) في ب : «نفس» ، «أحد» : «عليه» . ^(٤) كذا في الأصول .

أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال حدثني أسلم مولى عبد الله بن طاهر قال :

. أنشد عبد الله بن طاهر شعرا وكان متهما فسرى عنه

دخل علي بن الجهم يوما على عبد الله بن طاهر في غدوة من غدوات الربيع وفي السماء غيم رقيق والمطر يحيى قليلا ويسكن قليلا ، وقد كان عبد الله عزم على الصبوح . فغاضبته حظية له ، فتغصص عليه عظمه وقتر . فخير علي بن الجهم بالخبر . وقيل له : قل في هذا المعنى شيئا ، لعله ينشط للصبوح . فدخل عليه فأنشده :

صوت

أما ترى اليوم ما أحجل شمائله * صفو وغيم وإبراق وإرعاد
كأنه أنت هاهنا لا شبيه له * وهبل وهجر وتقريب وإبعاد
فما كبر الزاح وأشر بها معتقة * لم يدخر مثلها كسرى ولا عاد
وأشرب على الروض إذ لاحت زخارفه * زهر ونور وأوراق وأوراد
كأنما يومنا قبل الحبيب بنا * بذل وبخل وإبعاد وميعاد
وليس يذهب عني كل فعلكم * نعي ورشد وإصلاح وإنساد
فأستحسن الأبيات وأمر له بثلاثة دينار : وحمله وخلع عليه ، وأمر بأن يغنى
في الأبيات . الغناء لبذل الطاهرية ، خفيف رمل . وفيه غيرها هزج .

١٥

حدثني عمي قال حدثني محمد بن سعد قال حدثني رجل من أهل خراسان قال :
رأيت علي بن الجهم بعد ما أطلق من حبسه جالسا في المقابر ؛ فقلت له :
ويحك ! ما يجلسك هاهنا ؟ فقال :

جلس في المقابر
بعد خروجه من
السجن وقال شعرا

يشنق كل غريب عند غربته * ويذكر الأهل والجيران والوطن
فليس لي وطن أمسيئت أذكره * إلا المقابر إذ صارت لهم وطنا

٢٠

حدثني عمي قال أنشدنا أحمد بن عبيد ومحمد بن سعد علي بن الجهم وفيه غناء : شهر له وفيه غناء .

صوت

لو نَصَلَتْ إلينا * لوَهَبْنَا لك ذَنْبَكَ
بأبي ما أَبْغَضَ العيد * شَ إِذَا فَارَقْتُ قُرْبَكَ
لَيْتَنِي أَمْلِكُ قَلْبِي * مِثْلَ مَا تَمْلِكُ قَلْبَكَ
أَيُّهَا الْوَائِقُ بِاللَّهِ لَقَدْ نَاصَحْتَ رَبَّكَ
بِمَا رَأَى النَّاسُ إِمَامًا * أَنْهَبَ الْأَمْوَالَ نَهَبَكَ
أَصْبَحْتَ مُجْتَنِّكَ الْعُدَّ * يَا وَحْزِبُ اللَّهِ حِزْبَكَ
الْغِنَاءُ لَعَرِيبَ رَمْلٍ . وفيه لغيرها هجج .

مدح أبا أحمد بن
الرشيد فلم يعطه
شيتا فجهجاه

١١٦
٩

حدثني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال :

كان علي بن الجهم قد مدح أبا أحمد بن الرشيد فلم يعطه شيتا فقال يهجوه :

يا أبا أحمد لا يُنْجِي من الشُّعْرِ الْفِرَارُ
لبنى العباس أحلام * م عِظَامٌ ووقارُ
ولهم في الحرب إقدا * م ورأى وأصطبارُ
ولهم ألسنة تب * يرى كما تبرى الشِّفَارُ
ووجوه كنجوم الليل تهدي من يحارُ
وتسليم كنسيم الروض جادته القطارُ
ولعطفك عن الحج * د شمس وأز رارُ
إن تكن منهم بلا شك فلعود قنارُ

(١) القنار : ربح العود المحرق .

حَدَّثَنِي بِحُظَّةٍ وَعَمِّي قَالَا حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ قَالَ
دَخَلَ إِلَيْنَا عَلَى بَنِ الْجَهْمِ بِعَقِبِ مَوْتِ أَبِي وَالْمَجْلِسُ حَافِلٌ بِالْمُعْزِينَ، فَتَلَّ قَائِمًا
وَأَنشَدَنَا يَرِثِيهِ :

رثى عبد الله بن
طاهر يشعروا نشده
ابنه يعزیه

أَيُّ رَكْنٍ وَهَى مِنَ الْإِسْلَامِ * أَيُّ يَوْمٍ أَخْنَى عَلَى الْأَيَّامِ
جَلَّ رُزْءُ الْأَمِيرِ عَنْ كُلِّ رُزْءٍ * أَلَا كَيْتُهُ خَوَاطِرُ الْأَوْهَامِ
سَلَبَتْهُ الْأَيَّامُ ظِلًّا ظَلِيلًا * وَأَبَاحَتْ حَيَّ عَزِيزَ الْمَرَامِ
مَا بَنَى مُضْعَبٍ حَلَّاتٍ مِنَ النَّاسِ * سَاحَلُ الْأَرْوَاحِ فِي الْأَجْسَامِ
فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ قُلْدَهْرٍ رَيْبٍ * عَمَّ مَا خَصَّكُمْ بِجَمِيعِ الْأَنَامِ
أَنْظُرُوا هَلْ تَرَوْنَ إِلَّا دُمُوعًا * شَاهِدَاتٍ عَلَى قُلُوبٍ دَوَامِ
مَنْ يُدَاوِي الدُّنْيَا وَمَنْ يَكْلَأُ الْمُدَّ * لَكَ لَدَى فَادِحِ الْخَطُوبِ الْعِظَامِ
نَحْنُ بُنَيْنَا بِمَوْتِهِ وَأَجَلُ الْإِلَ * خَطِيبُ مَوْتِ السَّادَاتِ وَالْإِعْلَامِ
لَمْ يَمُتْ وَالْأَمِيرُ طَاهِرٌ حَيٌّ ^(١) دَائِمُ الْإِنْتِقَامِ وَالْإِنْعَامِ
وَهُوَ مِنْ بَعْدِهِ نِظَامُ الْمَعَالِي * وَتَمَوَّامُ الدُّنْيَا وَسَيْفُ الْإِمَامِ
قَالَ : فَمَا أَذْكَرَ أُنَى بِكَيْتٍ أَوْ رَأَيْتُ فِي دُورِنَا بَايَكًا أَكْثَرَ مِنْ يَوْمَيْدٍ .

حَدَّثَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو الدَّهْقَانَةِ النَّدِيمُ قَالَ :
دَخَلْنَا يَوْمًا إِلَى الْمُعْتَرِّ وَهُوَ مُضْطَبِّحٌ عَلَى صَوْتِ اخْتَارِهِ وَأَقْرَحَهُ عَلَى عَرِيبٍ ،
وَأُظِنُّ الصَّنْعَةَ لَهَا ، فَلَمْ يَزَلْ يَشْرَبُ عَلَيْهِ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ ، فَلَمَّا سَكِرَ أَمَرَ لَهَا بِثَلَاثِينَ أَلْفَ
دِرْهَمٍ ، وَفَرَّقَ عَلَى الْجُلَسَاءِ كُلِّهِمُ الْجَوَائِزَ وَالطِّيبَ وَالْخَلَعَ . وَالصَّوْتُ :

غنت عريب المعتز
بشعره فطرب
وفرق مالا

(١) يريد طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين .

العينُ بعدَكَ لم تنظر إلى حَسَنِ * والنَّفْسُ بعدَكَ لم تسكن إلى سَكَنِ
كَأَنَّ نفسِي إذا ما غَبَتَ غَائِبَةً * حتى إذا عُدَّتْ لِي عَادَتِ إلى بَدَنِي
والشعرُ لعلِّي بن الجهم .

خرج مع عبد الله
ابن طاهر للصيد
وغرَّبُوا فقال شعرا
يصف ذلك

حدَّثني بَحْظَةُ ومحمد بن خَلْفٍ وَكِيعٌ وَعُمَى قالوا جميعاً حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بن
عبد الله بن طاهر قال :

لَمَّا أَطْلَقَ أَبِي طَاهِرٌ عَلَيَّ بن الجهم من الحبس أَقامَ معهُ بالشَّادِ بِحْجَ حِدَّةً ، فخرجوا
يَوْمًا إلى الصَّيْدِ ، وَاتَّفَقَ لَهُمْ مَرَجٌ كَثِيرُ الطَّيْرِ وَالْوَحْشِ ، وَكَانَتْ أَيَّامُ الزَّعْفَرَانِ ،
فَاصْطَادُوا صَيْدًا كَثِيرًا حَسَنًا ، وَأَقَامُوا يَسْرِبُونَ عَلَى الزَّعْفَرَانِ . فقال علي بن الجهم
يُصِفُ ذَلِكَ :

وَطِئْنَا رِيَاضَ الزَّعْفَرَانِ وَأَمْسَكْتُ * عَلَيْنَا الْبَزَاةُ الْبَيْضُ حُمَرَ الدَّرَاجِ (٢)
وَلَمْ تَحْمِهَا الْأَذْفَالُ مِنَّا وَإِنَّمَا * أَهْجْنَا حِمَاهَا بِالْكَلَابِ النَّوَاجِ (٣)
بُمُسْتَرَوِحَاتٍ سَابِحَاتٍ بِطُونُهَا * عَلَى الْأَرْضِ أَمْثَالُ السَّهَامِ الزَّوَالِ (٤)
وَمُسْتَشْرِفَاتٍ بِالْهُوَادِي كَأَنَّهَا * وَمَا عَقَفْتُ مِنْهَا رَعْوُسُ الصَّوَالِ (٥)
وَمِنْ دَالِعَاتٍ أَلْسُنًا فَكَأَنَّهَا * لَحَى مِنْ رَجَالٍ خَاضِعِينَ كَوَاسِجِ (٦)
وَمِنْ دَالِعَاتٍ أَلْسُنًا فَكَأَنَّهَا * لَحَى مِنْ رَجَالٍ خَاضِعِينَ كَوَاسِجِ (٧)

١١٧
٩

- ١٥ (١) راجع الحاشية رقم ٣ صفحة ٢٠٨ من هذا الجزء . (٢) الدراج : جمع دراج
وهو طير جميل المنظر ملون الريش . وفي الأصول : « الدراج » وهو تحريف . (٣) نباج الكلب :
نباحه . وفي ١ ، ح ، م : « النواج » بالحاء المهملة ، وهو تصحيف . وفي ب ، س :
« البوارج » وهو تحريف . (٤) استروح الشيء : تسممه . وسابحات : سرعات .
(٥) الزوال : هنا بمعنى السريمة . يقال سهم زالج أى يزلج على وجه الأرض ثم يمضى .
(٦) الهوادي هنا : الأعناق . وعقفت : مطقت وعوجت .
٢٠ (٧) دالعات ألسنا : مخرجات ألسنها من أفواهها . والكوسج : الذى لحبته على ذقنه لا على عارضيه .

فَلَيْتَ بِهَا الْغِيْطَانَ فَلَيْتَ كَانَتْهَا * أَنَا مَلُ إِحْدَى الْغَانِيَاتِ الْخَوَالِجِ^(١)
 فَقُلْ لِبُغَاةِ الصَّيْدِ هَلْ مِنْ مُفَاخِرٍ * بِصَيْدٍ وَهَلْ مِنْ وَاصِفٍ أَوْ مُخَارِجِ^(٢)
 قَرَنًا بُرَاةً بِالصُّقُورِ وَحَوَمَتٍ * شَوَاهِينَا مِنْ بَعْدِ صَيْدِ الزَّمَايِجِ^(٣)

محدثي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ قَالَ :

كُتِبَ عَلَى بَنِ الْجَهَنَّمَ إِلَى الْمُتَوَكَّلِ وَهُوَ حَبِيبُ :

كتب من حبسه
إلى المتوكل شعرا

صوت

أَقْلَسْنِي أَقَالَكَ مَنْ لَمْ يَزَلْ * يَتَّبِعْكَ وَيَصْرِفُ عَنْكَ الرَّدَى
 وَيَقْذُوكَ بِالنِّعَمِ السَّابِغَاتِ * وَلَيْدًا وَذَا مِيعَةٍ أَمْرَدًا
 وَتَجَرِي مَقَادِيرُهُ بِالَّذِي * تُحِبُّ إِلَى أَنْ بَلَغْتَ الْمَدَى
 وَيُعْلِيكَ حَتَّى تَوَافِيَ السَّمَاءَ * تُنَالُ بِجَاوِزَتِهَا مُضْعِدًا
 فَمَا بَيْنَ رَبِّكَ جَلِّ أَسْمِهِ * وَبَيْنَكَ إِلَّا نَبِيُّ الْهُدَى
 فَشَكَرًا لِأَنْعَمِهِ إِنَّهُ * إِذَا شُكِرَتْ نِعْمَةٌ جَدَّدَا
 وَعَفْوَكَ عَنْ مُذْنِبٍ خَاضِعٍ * فَرَنْتَ الْمُقِيمَ بِهِ الْمُقْعِدَا
 إِذَا أَدْرَعَ اللَّيْلَ أَفْضَى بِهِ * إِلَى الصُّبْحِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَرْقُدَا
 عَفَا اللَّهُ عَنْكَ إِلَّا حُرْمَةً * تَعُوذُ بِفَضْلِكَ أَنْ أَبْعِدَا
 لَنْ جَلَّ ذَنْبٌ وَلَمْ أَعْتَمِدْ * لِأَنْتَ أَجَلٌ وَأَصْلٌ يَدَا
 أَلَمْ تَرَ عَبْدًا عَدَا طَوْرَهُ * وَمَوْلَى عَفَا وَرَشِيدًا هَدَى

(١) حوایج : جمع حائلة وهي البطة . ف القطن حتى يخلص الحب منه .

(٢) خارجه : ناهده . يريد : هل من مناهض يناهضنا في الصيد . (٣) كذا في أكثر

الأصول . والزماج : مع زيج (وزان سكر) وهو نوع من الطير يصاد به دون العقاب ، تغلب على لونه
 الحمرة . وفي ب ، س : « الزماج » . جمع راج ، وهو ملواح تصاد به الجوارح كالصقور ونحوها .
 وهذا لا يصلح في هذا المقام .

وَمُفْسِدَ أَمْرِ تَلَايَتِهِ * فَعَادَ فَأَصْلَحَ مَا أَفْسَدَا
فَلَا عُدْتُ أَعْصِيكَ فِيمَا أَمَرُ * تَ حَتَّى أَزُورَ الثَّرَى مُلْحَدَا
وَالَا نَخَالَفْتُ رَبَّ السَّمَاءِ * وَخُنْتُ الصَّدِيقَ وَعِغْتُ النَّدَى
وَكُنْتُ كَعَزُونَ أَوْ كَابْنَ عَمْرُو * مُسِجَ الْعِيَالِ لِمَنْ أَوْلَدَا
يَكْثُرُ فِي الْبَيْتِ صَبِيَانَهُ * يَغِيظُ بِهِمْ مَعْشَرًا حُسَدَا

٥

حَدَّثَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ قَالَ :

شمت بأحمد بن
أبي دؤاد حين فُتِحَ
وقال شعرا يهجو

لَمَّا فُتِحَ ابْنُ أَبِي دُؤَادٍ شِمْتُ بِهِ عَمِّي ابْنَ الْجَهْمِ وَأَظْهَرَ ذَلِكَ لَهُ وَقَالَ فِيهِ :

لَمْ يَبْقَ مِنْكَ سِوَى خِيَالِكَ لَا مَعَا * فَوْقَ الْفِرَاسِ مُمَهَّدَا بُوْسَادِ
فَرِحْتُ بِمَصْرَعِكَ الْبَهْرِيَّةِ كُلِّهَا * مَنْ كَانَ مِنْهُمْ مُوقِنًا بِمَعَادِ
كَمْ مَجْلِسٍ لَلَّهِ قَدْ عَطَلْتَهُ * كَيْ لَا يُحَدِّثَ فِيهِ بِالْإِسْنَادِ
وَلَكِنْ مَصَابِيحٌ لَنَا أَطْفَأَتْهَا * حَتَّى يَزُولَ عَنِ الطَّرِيقِ الْهَادِي
وَلَكُمْ كَرِيمَةٌ مَعْتَبِرٌ أَرْمَلَتْهُ * وَمُحَدِّثٌ أَوْقَعَتْ فِي الْأَقْيَادِ
إِنَّ الْأَسَارَى فِي السُّجُونِ تَفَرَّجُوا * لَمَّا أَتَتْكَ مَوَاصِبُ الْعُودَادِ
وَعَدَا لِمَصْرَعِكَ الطَّبِيبُ فَلَمْ يَجِدْ * شَيْئًا لَدَائِكَ حِيلَةَ الْمُتَرَدِّدِ
فَذِقِ الْهَوَانَ مُعْجَلًا وَمُؤْجَلًا * وَاللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ بِالْمِرْصَادِ
لَا زَالَ فَالْحُكَّ الَّذِي بَكَ دَائِبًا * وَيُغْنِي قَبْلَ الْمَوْتِ بِالْأَوْلَادِ

١٠

١٣

١١٨
٩

أَنشَدَنِي عَمِّي لِابْنِ الْجَهْمِ وَفِيهِ غِنَاءٌ لِعَرِيبٍ :

شعر له غنت فيه
عريب

نَطَقَ الْهَوَى يَجُودِي هُوَ الْحَقُّ * وَمَلَكَتْنِي فَلَيْمَنِكَ الرَّقُّ
رِفْقًا بِقَلْبِي يَا مَعْدَبَهُ * رِفْقًا وَلَيْسَ لِفْطَالِمِ رِفْقُ
وَإِذَا رَأَيْتُكَ لَا تَكَلِّنِي * ضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ وَالْأَفْقُ

٢٠

وأشدني له وفيه غناء أيضا ، ويقال إنه آخر شعر قاله :

يارحمةً للغريب بالبلد الذ * مازح ماذا بنفسه صنعا

فأرق أحبابه فما آتتفعوا * بالعيش من بعده وما آتتفعا

وقال لمغنٍ حضر معه مجلساً وكان غير طيب : هجا مغنيا بشعر

كنت في مجلس فقال مغني ال * نعيم كم بيننا وبين الشتاء

فدعيت البساط مني إليه * قلت هذا المقدار قبل الغناء

فإذا ما عزت بهم أن تتغنى * آذنب الحر كله بأقضاء

أخبرني علي بن العباس بن أبي طلحة قال حدثني عبد الله بن المعتز قال :

لما حبس أمير المؤمنين المتوكل على بن الجهم ، وأجمع الجلساء على عداوته

وإبلاغ الخليفة عنه كل مكروه ووصفهم مساويه ، قال هذه القصيدة يمدحه ويذكره حقوقه عليه ، وهي :

عفا الله عنك ألا حرمة * تعوذ بعفوك أن أبعدا

ووجه بها إلى بيدون الخادم ، فدخل بها إلى قبيحة وقال لها : إن علي بن الجهم

قد لاذ بك وليس له ناصر سواك ، وقد قصده هؤلاء الندماء والكتاب لأنه رجل

من أهل السنة وهم روافض ، فقد اجتمعوا على الإغراء بقتله . فدعت المعتز

وقالت له : اذهب بهذه الرقعة يا بني إلى سيدك وأوصلها إليه ، بخاء بها ووقف بين

يدي أبيه . فقال له : ما معك فديتك ؟ فدنا منه وقال : هذه رقعة دفعتها إلى أمي .

فقرأها المتوكل وضحك . ثم أقبل عليهم فقال : أصبح أبو عبد الله — فديته —

خصمكم . هذه رقعة علي بن الجهم يستقيل ، وأبو عبد الله شفيعه ، وهو ممن لا يرده ،

وقرأها عليهم . فلما بلغ إلى قوله :

فلا عدت أعصيك فيما أمرت * إلى أن أحل الثرى ملحدا

(١) يستقيل : يطلب الإقالة من ذنبه والعفو عنه .

استشفع بقبيحة
إلى المتوكل وهو
في حبسه فأرسلت
إليه ابنتها المعتز

- وَإِلَّا نَخَالَفْتُ رَبَّ السَّمَاءِ * وَخُنْتُ الصَّدِيقَ وَعِفْتُ النَّدَى
وَكُنْتُ كَعَزُونَ أَوْ كَابْنِ عَمْرٍو * مُبِيعَ الْعِيَالِ لِمَنْ أَوْلَدَا
(١) وَثَبُّ ابْنِ حَمْدُونَ وَقَالَ لِلْعَتَرِ : يَا سَيِّدِي فَمَنْ دَفَعَ هَذِهِ الرُّقْعَةَ إِلَى السَّيِّدَةِ ؟ قَالَ
بَيِّدُونَ الْخَادِمَ : أَنَا ، فَقَالُوا لَهُ : أَحْسَنْتَ ! تُعَادِينَا وَتَوْصِلُ رُقْعَةَ عَدُوِّنَا فِي هِجَانِنَا !!
فَأَنْصَرَفَ بَيِّدُونَ وَقَامَ الْمُعْتَرِّ فَأَنْصَحَ . وَأَسْتَلَبَ ابْنُ حَمْدُونَ قَوْلَهُ :
وَكُنْتُ كَعَزُونَ أَوْ كَابْنِ عَمْرٍو * مُبِيعَ الْعِيَالِ لِمَنْ أَوْلَدَا
بِفَعْلٍ يُنْشِدُهُمْ إِيَّاهُ وَهُمْ يَشْتُمُونَ ابْنَ حَمْدُونَ وَيَضْحَكُونَ وَالتَّوَكَّلُ يَضْحَكُ وَيَصْفَقُ
وَيَشْرَبُ حَتَّى سَكِرَ وَنَامَ ، وَسَرَقُوا قَصِيدَتَهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيِ التَّوَكَّلِ وَأَنْصَرَفُوا ، وَلَمْ يَوْقِعْ
بِإِطْلَاقِهِ وَنَسِيَهُ . فَقَالُوا لِابْنِ حَمْدُونَ : وَيْلَكَ ! تُعِيدُ هِجَانَنَا وَشَتْمَنَا ! ! فَقَالَ : يَا حَقُّ وَاللَّهِ
لَوْ لَمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ فَيَضْحَكُ وَيَشْرَبُ حَتَّى يَسْكُرَ وَيَنَامَ لَوْقِعَ فِي إِطْلَاقِهِ وَوَقَعْنَا مَعَهُ
فِي كُلِّ مَا نَكْرَهُ .

١١٩
٩

أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ قَالَ حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ هَارُونَ بْنِ زِيَادٍ قَالَ حَدَّثَنِي
أَحْمَدُ بْنُ حَمْدُونَ قَالَ :

لَمَّا أَفْتِيَحَتْ أَرْمِينِيَّةٌ وَقُتِلَ إِسْحَاقُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ دَخَلَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ فَأَنْشَدَ
الْمَتَوَكَّلَ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يُهِنُّهَا فِيهَا بِالْفَتْحِ وَيَمْدَحُهُ ، فَقَالَ فِيهَا وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الرَّسُولِ
الْوَارِدِ بِالْفَتْحِ وَبِرَأْسِ إِسْحَاقَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ :

أَهْلًا وَسَهْلًا بِكَ مِنْ رَسُولٍ * جِئْتَ بِمَا يَشْفِي مِنَ الْغَلِيلِ
بِجَمَلَةٍ تُغْنِي عَنِ التَّفْصِيلِ * بِرَأْسِ إِسْحَاقَ بْنِ إِسْمَاعِيلِ
* قَهْرًا بَلَا خَتْلٍ وَلَا تَطْوِيلِ *

(١) فِي الْأَصُولِ : « فَوْثَبُ » . (٢) هُوَ إِسْحَاقُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ مَوْلَى بَنِي أُمَيَّةَ ، ظَفَرِيَّةٌ بَغْدَادِيٌّ

وَأَحْرَقَ مَدِينَةَ قَفْلَيْسَ سَنَةَ ٢٣٨ هـ .

فاستحسن جميع من حضر ارتجاله هذا وابتدأه ، وأمر له المتوسك بثلاثين ألف درهم ، وتمم القصيدة . وفيها يقول :

جَاوَزَ نَهْرَ الْكُرِّ بِالْخِيُولِ * تَرْدَى بِفَتَيَانِ كَأْسِدِ الْغِيَلِ
مُعَوَّدَاتٍ طَلَبَ الدُّحُولِ * نُخْزِرُ الْعَيُونَ طَبِيبِ النَّصُولِ
شُعْتُ عَلَى شُعْتُ مِنَ الْفَحُولِ * جَبَّ ثَنٌ يَلْفُ الْحَزْنَ بِالسُّهُولِ
كَأَنَّهُ مُعْتَلِجُ السُّيُولِ * يَسُوسُهُ كَهْلٌ مِنَ الْكُهُولِ
لَا يَلْتَنِي لِلصَّعْبِ وَالذَّلُولِ * عَلَى أَغْرٍ وَاضِحٍ الْجُحُولِ
حَتَّى إِذَا أَحْمَرُ لِلْمُخْذُولِ * لَاجِزُهُ بِصَارِمٍ صَقِيلِ
ضَرْبًا طَلَحَفًا لَيْسَ بِالْقَلِيلِ * وَمِنْجَنِيْقٌ مِثْلُ حَلْقِ الْفِيلِ
تَرْفُضُ عَنْ نُحْرُطُوْمِهِ الطُّوِيلِ * صَوَاعِقُ مِنْ حَجَرِ السَّجِيلِ
تَتْرَكَ كَيْدَ الْقَوْمِ فِي تَضَلِيلِ * مَا كَانَ إِلَّا مِثْلُ رَجْعِ الْقِيلِ
حَتَّى كَلَّجَلَتْ عَنْ حَزْبِهِ الْمَفْلُولِ * وَعَنْ نِسَاءٍ حُسْرٍ ذُهُولِ
صَوَارِيخٍ يَعْنُرْنَ فِي الدُّيُولِ * تَوَاكَلِ الْأَوْلَادُ وَالْبُعُولِ
لَا وَالَّذِي يُعْرِفُ بِالْعُقُولِ * مِنْ غَيْرِ تَحْدِيدٍ وَلَا تَمْثِيلِ
مَا قَامَ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ * بِالْدِّينِ وَالْدُّنْيَا وَبِالتَّنْزِيلِ

١٥ * خَلِيفَةُ كُجَهْرَ الْمَأْمُولِ *

(١) الكر (بضم أوله) : نهريْن أرمينية وأزبان يشق مدينة تفليس . وتردى الخليل رديا ورديانا : ترجم الحصا بجوافرها من شدة وطئها . (٢) في أكثر الأصول : « الدخول » بالدال والحاء وهو تصحيف وفي ج : « الدحول » بالدال والحاء المهملتين . والدحول : جمع ذحل وهو الثأر .
(٣) نخز : جمع أنخز ونخزراء . ونخر العين : ضيقها ، وهو كناية عن الغضب .
(٤) في ج : « طيب » . وفي أ ، م هكذا : « حيتي » . وفي ب ، س : « صيتي » .
(٥) اعتلجت الأمواج والسيول : التطمط . (٦) أصح : برز . (٧) طلحفا : شديدا .
(٨) المنجنيق : آلة ترمى بها الحجارة . فارسي معرب . (٩) السجيل : حجارة كالدر .

مدح المتوكل
بقصيدة وأرسلها
من حبسه مع علي
ابن يحيى

١٢٠
٩

أخبرني علي بن العباس قال حدثني محمد بن عبد السلام قال :
رأيت مع علي بن يحيى المنجّم قصيدة علي بن الجهم يمدح المتوكل ويصف
الهاروني ، فقلت له : يا أبا الحسن ، ما هذه القصيدة معك ؟ فضحك وقال :
قصيدة لعلي بن الجهم سألتني عرّضها على أمير المؤمنين فعرضتها . فلما سمع قوله :
وَقُبَّةُ مُلْكٍ كَأَنَّ النَّجْوَى * مَ تَصْنِي إِلَيْهَا بِأَسْرَارِهَا
تَخْرُ الْوَفُودُ لَهَا * إِذَا مَا تَجَلَّتْ لِأَبْصَارِهَا
وَفَوَارَةُ ثَارِهَا فِي السَّمَاءِ * فَلَيْسَتْ تُقْصِرُ عَنْ ثَارِهَا
تُرَدُّ عَلَى الْمُنْزَنِ مَا أَنْزَلَهُ * إِلَى الْأَرْضِ مِنْ صَوْبِ مِدْرَارِهَا
تَهْلَلُ وَجْهَهُ وَأَسْتَحْسِنُهَا . فلما انتهيت إلى قوله :
تَبَوَّأَتْ بِعَدَاكَ قَعَرَ السَّجُونِ * وَقَدْ كُنْتُ أَرَى لَزْوَارِهَا
غَضِبَ وَتَرَبَّدَ وَجْهَهُ وَقَالَ : هذا بما كسبت يداه ، ولم يسمع تمام القصيدة .

شاع مذهبه وشبه
فسافر لطلب فقتل
في الطريق وقال
شعرا قبل موته

أخبرني علي بن العباس قال حدثني الحسين بن موسى قال :
لما شاع في الناس مذهب علي بن الجهم وشبهه وذكّره كلّ أحدٍ بسوءٍ من
صديقه وعدوه تحاماه الناس ، فخرج عن بغداد إلى الشام ، فالتقينا في قافلة إلى حلب .
ونخرج علينا نفر من الأعراب ، فتسرّع إليهم قوم من المُقاتلة ، وخرج فيهم فقاتل
قتالاً شديداً وهزم الأعراب . فلما كان من غدٍ خرج علينا منهم خلقٌ كثير ، فتسرّعت
إليهم المُقاتلة ونخرج فيهم فأصابته طعنة قتلته ، فخننا به واحتملناه وهو يتزرف دمه .
فلما رأني بكى وجعل يوصيني بما يريد . فقلت له : ليس عليك بأس . فلما أمسينا
قابق قلقتاً شديداً وأحسّ بالموت ، فجعل يقول :

(١) الهاروني : قصر قرب سامراء ينسب إلى هارون الواثق بالله . وهو على دجلة بينه وبين
سامراء ميل . (٢) يحتمل جداً أن تكون : « تفضي » .

أَزِيدَ فِي اللَّيْلِ لَيْلٌ * أَمْ سَالَ بِالصُّبْحِ سَيْلٌ
ذَكَرْتُ أَهْلَ دُجَيْلٍ^(١) * وَأَيْنَ مِنِّي دُجَيْلٌ

فأبكي كلَّ من كان في القافلة ، ومات مع السَّحَرِ ، فُزِفَ في ذلك المنزل على مرحله
من حَلَبَ .

ومن صنعة أبي عيسى بن المتوكل

صوت

إِنَّ النَّاسَ غَطَّوْنِي تَغَطَّتْ عَنْهُمْ * إِنْ بَحْثُوا عَنِّي فَفِيهِمْ مَبَاحٌ
وَإِنْ حَقَرُوا يَرَى حَفَرَتْ بِئَارَهُمْ * فَسَوْفَ تَرَى مَاذَا تُشِيرُ النَّبَّاتُ^(٢)

الشعر لأبي دلامة . والغناء لأبي عيسى بن المتوكل ، ولحنه ثَقِيلٌ أَوَّلُ عن المعتز .

(١) دجيل : نهر يخرج من أعلى بغداد بين تكريت وبينها مقابل القادسية دون سامراء .

(٢) النباتات : جمع نبئة ، وهي تراب البئر .

أخبار أبي دلّامة ونسبه

نسبه وهو مولى
لبنى أسد وكان
فاسد الدين مهتكا

أبو دلّامة زَند بن الجَوْن . وأكثُرُ الناس يُصَحِّفُ اسمَه فيقول "زيد" بالياء ،
وذلك خطأ ، وهو زَند بالنون . وهو كوفيٌّ أسودٌ ، مولى لبني أسد . كان أبوه - بداً
لرجل منهم يقال له فضا فض فاعتقه - أدرك آخر أيام بني أمية ، ولم يكن له في أيامهم
نباهة ، ونبغ في أيام بني العباس ، وأتقطع إلى أبي عباس وأبي جعفر المنصور
والمهدي . فكانوا يقدمونه ويصلونه ويستطيون مجالسته ونوادره . وقد كان أتقطع
إلى رُوح بن حاتم المُهَلَّبِيّ أيضاً في بعض أيامه . ولم يصل لك أحد من الشعراء ما وصل
إلى أبي دلّامة من المنصور خاصة . وكان فاسد الدين ، ردى المذهب ، مرتكباً
للحارم ، مُضِيّاً للفروض ، مجاهراً بذلك ، وكان يُعلم هذا منه ويُعرف به ، فيُتَجَانى
عنه لِلطَّيفِ محله . وكان أوّل ما حُفِظَ من شعره وأُسْنِيتِ الجوائز له به قصيدة
مدح بها أبا جعفر المنصور وذكر قتله أبا مسلم . فأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار
قال حدثني محمد بن داود بن الجراح عن محمد بن القاسم عن أحمد بن حبيب قال :
لما قال أبو دلّامة قصيدته في قتل أبا مسلم التي يقول فيها :

أبا مُسْلِمٍ خَوْفَتْنِي الْقَتْلَ فَأَتَتْنِي * عليك بما خَوَّفَتْنِي الْأَسَدُ الْوَرْدُ
أبا مُسْلِمٍ ما غَيَّرَ اللَّهُ نِعْمَةً * على عبده حتى يَغَيِّرَها الْعَبْدُ

أنشدها المنصور في محفل من الناس ، فقال له : أحسبكم . قال : عشرة آلاف درهم ،
فأمر له بها . فلما خلا به قال له : إيه ! أما والله لو تعدّيتها لقتلتك .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن مسلم عن أبيه قال :
سمي لي أبو دلّامة نفسه زَنداً (بالنون) ابن الجَوْن . وأسلم مولاه فضا فض ، وله
أيضا شعر ، وكان في الصحابة .

أول شعر عرف به
١٢١
٩

١٠

١٥

٢٠

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بَكَّار قال حدّثني جعفر
ابن الحسين المَهَلَّبِيّ قال :

أعفاه المنصور
من لبس السواد
والقلانس دون
الناس

كان أبو جعفر المنصور قد أمر أصحابه بلبس السَّوَادِ وَقَلَانِسٍ طَوَالِ تَدْعَمٍ
بَعِيَا إِذْ مِنْ دَاخِلِهَا ، وَأَنْ يَلْقُوا السُّيُوفَ فِي الْمَنَاطِقِ ، وَيَكْتُبُوا عَلَى ظُهُورِهِمْ :
﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ . فدخل عليه أبو دُلَامَة في هذا الزَّيِّ . فقال
له أبو جعفر : ما حالك ؟ قال : شَرُّ حَالٍ ، وَجَيْهِي فِي نِصْفِي ، وَسَيْفِي فِي آسَتِي ،
وَكِتَابُ اللَّهِ وَرَاءَ ظَهْرِي ، وَقَدْ صَبَغْتُ بِالسَّوَادِ ثِيَابِي . فَضَحِكَ مِنْهُ وَأَعْفَاهُ وَحَدَّه
مِنْ ذَلِكَ ، وَقَالَ لَهُ : لِيَأَيُّكُمْ أَنْ يَسْمَعَ هَذَا مِنْكَ أَحَدٌ .

ونسختُ من كتاب لابن النُّطَّاحِ فذكرَ مِثْلَ هَذِهِ الْقِصَّةِ سَوَاءً وَزَادَ فِيهَا :
وَكُنَّا نَرْجِي مِنْ إِمَامٍ زِيَادَةً * بَخَادٍ بِطُولٍ زَادَهُ فِي الْقَلَانِسِ
تَرَاهَا عَلَى هَامِ الرِّجَالِ كَأَنَّهَا * دِنَانُ يَهُودٍ جُلَّتْ بِالْبِرَانِسِ
فَضَحِكَ مِنْهُ وَأَعْفَاهُ .

أخبرني عليّ بن سليمان الأَخْفَشُ قال حدّثني محمد بن يزيد النحويّ قال حدّثني
الجاحظ قال .

طلب من المنصور
أو السفاح ، كلب
صيد ثم تدرج
في الطلب إلى أشياء
كثيرة

كان أبو دُلَامَة بَيْنَ يَدَيِ الْمَنْصُورِ وَاقِفًا — وَأَخْبَرَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَيُّوبَ عَنْ ابْنِ قُتَيْبَةَ
أَنَّهُ كَانَ وَاقِفًا بَيْنَ يَدَيِ السَّفَّاحِ — فَقَالَ لَهُ : سَلْنِي حَاجَتَكَ . قَالَ أَبُو دُلَامَة : كَلْبٌ
أَتَصِيدُ بِهِ . قَالَ : أَعْطُوهُ إِيَّاهُ . قَالَ : وَدَابَّةٌ أَتَصِيدُ عَلَيْهَا . قَالَ : أَعْطُوهُ . قَالَ : وَغَلَامٌ
يَصِيدُ بِالْكَلْبِ وَيَقُودُهُ . قَالَ : أَعْطُوهُ غَلَامًا . قَالَ : وَجَارِيَةٌ تُصْلِحُ لَنَا الصَّيْدَ وَتُطْعِمُنَا
مِنْهُ . قَالَ : أَعْطُوهُ جَارِيَةً . قَالَ : هَؤُلَاءِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عِبِيدُكَ فَلَا بُدَّ لَهُمْ مِنْ دَارٍ
يَسْكُنُونَهَا . قَالَ : أَعْطُوهُ دَارًا يَجْمَعُهُمْ . قَالَ : فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ ضَيْعَةً فَمِنْ أَيْنَ

يعيشون ! قال : قد أعطيتك مائة جريب عامرة ومائة جريب غامرة . قال : وما الغامرة ؟ قال : مالا نبات فيه . فقال : قد أقطعك أنا يا أمير المؤمنين خمسمائة ألف جريب غامرة من فيافي بني أسد . فضحك وقال : اجعلوها كلها عامرة . قال : فأذن لي أن أقبل يدك . قال : أما هذه فدعها . قال : والله ما منعت عيالي شيئا أقل ضرراً عليهم منها . قال الجاحظ : فأنظر إلى حذقه بالمسألة ولطفه فيها : ابتدأ بـكـلب فسمل القصة به ، وجعل يأتي بما يليه على ترتيب وفكاهة ، حتى نال ما لو سأل بهيمة لما وصل إليه .

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني السُّكْرِيُّ عن محمد بن حبيب قال :
 اسم أبي دلامة زُند بالنون ، ومن الناس من يرويه بالياء ، وكُنِيَ أبا دلامة باسم جبل بمكة .
 بمكة
 ١٢٢
 ٩

وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهرى قال حدثنا عمر بن شبة ، وأخبرني عمي قال حدثني الكُرَاني عن العُمري عن الهيثم قال :

دخل أبو دلامة على المنصور فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

إِنَّ الْخَلِيطَ أَجَدَّ الْبَيْنَ فَانْتَجِعُوا * وَزَوْدُوكَ خَبَالًا بئس ما صنعوا^(٢)
 والله يعلم أَنَّ كَادَتْ لِيَيْنُهُمْ * يَوْمَ الْفِرَاقِ حَصَاةُ الْقَلْبِ تَنْصَدَعُ
 عَجِبْتُ مِنْ صَبِيئِي يَوْمًا وَأُمَّهُمْ * أُمُّ الدُّلَامَةِ لَمَّا هَاجَهَا الْجَزَعُ
 لا بَارِكَ اللَّهُ فِيهَا مِنْ مُنْهِيَةٍ * هَبَّتْ تُلُومُ عِيَالِي بَعْدَ مَا هَجَعُوا
 وَنَحْنُ مُشْتَبِهَوُ الْأَلْوَانِ أَوْجَهُنَا * سُودٌ قَبَاحٌ وَفِي أَسْمَانَا شَمْعُ
 إِذَا تَشَكَّكَ إِلَى الْجُوعِ قَلْتُ لَهَا * مَا هَاجَ جُوعُكَ إِلَّا الرِّىُّ وَالشَّبَعُ

(١) الجريب من الأرض : ثلاثة آلاف وستائة ذراع ، وقيل : عشرة آلاف ذراع . (٢) كان الأنفل أن يكون « أجدا والبين فانتجعوا » لينفق الضميران . على أنه يجوز أن يكون ضمير « الخليط » مفردا وجمعا .

أنشد المنصور
 شعرا فأجازه

— ويروى وهو الجيد :

أَذَابِكَ الْجُوعُ مُدَّ صَارَتْ عِيَالُنَا * عَلَى الْخَلِيفَةِ مِنْهُ الرَّيُّ وَالشَّبَعُ —
لَا وَالَّذِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَضَى * لَكَ الْخِلَافَةَ فِي أَسْبَابِهَا الرِّفْعُ
مَا زِلْتُ أَخْصِيهَا كَسْبِي فَتَأْكُلُهُ * دُونِي وَدُونِ عِيَالِي ثُمَّ تَضْطَجِعُ
شَوْهَاءَ مَشْنَأَةٍ فِي بَطْنِهَا تَجَلُّ * وَفِي الْمَفَاصِلِ مِنْ أَوْصَالِهَا فَدَعُ
ذِكْرُهَا بِكِتَابِ اللَّهِ حُرْمَتَنَا * وَلَمْ تَحْكُنْ بِكِتَابِ اللَّهِ تَنْتَفِعُ
فَاخْرَنْطَمَتْ ثُمَّ قَالَتْ وَهِيَ مُغَضَّبَةٌ * أَنْتَ تَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ يَا لِكُفِّ
أُخْرِجْ لَتَبِيعَ لَنَا مَالًا وَمَزْرَعَةً * كَمَا لِحَيْرَانَا مَالٌ وَمُزْدَرَعُ
وَأَخْدَعُ خَلِيفَتَنَا عَنْهَا بِمَسْأَلَةٍ * إِنَّ الْخَلِيفَةَ لِلسُّؤَالِ يَخْدَعُ

- ١٠ فضحك أبو جعفر وقال : أرضوها عني وأكتبوا له بمائتي جريب عامرة ومائتي جريب
غامرة — وقال الهيثم : بستمائة جريب عامرة وغامرة — فقال له : أنا أقطعك يا أمير
المؤمنين أربعة آلاف جريب غامرة فيما بين الحيرة والنجف ، وإن سئلت زدتك .
فضحك وقال : اجعلوها كلها عامرة .

- ١٥ حدثني محمد بن أحمد بن الطلاس قال : حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز عن
المدائني قال :
شهد أبو دلامة بشهادة بلخارة له عند ابن أبي ليلى على أثنان نازعها فيها رجل .
فلما فرغ من الشهادة قال : استمع ما قلت فيك قبل أن آتيك ثم أقض ما شئت .
قال : هات ، فأشده :

شهد عند ابن أبي ليلى
بلخارة له وقال شعرا
فأمضى ابن أبي ليلى
شهادته

- ٢٠ (١) الثجل : عظم البطن واسترخاؤه . والفدح : الاعوجاج . (٢) اخرنطمت : رفعت أنفها
واستكبرت وغضبت . (٣) هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى قاضي الكوفة . أول من استقضاء
على الكوفة يوسف بن عمر الثقفي واستقضاء بعد ذلك بنو العباس .

إِنَّ النَّاسَ غَطُّونِي تَغَطَّيْتُ عَنْهُمْ * وَإِنْ بَحَشُوا عَنِّي فَفِيهِمْ مَبَاحِثُ
وَإِنْ حَفَرُوا بَرَى حَفَرْتُ بِثَارِهِمْ * لِيُعْلَمَ يَوْمًا كَيْفَ تِلْكَ النَّبَاطُ.

ثم أقبل على المرأة فقال : أَتَبِيعِينِي الْآنَ ؟ قالت نعم . قال : بكم ؟ قالت :
بمائة درهم . قال : ادفعوها إليهما ففعلوا . وأقبل على الرجل فقال : قد وهبتهما لك ،
وقال لأبي دلّامة : قد أَمْضَيْتُ شَهَادَتَكَ وَلَمْ أَبْحَثْ عَنْكَ ، وَأَبْتَعْتُ مِمَّنْ شَهِدَتْ
لَهُ ، وَوَهَبْتُ مِلْكَى لِمَنْ رَأَيْتُ . أَرْضَيْتَ ؟ قال نعم ، وَأَنْصَرَفَ .

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْخَفَّافُ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ قَالَ ١٢٣
حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ عَنْ عَلِيٍّ بْنِ إِسْمَاعِيلَ قَالَ : ٩
كَانَتْ أَسْقَى أَبَا دُلَّامَةَ وَالسَّيِّدَ ، إِذْ خَرَجْتُ بِنْتُ لَأْبَى دُلَّامَةَ ، فَقَالَ فِيهَا
أَبُو دُلَّامَةَ : ١٠

فَمَا وَلَدَتْكِ مَرْيَمُ أُمَّ عَيْسَى * وَلَا رَبَّكَ لُقْمَانُ الْحَكِيمُ
أَجْزَا يَا أَبَا هَاشِمٍ . فَقَالَ السَّيِّدُ :

وَلَكِنْ قَدْ تَضَمُّكَ أُمُّ سَوَّءٍ * إِلَى لَبَّائِهَا وَأَبُ لَسِيمٍ

فَضِيحُكَ لَذَلِكَ . ثُمَّ خَدَا أَبُو دُلَّامَةَ إِلَى الْمَنْصُورِ فَأَلْفَاهُ فِي الرَّحْبَةِ يُصْلِحُ فِيهَا شَيْئًا
يُرِيدُهُ ، فَأَخْبَرَهُ بِقِصَّةِ بِنْتِهِ وَأَنْشَدَهُ الْبَيْتَيْنِ ، ثُمَّ أَنْدَفَعَ فَأَنْشَدَهُ بَعْدَهُمَا : ١٥

لَوْ كَانَ يَقْعُدُ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ * قَوْمٌ لَقِيلَ آفَعِدُوا يَا آلَ عَبَّاسٍ

ثُمَّ آرْتَقُوا فِي شُعَاعِ الشَّمْسِ كُلُّكُمْ * إِلَى السَّمَاءِ فَاتَمَّ أَظْهَرُ النَّاسِ

وَقَدَّمُوا الْقَائِمَ الْمَنْصُورَ رَأْسَكُمْ * فَالْعَيْنُ وَالْأَنْفُ وَالْأُذُنَانِ فِي الرَّاسِ

(١) كَذَا فِي ح . وَفِي سَائِرِ النُّسخِ : « السَّنْدِيُّ » . وَقَدْ رَجَحْنَا رَأْيَهُ لِأَنَّ أَبَا هَاشِمٍ كُنِيَ السَّيِّدَ
الْجَمْرِيَّ . وَسَيَأْتِي فِي الصَّفْحَةِ التَّالِيَةِ هَذَا الْخَبَرُ بَيْنَ أَبِي دُلَّامَةَ وَأَبِي عَطَاءِ السَّنْدِيِّ . فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ هُوَ الَّذِي أَوْقَعَ
النَّسَاجَ فِي هَذَا الْبَلَسِ . ٢٠

شرب مع السيد
الجمري أراي عطاء
السندى فذم ابنته
وأخبر المنصور
فأكرمه

فَأَسْتَحْسِنُهَا، وَقَالَ لَهُ : بَأَى شَيْءٍ تَحُبُّ أَنْ أُعِينَكَ عَلَى قُبْحِ آيَاتِكَ هَذِهِ ؟ فَأَخْرَجَ
نَحْرِيَّةً قَدْ كَانَ خَاطِهَا مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ : تَمَلَّأْ لِي هَذِهِ دَارَهُمْ ، فُلِمْتُ فَوَسِعَتْ أَرْبَعَةَ
آلَافٍ دِرْهَمٍ .

وَقَدْ أَخْبَرَنِي بِهَذَا الْخَبَرِ عَمِّي قَالَ حَدَّثَنِي الْكَرَّانِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي الْعُمَرِيُّ عَنْ الْهَيْثَمِ
ابْنِ عَدِيٍّ قَالَ :

دَخَلَ أَبُو عَطَاءٍ السَّنْدِيُّ يَوْمًا إِلَى أَبِي دُلَامَةَ مَا حَتَبَسَهُ عِنْدَهُ ، وَدَعَا بِطَعَامٍ فَأَكَلَا
وَشَبِعَا ، وَخَرَجَتْ إِلَى أَبِي دُلَامَةَ صَبِيَّةٌ لَهُ فَحَمَلَهَا عَلَى كَتِفِهِ ، فَبَالَتَ عَلَيْهِ فَنَبَذَهَا عَنْ
كَتِفِهِ ، ثُمَّ قَالَ :

بَلَّيْتُ عَلَى - لَأَخِيَّتِ - ثَوْبِي * فَبَالَ عَلَيْكَ شَيْطَانٌ رَجِيمٌ
فَمَا وَلَدَتْكَ مَرْيَمُ أُمُّ عِيسَى * وَلَا رَبَّكَ لُقْمَانُ الْحَكِيمُ

ثُمَّ آتَيْتُ إِلَى أَبِي عَطَاءٍ فَقَالَ لَهُ : أَجِزْ . فَقَالَ :

صَدَقْتَ أَبَا دُلَامَةَ لَمْ تَلِدْهَا * مُطَهَّرَةٌ وَلَا فُلٌّ كَرِيمٌ
وَلَكِنْ قَدْ حَوَّتْهَا أُمُّ سَوِيٍّ . إِلَى لَبَّاتِهَا وَأَبُ لُئِيمٌ

فَقَالَ لَهُ أَبُو دُلَامَةَ : عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ ! مَا حَلَّكَ عَلَى أَنْ بَلَغْتَ بِي هَذَا كُلَّهُ ! وَاللَّهِ
لَا أَنَا زَعَكَ بَيْتَ شَعْرٍ أَبَدًا . فَقَالَ أَبُو عَطَاءٍ : لِأَنْ يَكُونَ الْهَرَبُ مِنْ جَهَنَّمَ أَحَبُّ إِلَيَّ .

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَرِّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو مَالِكٍ عَبْدُ اللَّهِ
ابْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ :

لَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّفَّاحُ دَخَلَ أَبُو دُلَامَةَ عَلَى الْمَنْصُورِ وَالنَّاسُ عِنْدَهُ يَعْزُونَهُ ؛
فَأَنْشَأَ أَبُو دُلَامَةَ يَقُولُ :

أُمْسَيْتَ بِالْأَنْبَارِ يَا بَنَ مُحَمَّدٍ * لَمْ تَسْتَطِعْ عَنْ عُقْرَاهَا تَحْوِيلًا
وَبَلَى عَلَيْكَ وَوَيْلٌ أَهْلِي كُلِّهِمْ * وَيْلًا وَعَوَّلًا فِي الْحَيَاةِ طَوِيلًا

رَأَى السَّفَّاحَ عِنْدَ
الْمَنْصُورِ فَغَضِبَ
وَأَرَادَ إِخْرَاجَهُ إِلَى
الْحَرْبِ فَاسْتَرْضَاهُ

فَلْتَبْكِينَ لَكَ النِّسَاءُ بَعْبَرَةً * وَلْيَبْكِينَ لَكَ الرِّجَالُ عَوِيلًا
مَاتَ النَّدَى إِذْ مِتَّ يَا بْنَ مُحَمَّدٍ * بِجَعَلْتَهُ لَكَ فِي الثَّرَاءِ عَدِيلًا^(١)
إِنِّي سَأَلْتُ النَّاسَ بَعْدَكَ كُلَّهُمْ * فَوَجَدْتُ أَسْمَحَ مَنْ سَأَلْتُ بِخِيَلَا
أَلِشَّقِيقٍ أَحْرَتْ بَعْدَكَ لَتِي * تَدَعُ الْعَزِيزَ مِنَ الرِّجَالِ ذَلِيلًا
فَلَا حَلْفَ يَمِينٍ حَقٌّ بَرَّةً * بِاللَّهِ مَا أُعْطِيتُ بَعْدَكَ سُؤْلًا^(٢)

قال : فَأَبْكِي النَّاسَ قَوْلُهُ . فغَضِبَ المنصورُ غضباً شديداً وقال : ائِنَّ سَمِعْتِكَ تُنْشِدُ
هذه القصيدةَ لاَ تُقَطِّعَنَّ لِسَانَكَ . فقال أبو دُلّامة : يا أمير المؤمنين ، إنَّ أبا العباس
أمير المؤمنين كان لي مُكْرِمًا وهو الذي جاء بي من البدو كما جاء الله بإخوة يوسف إليه ،
فقل كما قال يوسف لإخوته : (لَا تَحْزَنْ ، عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) .
فُسِّرَى عن المنصور وقال : قد أفلتاك يا أبا دُلّامة ، فسَلَّ حاجتَكَ . فقال : يا أمير
المؤمنين ، قد كان أبو العباس أمر لي بعشرة آلاف درهم وخمسين ثوباً وهو مريض
ولم أَقْبِضْهَا . فقال المنصور : وَمَنْ يَعْرِفُ هَذَا ؟ فقال : هؤلاء ، وأشار إلى
جماعة من حضر . فوثب سليمان بن مُجَالِدٍ وأبو الجهم فقالا : صدق أبو دُلّامة ،
نحن نعلم ذلك . فقال المنصور لأبي أيوب الخازن وهو مغِيظ : يا سليمان أَدْفَعْهَا إِلَيْهِ
وسِيَرَهُ إلى هذا الطاغية (يعني عبد الله بن عليّ) ، وقد كان خرج بناحية الشام ،
وأظهر الخِلافَ) . فوثب أبو دُلّامة فقال : يا أمير المؤمنين ، إِنِّي أُعِيدُكَ بِاللَّهِ أَنْ أُخْرِجَ
مَعَهُمْ ، فوالله إِنِّي لَمُسْتَعْوِم . فقال المنصور : اِمْضِ فَإِنْ يُمْنِي يَغْلِبُ شُؤْمَكَ فَانْخُرْجْ .

(١) الثراء : لغة في الثرى . وسيرد في الصفحة التالية رواية أخرى : « بالتراب » . (٢) السؤل
(يهزولاً يهمز) : ما سأله . (٣) هو عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس عم الخليفة المنصور ،
خرج عليه ستة ست وثلاثين ومائة ودعا لنفسه ؛ فوجه إليه المنصور أبا مسلم الخراساني ووقعت له معه وقعة
هائلة دارت فيها الدائرة أخيراً على عبد الله .

فقال : والله يا أمير المؤمنين ما أحبُّ لك أن تجرّب ذلك منى على مثل هذا العسكر؛
فإني لأدري أيهما يغلب : أيمنك أم شؤمي ، إلا أنى بنفسى أوثق وأعرف وأطول
تجربة . قال : دَعْنِي من هذا فإلك من الخروج بَدْ . فقال : إني أَصْدُقُكَ الآنَ ، شهدتُ
والله تسعةَ عشرَ عسكرًا كُلُّها هُزِمَتْ ؛ وكنْتُ سببها . فإن شئتَ الآنَ على بصيرةٍ
أن يكونَ عسكرُكَ العشرين فافْعَلْ . فاستغرب أبو جعفر ضحكًا ، وأمره أن يتخلّف^(١)
مع عيسى بن موسى بالكوفة^(٢) .

أخبرني عمي قال حدثنا الكزائي قال حدثني العمري عن الهيثم بن عدي قال :
لما مات أبو العباس السفاح وولي المنصور ، دخل عليه أبو دلامة ، فقال له
أبو جعفر : ألسنتي القائل لأبي العباس :

أغضب المنصور
لكثرة مدحه
السفاح

وَكُنَّا بِالْخَلِيفَةِ قَدْ عَقَدْنَا * لِوَاءِ الْأَمْرِ فَأَنْتَقِضَ اللَّوَاءُ
فَنَحْنُ رَعِيَّةٌ هَلَكْتُ ضَيَاعًا * تَسُوقُ بِنَا إِلَى الْفِتَنِ الرَّعَاءُ
قال : ما قلت هذا يا أمير المؤمنين . قال : كذبت والله ! أفلسْتَ القائل :
هَلَكَ النَّدَى إِذْ بَنَتْ يَا بَنَ مُحَمَّدٍ * بَجَعَلْتَهُ لَكَ فِي التَّرَابِ عَدِيلًا
ولقد سألتُ النَّاسَ بِعَدِكَ كُلَّهُمْ * فَوَجَدْتُ أَكْرَمَ مَنْ سَأَلْتُ بِخِيَلَا
ولقد حَلَفْتُ عَلَى يَمِينٍ بَرَّةٍ * بِاللَّهِ مَا أُعْطِيتُ بِعَدِكَ سُؤْلًا
فقال أبو دلامة : إن أخاك صلى الله عليه غلبني على صبري ، وسلبني عزيزي ، وعزّني
بإحسانه إلىّ وجزّني عليه ، فقلت ما لم أتأمّله ، وإني أرغب في الثمن فأستقرّه
السَّلْعَةَ حَيًّا وَمَيِّتًا . فإن أُعْطِيتُ ما أُعْطِيَ ، أخذتَ ما أخذ ، فأمر به فحُيِسَ ثلاثًا
ثم خَلَّى سَبِيلَهُ ودعاه إليه فوصله ، ثم عاد له إلى ما كان عليه .

(١) أى أكثر من الضحك وبالغ فيه . (٢) هو عيسى بن موسى بن محمد بن علي الهاشمي
العباسي أمير الكوفة . وكان ولي عهد المنصور بعهد من السفاح ثم قدّم المنصور عليه في ولاية العهد ابنة المهدى ،
ثم خلعه المهدى من ولاية العهد .

أمره روح بن
حاتم بمبارزة
خارجي نخده

١٢٥
٩

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثني أحمد بن سعيد الدمشقيّ قال حدثني أبو دلامة قال :

أتى بي المنصورُ أو المهديُّ وأنا سكران ، فحلف ليُخرجني في بعث حرب ، فأخرجني مع رُوح بن حاتم المهلبيّ لقتال الشُّراة ^(٢) . فلما ألتقي الجمعان قلت لروح : أما والله لو أن تحتي فرسك ومعى سلاحك لأبث في عدوك اليوم أثراً ترتضيه . فضحك وقال : والله العظيم لأدفعنّ ذلك إليك ، ولأخذنّك بالوفاء بشرطك . ونزل عن فرسه ونزع سلاحه ودفعهما إليّ ، ودعا بغيرهما فاستبدل به . فلما حصل ذلك في يدي وزالت عني حلاوة الطمع ، قلت له : أيها الأمير ، هذا مقام العائذ بك ، وقد قلت بيتين فأسمعهما . قال : هات ، فأنشدته :

لاني أستجرتك أن أقدم في الوغى * ليطاعن وتنازل ويضرب
فهب السيف رأيتها مشهورة * فتركها ومضيت في المُرَّاب
ماذا تقول لما يحيى وما يُرى * من واردات الموت في النُّشاب

فقال : دع عنك هذا وستعلم . وبرز رجل من الخوارج يدعو للمبارزة ، فقال : اخرج إليه يا أبا دلامة . فقلت : أنشدك الله أيها الأمير في دمي . قال : والله لتخرجن . فقلت : أيها الأمير فإنه أول يوم من الآخرة وآخر يوم من الدنيا ، وأنا والله جائع ما شبعت مني جارحة من الجوع ، فمُر لي بشيء آكله ثم أخرج . فأمر لي برغيفين ودجاجة ، فأخذت ذلك وبرزت عن الصف . فلما رأني الشاري أقبل نحوي عليه فَرَوُّ وقد أصابه المطرُ فابتل ، وأصابته الشمس فأقفعل وعيناه تقدان ، فأسرع إليّ .

(١) هوروح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة ، ولي إفريقية والبصرة وغيرهما ، وكان جليلاً شجاعاً جواداً . (٢) الشُّراة : الخوارج . (٣) كذا في ح . واقفعل : تقبض . وفي سائر النسخ : « فاقفعل » . هو تحريف .

- فقلت له : على رَسْلِكَ يا هذا كما أنت ، فوقف . فقلت : أقتل مَنْ لا يقاتلك ؟ قال لا . قلت : أقتل رجلاً على دينك ؟ قال لا . قلت : أفستحلُّ ذلك قبل أن تدعو مَنْ تقاتله إلى دينك ؟ قال : لا ، فأذهب عني إلى لعنة الله . قلت : لا أفعل أو تسمع مني . قال : قل . قلت : هل كانت بيننا قُطْعُ عداوةٍ أو تَرَّةٌ ، أو تعرفني بحالٍ تُحفظك عليّ ، أو تعلم بين أهلي وأهلك وتراً ؟ قال : لا والله . قلت : ولا أنا والله لك إلا جميل الرأي ، وإني لأهواك وأتحل مذهبك وأدين دينك وأريد السوء لمن أَراده لك . قال : يا هذا جزاك الله خيراً فأنصرف . قلت : إن معي زاداً أحبُّ أن أكله معك ، وأحبُّ مَوَاكِلَتِكَ لتتوكَّد المسودةُ بيننا ، ويَري أهلُ العسكر هوانهم علينا . قال : فأفعل . فتقدَّمتُ إليه حتى اختلفتُ أعناقَ دوابِّنا وجمعنا أرجلنا على معارفها والناس قد غلبوا صَحَّحَا . فلما استوفينا ودَّعني . ثم قلت له : إن هذا الجاهل إن أقمت على طلب المبارزة ندبني إليك فتتبعني وتتعب . فإن رأيت ألا تبرز اليوم فافعل . قال : قد فعلتُ ، ثم أنصرف وأنصرف . فقلت لروح : أما أنا فقد كنتُك قِرْنِي فقل لغيري أن يكفيك قِرْنَه كما كفيتك ، فامسك . وخرج آخر يدعو إلى البراز ، فقال لي : اخرج إليه . فقلت ^(١) :

- ١٠ إلى أعوذ بروح أن يقدمني * إلى البراز فتحزى بي بنو أسد
إن البراز إلى الأقران أعلمه * مما يفرق بين الروح والجسد
قد حالفتك المنايا إذ صمدت ^(٢) لها * وأصبحتُ لجميع الخلق بالرصد

(١) وردت هذه الأبيات في وفيات الأعيان لابن خلكان هكذا :

- ٢٠ إلى أعوذ بروح أن يقدمني * إلى القتال فيحزى بي بنو أسد
إن المهلب حب الموت أررتكم * ولم أرث أنا حب الموت من أحد
إن الدق إلى الأعداء أعلمه * مما يفرق بين الروح والجسد

(٢) في الأصول : « إن صمدت » وهو تحريف .

إِن المَهْلَبَ حُبَّ الموت أَوْرَثَكُمْ * وَمَا وَرِثْتُ أَخْتِيَارَ الموت عَنْ أَحَدٍ
لَوْ أَنَّ لِي مَهْجَةً أُخْرَى بَلَدْتُ بِهَا * لَكُنْتُهَا حُلِقْتُ فَرْدًا فَلَمْ أَجِدْ
فَضِيحَكَ وَأَعْفَانِي .

أمره مروان
ابن محمد بمبارزة
خارجي فخره

١٢٦
٩

أخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة قال قال أبو دلالة :

كُنْتُ فِي عَسْكَرِ مَرْوَانَ أَيَّامَ زَحْفٍ إِلَى سِنَانِ الْخَارِجِيِّ . فَلَمَّا التَّقَى الزَّحْفَانِ
خَرَجَ مِنْهُمْ رَجُلٌ فَنَادَى : مَنْ يَبَارِزُ ! فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا أَنْجَلَهُ وَلَمْ يَنْهَبْهُ . فَبَاقِظُ
ذَلِكَ مَرْوَانَ وَجَعَلَ يَنْدُبُ النَّاسَ عَلَى تَحْشِيائِهِ ، فَقَتِلَ أَصْحَابُ التَّحْشِيَاءِ ، فَزَادَ
مَرْوَانَ وَنَدَبَهُمْ عَلَى أَلْفٍ ، وَلَمْ يَزَلْ يَزِيدُهُمْ حَتَّى بَلَغَ خَمْسَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ . وَكَانَ تَحْتَى
فَرَسٌ لَا أَخَافَ خَوْنَهُ ، فَلَمَّا سَمِعَتْ بِالْخَمْسَةِ آلَافِ تَرْقِيَتِهِ وَأَقْتَحَمَتْهُ الصَّفِّ . فَلَمَّا
نَظَرَنِي الْخَارِجِيُّ عَلِمَ أَنِّي نَحَرَجْتُ لِلطَّمَعِ ، فَأَقْبَلَ إِلَيَّ مُتَهَيِّئًا وَإِذَا عَلَيْهِ فَرَسٌ قَدْ أَصَابَهُ
الْمَطَرُ فَابْتَلَّ ، ثُمَّ أَصَابَتْهُ الشَّمْسُ فَأَقْفَعَلَّ ، وَإِذَا عَيْنَاهُ تَقِيدَانِ كَأَنَّهُمَا مِنْ غَوْرِهِمَا
فِي وَقَبَيْنِ . فَلَمَّا دَنَا مِنِّي أَنشَأَ يَقُولُ :

وَأَخْرَجَ أَنْحَرَهُ حُبُّ الطَّمَعِ * فَزَ مِنْ الموتِ وَفِي الموتِ وَقَعَ

* مَنْ كَانَ يَنْتَوِي أَهْلَهُ فَلَا رَجَعَ *

فَلَمَّا وَقَرْتُ فِي أَذُنِي أَنْصَرَفْتُ عَنْهُ هَارِبًا . وَجَعَلَ مَرْوَانُ يَقُولُ : مَنْ هَذَا الْفَاضِحُ ؟
إِيتُونِي بِهِ ، فَدَخَلْتُ فِي غِمَارِ النَّاسِ فَتَنَجَّوْتُ .

أعطاه موسى
ابن داود مالا
ليحج معه فهرب
إلى السواد وسكنا
إلى

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني أحمد بن سعيد قال حدثنا الزبير قال
حدثنا جعفر بن الحسين اللهي قال :

(١) يعني مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية . (٢) نهبه : كفه وزجره . وسياق الكلام
يقضي أن يكون « ولم يمهله » . (٣) في الأصول : « عن » . (٤) هذه لغة ضعيفة
وأفصح اللغات : « بخمسة الآلاف » . (٥) ترقبه : رصده . (٦) الوقب هنا : قبرة
في الجبل يجتمع فيها الماء .

(١) عززم موسى بن داود بن علي الهاشمي على الحج . فقال لأبي دُلّامة : ائجج معي
ولك عشرة آلاف درهم . فقال : هايتها ؛ فدفعته إليه ، فأخذها وهرب إلى السّواد ،
بفعل يُنفقها هناك ويشرب بها الخمر . فطلبه موسى فلم يقدر عليه ، وخشي قوت الحج
نفرج . فلما شارف القادسية إذا هو بأبي دُلّامة خارجاً من قرية إلى أخرى
وهو سكران ، فأمر بأخذه وتقييده وطرحه في سجن بين يديه ففعل ذلك به . فلما
سار غير بعيد أقبل على موسى وناداه :

يا أيّها الناس قولوا أجمعون معاً * صلى الإله على موسى بن داود
كأن ديباجتي خدبه من ذهب * إذا بدا لك في أثوابه السّود
لاني أعبد بداود وأعظمه * من أن أكلف حجاً يا بن داود
خبرت أن طريق الحج معطشة * من الشراب وما شربني بتصيد
والله مافي من أجر فتطلبه * ولا الشاء على ديني بمحمود
فقال موسى : ألتقوه لعنه الله عن المحمل ودعوه ينصرف ، فألقي وعاد إلى قصفه
بالسّواد ، حتى نفدت عشرة آلاف درهم .

أخبرني الحرّمي بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير عن جعفر بن الحسين اللّهي ،
وأخبرني عمي عن الكرائي عن العمري عن الهيثم بن عديّ قال :
قال أبو أيّوب المورياني لأبي جعفر ، وكان يشأ أبا دُلّامة ، : إن أبا دُلّامة
معتكف على الخمر فما يحضر صلاة ولا مسجداً ، وقد أفسد فتيان العسكر . فلو أمرته

أمره المنصور
بملازمة الجماعة
في مسجد القصر
فقال شعرا يستغفبه

(١) هو ابن عم السفاح ، كان أبوه داود أمير مكة والمدينة ، واستخلف حين احتضر على عمله ولده
موسى . فاستعمل السفاح خاله زيادا على مكة ، وموسى بن داود هذا على إمرة المدينة .
(٢) في الأصول : « خارج » . (٣) في الأصول المخطوطة : « أجمعين » .
(٤) صرد شربه : قطعه . (٥) راجع الحاشية رقم ٤ في الصفحة السابقة .
(٦) كذا في - . وفي سائر الأصول : « قال » وهو تحريف .

بالصلاة معك لأجرت فيه وفي غيره من فتيان عسكريك بقطعه عنهم . فلما دخل عليه أبو دلّامة قال له : يا بن اللّناء ، ما هذا المجنون الذي يبلغني عنك ! . قال أبو دلّامة : يا أمير المؤمنين ما أنا والمجون وقد شارفتُ بابَ قبري ! . قال : دعني من أستكانتك ونصرتك ، وإياك أن تفوتك صلاة الظهر والعصر في مسجدي . فلئن فاتتاك لأحسبن أدبك ولأطيلن حبسك . فوقع في شر ولزم المسجد أياماً ، ثم كتب قصته ^{١٢٧} ودفعها إلى المهدي فأوصلها إلى أبيه ، وكان فيها :

ألم تعلم أن الخليفة لزمني * بمسجده والقصر مالى والقصر !
أصلى به الأولى جميعاً وعصرها * فويلي من الأولى وويلي من العصر^(١)
أصليهما بالكراهة في غير مسجدي * فإلى في الأولى ولا العصر من أهر
لقد كان في قومي مساجد جمة * سواء ولكن كان قدراً من القدر
يكلفني من بعد ما شئت خطة * يحط بها عني الثقل من الوزر^(٢)
وما ضره والله يغفر ذنبه * لو آت ذنوب العالمين هلى ظهري
قال : فلما قرأ المنصور قصته ضحك وأباه من الحضور معه ، وأحلفه أن يصلي الصلاة في مسجد قبيلته .

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن سعيد عن الزبير عن عمه ،
ونسخت من بعض الكتب عن نصر بن محمد الخزاز عن أبيه عن الهيثم بن عدي^(٣)
وروايته بعض من روى عن الزبير .

أن أبا جعفر كان يحب العبت بأبي دلّامة — وقال الآخر : إن أبا العباس السفاح
كان يحب ذلك — فكان يسأل عنه فيوجد في بيوت الخمارين لا فضل فيه . فعاتبه

٢٠ (١) لزم بكذا : ألزمه إياه . (٢) في ج : «وعلى» . (٣) في ح : «الخرزى» .
وفي أ ، م : «الخرزى» .

على انقطاعه عنه ؛ فقال : إنما أفعل ذلك خوفاً أن تَمَلَّيَ . فلم أنه يُحَاجِرُهُ ،^(١)
فأمر الربيع أن يوَكِّلَ به من يُحَضِّرُهُ الصلوات معه في جماعة في الدار . فلما طال
ذلك عليه قال :

- ألم تر يا أبا الخليفة لَزَّنِي * بمسجده والقصر مالى وللقصر !
فقد صَدَّنِي عن مسجدٍ أُسْتَلِّدُهُ * أَعْلَأُ فيه بالسَّاعِ وبالخمر
وكَلَّفَنِي الأولى جميعاً وعصرها * فويل من الأولى وعَوَّلِي من العصر
أَصَلَّيْهُمَا بالكُورِ في غير مسجدي * فإلى من الأولى ولا العصر من أجر
يَكَلِّفَنِي من بعد ما شَبْتُ تَوْبَةً * يَحُطُّ بها عنى المَثَاقِيلِ من وزْري
لقد كان في قومي مساجدُ جَمَّة * ولم ينشرح يوماً لغُشيانها صدرى
ووالله مالى نِيَّةٌ في صلاته * ولا البر والإحسان والخير من أمرى
وما ضَرَّه والله يغفر ذنبه * لو آتَ ذنوبَ العالمين على ظَهْرى

- فبلغته الأبيات فقال : صدق ! ما يَضُرُّنِي ذلك ، والله لا يَصْلُحُ هذا أبداً ، فدَعَوْهُ
يَعْمَلُ ما يشاء . وقال الهيثم في خبره : فقال له أبو جعفر : قد أعفيناك من هذه الحال ،
ولكن على ألا تَدَعَ القيام معنا في ليالى شهر رمضان فقد أَظَلَّ^(٢) . فقال : أفعل . قال :
إنك إن تأخرت لَشُرْبِ الخمر عَمِلْتَ ذلك . ووالله لئن فعلت لأَحْدَثَكَ . فقال أبو دُلَامة :
البيَّةُ في شهر أَصْلَحُ منها في طول الدهر ، سمعاً وطاعة . فلما حَضَرَ شهر رمضان
لزم المسجد . وكان المهدي يبعث إليه في كل ليلة حَرَسِيًّا يحمي به ؛ فشَقَّ ذلك عليه ،
وفزع إلى الخَيْرِزَانِ وأبى عبيد الله وكلَّ مَنْ كان يلوذ بالمهدي ليشَفَعُوا له في الإعفاء

أزيمه المنصور
بالقيام شهر رمضان
فكتب إلى ربيعة
شعرا يستنفع بها
المهدي

- (١) يعنى : يخلص منه ويتحل المعاذير الباطلة لانقطاعه عنه . (٢) أظَلَّ : غشى وأشرف
وأقبل . (٣) هو أبو عبيد الله معاوية بن عبيد الله بن يسار الأشعري الكاتب الوزير . كان من رجالات
المنصور ثم المهدي . عزله المهدي عن الوزارة ثم جعله على ديوان الرسائل ، ثم عزله عنه سنة ١٦٧ هـ

من الأيام ، فلم يُجيبهم . فقال له أبو عبيد الله : الدالُّ على الخير كفاعله ، فكيف
شُكرك ؟ قال : أتمُّ شكر . قال : عليك برِيطَة ^(١) فإنه لا يخالفها . قال : صدقت والله ،
ثم رفع إليها رُقعة يقول فيها :

١٢٨
٩

أبلغا رِيطَة أُنَى * كنتُ عبداً لأبيها

ففضى يرحمه الله * له وأوصى بي إليها

وأراها نَسِيَتْنِي * مِثْلَ نَسِيَانِ أَخِيها

جاء شهر الصَّومِ عِشَى * مِشْيَةً ١٠ أَشْتَمِها

قائداً لى ليلة القَدِّ * رِ كَأَنى أَشْتَمِها

تَنَطَّحُ القِبْلَةَ شَهْرًا * جَهَّتْ لى لَأَتَمِها

ولقد عشتُ زمانًا * فى فِياقٍ وجِها

فى لِيالٍ من شتاءٍ * كنتُ شَيْخًا أَصْطَلِها

قاعدًا أوقِدُ نارًا * لِيَضْبَابٍ أَشْتَمِها

وصَبَّوْجٍ وَغَبَّوْجٍ * فى عِلابٍ أَحْتَمِها ^(٢)

ما أبالى ليلة القَدِّ * ر ولا تُسَمِعِها ^(٣)

فاطلبى لى فرجًا منى * بها وأجرى لك فيها

١٠

١٥

فلما قرأتِ الرُقعة ضَحِكْتُ وأرسلتُ إليه : اصْطَبِرْ حَتَّى تَمُتْ لى ليلة القَدْرِ . فكتب
إليها : إنى لم أسألك أن تكلميه فى إعفائى عامًا قابلاً ؛ وإذا مضت ليلة القدر فقد
فنى الشَّهرُ . وكتب تحتها أبياتا :

(١) رِيطَة : هى ابنة الخليفة أبى العباس السفاح وزوجة المهدي . (٢) العلاب : جمع

علبة وهى قَدَحٌ ضَخْمٌ من جلود الإبل أو هى قَدَحٌ من خشب . (٣) لا هنا نافية ، وهو خبر
يراد به النهى .

٢٠

- خافي إلهك في نفيس قد آحتضرت * قامت قيامتها بين المصلين
 ما ليلة القدر من همى فأطلبها * إني أخاف المنايا قبل عشرينا
 يا ليلة القدر قد كثرت أرجلنا * يا ليلة القدر حقاً ما تُمنّينا!
 لا بارك الله في خير أوّله * في ليلة بعد ما قننا ثلاثين
 فلما قرأت الأبيات نحيكت ، ودخلت إلى المهدي فشفعت له إليه ، وأنشدته
 الشعرين ، فضحك حتى استلقى ، ودعا به ورِيطة معه في الجملة ^(١) فدخل ، فأخرج رأسه
 إليه وقال : قد شققنا رِيطة فيك ، وأمرنا لك بسبعة آلاف درهم . فقال : أما شفاعة
 سيدي في حتى أعفيتني فأعفاها الله من النار . وأما السبعة الآلاف فما أعجبنى ما فعلته ؛
 إما أن تُتممها بثلاثة آلاف فتصير عشرة ، أو تنقصني منها ألفين فتصير خمسة آلاف ،
 فإني لا أحسن حساب السبعة . فقال : قد جعلتها خمسة . قال : أعيدك بالله أن
 تختار أدنى الحالين وأنت أنت . فعيث به المهدي ساعة ثم تكلمت فيه رِيطة فأتتها
 له عشرة آلاف درهم .

أنشد المهدي شعره
 في نخاس فضحك
 منه

- أخبرني الحسين بن علي عن حماد عن أبيه قال :
 مرّ أبو دلامة بنخاس يبيع الرقيق ، فرأى عنده منه من كل شيء حسن ،
 فأنصرف مهموماً ، فدخل إلى المهدي فأنشده :

إن كنت تبغي العيش حلواً صافياً * فالشعر أعزبه وكن نخاساً
 تنل الطوائف من ظراف مُهدٍ .. يُخدش كل عشيّة أعراس
 والرجح فيما بين ذلك راهب * سمحاً ببيعك كنت أو مكّاساً ^(٢)
 دارت على الشعراء حرفة نوبة ^(٣) * فتجزعوا من بعد كأس كاسا

١٢٩
٩

- (١) الجملة : بيت يزين بالثياب والأسرة والستور . (٢) مكس في البيع يمس (من باب
 ضرب) : نقص الثمن . والمراد هنا المشاحة في البيع والشراء . (٣) لعل صوابها : « نوبة حرفة » .

وَتَسْرَبُلُوا قُصَصَ الْكَسَا فَاوَلُوا * بالنَّخْسِ كَسْبًا يُذْهِبُ الْإِفْلَاسَا
بِفَعْلٍ الْمَهْدَى يَضْحَكُ مِنْهُ .

لنقى رؤيا للنصور
وأخذ منه ثيابا

نسخت من كتاب ابن النطاح قال :

دخل أبو دلالة على المنصور فأنشده :

رَأَيْتُكَ فِي الْمَنَامِ كَسَوْتَ جِلْدِي * ثِيَابًا بَحْمَةً وَقَضَيْتَ دِينِي
فَكَانَ بِنَفْسِي الْخَرْفُ فِيهَا * وَسَاجٌ نَاعِمٌ فَاتَمَّ زِينَتِي
فَصَدَّقَ بِأَفْدَتِكَ النَّفْسُ رُؤْيَا * رَأَتْهَا فِي الْمَنَامِ كَذَلِكَ عَيْنِي

فأمر له بذلك وقال له : لا تعد أن نتعلم على ثانية^(٣)، فأجعل حلمك أضغاثًا ولا أحققه .

حبسه المنصور
لسكره فبعث له من
الحبس شعرا فغفا
عنه

ثم خرج من عنده ومضى فشرب في بعض الحانات فسكر وأنسرف وهو يميل .
فلقيه العسس فأخذه ، وقيل له : من أنت وما دينك ؟ فقال :

دِينِي عَلَى دِينِ بَنِي الْعَبَّاسِ * مَا خُتِمَ الطِّينُ عَلَى الْقِرْطَاسِ
لَأَنِّي أَصْطَبَحْتُ أَرْبَعًا بِالْكَاسِ * فَقَدْ أَدَارْتُ شُرْبَهَا بِرَأْسِي

* فَهَلْ بِمَا قُلْتُ لَكُمْ مِنْ بَاسٍ *

فأخذه ومضوا ، وخرقوا ثيابه وساجه وأتى به أبو جعفر - وكان يؤتى بكل من أخذه
العسس - فحبسه مع الدجاج في بيت . فلما أفاق جعل ينادى غلامه مرة وجاريته
أخرى فلا يجيبه أحد ، وهو في ذلك يسمع صوت الدجاج وزقاة الديوك . فلما
أكثر قال له السجان : ما شأنك ؟ قال : ويلك من أنت وأين أنا ؟ قال :
في الحبس ، وأنا فلان السجان . قال : ومن حبسني ؟ قال : أمير المؤمنين . قال :

(١) الساج : الطليسان الأخضر وقيل الأسود وقيل المقور ينسج كذلك . وفي الأساس : « لبسوا

السيجان وهي الطلياسة المدورة الواسعة » . (٢) في ب ، س : « الناس » .

(٣) يحلم فلان : قال حلمت بكذا وهو كاذب .

وَمَنْ نَحَرَ طَبْلَسَانِي؟ قَالَ : الْحَرَسُ . فطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَأْتِيَهُ بِدَوَاةٍ وَقِرَاطِاسٍ فَعَمِلَ ،
فَكَتَبَ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ :

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَدَتَكَ نَفْسِي * عَلَامَ حَبَسْتَنِي وَنَحَرْتَ سَابِحِي
أَمِنْ صَفَرَاءَ صَافِيَةِ الْمِزَاجِ * كَأَنَّ شُعَاعَهَا لَهَبُ السَّراجِ
وَقَدْ طَبِخَتْ بِنَارِ اللَّهِ حَتَّى * لَقَدْ صَارَتْ مِنَ النَّظْفِ النَّضَاجِ^(١)
تَهَشُّ لَهَا الْقُلُوبُ وَتَشْتَهِيهَا * إِذَا بَرَزَتْ تَرْقُوقُ فِي الرُّجَاجِ^(٢)
أَقَادَ إِلَى السُّجُونِ بَغِيرِ جُرْمٍ * كَأَنِّي بَعْضُ عُمَالِ الْخَوَاجِ
وَلَوْ مَعَهُمْ حُبِسْتُ لَكَانَ سَهْلًا * وَلَكِنِّي حُبِسْتُ مَعَ الدَّجَاجِ
وَقَدْ كَانَتْ تُخَبِّرُنِي ذُنُوبِي * بِأَنِّي مِنْ عِقَابِكَ غَيْرُ نَاجِي
عَلَى أَنِّي وَلِمَنْ لَأَقِيتُ شَرًّا * لَخَيْرِكَ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ رَاجِي

فَدَعَا بِهِ وَقَالَ : أَيْنَ حُبِسْتَ يَا أَبَا دُلَامَةَ؟ قَالَ : مَعَ الدَّجَاجِ . قَالَ : فَكَيْفَ
تَصْنَعُ؟ قَالَ : أَقْبُوِي مَعَهُنَّ حَتَّى أَصْبِيحْتُ . فَضَحِكَ وَخَلَّى سَبِيلَهُ وَأَمَرَ بِهِ بِجَائِزَةٍ .
فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ لَهُ الرَّبِيعُ : إِنَّهُ شَرِبَ الْخَمْرَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَهُ وَقَدْ طَبَخْتَ
بِنَارِ اللَّهِ؟ (يعني الشمس) . فَأَمَرَ بِرَدِّهِ ثُمَّ قَالَ : يَا خَيْثُ شَرِبْتَ الْخَمْرَ؟ قَالَ لَا .
قَالَ : أَفَلَمْ تَقُلْ ”طَبِخْتُ بِنَارِ اللَّهِ“ تعني الشمس . قَالَ : لَا وَاللَّهِ مَا عَنَيْتُ إِلَّا نَارَ اللَّهِ
الْمُوقَدَةِ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى فُؤَادِ الرَّبِيعِ . فَضَحِكَ وَقَالَ : خُذْهَا يَا رَبِيعُ وَلَا تَعَاوِدِ التَّعَرُّضَ .

١٣٠
٩

قَالَ ابْنُ النَّظَّاحِ : وَمَرَّ أَبُو دُلَامَةَ بِبَيْتٍ بِالْكُوفَةِ فَقَالَ لَهُ :
رَأَيْتُكَ أَطْعَمْتَنِي فِي النَّوَامِ * قَوَاصِرُ^(٣) مِنْ تَمْرِكَ الْبَارِحَةِ

لَفَقَ رَوْيَا لَتَمَارَ
وَأَخَذَ مِنْهُ تَمْرًا

(١) النظفة : الماء الصافي قل أو أكثر . (٢) في ١ ، ٣ : « برقت » . وترقوق :
تلاؤلاً أي تجيء وتذهب . (٣) قواصر : واحدها قوصرة ، وهي وعاء من قصب يرفع
فيه اسم من البوارى .

فَأَمَّ الْعِيَالُ وَصِيَّانَهَا * إِلَى الْبَابِ أَعْيُنُهُمْ طَاعَهُ
فَاعْطَاهُ جُلَّتْ تَمَرٌ وَقَالَ لَهُ : إِنَّ رَأَيْتَ هَذِهِ الرُّؤْيَا ثَانِيَةً لَمْ يَصِحَّ تَفْسِيرُهَا . فَأَخَذَهَا
وَانْصَرَفَ .

هنا المهدي بقدمه
من الرى فلا حجره
دراهم

وقال ابن النطاح :

لَمَّا قَدِمَ الْمَهْدِيُّ مِنَ الرَّيِّ دَخَلَ عَلَيْهِ أَبُو دُلَامَةَ فَانْشَأَ يَقُولُ :
لَأَنِّي نَذَرْتُ لِنَرَأَيْتِكَ سَالِمًا * بِقُرَى الْعِرَاقِ وَأَنْتَ ذُو وَفَرٍ
لَتُصَلِّيَنَّ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ * وَلَتَمْلَأَنَّ دِرَاهِمًا حِجْرِي
فَقَالَ : صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَمَّا الدِّرَاهِمُ فَلَا . فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ تُمَرَّقَ
بَيْنَهُمَا ثُمَّ تَخْتَارُ أَسْهَلَهُمَا . فَأَمَرَ بِأَنْ يُمْلَأَ حِجْرُهُ دِرَاهِمًا .

وَمِثْلُ هَذَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ مَا حَدَّثَنِي بِهِ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ الْحَارِثِ
عَنِ الْمَدَائِنِيِّ قَالَ :

قَدِمَ الْمُهَلَّبُ مِنْ بَعْضِ غُرَوَاتِهِ ، فَلَقِيَتْهُ عَجُوزٌ مِنَ الْأَزْدِ فَقَالَتْ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ،
أَسْأَلُكَ بِاللَّهِ وَالرَّحِمِ إِلَّا وَقَفْتَ فَوْقَ . فَدَنَتْ وَقَبِلَتْ يَدَهُ وَقَالَتْ : هَذَا نَذْرُكَ
عَلَيَّ ، لَأَنِّي نَذَرْتُ عَلَى اللَّهِ أَنْ أَقْبَلَ يَدَكَ إِنْ قَدِمْتَ سَالِمًا وَتَهَبَ لِي أَرْبَعًا دَرَاهِمَ
وَجَارِيَةً صُغْدِيَّةً تَخْدُمُنِي . فَضَحِكَ وَقَالَ : أَمَّا نَحْنُ فَقَدْ وَقَّيْنَا بِنَذْرِكَ ، ادْفَعُوا إِلَيْهَا
ذَلِكَ ، وَإِيَّاكَ يَا أُمَّاهُ وَهَذِهِ النُّذُورُ ؛ فَلَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ يَفِي لَكَ بِهَا وَيَنْشِطُ لَتَحْلِيلِكَ مِنْهَا .

ضجر من الصوم
والحرف فكتب
للهدي شعرا فعجل
جائزته

قال ابن النطاح :

وَصَامَ النَّاسُ فِي سَنَةِ شَدِيدَةِ الْحَرِّ عَلَى عَهْدِ الْمَهْدِيِّ ، وَكَانَ أَبُو دُلَامَةَ
يَنْتَجِزُ جَائِزَةً أَمَرَ لَهُ الْمَهْدِيُّ بِهَا . فَكُتِبَ إِلَيْهِ أَبُو دُلَامَةَ رُقْعَةٌ يَشْكُو فِيهَا أَذَى الْحَرِّ
وَالصُّومِ وَهِيَ :

(١) الْجَلَّةُ (بِالْف) : قَفَّةٌ كَبِيرَةٌ لِلتَّمَرِ .

- أدعوك بالرحم التي هي جمعت * في القرب بين قريتنا والأبعد
إلا سمعت وأنت أكرم من مشى * من منشد يرجو جزاء المنشد
جاء الصيام فصمته متعبدا * أرجو رجاء الصائم المتعبدا
ولقيت من أمر الصيام وحره * أمرين قيسا بالعذاب المؤصد^(١)
وسجدت حتى جبهتي مشجوجة * مما يناطحني الحصا في المسجد
فأمن بتسريحى بمطلك بالذى * أسلفتني من البلاء المرصد
فلما قرأ المهدي رقعته غضب وقال : يا حاض كذا من أمه أي قرابة بني وبينك ؟ !
قال : رحم آدم وحواء ، أنسيتهما يا أمير المؤمنين ! فضحك وقال : لا والله ما نسيتهما ؛
وأمر بتعجيل ما أجاز به وزاد فيه . وأخبرني بهذا الخبر الحسن بن علي قال
حدثنا الخزازي عن المدائني وزاد فيه قال : وأنشده أيضا في ذم الصوم :
هل في البلاد لرزق الله مفترش * أم لا ففي جلده من خشية برش^(٢)
— يعني أن جلده الرزق خشن الملمس فهو يفتش كما يفتش الضب — أشعر :
أضحي الصيام منيخا وسط عرصتنا * نيت الصيام بأرض دونها حرش^(٣)
إن صمت أوجعني بطني وأقلبني * بين الجوائح مس الجوع والعطش^(٤)
وإن خرجت بليل نحو مسجدهم * أضرتني بصرق قد خانه العمش^(٥)
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي عن أحمد بن زهير عن الزبير عن عمه ،
ونسخت من كتاب ابن النطاح قال اليزيدي في خبره :

١٣١
٩

عزى أم سله بنت
يمقوب في السفاح
فاضحكها

- (١) المؤصد : المطبق . (٢) في الأصول : « الملبس » بالباء . (٣) احتش الضب
وحرشه : صاده ، وهو أن يحرك يده على جحره ليظنه حية فيخرج ذنبه ليضربها فيأخذه . ومنه المثل :
« أتعلني بضب أنا حرشته » يخاطب به العالم بالشي من يريد تعليمه . (٤) الحرش (بالتحريك) لغة :
الخشونة . يتنى لو كان بينه وبين الصوم من غلظ الأرض وحزونها ما يحول دونه .

دخل أبو دلّامة على رَيطَة بعد وفاة المهديّ، وقال أن النطّاح : دخل على أمّ سلمة بنت يعقوب بن سلمة بعد وفاة أبي العباس، وهو الصحيح، فعزّاها به وبكى وبكت معه، ثم أنشدتها :

مَنْ يُجِئُكَ فِي الصَّبْرِ عِنَّا فَلَمْ يَكُنْ * صَبْرِي عَلَيْكَ عَدَاةٌ بِنْتُ جَمِيلَا
يَحْدُونَ أَبَدًا لَهُ وَأَنَا أَمْرٌ * لَوِئْتُ وَجَدًا مَا وَجَدْتُ بِدِيلَا
لَأَنَّى سَأَلْتُ النَّاسَ بَعْدَكَ كُلَّهُمْ * فَوَجَدْتُ أَجُودَ مَنْ سَأَلْتُ بِجِيلَا

فقالَتْ أمّ سلمة . لم أرَ أحدًا أُصِيبَ به غيري وغيرك يا أبا دلّامة . فقال : ولا سَوَاءَ يَرْحُمُكَ اللَّهُ، لك منه ولد وما ولدْتُ أنا منه . فضحكْتَ — ولم تكن منذ مات أبو العباس ضحكْتَ إلا ذلك الوقت — وقالت له : لو حَدَّثْتَ الشَّيْطَانَ لَأُضْحِكْتَهُ .

أخبرنا محمد بن يحيى الصوليّ قال حَدَّثَنَا الغلابيّ قال حَدَّثَنَا عبد الله بن الضحّاك قال :

خدع المهديّ بموت زوجته وخدعت زوجته الخيزران بموته كذلك فضحكا منهما

دخل أبو دلّامة على المهديّ وهو يبكي . فقال له : مالك ؟ قال : ماتت أمّ دلّامة، وأنشدته لنفسه فيها :

وَكُنَّا كَرْوِجٍ مِنْ قَطَا فِي مَقَاذِيرِ * لَدَى خَفِضِ عَيْشٍ نَاعِمٍ مُؤْنِقٍ رَغْدِ
فَأَفْرَدَنِي رَبُّ الزَّمَانِ بِصَرْفِهِ * وَلَمْ أَرِ شَيْئًا قَطُّ أَوْحَشَ مِنْ فَرْدِ

فأمر له بتياب وطيب ودنانير، وخرج . فدخلت أمّ دلّامة على الخيزران فأعلمتها أنّ أبا دلّامة قد مات، فأعطتها مثل ذلك، وخرجت، فلما التقى المهديّ والخيزران عرّفا حيلتهما بفعلها يضحكان لذلك ويعجبان منه .

(١) أم سلمة : هي أم سلمة المخزومية امرأة الخليفة أبي العباس السفاح، وتزوجها بعده عبد الله

ابن عبد الحميد المخزومي . (انظر الأغاني ج ٤ ص ٣٣٥ من هذه الطبعة) .

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة، ونسخت أنا من كتاب
آبن. النطاح قال :

فرض له المنصور
على كل هاشمي عطاء
فنقصه العباس بن
محمد دينارين قدمه

دخل أبو دلامة على المنصور فأنشده :

أما ورب العاديات صبيحا * ^(١)حقا ورب الموريات قدحا
إن المغيرات على صبيحا * ^(٢)والناكثات من فؤادي قرحا
عشر ايسال بينهم صبيحا * ^(٣)يخلفن مالي ككل عام صبيحا

فقال له أبو جعفر: وكم تذبح يا أبا دلامة؟ قال: أربعة وعشرين سنة. ففرض له
على كل هاشمي أربعة وعشرين ديناراً، فكان يأخذها منهم. فأتى العباس بن محمد
في عشر الأصحى يتعجزها. فقال: يا أبا دلامة، أليس قد مات أبوك؟ قال بلى.
قال: أنقصوه دينارين. قال: أصلح الله الأمير لا تفعل، فإنه ترك علي ولدين. فإني
إلا أن ينقصه. فخرج وهو يقول :

أخطاك ما كنت ترجوه وتأمله * ^(٤)فاغسل يديك من العباس بالياس
وأغسل يديك بأشنان فأنقهما * ^(٥)مما تؤمل من معروف عباس
جزاك ربك يا عباس عن قريح * ^(٦)جنات عدن وعنى جرزي أس

- ١٥ (١) الضيح: صوت أنفاس الخيل إذا عدت ليس بصهيل ولا جحمة. (٢) نكأ القرح: قشره قبل أن يبرأ فيندى. وقد وردت هذه الكلمة في الأصول محرقة؛ ففي ح: «الناكثات». وفي أ، م: «الناكثات». وفي ب، س: «الفاتكات». (٣) في الأصول: «قدحا» بالـدال، وهو تحريف. (٤) في أ، م: «صبيحا» بالصاد المهملة. وهي في كلتا صورتها غير واضحة. (٥) يخلفن: يستأصلن. وفي ب، س: «يتلفن». وفي سائر الأصول: «يخلفن» بالحاء المهملة. وهو مصحف عما أثبتناه، كما يحتمل أن يكون مصحفاً عن «يخلفن» بالـقاف بمعنى يستأصلن أيضاً. (٦) الأشنان (بالضم): حمض تغسل به الأيدي. (٧) الجرزة: الخزمة.

فبلغ ذلك أبا جعفر فضحك، وأغتاظ على العباس، وأمره بأن يبعث إليه بأربعة وعشرين ديناراً أخرى . هذه رواية يزيد . وأما ابن النطاح فإنه ذكر أن الذي نقصه الدينارين على بن صالح وقال له : إنما نقصتُك دينارين لموت أبنك دُلّامة . فحلف ألا يأخذ إلا خمسين ديناراً ، ثم قام مُغضباً ، فأتبعه الرسول فأعطاه إياها . فقال له : ^(١)أولى له . أما ما سبق فلا حيلة فيه ، والمستأنف فقد أمنه . وقد كان قال فيه :

لعلى بن صالح بن علي * تسب لو يعينه بساج
وبنو مالك كثير ولكن * مالنا في بقائهم من فلاج
غير فضيل فإن للفضل فضلاً * مستبيناً على قریش البطاح

أخبرني محمد بن أحمد عن محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائني قال :

خاصم رجل أبا دُلّامة في داره ، فارتفعا إلى عافية القاضي فأنشأ أبو دُلّامة يقول :

لقد خاصمتني دُهاة الرجال * وخصمتها سنة وإفيه
فأدحض الله لي حجة * ولا خيب الله لي قافية
ومن خفت من جوره في القضاء * فلست أخافك يا عافية

فقال له عافية : أما والله لأشكوّنك إلى أمير المؤمنين ولأعلمنه أنك هجوتني . قال : إذا يعزلك . قال : ولم ؟ قال : لأنك لاتعرب المديح من الهجاء . فبلغ ذلك المنصور فضحك وأمر لأبي دُلّامة بجائزة .

(١) أولى له : معناها التهديد والتوعد .

أخبرني محمد بن أحمد عن أحمد بن الحارث عن المدائني قال :

أمراء المهدي بهجاء
أحد الحضور
فهجا نفسه

دخل أبو دلامة على المهديّ وعنده إسماعيل بن محمد وعيسى بن موسى
والعبّاس بن محمد ومحمد بن إبراهيم الإمام وجماعة من بني هاشم . فقال له : أنا أعطى
الله عهداً لنّ لم تهجّ واحداً ممّن في البيت لأقطعنّ لسانك — ويقال إنه قال : لأضربنّ
عنقك — فتظروا إليه القوم ، فكلمنا نظراً إلى واحد منهم غمز به عليه رضاه . قال
أبو دلامة : فعلمت أنّي قد وقعتُ وأنها عزيمةٌ من عزّماته لا بدّ منها ، فلم أرَ أحداً
أحقّ بالهجاء منّي ، ولا أدعى إلى السلامة من هجاء نفسي ، فقلت :

ألا أبلغ إليك أبا دلامة * فليس من الكرام ولا كرامة
إذا ليس العمامة كان قرداً * ويتزيّراً إذا نزع العمامة
جمعت دمامة وجمعت لؤماً * كذاك اللؤم تتبعه الدمامة
فإنّك قد أصبحت نعيم دُنيا * فلا تفرّح فقد دنت القيامة
فضحك القوم ولم يبق منهم أحدٌ إلّا أجاز به .

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير عن عمّه قال :

قال شعرا في المهدي
وعلى بن سليمان
وقد خرجا للصيد
فأصاب الأول
وأخطأ الثاني

خرج المهديّ وعليّ بن سليمان إلى الصّيد ، فسَنَحَ لهما قَطيْعٌ من ظِباء ، فأرْسَلَتِ
الكلابُ وأجريت الخيلُ ، فرمى المهديّ ظيبيّاً بسهم فصرّعه ، ورمى عليّ بن سليمان
فأصاب بعض الكلاب فقتله . فقال أبو دلامة :

قد رمى المهديّ ظيبيّاً * شكّ بالسهم فؤاده
وعلى بن سليمان * ن رمى كلباً فصّاده
فهنيئاً لهما كلٌّ أمرئٍ يا كلّي زاده

١٣٣
٩

فضحك المهدي حتى كاد أن يسقط عن سرجه ، وقال : صدق والله أبو دلالة ، وأمر له بجائزة سنينة . أخبرني بهذا الخبر عمي عن الكزائي عن العُمري عن الهيثم بن عدي فذكر مثل ما ذكره وقال فيه : فلقب علي بن سليمان "صائد الكلب" وعلق به .

أنشد المنصور
شعرا فأعطاه دارا
وكموة ثم احتاج
الى الدار وعوضه
بدها

قال ابن النطاح : وأنشد أبو دلالة المنصور يوماً :

هاتيك والدتي عجوزٌ هُـ^(١) * مثل البليسة دِرْعُها في المشجب^(٢)
مهزولةٌ الخمين^(٣) من يرها يقل * أبصرتُ غولاً أو خيالاً، القُطرب^(٤)
ما إذ تركتُ لها ولا لابن لها * مالا يؤمل غيرَ بكرٍ أجرب
ودجائجا نحسا يرحن^(٥) إليهم * لما يبيض^(٦) وغيرَ غيرٍ مغرب^(٧)
كتبوا إلى صحيفة مطبوعة^(٧) * جعلوا عليها طينة كالقُرب
فعلبتُ أن الشر عند فكّاكها * ففككتُها عن منيل ربح الجُورب
وإذا شبيه بالأفاعى رُقشت * يُوعدني بتلطيظ^(٨) وتثؤب^(٨)
يشكون أن الجوع أهلك بعضهم * لزباً^(٩) فهل لك في يال لزب
لا يسألونك غيرَ طلّ سحاب^(٩) * تغشاهم من سبيلك المتحلب
يا باذل الخيرات يابن بدولها * وآبن الكرام وكلّ قريم منجب
أتم بنو العباس يعلم أنكم * قدما فوارس كل يوم أشهب

(١) الهمة : العجوز القانية . (٢) المشجب (ومثله الشجاب) : خشبات موقفة منصوبة توضع عليها الثياب وتلشر . يريد أن أمه فئت حتى أشبهت خشبات المشجب . (٣) الحى : عظم الحنك وهو الذى عليه الأسنان . (٤) القُطرب هنا : ذكر الغيلان أو الصغير من الجن . (٥) يجوز في تابع المستثنى بغير مراعاة اللفظ ومراعاة المعنى . وقد روى هنا المعنى . (٦) العير (بالفتح) : الحمار . والمغرب : الذى اشتد بياضه حتى تبيض محاجره وأرقاعه . (٧) مطبوعة : مخنومة . (٨) فى الأصول : «وتثؤب» ويقال لغة ثأب وثأب بالتضعيف . وقد آثرنا الثانية لأنه على رواية الأصول تكون فى «ثأفة ألف الأساس» ، وإذا كانت لزم فى القصيدة كلها . (٩) اللزب (بالتحريك) : ضيق العيش .

أَحْلَاسٌ خَيْلٌ اللَّهُ وَهِيَ مُغِيرَةٌ * يَخْرُجْنَ مِنْ خَلَالِ الْغُبَارِ الْأَكْهَبِ^(٢)

قال : فأمر له بدار يسكنها وكسوة ودراهم . وكانت الدار قريبة من قصره ، فأمر بأن تزداد في قصره بعد ذلك لحاجة دعته إليها . فدخل عليه أبو دُلَامة فأنشده قوله :

يَا بَنَ عَمِّ النَّبِيِّ دَعْوَةُ شَيْخٍ * قَدْ دَنَا هَدْمُ دَارِهِ وَدَمَارُهُ

فهو كالمأخض التي اعتادها الطَّلْدُ * قُيِّقَ فَقَرْتُ وَمَا يَقَرُّ قَرَارُهُ

إِنْ تَحْزُ عُسْرُهُ بِكَفِّكَ يَوْمًا * فَبِكَفِّكَ عُسْرُهُ وَيَسَارُهُ

أَوْ تَدْعُهُ فَلِلْبَوَارِ ، وَأَنْتِ * وَلِمَاذَا وَأَنْتِ حَتَّى بَوَارُهُ

هَلْ يَخَافُ الْهَلَاكَ شَاعِرُ قَوْمٍ * قَدَّمْتُ فِي مَدِيحِهِمْ أَشْعَارُهُ

لَكُمْ الْأَرْضُ كُلُّهَا فَأَعِيرُوا * شَيْخَكُمْ مَا أَحْتَوَى عَلَيْهِ جِدَارُهُ

فَكَأَنَّ قَدْ مَضَى وَخَلَّفَ فِيكُمْ * مَا أَعْرَيْتُمْ وَأَقْفَرْتُمْ مِنْهُ دَارُهُ

فَأَسْتَعْبَرَ الْمَنْصُورُ ، وَأَمَرَ بِتَعْوِيضِهِ دَارًا خَيْرًا مِنْهَا وَوَصَلَهُ .

قال ابن النطاح :

ودخل أبو دُلَامة على المهديّ وعنده مُحَرِّزٌ وَمُقَاتِلٌ ابْنَا دُؤَالٍ يَعَاتِبَانِهِ عَلَى تَقْرِيْبِهِ .

أَبَا دُلَامة وَيَعْيِيَانِهِ عِنْدَهُ . فَقَالَ أَبُو دُلَامة :

أَلَا أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ هَلْ أَنْتَ مُحَرِّرِي * وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَهَلْ أَنْتَ سَائِلِي

أَلَمْ تَرْحِمِ اللَّحْيَيْنِ مِنْ لَحْيَيْهِمَا * وَكَلْتَاهُمَا فِي طَوْلِهَا غَيْرُ طَائِلِ

وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَهَلْ أَنْتَ مُكْرِمِي * بِحَلْقِهِمَا مِنْ مُحَرِّزٍ وَمُقَاتِلِ

فَإِنْ يَأْذِنُ الْمَهْدِيُّ لِي فِيهِمَا أَقْلُ * مَقَالًا كَوَقْعِ السِّيفِ بَيْنَ الْمَفَاصِلِ

وَلَا تَدْعُنِي وَالْمَمُومُ تَنْوِينِي * وَقَلْبِي مِنَ الْعِلْجَيْنِ جَمَّ الْبَلَابِلِ^(٣)

عابه عند المهدي
محرز ومقاتل ابنا
دؤال فهجاهما
بمحضرته

١٣٤
٩

(١) أحلاس الخيل هنا : الملازمون ظهورها . (٢) الكهبة : غيرة مشربة سوادا .

(٣) فعل الشرط محذوف أي ولا تفعل تدعني .

فقال . أو أخذ لك منهما عشرة آلاف درهم يفديان بها أعراضهما منك ؟ قال :
ذلك إلى أمير المؤمنين . فأخذها له منهما وأمسك عنهما .

قال ابن النطاح :

ودخل أبو دلالة على سعيد بن دعلج^(١) مولى بني تميم فقال :

إذا جئت الأمير فقل « سلام * عليك ورحمة الله الرحيم
وأما بعد ذاك فلي غريم * من الأعراب قبح من غريم
غريم لازم بفناء بيتي * لزوم الكلب أصحاب الرقيم^(٢)
له مائة على ونصف أخرى * ونصف التصف في صك قديم
دراهم ما آتتعت بها ولكن * وصلت بها شيوخ بني تميم
أتوني بالعشيرة يسألوني * ولم أكن في العشيرة باللثيم

فضحك وأمر له بمائتين وخمسة وسبعين درهما وقال : ما أساء من أنصف ، وقد
كافأتك عن قومك وزدتك مائة .

(١) كان أميراً على شرطة البصرة وأحدثها لأبي جعفر المنصور، ثم ولى البحرين له أيضاً وعزله بعد
ذلك . وولى للهدى طبرستان وعزله عنها . (انظر ابن الأثير ج ٦ ص ٦ و ٧ و ٢٦ و ٢٧ و ٣٩ و ٤١)
(٢) قال الزخشي في تفسير قوله تعالى : (أم حسب أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا
عجبا) : « الرقيم اسم كلهم ، قال أمية بن أبي الصلت :

وليس بها إلا الرقيم مجاورا * وصيدهم والقوم في الكهف همد

وقيل هو لوح من رصاص رقت فيه أسماءهم جعل على باب الكهف ، وقيل إن الناس رقوا حديثهم
نقرا في الجبل ، وقيل : هو الوادي الذي فيه الكهف ، وقيل الجبل ، وقيل قريتهم ، وقيل مكانهم بين
غضبان وأيلة دون فلسطين » . وفي اللسان مادة رقم : « قال أبو القاسم الزجاجي في الرقيم خمسة
أقوال : أحدها عن ابن عباس أنه لوح كتبت فيه أسماءهم . الثاني أنه الدواة بلغة الروم عن مجاهد .
الثالث القرية عن كعب . الرابع الوادي . الخامس الكتاب عن الضحاك وقتادة ، وإلى هذا القول
يذهب أهل اللغة » .

مدح سعيد بن دعلج
فأجازه

أخبرني الحرّمي قال حدثنا الزبير عن جعفر بن الحسين اللّهي عن عمّه
مصعب :

داعب المنصور
في جنازة بنت عمه
حتى ضحك

أن حمّادة بنت عيسى توفيت وحضر المنصور جنازتها . فلما وقف على حُفرتها
قال لأبي دلامة : ما أعددت لهذه الحفرة ؟ قال : بنت عمك يا أمير المؤمنين حمّادة
بنت عيسى يُجاء بها الساعة فتدفن فيها . فضحك المنصور حتى غلب فستر وجهه .

أخبرني حمي رحمه الله تعالى قال حدثنا محمد بن سعد الكرائي قال قال أبو عمر
حفص بن عمر العمرى حدثنا الهيثم قال :

سأل الخيزران
جارية فوعده
بها وأبطأت
فاستنجزها بشعر
وقصة زوجته وابنه
مع هذه الجارية

تحت الخيزران ، فلما خرجت صاح بها أبو دلامة . قالت : سلوه ما أمره .
فقالوا له : ما أمرك ؟ فقال : أدنوني من تحملها . قالت : أدنوه ، فأذني . فقال : أيتها
السيدة ، إنني شيخ كبير وأجرك في عظيم . قالت : فقه . قال : تهين لي جارية من
جواريك تؤسني وترفق بي وترينني من عجوز عندي ، قد أكلت ريفدي ،
وأطالت كدي ، وقد عاف جلدي جلدها ، وتمتيت بعدها ، وتشوقت فقدها .
فضحك الخيزران وقالت : سوف أمر لك بما سألت . فلما رجعت تلقاها
وذكرها ، وخرج معها إلى بغداد فأقام حتى غرض^(١) . ثم دخل على أم عبيدة حاضنة
موسى وهارون ، فدفع إليها رقعة قد كتبها إلى الخيزران فيها :

أبليني سيدي بالله * يا أم عبيده
أنها أرشدها الله وإن كانت رشيدة
وعدتني قبل أن تح * ربح للحج وليده
فتأيت وأرسل * ست بعشرين قصيده

(١) غرض : خبر ومثل .

كَلَّمَا أَخْلَقْنِ^(١) أَخْلَقَ * تَ لَهَا أُخْرَى جَدِيدَه

لَيْسَ فِي بَيْتِي لَتَهِي * لَدِ فِرَاشِي مِنْ قَعِيدَه

غَيْرُ عَجْفَاءَ عَجُوزٍ * سَافَهَا مِثْلَ الْقَدِيدَه

وَجْهَهَا أَقْبَحُ مِنْ حُو * تِ طَرِيٍّ فِي عَصِيدَه

مَاحِيَةً مَعَ أَنْتَى * مِثْلَ عِرْسِي بِسَعِيدَه

١٣٥
٩

فلَمَّا قُرِئَتْ عَلَيْهَا الْآيَاتُ ضَحِكَتْ وَاسْتَعَادَتْهَا مِنْهُ لِقَوْلِهِ « حُوتَ طَرِيٍّ فِي عَصِيدَه »
وَجَعَلَتْ تَضْحَكُ ، وَدَعَتْ بِجَارِيَةٍ مِنْ جَوَارِيهَا فَاتَّقِيَةً فَقَالَتْ لَهَا : خُذِي كُلَّ مَا لَكَ
فِي قَصْرِی فَفَعَلَتْ ، ثُمَّ دَعَتْ بِبَعْضِ الْخَدَمِ وَقَالَتْ لَهُ : سَلِّمْهَا إِلَى أَبِي دُلَامَةِ . فَأَنْطَلَقَ
الْخَادِمُ بِهَا فَلَمْ يَصَادَفْهُ فِي مَنْزِلِهِ . فَقَالَ لَامْرَأَتَهُ : إِذَا رَجَعْتَ فَأَدْفَعِيهَا إِلَيْهِ ، وَقُولِي لَهُ : تَقُولُ
لَكَ السَّيِّدَةُ : أَحْسِنُ مُحَبَّةَ هَذِهِ الْجَارِيَةِ فَقَدْ آثَرْتُكَ بِهَا ، فَقَالَتْ لَهُ نَعَمْ . فَلَمَّا نَزَلَ دَخَلَ
أَبْنَاهُ دُلَامَةُ فَوَجَدَ أُمَّهُ تَبْكِي . فَسَأَلَهَا عَنْ خَبَرِهَا فَأَخْبَرَتْهُ وَقَالَتْ : إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَبْرَأَ
يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ فَالْيَوْمَ . فَقَالَ : قُولِي مَا شِئْتِ لِأَنِّي أَفْعَلُهُ . قَالَتْ : تَدْخُلُ عَلَيْهَا فَتُعَلِّمُهَا
أَنَّكَ مَالِكُهَا وَتَطْوُؤُهَا فَتَحْرُمَ عَلَيْهِ ، وَإِلَّا دَهَبْتَ بِعَقْلِهِ وَجَفَانِي وَجَفَاكَ . فَفَعَلَ وَدَخَلَ
إِلَى الْجَارِيَةِ فَوَطَّأَهَا وَوَأَفَّقَهَا ذَلِكَ مِنْهُ : وَخَرَجَ . ثُمَّ دَخَلَ أَبُو دُلَامَةَ فَقَالَ لَامْرَأَتَهُ :
أَيْنَ الْجَارِيَةِ ؟ قَالَتْ : فِي ذَلِكَ الْبَيْتِ . فَدَخَلَ إِلَيْهَا شَيْخٌ مُحْطَمٌ ذَاهِبٌ ، فَدَبَّ يَدَهُ
إِلَيْهَا وَذَهَبَ لِيَقْبَلَهَا . فَقَالَتْ لَهُ : مَا لَكَ وَبَيْتُكَ ! تَنْسَحُ وَإِلَّا لَطَمْتُكَ لَطْمَةً دَقَقْتُ
مِنْهَا أَنْفَكَ . فَقَالَ لَهَا : أَهَذَا أَوْصَيْتُكَ السَّيِّدَةُ ! . فَقَالَتْ : إِنَّهَا قَدْ بَعَثَتْ بِي إِلَى
فَتًى مِنْ حَالِهِ وَهَيْئَتِهِ كَيْتٌ وَكَيْتٌ ، وَقَدْ كَانَ عِنْدِي أَنْفًا ، وَنَالَ مِنِّي حَاجَتَهُ . فَعَلِمَ
أَنَّهُ قَدْ دُعِيَ مِنْ أُمِّ دُلَامَةَ وَأَبْنَاهَا . فَخَرَجَ إِلَيْهِ أَبُو دُلَامَةَ فَلَطَمَهُ وَلَبَّيْهِ وَحَلَفَ^(٢)

(١) كَذَا فِي ١٠ . وَفِي سَائِرِ الْأَصُولِ : « أَخْلَقْنِ » بِالْفَاءِ الْمَرْحَلَةِ .

(٢) لَيْهِ : أَخَذَ بِتَلْبِيئِهِ أَيْ جَمَعَ ثِيَابَهُ عِنْدَ صَدْرِهِ وَنَحَرِهِ فِي الْخَصُومَةِ ثُمَّ جَزَّهُ .

ألا يفارقه إلا عند المهدي . فمضى به مُلَبِّياً حتى وقف على باب المهدي . نَعْرِفُ
خبره . وانه قد جاء بابنه على تلك الحالة فأمر بإدخاله . فلما دخل قال له : مالك
وَيْلَكَ ؟ قال : عَمِلَ بِي هَذَا ابْنُ الْخَيْثَمَةِ مَا لَمْ يَعْمَلْ وَلَدٌ بِأَبِيهِ ، وَلَا تُرْضِينِي إِلَّا أَنْ
تَقْتُلَهُ . فقال له : وَيْلَكَ فَمَا فَعَلَ ؟ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ . فَضَحِكَ حَتَّى اسْتَلْقَى ثُمَّ جَلَسَ . فقال
له أَبُو دُلَامَةَ : أَعْجَبَكَ فَعْلُهُ فَتَضَحَّكَ مِنْهُ ؟ فقال : عَلَى السَّيْفِ وَالنَّطْعِ . فقال له
دُلَامَةُ : قَدْ سَمِعْتَ حُجَّتَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَاسْمَعْ حُجَّتِي . قال : هَاتِ . قال : هَذَا
الشَّيْخُ أَصْفَقُ النَّاسَ وَجَهًا ، يَذِيكَ أُمِّي مِنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً مَا غَضِبْتُ ، وَنَكْتُ جَارِيَتَهُ
مَرَّةً وَاحِدَةً فَغَضِبَ وَصَنَعَ بِي مَا تَرَى ! فَضَحِكَ الْمَهْدِيُّ أَكْثَرَ مِنْ ضَحْكَه الْأَوَّلِ ،
ثُمَّ قَالَ : دَعَهَا لَهُ يَا أَبَا دُلَامَةَ وَأَنَا أَعْصِيكَ خَيْرًا مِنْهَا . قال : عَلَى أَنْ تَنْجِبَهَا لِي
بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَإِلَّا نَاكَهَا وَاللَّهِ كَمَا نَاكَ هَذِهِ . فَتَقَدَّمَ إِلَى دُلَامَةَ إِلَّا يُعَاوِدُ
بِمِثْلِ فَعْلِهِ ، وَحَلَفَ أَنَّهُ إِنْ عَاوَدَ قَتْلَهُ ، وَوَهَبَ لَهُ جَارِيَةً أُخْرَى كَمَا وَعَدَهُ .

وقال ابن النطاح :

دخل أبو دُلَامَةَ عَلَى الْمَهْدِيِّ وَعِنْدَهُ شَاعِرٌ يُنْشِدُهُ . فقال له : مَا تَرَى فِيهِ ؟ قال :
إِنَّهُ قَدْ جَهَدَ نَفْسَهُ لَكَ فَأَجْهَدْ نَفْسَكَ لَهُ . فقال المهدي : وَأَبْيَكَ إِنَّهَا لَكَلِمَةٌ عَذْرَاءُ
مِنْكَ ، أَحْسِبُكَ تَعْرِفُهُ ! قال : لَا وَاللَّهِ مَا عَرَفْتُهُ وَلَا قُلْتُ أَنَا إِلَّا حَقًّا . فَأَمَرَ لِلشَّاعِرِ
بِجَائِزَةٍ ، وَلَأَبَى دُلَامَةَ بِمِثْلِهَا لِحَسَنِ مُحَضَّرِهِ .

سأله المهدي عن
شاعر فاطمراه
فأجازه لحسن
محضره

قال ابن النطاح وحدثني أبو عبد الله العُقَيْلُ قال :

رَأَيْتُ عَلَى أَبِي دُلَامَةَ قُرُوءَةً فِي الصَّيْفِ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَلَا تَمَلُّ هَذِهِ الْقُرُوءَةَ ! قال :
بَلَى ، وَرَبِّ مَمْلُوءٍ لَا يُسْتَطَاعُ فِرَاقُهُ . فَتَزَعْتُ فَاضِلَ ثِيَابِي فِي مَوْضِعِي وَدَفَعْتُهَا إِلَيْهِ .
قال : وَأَهْدِي لِلْمَهْدِيِّ فَيْلًا ، فَرَأَاهُ أَبُو دُلَامَةَ فَوَلَّى هَارِبًا وَقَالَ :

خلع عليه العقيل من
ثيابه التي عليه

٢٠

يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الْفَيْلَ بَعْدَكُمْ * لَا بَارَكَ اللَّهُ لِي فِي رُؤْيَا الْفَيْلِ

فزع من رؤية
الفيل وقال فيه
شعرا

ابصرتُ قصرًا له عينٌ يعلِّبها * فكذتُ أرمي بسَلْحِي في سَرَاوِيلِي
قال ابنُ النطَّاح :

أنشد المهدى شعرا
في بقلته واستوجهه
أخرى غيرها

ودخل أبو دلامة على المهدى^(١) فأنشده قصيدته في بقلته المشهورة :
أتاني بغلّة^(٢) يَسْتام^(٣) مِنِّي * عريق في الخسارة والضلال
فقال تبيعها؟ قلت أرْتَبِطُها * بحكك إن بيعي غير غالي
فأقبل ضاحكا نحوي سرورا * وقال أراك سَمَحًا ذا جمال
هَلُمَّ إلَيَّ يخلوبني خِداعًا * وما يَدْرِي الشَّقَى بمن يخالِي
فقلتُ بأربعين فقال أحسن * إلىَّ فإن مثلك ذو سِجَال^(٤)
فأتركتُ خمسة منها لعلمي * بما فيه يصير من الخيال

١٠ فقال المهدى : لقد أفلت من بلاءٍ عظيم . قال : والله يا أمير المؤمنين لقد مكثتُ
شهرًا أتوقع صاحبها أن يردّها . قال : ثم أنشده :

فأبدلني بها يا ربَّ طِرْفًا^(٥) * يكون جمالَ مرْكَبِهِ جَمَالِي
فقال لصاحب ذوابه : خيِّره من الإصْطَبَلِ مرْكَبَيْنِ . قال : يا أمير المؤمنين إن
كان الاختيار لي وقعت في شرٍّ من البغلة ، ولكن مره أن يختار لي ، فقال : آختر له .
١٥ وأخبرني به عمي عن الكزائي عن العُمري عن الهيثم بن عدي ، وخبره أتم .

وأخبرني محمد بن خلف عن أحمد بن الهيثم عن العُمري عن الهيثم بن عدي قال :
دخل أبو دلامة يومًا على المهدى ، فحادته ساعة وهو يضحك وقال له : هل بقي
أحدٌ من أهلي لم يصلِّك ؟ قال : إن أُمْنَتِي أخبرتك ، وإن أعْقَيْتِي فهو أحبُّ إلي .
قال : بل تُخبرني وأنت آمن . قال : كلُّهم قد وصَّلي إلَّا حاتمَ بنِي العباس . قال :

احتال على العباس
ابن محمد بشعرواخذ
منه ألفي درهم
ركان راهن المهدى
على ذلك فأخذ
منه ستة آلاف

(١) في ج : « أتاني خائب » . (٢) استام : طلب السوم أي تعيين الثمن . (٣) السجال هنا :
المباراة والمساجلة يريد أنه لا يماكس في الثمن . (٤) الطرف من الخيل : الكريم . (٥) في ب ،
س : « بين مرْكَبَيْنِ » .

(١) ومن هو؟ قال : عمك العباس بن محمد . فالتفت إلى خادم على رأسه وقال : جأ عُنقَ العاصِ بظُرْأُمِّه . فلما دنا منه صاح به أبو دُلَامة : تَنَحَّ يا عبدَ السَّوءِ لا تُخَنِّث مولاك وتُثَكِّثَ عَهْدَه وأمانَه . فضحك المهدى وأمر الخادمَ فتنحَّى عنه ، ثم قال لأبي دُلَامة : وَيْلَكَ ! والله عَمَى أبْجُلُ الناس . فقال أبو دُلَامة : بل هو أَسَخَى الناس . فقال له المهدى : والله لو مُتَّ ما أعطاك شيئاً . قال : فإن أنا أُتَيْتُهُ فأجازني ؟ قال : لك بكل درهم تأخذه منه ثلاثة دراهم . فأنصرف أبو دُلَامة فخرَّ للعباس قصيدة ثم غدا بها عليه وأنشده :

قِفْ بالديارِ وأَيُّ الدهرِ لم تَقِفْ * على المنازلِ بين الظُّهرِ والنَّجَفِ
وما وقُوفُكَ في أطْلالِ مَنَزِلَةٍ * لولا الذي أَسْتَدْرَجْتُ من قَلْبِكَ الكَلَفِ
١٠ إن كنتَ أصبحتَ مشغوقاً بساكنها * فلا وربَّكَ لا تَسْفِيكَ من شَغَفِ
دَعْ ذا وَقْلٍ في الذي قد فاز من مُضِرٍ * بالمَكْرُماتِ وعِزٍّ غيرِ مُقْتَرِفِ^(٣)
هذي رسالةُ شيخٍ من بَنِي أَسَدٍ * يُهْدِي السَّلامَ إلى العباسِ في الأَمْحَفِ
تَخْطُهَا من جَوَارِي المِصْرِ كاتِبَةٌ * قد طالما ضَرَبْتُ في اللامِ والأَلِفِ
وطالما اختلفتَ صَيِّفاً وشَتِيَّةً * إلى معلِّمها باللَّوحِ والكَتِفِ^(٤)
١٥ حتَّى إذا نَهَدَ الثَّديانِ وأَمْتَلَأَا * منها وخِيفَتْ على الإسرافِ والقَرْفِ^(٥)
صَبْنَتْ ثلاثَ مِيزِينٍ ما تَرى أحداً * كما يصون تِجَارُ دُرَّةَ الصَّدَفِ
فبينما الشَّيْخُ يَهْوِي نحو مَجْلِسِهِ * مبادِراً لصلاةِ الصُّبْحِ بالسَّدَفِ^(٦)
حانتَ له لَحْظَةٌ منها فأبصرَها * مُطَلَّةً بين سَجَفَيْهَا من الغُرَفِ^(٧)

١٣٧
٩

(١) جأ : اضرب . (٢) الظهر : موضع . والنجف (بالتحريك) : موضع بظهر الكوفة

وهو دومة الخندل بعينها ، وبالقرب منه قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب . (٣) في ب ، س :

« عزم » . (٤) مقترف : مكتسب . (٥) في ب ، س : « ضيفا » بالضاد المعجمة

وهو تصحيف . (٦) القرف : التهمة . (٧) السدف : الظلة .

خَفَرٌ وَاللَّهِ مَا يَذَرِي غَدَاتِي * أَخَرْتُ مِنْكَ شَيْئاً أَمْ غَيْرُ مَنْكَشَفٍ
 وَجَاءَهُ النَّاسُ أَفْوَاجاً بِمَاءِهِمْ * لِيَغْسِلُوا الرِّجْلَ الْمَغْسِيَّ بِالنُّظْفِ^(١)
 وَوَسَّوْا بِقُرَائِنٍ فِي مَسَامِعِهِ * بِخَافَةِ الْحَرِّ وَالْإِنْسَانِ لَمْ يَخَفِ^(٢)
 شَيْئاً وَلَكِنَّهُ مِنْ حُبِّ جَارِيَةٍ * أَمْسَى وَأَصْبَحَ مَوْقُوفاً عَلَى التَّلَفِ
 قَالُوا : لَكَ الْوَيْلُ مَا أَبْصَرْتَ ؟ قُلْتُ لَهُمْ * تَطَلَّعْتُ مِنْ أَعَالَى الْقَصْرِ ذِي الشَّرَفِ
 فَقُلْتُ أَيُّكُمْ وَاللَّهِ يَأْجُرُهُ * يُعِينُ قُوَّتَهُ فِيهَا عَلَى ضَعْفِ
 قِقَامِ شَيْخٍ يَهِيءُ مِنْ رِجَالِهِمْ * قَدْ طَالَمَا خَدَعَ الْأَقْوَامَ بِالْخَلِيفِ
 فَابْتَاعَهَا لِي بِأَلْفِي دِرْهَمٍ فَاتَى * بِهَا لَمَّا لَقِيَهَا عَلَى كَتِفِي
 فَبِتُّ أُنْتِمُهَا طَوَّراً وَأُلْزِمُهَا * طَوَّراً وَأَصْنَعُ بَعْضَ الشَّيْءِ فِي التُّخْفِ
 فَبَيْنَ ذَلِكَ كَذَا إِذْ جَاءَ صَاحِبُهَا * يَنْبِغِي الدِّرَاهِمَ بِالْمِيزَانِ ذِي الْكِفِ^(٣)
 وَذِكْرَ حَقِّ عَلَى زَنْدٍ وَصَاحِبِهِ * وَالْحَقُّ فِي طَرَفٍ وَالطِّينُ فِي طَرَفِ
 وَبَيْنَ ذَلِكَ شُهُودٌ لَا يَضُرُّهُمْ * أَكُنْتُ مُعْتَرِفاً أَمْ غَيْرُ مُعْتَرِفِ
 فَإِنْ يَكُنْ مِنْكَ شَيْءٌ فَهُوَ حَقُّهُمْ * أَوْ لَا فَإِنَّي مَدْفُوعٌ إِلَى التَّلَفِ

قال : فضحك العباس وقال : وَيَحْكُ أَصَادِقُ أَنْتَ ؟ قال : نعم والله . قال : يا غلام
 ادفع إليه أَلْفِي دِرْهَمٍ ثَمَنًا . قال : فأخذها ثم دخل على المهدي فأخبره القصة وما آحتم
 له به . فأمر له المهدي بستة آلاف درهم . وقال له المهدي : كيف لا يضركم
 ذلك ؟ قال : لأتَى مُعْدِمٌ لَا شَيْءَ عِنْدِي . وقال عمي في خبره : فقال له العباس بن محمد
 شاركني في هذه الجارية . قال : أفعل ولكن على شريطة . قال : وما هي ؟ قال : الشَّرِكَةُ
 لَا تَكُونُ إِلَّا مَفَاوِضَةً^(٤) ، فاشتر معها أخرى ، ليعت كل واحد منا إلى صاحبه ما عنده

(١) النطف : جمع نطفة (بالضم) وهي الماء الصافي قل أو أكثر . (٢) في ح ، ب ، س :

« خافه » وهو تحريف . (٣) المشهور في مثل هذا أن يقال : فبيننا ذلك كذا أو « بيننا » . وقد جاء
 بها أبو دلالة هنا على الأصل . (٤) شركة المفاوضة : هي الشركة العامة في كل ما يملكه الشريكان .

ويأخذ الأخرى مكانها ليلةً وليلةً . فقال له العباس : قَبِّحَكَ اللهُ وقَبِّحَ ماجئُكَ به !
خذ الدراهم لا بارك الله لك فيها وأنصرف .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويّه قال حدثني
العبيسيّ قال :
أمّره أبو مسلم
بمبارزة رجل فقال
شعرا أضحكه
فأعفاه

- كان أبو دلامة مع أبي مسلم في بعض حروبه مع بني أميّة . فدعا رجلاً إلى
البراز؛ فقال له أبو مسلم : اُبْرِزْ إليه . فانشأ يقول :
- أَلَا لَا تَلُمْنِي إِنْ فَرَرْتُ فَإِنِّي * أَخَافُ عَلَى خُفَّارِي أَنْ تَحَطَّأَ
فَلَوْ أَنِّي فِي السُّوقِ أَتْبَاعُ مِثْلَهَا * وَجَدْتُ مَا بَالَيْتُ أَنْ أَتَقَدَّمَ
فَضِيحِكَ وَأَعْفَاه .

- ١٠ ونسخت من كتاب ابن النطّاح :
- وعدته ربيعة جارية
فاستنجزها بشعر
- أَنَّ رَيْطَةَ وَعَدْتُ أَبَا دُلَامَةَ جَارِيَةً فَطَلَنَتْهُ حَتَّى أَمْتَدَحَهَا بِعِدَّةِ قَصَائِدَ ، كُلُّ
ذَلِكَ لَا تَنِي لَهُ ، ثُمَّ نَحَرَجْتُ إِلَى مَكَّةَ وَرَجَعْتُ . وَكَانَتْ لَهَا جَارِيَةٌ يُقَالُ لَهَا أُمُّ عَيْيِدَةَ
تَخْرُجُ وَتُكَلِّمُ الرِّجَالَ وَتُبَلِّغُ عَنْهَا الرِّسَالُ . فَقَالَ أَبُو دُلَامَةَ لِأُمِّ عَيْيِدَةَ حِينَ عِيلَ صَبْرُهُ :

- أَبْلَغِي سَيِّدَتِي إِنْ * شِئْتِ يَا أُمُّ عَيْيِدَةَ
أَنَّهَا أَرْشَدَهَا اللَّهُ * وَإِنْ كَانَتْ رَشِيدَهُ
وَعَدْتِي قَبْلَ أَنْ تَخْ * رَجَّ لِلْحَجِّ وَلَيْدَهُ
فَتَنْظَّرْتُ وَأَرْسَلْتُ * ثُ بَعْشَرِينَ قَصِيدَهُ
كَلَّمَا تَخْلُقُ أُولَى * بَدَّلْتُ أُخْرَى جَدِيدَهُ
إِنِّي شَيْخٌ كَبِيرٌ * لَيْسَ فِي بَيْتِي قَعِيدَهُ
غَيْرِ مِثْلِ الْغُولِ عِنْدِي * ذَاتِ أَوْصَالٍ مَدِيدَهُ
- ١٥
٢٠

وجْهها أَسْمَجُ من حُو * يَ طَرَى في عَصِيدِهِ
ذاتِ رَجُلٍ وَيَدُ كُل * تَاهَا مِثْلُ الْقَدِيدِ

فدخلت على رَيْطَةَ فَأَنَسَدَتْهَا الشَّعْرَ، فَأَمْرَبَتْ لَهُ بِجَارِيَةٍ وَمَأْتَى دِينَارٌ لِلنَّفَقَةِ عَلَيْهَا .

(١) أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى نَسَخْتُ مِنْ كِتَابِ إِسْحَاقَ الْمَوْصِلِيِّ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي :
أَنَّ أَبَا دُلَامَةَ نَزَلَ بِالْكُوفَةِ، فَأَتَاهُ أَضْيَافُ فَعَدَّاهُمْ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَى سِنْدِيَّةٍ نَبَاذَةً
يَقَالُ لَهَا دَوْمَةٌ، فَبَعَثَتْ إِلَيْهِمْ بَحْرَةً مِنْ نَبِيذٍ فَشَرِبُوهَا، ثُمَّ أَعَادَ فَبَعَثَتْ إِلَيْهِمْ
بِأُخْرَى، ثُمَّ جَاءَتْ لِنَقَاضِي الثَّمَنِ . فَقَالَ : لَيْسَ عِنْدِي الثَّمَنُ، وَلَكِنِّي أُمَدِّحُكَ بِمَا
هُوَ خَيْرٌ مِنْ نَبِيذِكَ . فَقَالَ :

أَلَا يَا دَوْمُ دَامَ لَكَ النَّعِيمُ * وَأَحْمَرِ مِلءُ كَفِّكَ مُسْتَقِيمٌ
شَدِيدُ الْأَصْلِ يَنْبِذُ حَالِيَاهُ * يَشُنُّ كَأَنَّهُ رَجُلٌ سَقِيمٌ
وَهَذَا الْخَبَرُ يُرَوَّى عَنِ الْأَقْبِشِرِ أَيْضًا .

قال شعرا في الجنيذ
النخاس يذمه
ويمدح جارية له

قال إسحاق وحدثني أبي :

أَنَّ أَبَا دُلَامَةَ كَانَ كَثِيرَ الزَّيَارَةِ لِلْجَنِيذِ النَّخَّاسِ، وَكَانَ يَتَعَشَّقُ جَارِيَةً لَهُ وَيُبَغِّضُهَا .
بِفَاءِهِ يَوْمًا فَقَالَ : أَخْرِجْ لِي فُلَانَةً . فَقَالَ : إِلَى مَتَى تَخْرُجُ إِلَيْكَ وَلَسْتُ بِمَشْتَرٍ !

(١) يلاحظ أن جد إسحاق بن إبراهيم الموصلي فارسي وهو ماهان أو ميون بن بهمن، وأنه مات وابنه
طفل في الثانية أو الثالثة، فلا يعقل أن يكون إبراهيم روى عن أبيه . على أن ماهان لم يعرف أنه من رواية
الأدب العربي . فلعل في كلمة « عن جدي » تحريفا أو همز زوائد النسخ . (راجع ترجمة إبراهيم الموصلي
في الجزء الخامس من هذه الطبعة ص ١٥٤) . (٢) كذا في ج . وفي سائر الأصول : « مثل » وهو
تحريف . وقد ورد هذا الشعر في الجزء العاشر صفحة ٩٤ من الأغاني طبع بلاق في ترجمة الأقبشير، وروايته :

أَلَا يَا دَوْمُ دَامَ لَكَ النَّعِيمُ * وَأَسْمَرُ مِلءُ كَفِّكَ مُسْتَقِيمٌ
شَدِيدُ الْأَسْرِ يَنْبِضُ حَالِيَاهُ * يَحْمُ كَأَنَّهُ رَجُلٌ سَقِيمٌ
يُرَوِّيه الشَّرَابُ فَيَزِدُّهُ بِهِ * وَيَنْفُخُ فِيهِ شَيْطَانُ رَجِيمٍ
(٣) يَنْبِذُ : يَنْبِضُ .

١٥

٢٠

قال : فإن لم أكن مشترياً فإني أخٌ يمدح ويطرى . قال : ما أنا بخرجها إليك
أو تقول فيها شعرا . قال : فأحلف بعثتها أن ترويا إياه وتأمرها بإنشاده من أهلك
يعترضها ولا تحجبها . فحلف لا يحجبها . فقال أبو دلامة :

إني لأحسب أن سامي ميتا * أو سوف أصبح ثم لا أمسي
من حب جارية الجنيد وبغضه * وكلاهما قاض على نفسي
فكلأها يشفى به سقمي * فإذا تكلم عاد لي نكسي

أخبرني عمي قال حدثنا الكرائي قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي قال :
دخل أبو دلامة على إسحاق الأزرق يعود ، وكان إسحاق قد مرض مرضاً
شديداً ، ثم تعافى منه وأفاق ، فكان من ذلك ضعيفاً ، وعند إسحاق طبيب يصف له
أدوية تقوى بدنه . فقال أبو دلامة للطبيب : يا بن الكافرة ! أتصف هذه الأدوية
لرجل أضعفه المرض ! ما أردت والله إلا قتله . ثم ألتفت إلى إسحاق فقال : اسمع
أيها الأمير متى . قال : هات ما عندك يا أبا دلامة . فأنشأ يقول :

عاد إسحاق الأزرق
وعنده طبيبه فقال
شعرا ينصحه فيه
بمجانبة الطبيب

نح عنك الطبيب وأسمع لنعتي * لأنني ناصح من النصاح
ذو تجارب قد تقلبت في الصحه * دهرأ وفي السقام المتاح
غاد هذا الكباب كل صبايح * من متون الفتيبة السواح^(١)
فإذا ما عطشت فأشرب ثلاثاً * من عتيق في الشم كالنفاح
ثم عند المساء فاعكف على ذا * وعلى ذا بأعظم الأقداح^(٢)
فتقوى ذا الضعف منك وتلفي * عن ليال أصح هذي الصباح^(٣)
ذا شفاء ودغ مقالة هذا * ناك ذا أمه بأير رباح

(١) السواح : السنان ، واحداً ساح وساحة ، بالحاء المشددة . (٢) عن ليال أى بعد ليال .
(٣) رباح : القرد .

فَضَحَكَ إِسْحَاقُ وَعَوَّاهُ، وَأَمْرًا لَأَبِي دُلَامَةَ بِخَمْسِائَةِ دَرَاهِمٍ . وَكَانَ الطَّيِّيبُ نَصْرَانِيًّا فَقَالَ :
أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّكَ يَا رُكْلُ (يريد يا رجل) . وَقَالَ الطَّيِّيبُ : أَقْبَلْ مِنِّي أَصْلَحَكَ اللَّهُ
وَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ قُدَّامَهُ . فَقَالَ أَبُو دُلَامَةَ : أَمَّا وَقَدْ أَخَذْتُ أَجْرَةَ صَفَّقَتِي وَقَضَيْتُ^(١)
الْحَقَّ فِي نُصْحِ صَدِيقِي ، فَأَنْعَمْتَ لَهُ الْآنَ أَنْتَ مَا أَحْبَبْتَ .

تُنادر بسلمة
الوصيف في حضرة
المهدي

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مَهْرُويِه قَالَ حَدَّثَنِي
أَبُو الشَّيْبَلِ عَاصِمُ بْنُ وَهْبِ الْبُرْجِيِّ قَالَ :

دَخَلَ أَبُو دُلَامَةَ عَلَى الْمَهْدِيِّ وَبَيْنَ يَدَيْهِ سَلَمَةُ الْوَصِيفِ وَأَقْفًا ، فَقَالَ : إِنِّي
أَهْدَيْتُ إِلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُهْرًا لَيْسَ لِأَحَدٍ مِثْلُهُ . فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُسَرِّفَنِي بِقَبُولِهِ ،
فَأَمْرُهُ بِإِدْخَالِهِ إِلَيْهِ . فَخَرَجَ وَأَدْخَلَ إِلَيْهِ دَابَّتَهُ الَّتِي كَانَتْ تَحْتَهُ ، فَإِذَا بِهِ يُرْزَدُونَ مُحْطَمٌ
أَعْجُفٌ هَرِمٌ . فَقَالَ لَهُ الْمَهْدِيُّ : أَيُّ شَيْءٍ هَذَا وَيْلَكَ ! أَلَمْ تَزْعَمْ أَنَّهُ مُهْرٌ ! فَقَالَ لَهُ :
أَوْ لَيْسَ هَذَا سَلَمَةُ الْوَصِيفِ بَيْنَ يَدَيْكَ قَائِمًا تَسْمِيهِ الْوَصِيفَ وَلَهُ ثَمَانُونَ سَنَةً ، وَهُوَ
عِنْدَكَ رَصِيفٌ ! فَإِنْ كَانَ سَلَمَةُ وَصِيفًا فَهَذَا مُهْرٌ . ففَعَلَ سَلَمَةُ بِشْتُمِهِ وَالْمَهْدِيُّ
يَضْحَك . ثُمَّ قَالَ لِسَلَمَةَ : وَيْلَكَ . إِنَّ لِهَذِهِ مِنْهُ أَخَوَاتٌ ، وَإِنْ أَتَى بِهَا فِي مُحْفَلٍ
فَضَحَكَ . فَقَالَ أَبُو دُلَامَةَ : وَاللَّهِ لَا أَفْضَحُنَّه يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَلَيْسَ مِنْ مَوَالِكَ أَحَدٍ
إِلَّا وَقَدْ وَصَلَنِي غَيْرُهُ ، فَإِنِّي مَا شَرِبْتُ لَهُ الْمَاءَ قَطُّ . قَالَ : فَقَدْ حَكَمْتُ عَلَيْهِ أَنْ
يَشْتَرِيَ نَفْسَهُ مِنْكَ بِأَلْفِ دَرَاهِمٍ حَتَّى يَتَخَلَّصَ مِنْ يَدِكَ . قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ عَلَى أَنْ
لَا يُعَاوِدَ . فَقَالَ لَهُ : مَا تَرَى ؟ قَالَ : أَفْعَلُ ، فَلَوْلَا أَتَى مَا أَخَذْتُ مِنْهُ شَيْئًا قَطُّ
مَا فَعَلْتُ مَعَهُ مِثْلَ هَذِهِ . فَخَضَى سَلَمَةُ فَعَمَلَهَا إِلَيْهِ .

عبث به ابنه فأراد
أن ينجسه لحكم
زوجته

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدِ الْكَرَّانِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي الْخَلِيلُ بْنُ أَسَدٍ
عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ صَالِحٍ قَالَ :

(١) كَذَا فِي جَمِيعِ الْأَصُولِ . وَلَعَلَّهُ : « أَجْرَةَ صَفَّقَتِي الْخ » .

- جاء ابن أبي دُلّامة يوماً إلى أبيه وهو في محفّل من جيرانه وعشيرته جالس،
 بفلسر، بين يديه، ثم أقبل على الجماعة فقال لهم: إن شيخى، كما ترون، قد كبرتُ
 سنّه، ورقّ جلده، ودقّ عظمه، وبنا إلى حياته حاجة شديدة، فلا أزال أُشير
 عليه بالشىء يُمسك رَمَقَه ويُبقي قُوته، فيخالفنى فيه. وأنا أسألكم أن تسألوه
 قضاء حاجة لى أذكرها بحضرتكم، فيها صلاحٌ لجسمه، وبقاءٌ لحياته، فأسمعونى
 بمسألته. فقالوا: تفعلُ حُباً وكرامةً. ثم أقبلوا على أبي دُلّامة بالسّتهم وتناولوه
 بالعتاب حتى رضى وهو ساكت، فقال قولوا للخبيث فليقل ما يُريد، فستعلمون أنّه
 لم يأت إلاّ ببلية. فقالوا له: قل. فقال: إنّ أبى إنما يقتله كثرةُ الجماع، فتعاونونى عليه
 حتى أخْصيه، فلن يقطعَه عن ذلك غيرُ الخِصاء، فيكون أصحّ لجسمه وأطولَ لعمره.
 فعجبوا من ذلك وعلموا أنّه إنما أراد أن يعبث بأبيه ويخجله حتى يَشيع ذلك عنه
 فيرتفع له بذلك ذكر، فضحكوا منه. ثم قالوا لأبى دُلّامة: قد سمعتَ فأجب. قال:
 قد سمعتم أتم وعرفتكم أنّه لن يأتى بخير. قالوا: فما عندك فى هذا؟ قال: قد
 جعلتُ أمّه حَكماً بينى وبينه فقوموا بنا إليها. فقاموا بأجمعهم فدخلوا إليها، وقصّ
 أبو دُلّامة القصّة عليها، وقال لها: قد حكمتك. فأقبلت على الجماعة فقالت: إنّ أبنى —
 أصلحه الله — قد نصّح أباه وبرّه ولم يألُ جهداً، وما أنا إلى بقاء أبيه بأخوّج منى إلى
 بقائه، وهذا أمرٌ لم تقع به تجربةٌ منّا، ولا جرت بمثله عادةٌ لنا، وما أشكُ فى معرفته
 بذلك. فليبدأ بنفسه فليخْصها، فإذا عوفى ورأينا ذلك قد أثر عليه أثراً محموداً آستعمله
 أبوه. فنعر أبوه وجعل يضحك به، وخجلَ أبْنُه، وأنصرف القوم يضحكون
 ويعجبون من خُبثهم جميعاً واتّفاقهم فى ذلك المذهب.

أخبرني عمي قال حدثنا ميمون بن هارون عن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل
عن أبيه قال :

أمر المهديّ
مروانيا بقتل
خارجي فبنا السيف
في يده فقال هو
في ذلك شعرا

كان عند المهديّ رجل من بني مرّزان ، فدخل إليه وسلّم عليه . فأتى
المهديّ بعلج فامرّ المروانيّ بضرب عنقه ، فأخذ السيف وقام فضربه فبنا السيف
عنه ، فرمى به المروانيّ وقال : لو كان من سيوفنا ما نبا . فسمع المهديّ الكلام
فغاضه حتى تغير لونه وبأن فيه . فقام يقطين^(٢) فأخذ السيف وحسّر عن ذراعيه
ثم ضرب العليّ فرمى برأسه ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، إن هذه سيوف الطاعة لا تعمل
إلا في أيدي الأولياء ولا تعمل في أيدي أهل المعصية . ثم قام أبو دلالة فقال :
يا أمير المؤمنين ، قد حضرنى بيتان أفأقولهما ؟ قال : قل . فأنشده :

أيّها الإمام سيّقتك ماض * وبكفّ الوليّ خير^(٣) ككهام

فإذا ما نبا بكفّ علمنا * أنها كفّ مبيّض للإمام

قال : فسرى عن المهديّ وقام من مجلسه ، وأمر بحجابه بقتل الرجل المروانيّ فقتل .

(١) العليّ : الرجل من كفار العجم . (٢) يقطين : هو يقطين بن مومي البغدادي .

(٣) انظر الكلام عليه في الحاشية رقم ٢ ص ٢٨٥ ج ٦ من كتاب الأغاني من هذه الطبعة .

(٣) الكهام من السيوف : الكليل الذي لا يقطع .

[أخبار عبد الله بن المعتز]

ومن صنع من أولاد الخلفاء فأجاد وأحسن وبرع وتقدم جميع أهل عصره
فضلاً وشرقاً وأدباً وشعراً وظرفاً وتصرفاً في سائر الآداب أبو العباس عبد الله بن
المعتز بالله .

- وأمره، مع قرب عهده بعصرنا هذا، مشهور في فضائله وآدابه شهرة تُشرك
في أكثر فضائله الخاص والعام . وشعره وإن كان فيه رقة الملوكة وغزل الطرفاء
وهلهلة المحدثين، فإن فيه أشياء كثيرة تجرى في أسلوب المجدين ولا تقصر عن
مدى السابقين، وأشياء ظريفة من أشارات الملوك في جنس ما هم بسبيله، ليس
عليه أن يتشبه فيها بفحول الجاهلية . فليس يمكن واصفاً لصبوح، في مجلس شكل
ظريف، بين ندأى وقيان، وعلى ميادين من النور والبنفسج والترجس ومنضود
من أمثال ذلك، إلى غير ما ذكرته من جنس المجالس وفانح الفرش ومختار الآلات،
ورقة الخدم، أن يعدل بذلك عما يشبهه من الكلام السبسط الرقيق الذي يفهمه
كُلُّ مَنْ حضر، إلى جعد الكلام ووخشيته، وإلى وصف اليد والمهاميه والظبي
والظليم والناقة والجمال والديار والقفار والمنازل الخالية المهجورة؛ ولا إذا عدل عن
ذلك وأحسن قيل له مَسِيء، ولا أن يُغْمَطَ حَقُّه كله إذا أحسن الكثير وتوسَّط
في البعض وقصر في اليسير، وينسب إلى، التقصير في الجميع، لنشر المقابح وطى
الحاسن . فلو شاء أن يفعل هذا كلُّ أحدٍ بمن تقدم لوجد مساعاً . ولو أن قائلًا
أراد الطعن على صدور الشعراء، لقد رأى أن يطعن على الأعشى —

أدبه وشعره ودفاع
أبي الفرج عن
مذهبه في الأدب

(١) السبسط : السهل المرسل . والجمع : المعقد .

(٢) الظليم : ذكر النعام .

وهو أحد من يقدمه الأوائل على سائر الشعراء — بقوله : « فأصاب حبة قلبه وطحهاها » . وبقوله : ^(١)

ويأمر لليحموم ^(٢) كل عشيّة * بقت وتعليق فقد كاد يسبق

١٤١
٩

وأمثال لهذا كثيرة . وإنما على الإنسان أن يحفظ من الشيء أحسنه ، ويبلغى ^(٣) ما لم يستحسنه ، فليس مأخوذاً به . وإكث أقواماً أرادوا أن يعرفوا أنفسهم الوضيعة ، ويُسيدوا بذكرهم الخامل ، ويُعلوا أقدارهم الساقطة بالطعن على أهل الفضل والقَدَح فيهم ، فلا يزدادون بذلك إلا ضعةً ، ولا يزداد الآخرون إلا ارتفاعاً . ألا ترى إلى ابن المعتز قد قُتل أسوأ قتلة ، ودرج فلم يبق له خلفٌ يقيطره ولا عقبٌ يرفع منه ، وما يزداد بأدبه وشعره وفضله وحسب أخباره وتصرفه في كل فن من العلوم إلا رفعةً

(١) اللبيب في هذا ورود كلمة الطحال فيه وهي مما يأبأها الذوق . وقد ورد كلام فيه في هذا الجزء (ص ٨١ — ٨٢) فراجع .

(٢) هكذا في لسان العرب وكتاب نسب الخليل لابن الكلبي وكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة . واليحموم : اسم فرسه . والقت : حب برى . والتعليق : ما تعلقه الدابة من شعر ونحوه . ويسبق : يأكل حتى يصيبه كالشحم . وقد ورد هذا البيت في ب ، سه هكذا :

وقد كان أن يأمر هو كل ليلة * بقت وتعليق فقد كاد يسبق
وفي الأصول المخطوطة :

وقد كان يأمر في كل ليلة * بقت وتعليق فقد كان يسبق

وهما تحريف . وعيب هذا البيت أنه مدح به ملك الحيرة وهو لا يمدح به رجل من خصاس الجنود ، لأنه ليس من أحد له فرس إلا وهو يعلقه قنا ويقضمه شعيراً . وهذا مديح كالحجاء . وقال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة : « ولست أرى هذا عيباً ، لأن الملوك تعد فرساً على أقرب الأبواب من مجالسها يسرجه ويلجأه خوفاً من عدو يهجزها أو أمر ينزل أو حاجة تعرض لقلب الملك فيريد البتار ، فلا يحتاج إلى أن يتلوم على إسراج فرسه ويلجأه . وإذا كان واقفاً غدى وعشى . فوضع الأعشى هذا المعنى ودل به على ملكه وعلى حزمه » .
(راجع كتاب الشعر والشعراء صفحة ١٤١ — ١٤٢ طبع أوروبا) .

(٣) هكذا في الأصول . ويحتمل أن يكون : « يلقي » بالقاف .

وَعُلُوا . وَلَا تُنْظَرِ إِلَى أَضْدَادِهِ كَمَا أَزْدَادُوا فِي طَعْنِهِ وَتَقْرِيطِ أَنْفُسِهِمْ وَأَسْأَلِهِمْ
الَّذِينَ كَانُوا مِثْلَهُمْ فِي ثَلْبِهِ وَالطَّعْنِ عَلَيْهِ ، زَادُوهَا سَقُوطًا وَضَعَةً ، وَكَمَا وَصَفُوا
أَشْعَارَهُمْ وَقَرَّظُوا آدَابَهُمْ ، زَادُوا بِهَا ثِقَالًا وَمَقْتًا . فَإِذَا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الْمُحْصَلُ الْمَوَافِقُ ،
عَدَلُوا عَنْ ثَلْبِهِ فِي الْآدَابِ ، إِلَى التَّشْنِيعِ عَلَيْهِ بِأَمْرِ الدِّينِ وَهَجَاءِ آلِ أَبِي طَالِبٍ ،
وَهُمْ أَوَّلُ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ وَشَنَعَ بِهِ عَلَى آلِ أَبِي طَالِبٍ عِنْدَ الْمُكْتَنَفِيِّ حَتَّى نَهَايَهُمْ عَنْهُ ،
فَعَدَلُوا عَنْ عَيْبِ أَنْفُسِهِمْ بِذَلِكَ إِلَى عَيْبِهِ ، وَأَرْثَكُوا أَكْثَرَهُ مِنْهُ . وَأَنَا أَذْكَرُ ذَلِكَ
بِعَقَبِ أَخْبَارِ عَبْدِ اللَّهِ ، مُصَرِّحًا بِهِ عَلَى شَرْحِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ حَسَنَ الْعِلْمِ بِصِنَاعَةِ الْمُسَبِّحِ ، وَالْكَلَامِ عَلَى النِّعَمِ وَعِلَلِهَا . وَلَهُ
فِي ذَلِكَ وَفِي غَيْرِهِ مِنَ الْآدَابِ كُتُبٌ مَشْهُورَةٌ ، وَمُرَاسِلَاتٌ جَرَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ وَبَيْنَ بَنِي حَمْدُونَ وَغَيْرِهِمْ ، تَدُلُّ عَلَى فَضْلِهِ وَغَزَاوَةِ
عِلْمِهِ وَإِدْبَارِهِ .

عليه بصناعة
الموسيقى

وَلَقَدْ قَرَأْتُ بِنُحْطِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ رُقْعَةً إِلَيْهِ بِنُحْطِهِ ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْهِ
بِرِسَالَةٍ إِلَى ابْنِ حَمْدُونَ فِي أَنَّهُ يَحْجُوزُ وَلَا يُنْكَرُ أَنْ يَغَيِّرَ الْإِنْسَانُ بَعْضَ نَعْمِ الْغِنَاءِ الْقَدِيمِ ،
وَيَعْدِلَ بِهَا إِلَى مَا يَحْسُنُ فِي حَلْقِهِ وَمَذْهَبِهِ . وَهِيَ رِسَالَةٌ طَوِيلَةٌ ، وَشَاوَرَهُ فِيهَا . فَكُتِبَ
إِلَيْهِ عُبَيْدُ اللَّهِ : « قَرَأْتُ — أَيْدِكَ اللَّهُ — الرِّسَالَةَ الْفَاضِلَةَ الْبَارِعَةَ الْمَوْفِقَةَ . فَأَنَا وَاللَّهُ أَقْرَأُهَا
إِلَى آخِرِهَا ، ثُمَّ أَعُودُ إِلَى أَوَّلِهَا مَبْتَهَجًا ، وَأَتَأَمَّلُ وَأَدْعُو مَبْتَهَلًا ، وَعَيْنُ اللَّهِ الَّتِي لَا تَنَامُ
عَلَيْكَ وَعَلَى نِعْمِهِ عِنْدَكَ . فَإِنَّهَا — عَلَيْهِ السَّلَامُ — النِّعْمَةُ الْمَعْدُومَةُ الْمِثْلُ . وَلَقَدْ تَمَثَّلْتُ
وَأَنَا أَكْرَرُ نَظْرِي فِيهَا قَوْلَ الْقَائِلِ فِي سَيِّدِنَا وَأَبْنِ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ :

كتاب عبيد الله بن
عبد الله بن طاهر له
وقد بعث إليه رسالة
إلى ابن حمدون

كَفَى وَشَفَى مَا فِي النُّفُوسِ وَمِمَّا يَدْعُ * لَذَى إِرْبِيَّةٍ فِي الْقَوْلِ جِدًّا وَلَا هَزْلًا
وَلَا وَاللَّهُ مَا رَأَيْتُ جِدًّا فِي هَزْلٍ ، وَلَا هَزْلًا فِي جِدٍّ يُشَبِّهُ هَذَا الْكَلَامَ فِي بِلَاغَتِهِ
وَفَصَاحَتِهِ وَبَيَانِهِ وَإِنَارَةِ بَرَاهَانِهِ وَجَزَالَةِ أَلْفَافِهِ . وَلَقَدْ خِيلَ إِلَيَّ أَنَّ لِسَانَ جَدِّكَ

العباس عليه السلام ينقسم على أجزاء، فلك — أعزك الله — نصفها، والنصف الآخر مقسوم بين أبي جعفر المنصور والمأمون رحمة الله عليهما، ولو أن هذه الرسالة جبهت الإبراهيمين إبراهيم بن المهدي وإبراهيم الموصلي وأبنيه إسحاق وهم مجتمعون لبُهِت منهم الناظر، وأُخْرِس الناطق، ولأَقْرُوا لك بالفضل في السَّبق، وظهر حُجَّة الصِّدِّيق، ثم كان قولك لهم فرقاً بين الحقِّ والباطل، والخطأ والصواب. ووالله ما تأخذ في فنٍّ من الفنون، إلَّا برَّزت فيه تبرز الجواد الزائع، المُغَبِّ في وجه كلِّ حصان تابع. عَضَد الله الشرف ببقاءك، وأحيا الأدب بحياتك، وجَمَل الدنيا وأهلها بطول عمرك.»

١٤٢
٩

هذا كلام العقلاء وذوى الفضل في مثله، لا كلام الثقلاء وذوى الجهل. والإطالة في هذا المعنى مُسْتَعْنَى عنها. والمشهور عنه وعن أضراده وما يأتي من أخباره بعد ذلك ففى معنى ما شرطته من جنس ما هو المقصود في كتابي هذا.

أصوات له
في أشعار مختلفة

فن صنعة عبد الله بن المعتز في شعره على أن أكثرها هذه سبيله فيها :

صوت

هل تَرِجَعَنَّ لِيَالٍ قَدْ مَضَيْنَ لَنَا * والدارُ جامعةٌ أزمانَ أزماناً^(١)
صَنَعْتَهُ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ، وَلَحْنُهُ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ.

(١) يقول : هل تعود ليال لنا مضت أزمان والدار جامعة أسباب سرورنا وهوانا . وأزمان أزمان يراد به أزمان هوانا وأزمان سرورنا أو نحو ذلك مما يضاف إليه أزمان ويناسب المقام . ومثل هذا التركيب مما يجب فيه البناء على فتح الجزأين كالتركيب المزجي . وكل ما ركب تركيب المزج من الظروف زمانية كانت أو مكانية يجب بناؤه ، مثل قولك فلان يأتينا صباح مساء أى كل صباح ومساء ، لحذف العاطف وركب الظروفان قصداً للتخفيف تركيب خمسة عشر . قال الشاعر :

ومن لا يصرف الواشين عنه * صباح مساء ينفوه خيالاً

ومن صنعته في الثقل الأول أيضا — وفيه لعلويه رمل قديم، وما لحنه : ون
لحن آتويه — :

صوت

سَنَى جَانِبَ الْقَصْرِينِ فَالْدَيْرِ فَالْحَمَى * إِنْ الشَّجَرِ الْمَحْفُوفِ بِالطَّيْنِ وَالْمَدْرِ^(١)
ومن نعتة الظَّريفَةِ الشَّكْلَةِ^(٢) مع جودتها :

صوت

وَا بِلَاثِي مِنْ مَحْضَرٍ وَمَغِيْبٍ * وَحَبِيْبٍ مَنِيَّ بَعِيْدٍ قَرِيْبٍ
لَمْ تَرِدْ مَاءَ وَجْهِهِ الْعَيْنُ إِلَّا * شَرِقَتْ قَبْلَ رِيَّاهَا بِرَقِيْبٍ

خفيف ثقيل، ابتداءؤه نشيد .

زارته زرياب
في يوم الشعانين
وغناها

- ١٠ ومن صنعته ، وله خبر أخبرني به علي بن هارون بن المنجّم عن زرياب قالت :
زرتُ عبد الله بن المعتز في يوم الشعانين^(٣) ، فسرّ بورودي وصنع من وقته لحنًا في شعر
عبد الله بن العباس الرّبيعي الذي له فيه هزج وهو :

= وتقول : فلان يأتينا يوم يوم أي يوما فيوما ؛ قال الشاعر :

آتِ الرِّزْقُ يَوْمَ يَوْمٍ فَأَجْمَلُ * طَلَبًا وَابِغِ الْقِيَامَةَ زَادَا

- ٥ ومثال ما ركب من ظروف المكان قولهم : سهلت الهمة بين بين ؛ ومنه قول الشاعر :

نَحْيَ حَقِيقَتَنَا وَبَعْدَ * ضِيقِ الْقَوْمِ يَسْقُطُ بَيْنَ بَيْنَا

والأصل بين هؤلاء وبين هؤلاء . (راجع شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب لابن هشام
الأنصاري طبع بلاق سنة ١٢٨٢ ص ٣٠ ، ٣١) . وقد ورد هذا البيت في الأصول : « أزمان أزمان »
والنون عارية من الشكل ، وليس فيها ألف الاطلاق . ورجعنا الى ديوانه المطبوع فلم نجد فيه هذا البيت .

- ٢٠ (١) المدر : التراب المتلبّد ، أو هو قطع الطين اليابس . (٢) كذا في ح . وفي ب ، سه :
« الظرفيّة الشكل » . وفي أ ، م : « الظرفيّة الشكل » . (٣) في لسان العرب (في مادة سعن) :
« قال ابن الأثير : هو عيد لهم معروف قبل عيدهم الكبير بأسبوع ، وهو سرياني معرب . وقيل : هو جمع =

صوت

أنا في قلبي من الطَّيِّبِ كُلُّومٌ * فدعِ اللَّوْمَ فَإِنَّ اللَّوْمَ لَوُمٌ^(١)
 حَبْذا يَوْمُ السَّعَانِينَ وما * نِلْتُ فيه من سرورٍ لو يَدُومُ

— الشعر لعبد الله بن العباس، ولحنه فيه هَزَجٌ — قالت : فصنع عبد الله بن المعتز في البيت الثاني، وبعده بيتٌ أضافه إليه، هَزَجًا وهو :

زارني مولاي فيه ساعة * ليتَه والله ما عِشْتُ يُقِيمُ

ولحنُ ابن المعتز في «حبذا يوم السَّعَانِينَ» وهذا البيت خفيف رَمَلٌ، وهو من نهايات الأغاني التي صنعها .

ومن صنعته التي تظَّارَفَ فيها وملَّح^(٢) :

زاحمَ كُمِّي كُمَّه فالتويا * وافق قلبي قلبه فاستويا
 وطالما ذاقا الهوى فاكثويا * يا قُرَّةَ العين ويا هَمِّي ويا

أراد هنا بقوله «ويا» ما يقوله الناس في حكاية الشيء الذي يخاطبون به الإنسان من جميل أو قبيح، فيقولون : قلتُ له يا سيدي ويا مولاي ويا ويا، وكذلك ضده لئِستغنى بالإشارة بهذا النداء عن الشرح . ولحنُ ابن المعتز في هذا هَزَجٌ .

١٥ = واحد سعنون « ١ هـ . والمشهور فيه « الشعانين » بالشين المعجمة ؛ فقد ورد في صبح الأعشى (ج ٢ ص ٤١٥) في كلامه على أعياد القبط : « الثاني — الزيتونة ، وهو عيد الشعانين ، وتفسيره بالعربية التسبيح ، يعملونه في سابع أحد من صومهم . وسنتهم فيه أن يخرجوا بسعف النخل من الكنيسة ، وهو يوم ركوب المسيح لليعفور (وهو الحمار) في القدس ودخوله صهيون وهو راكب والناس يسبحون بين يديه ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر » ١ هـ .

(١) لوم : تخفف لؤم بالهمز . (٢) في ب، س : « تظافر » . وفي سائر الأصول :

« تضافر » . وظاهر أن كليهما تحريف .

سجنت عليه نشر
في صورة جميلة
فقال فيها شعرا على
اليدية

١٤٣
٩

حدثني جعفر بن قدامة قال :

كنا عند ابن المعتز يوماً وعنده نشر وكان يجها ويهم بها ، فخرجت علينا من
صدر البستان في زمن الربيع ، وعليها غلالة معصفرة وفي يديها جنابي باكورة^(١)
باقلا^(٢) . فقالت له : يا سيدي تلعب معي جنابي ؟ فالتفت إلينا وقال على يديته
غير متوقف ولا مفكر :

(١) كتب المرحوم العلامة أحمد تيمور باشا عن هذه الكلمة فيما كتبه عن لعب العرب في العدد الأول
من المجلة السلفية (السنة الثانية ص ٣٤) شرحاً لهذه اللعبة رأينا أن ننقله كله لما حواه من قيمة علمية
كعادة الباشا عليه الرحمة والرضوان فيما يكتبه . قال :

« الجنابي — في القاموس : . والجناباء (بفتح أوله وثانيه) وكسائي (بضم أوله وفتح ثانيه) لعبة
للصبيان . وفي اللسان : « الجناباء والجنابي لعبة للصبيان يجانب الغلامان فيعتمد كل واحد من الآخر »
ونحوه في المخصص » .

وبعد أن نقل هذه العبارة عن الأغاني ومعاهد التنخيص قال : « قلنا قوله « جنابي » باقلا يظهر أنه شيء
كالسلة ولم نثر عليه في اللغة ، ولعله مولد سمي بذلك لأنه يحمل في الجنب . والمفهوم من القصة أنه بتشديد
النون لأن الجارية أرادت بقولها التجنيس باسم اللعبة ، وهو وارد بالتشديد في شعر ابن المعتز كما ترى وإليه
مال شارح القاموس . وعبارته : « والجناباء بالمد والجنابي كسائي مخففا مقصورا هكذا في النسخ التي رأيناها
وفي لسان العرب بالضم وتشديد النون . ويدل على ذلك أن المؤلف ضبط سمائي بالتشديد في (س م ن) فليكن
هذا الأصح ، ثم أنه في بعض النسخ بالمد في الثاني وكذا في لسان العرب أيضا ، والذي قيده الصاغاني بالضم
والتخفيف ككسائي . انتهى وتبعه مصححه بأنه سهو منه لأن المؤلف إنما ضبط سمائي في (س م ن) بوزن
جباري هـ . ونقول : السمو من الشارح في تعيين المادة وكأنه يريد مادة (ح و ر) لقول المؤلف فيها
« وأحمد بن أبي الحواري كسكاري ، وكسائي أبو القاسم الحواري ، الزاهدان معروفان » وقد ناقشه فيها
هناك ولا يبعد أن يكون قوله وكسائي حرفه النساخ عن (وكشقاري) كما نبه عليه المصحح على حاشية هذه
المادة في نسخة القاموس المطبوعة ببلاط سنة ١٣٠٣

بقي قول شارح القاموس إن (الجنابي) وردت بتشديد النون وبالمد أيضا في لسان العرب . ولعلها وردت
كذلك مضبوطة بالقلم في النسخة التي كانت عنده ؛ فإن النسخة التي بأيدينا ليس فيها إلا ما ذكرناه .

وبعد ، وتشديد هذه الغظة في البيت إما أن يكون عن لغة فيها محكية اطلع عليها ابن المعتز أو عن خطأ شاع
بين المولدين فخرت به ألسنة الشعراء . والله أعلم اهـ .

(٢) في معاهد التنخيص طبع بلاق سنة ١٢٧٤ ص ١٩٤ : « جنابي من باكورة باقلا » .

فَدَيْتُ مَنْ مَرَّ بِمِثْلِي فِي مُعْصِفَةٍ * عَشِيَّةً فَسَقَانِي ثُمَّ حَيَّانِي
 وَقَالَ تَلَعَّبُ جَنَابِي فَقُلْتُ لَهُ * مَنْ جَادَ بِالْوَصْلِ لَمْ يَلْعَبْ بِهَجْرَانِ
 وَأَمْرٍ فُغْنِي فِيهِ . غَنَّتْ فِيمَا أَرَى فِيهِ هَزَارُ خُنَا ، وَهُوَ رَمَلٌ مُطْلَقٌ .

حَدَّثَنِي جَعْفَرُ قَالَ :

جدر خادمه نشوان
 بخرع عليه ثم عوفى
 فسر وقال شعرا

كَانَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُعْتَزِّ غُلَامٌ بِجَبِّهِ ، وَكَانَ يَغْنَى غِنَاءً صَالِحًا ، يُقَالُ لَهُ «نَشْوَانٌ» .
 بِحَدْرٍ وَجَزَعٍ عَبْدُ اللَّهِ لَذَلِكَ جَزْعًا شَدِيدًا ، ثُمَّ عُوْفِي وَلَمْ يُؤْثِرِ الْحَدْرِيُّ فِي وَجْهِهِ أَثَرًا
 قَبِيحًا . فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ لِي : يَا أَبَا الْقَاسِمِ ، قَدْ عُوْفِي فَلَانَ بَعْدَكَ ، وَخَرَجَ
 أَحْسَنَ مِمَّا كَانَ ، وَقُلْتُ فِيهِ بَيِّنَتَيْنِ وَغَنَّتْ زُرْيَابُ فَيَمَّا رَمَلًا ظَرِيفًا ، فَاسْمَعُوهمَا
 لِإِنْشَادِهِ إِلَى أَنْ تَسْمَعُوهمَا غِنَاءً . فَقُلْتُ : يَتَفَضَّلُ الْأَمِيرُ ، أَيَّدَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، بِإِنْشَادِي
 إِيَّاهُمَا . فَأَنْشَدَنِي :

١٠

لِي قُرْ جُدْرًا لَمْ آسْتَوِ * فزاده حُسنًا فزادت همومُ
 أَظْنُهُ غَنَى لَشَمْسِ الضُّحَى * فنقطته طَرَبًا بِانْجُومِ

فَقُلْتُ : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ أَيُّهَا الْأَمِيرُ . فَقَالَ لِي : لَوْ سَمِعْتَهُ مِنْ زُرْيَابٍ كُنْتَ أَشَدَّ
 أَسْتَحْسَانًا لَهُ . وَخَرَجَتْ زُرْيَابُ فَغَنَّتْ لَنَا فِي طَرِيقَةِ الرَّمْلِ فِي أَحْسَنِ غِنَاءٍ ، فَشَرَبْنَا
 عَلَيْهِ عَاقَةَ يَوْمِنَا .

١٥

حَدَّثَنِي جَعْفَرُ قَالَ :

غضب عليه غلامه
 نشوان فقال شعرا
 يترضاه به

غَضِبَ هَذَا الْغُلَامُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُعْتَزِّ ، بِجَهْدٍ فِي أَنْ يَتَرْضَاهُ ، فَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِيهِ
 حِيلَةٌ . فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ فَأَنْشَدَنِي فِيهِ :

بَابِي أَنْتَ قَدْ تَمَّ * دَيْتَ فِي الْهَجْرِ وَالْغَضَبِ

وأصطباري على صدو * دِكْ يوماً من العَجَب
ليس لي إن فَقَدْتُ وج * هَكَ في العيش من أَرَبْ
رَحِمَ الله مَنْ أعا * ن على الصالح واحتَسَبْ
قال : مَضَيْتُ إلى الغلام ؛ ولم أزل أداريه وأرفُقُ به حتى تَرْضَيْتُهُ وَجِئْتُه به ،
فَرَلْنَا يومئذٍ أَطيبُ يومٍ وأَحْسَنُهُ ، وَغَنَّتْنا هَزَارُ في هذا الشعر رملاً عَجيباً .

أخبرني الحسين بن القاسم الكاتب قال حدثني إبراهيم بن خليل الهاشمي قال :
دخلت يوماً إلى أبي عيسى بن المتوكل ، فوجدتُ عبدَ الله بن المعتز وقد جاءه
مُسَلِّماً ، وسنه يومئذٍ دون عشرين سنة ، إذ دخل علي بن محمد بن أبي الشوارب
القاضي ، فأكرمه أبو عيسى ونهض إليه . فلما استقر به المجلس قال لأبي عيسى :
قد احتججتُ إلى معونتك في أمر دُفِعْتُ إليه لم أستغن فيه عن تكليفك المعاونة .
قال : وما هو ؟ قال : زوجتُ بنتاً من بناتنا رجلاً من أهلنا ، فخرج عن مدهبنا ،
وأساء عِشْرَةَ أهله ، وجعل منزل عيسى بن هارون أكثرَ مَظَانِّه وأوطانه ، ويهددنا
ويؤعدنا بشره ، حتى لقد نالنا من عيسى بَسْماً ليد له ولسانه فينا بالقبيح والقول
السيئ ، وكثرة معاونته له على ما يُزِرِّي بدينه ونسبه . وقد توعدنا بأنه يكشف وجهه
لنا في معاونة صهرنا هذا الغاوي علينا . ولولا نسبه الذي نخره لنا وعاره علينا ،
لانتصفنا منه بالحق دون التعدي ، إلا أنني أستعذك منه . فقال له أبو عيسى : أنا
أوجه إليه بعد انصرافك ، وأراسله بما أنا المتكفل بعده بآلا يعود إلى عِشْرَتِهِ ،

زار في حديثه
أبا عيسى بن المتوكل
وأشده من شعره
في كرم البنات فدحه

١٤٤
٩

(١) هو علي بن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب الأموي البصري قاضي القضاة أبو الحسن .
كان ولي القضاء بسر من رأى ، وكان عالماً عفيفاً ثقة . توفي سنة ٢٨٣ هـ (عن النجوم الزاهرة ج ٣
ص ٩٧ طبع دار الكتب المصرية) .

والضامن^(١) أن أُرَدَّ هذا الصَّهرَ إلى حيث تحبَّ ويقع بموافقتك . فشكره ودعا له وانصرف . فقال أبو عيسى : ألا ترون إلى هذا الرجل التَّبيهَ الفاضل السَّريَّ الشَّريف يُدْفَعُ إلى مثل هذا ! طوبى لمن لم تكن له بنت . فقال عبدُ الله بن المعتز : أيها الأمير إنَّ لولدك في هذا المعنى شيئاً قاله وأستحسنه جماعةٌ ممن يعلم ويقول الشعر . فقال :
هاته فذاك عمك . فأنشده لنفسه :

ويكرهُ قلتُ موتي قبلَ بعلٍ * وإنْ أترى وعدَّ من الصَّميمِ
ألمزج باللَّسامِ دمي ولحمي * فما عُدري إلى النَّسبِ الكريمِ

فقال له أبو عيسى : أمتعَ الله أهلك ببقائك ، وأحسن إليهم في زيادة إحسانه إليك وجملهم بكال محاسنك ، ولا أرانا شراً نيك .

١٠ أخبرني الحسين بن القاسم قال حدثني عبدُ الله بن موسى الكاتب قال :
كان يعمر داره ويدبها وقال شعرا في ذلك
دخلت على عبد الله بن المعتز في داره طبقات من الصُّنَّاع ، وهو يبنى داره ويدبها . فقلت : ما هذه الغرامةُ الحادثة ؟ فقال : ذلك السَّيلُ الذي جاء مُدْ ليلٍ أحدث في داري ما أحوج إلى الغرامة والكُلَّمة ، وقال :

ألا مَنْ لنفسٍ وأحزانها * ودارٍ تداعى بيطانها
أظُلُّ نهارى في شمسها * شقياً معنًى بنيانها
أسود وجهي بتبييضها * وأهدم كيسي بعمرانها

حدثني جعفر بن قدامة قال :

كنت عند عبد الله بن المعتز ومعنا الثَّمِيرُ ، وحضرت الصلاة ، فقام الثَّمِيرُ فصلى صلاةً خفيفةً جدًّا ، ثم دعا بعد انقضاء صلاته ومجد سجدةً طويلةً جدًّا ، حتى استثقله جميع من حضر بسببها ، وعبدُ الله ينظر إليه متعجباً ثم قال :

(١) في ب ، س : « وأنا الضامن إن أراد هذا الصهر إلا حيث » وهو تحريف ٥٠

خفف الثميري
صلاته وأطال
السجود بعدها
فقال هو شعرا

صَلَاتُكَ بَيْنَ الْوَرَى نَقْرَةً * كَمَا آخَتَلَسَ الْجُرْعَةَ الْوَالِغُ
وَتَسْجُدُ مِنْ بَعْدِهَا تَبَجَّةً * كَمَا خُتِمَ الْمَزُودُ الْفَارِغُ^(١)
أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ الْقَاسِمِ قَالَ حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى الْكَاتِبُ قَالَ :
كَانَتْ بِنْتُ الْكَرَاعَةِ تَأَلَّفَ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَرِّ، وَكَانَ يُحِبُّ عَنَاءَهَا وَيَسْتَظَرُّهَا
وَيُحِبُّهَا وَيُوَاصِلُ إِحْضَارَهَا، ثُمَّ أَنْقَطَعَتْ عَنْهُ فَقَالَ :

انقطعت عنه بنت
الكراعة وكان يحبها
فقال شعرا

لَيْتَ شِعْرِي مِنْ كَسَاغَلِي بَعْدِي * وَهُوَ أَشْكُ جَاهِلٌ مَغْرُورٌ
هَكَذَا كُنْتُ مِثْلَهُ فِي سُرُورٍ * وَغَدًا فِي الْهَمُومِ مِثْلِي بِصِيرُ
حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ قَدَّامَةَ قَالَ :

كان يحب جارية
قبيحة الصورة
فاعترض عليه
النميري فأجاب به شعر

كَمَا عِنْدَ ابْنِ الْمَتَرِيوِيٍّ وَمَعْنَا النُّمَيْرِيِّ، وَعِنْدَهُ جَارِيَةٌ لِبَعْضِ بَنَاتِ الْمُغَنِّينَ
تَغْنِيهِ، وَكَانَتْ مُحْسِنَةً إِلَّا أَنَّهَا كَانَتْ فِي غَايَةِ مِنَ الْقُبْحِ، فَفَعَلَ عَبْدُ اللَّهِ يُجَشِّسُهَا
وَيَتَعَلَّقُ بِهَا. فَلَمَّا قَامَتْ قَالَ لَهُ النُّمَيْرِيُّ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ، سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ أَنْتَعَشِقَ هَذِهِ الَّتِي
مَا رَأَيْتُ قَطُّ أَقْبَحَ مِنْهَا؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ وَهُوَ يَضْحَكُ :

قَلْبِي وَثَابُ إِلَى ذَا وَذَا * لَيْسَ يَرَى شَيْئًا فَيَأْبَاهُ
يَسِيمُ بِالْحُسْنِ كَمَا يَنْبَغِي * وَيَرْحَمُ الْقُبْحَ فِيهِوَاهُ

١٤٥
٩

أَخْبَرَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ الْقَاسِمِ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ الْأُمَوِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَرِّ قَالَ :

راسل خزازي
فتأخرت عنه فقال
شعرا فأجابته

كَانَتْ تُخَرِّمِي جَارِيَةً الضَّبِطُ الْمَغْنِي تُوَادِمُنِي وَأَنَا حَدَثْتُ ثُمَّ تَرَكْتُ النَّيِّدَ .
وَكَانَتْ مُغْنِيَةً مُحْسِنَةً شَاعِرَةً ظَرِيفَةً. فَرَأَسْتُهَا مَرَارًا فَتَأَخَّرْتُ عَنِّْي، فَكَتَبْتُ إِلَيْهَا :
رَأَيْتُكَ قَدْ أَظْهَرْتَ زُهْدًا رَتُوبَةً * فَقَدْ سَمَّجْتُ مِنْ بَعْدِ تَوْبَتِكَ الْخَمْرُ
فَأَهْدَيْتُ وَرَدًا كِي يُدْكَرَ عَيْشَةً * لِمَنْ لَمْ يَمْتَعْنَا بِهَجَّتِهَا الدَّهْرُ

٢٠ (١) المزود : وعاء الزاد . (٢) كذا في جميع الأصول هنا . وتقدم في الصفحة الماضية :
« عبد الله بن موسى » وذلك أيضا باتفاق الأصول .

فأجابه :

أنا قريض يا أميري محبر * حكى لي نظم الدرر فصل بالشذر^(١)
 أنكرت يا بن الأكرمين إنا بى * وقد أفصحت لي ألسن الدهر بالزحر
 وأذننى شرح الشبَاب بَيْنَه * فإليت شعري بعد ذلك ما عذرى

شعره في موسم
الربيع

حدثني جعفر بن قدامة قال :

كنت أسرح مع عبد الله بن المعتز في يوم من أيام الربيع^(٢) بالعباسية والدنيا
 كالجنة المنزعة . فقال عبد الله :

حبذا آذار شهراً * فيه للنور انتشار
 ينقص الليل إذا حـا * ويمتد النهار
 وعلى الأرض أخضرار * وأصفرار وأحمرار
 فكأن الرّوض وشي * بالغت فيه التّجار
 نقشه أس ويسر * من^(٣) وورد وبها^(٤)

هنا عبيد الله بن
عبد الله بن طاهر
بولاية ابنه محمد
شرطة بغداد

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال :

كتب عبد الله بن المعتز إلى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وقد استخلف^(٥)
 مؤنس ابنه محمد بن عبيد الله على الشرطة ببغداد :

(١) الشذر : خرز تفصل به الجواهر في النظم .

(٢) العباسية : محلة كانت ببغداد منسوبة إلى العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس .

(٣) النسرين : ورد أبيض عطري قوى الرائحة . فارسي معرب . (٤) البهار : نبت طيب

الريح جعل له فقاحة صفراء ينبت أيام الربيع . (٥) مؤنس : هو مؤنس الخادم . وكان يلقب

بالظفر لما عظم أمره . وكان شجاعاً مقداماً فاتكاً مهيباً . عاش تسعين سنة منها ستون سنة أميراً . وكان
قد أبعدته المعتضد إلى مكة . ولما بويغ المقتدر بالخلافة أحضره وقرّبه وفوض إليه الأمور . قتل

سنة ٣٢١ هـ (انظر النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٣٩) .

فَرِحْتُ بِمَا أَضْعَافُهُ دُونَ قَدْرِكُمْ * وَقُلْتُ عَسَى قَدْ هَبَّ مِنْ نَوْمِهِ الدَّهْرُ
فَتَرْجِعَ فِينَا دَوْلَةً طَاهِرِيَّةً * كَمَا بَدَأَتْ، وَالْأَمْرُ مِنْ بَعْدِهِ الْأَمْرُ
عَسَى اللَّهُ، إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِغَافِلٍ * وَلَا بَدَّ مِنْ يُسْرِ إِذَا مَا آتَى الْعُسْرُ

فكتب إليه عبيد الله قصيدة منها :

وَنَحْنُ إِذَا مَا نَالْنَا مَسَّ جَفَوَةٍ * فِينَا عَلَى لَأَوَائِهَا الصَّبْرُ وَالْعُدْرُ
وَإِنْ رَجَعْتَ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ دَوْلَةً * إِلَيْنَا فِينَا عِنْدَهَا الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ

قال : وجاءه محمد بن عبيد الله بعقب هذا شاكرًا لتهنئته، ثم لم يعد إليه مدة طويلة . فكتب إليه عبد الله بن المعتز :

انقطع عنه محمد
هذا مدة طويلة
فكتب له شعرا
يعاتبه

قَدْ جِئْنَا مَرَّةً وَلَمْ تَعُدْ * وَلَمْ تَزُرْ بَعْدَهَا وَلَمْ تَعُدْ
لَسْتُ أَرَى وَاجِدًا بِنَا عِوَضًا * فَأَطْلُبُ وَجْرَبُ وَأَسْتَقِصُّ وَأَجْتَدِ
نَاوَلْتَنِي حَبْلَ وَضْلِهِ بِيَدٍ * وَهَجَرَهُ جَانِبًا لَهُ بِيَدٍ
فَلَمْ يَكُنْ بَيْنَ ذَا وَذَا أَمَدٌ * إِلَّا كَمَا بَيْنَ لَيْلَةٍ وَغَدٍ

* *

صنوت

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ * بِحَوْمَانَةِ الدَّرَاجِ فَالْمُسْتَلِمِ
بِهَا الْعَيْنُ وَالْأَرَامُ يَمْشِينَ خَلْفَةً * وَأَطْلَاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْمَعِ
وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ عَشْرِينَ حِجَّةً * فَلَايَا عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوْهَمِ

١٤٦
٩
أبيات من معلقة
زهير وشرحها

(١) أم أم أوفى : يريد أم من منازل أم أوفى . (٢) الأطلاء : جمع طلاء وهو ولد البقرة والظبية الصغير . وقوله ينهضن : يعنى أنهن يمتن أولادهن إذا أرضعن ثم يرعين ، فإذا طأن أولادهن قد أقعدن ما في أجوافهن من اللبن صوتن بأولادهن فينهضن من مجامعهن للأصوات ليرضعن . (عن شرح ديوان زهير للأعلم الشنمري) .

فلما عرفت الدار قلت لربها * ألا عِم صباحاً أيها الرِّيحُ وأسلم
ومن يعص أطراف الزجاج فإنه * يطيع العوالي رُكبت كل لَهْذَم
ومن هاب أسباب المنية يلقها * ولو رام أسباب السماء بسلم

عروضه من الطويل . الحومانة ، فيما ذكر الأصمعي ، الأرض الغليظة ، وجمعها
حوامين . وقال غيره : الحومانة : ما كان دون الرمل . والدراج والمنتلم : موضعان .
وروى أبو عمرو عن بعض ولد زهير " الدراج " مضمومة الدال . والعين : البقر .
والآرام تسكن . الجبال . خلفة : يذهب قوج ويحيى قوج يخلفه مكانه . ويروى :
جثم وجثم . فمن قال جثم قال : جثم يجثم جثوماً ، ومن قال مجثم قال : جثم يجثم
جثماً ، والآلى : البطء . الزجاج : جمع زج . قال : وأصله أن القوم كانوا إذا
أرادوا صلحاً قلبوا زجاج الرماح إلى فوق ، فإن أبوا إلا الحرب قلبوا الأسنة .
واللهذم : السنن المحدد ؛ يقال رمح لهذم وسنان لهذم : حاد . وأم أوفى : امرأة
كانت لزبير فطلقها . وله في ذلك خبر يُذكر بعد هذا .

الشعر لزهير بن أبي سلمى . والغناء للغريض ، ثاني ثقليل بإطلاق الوتر في مجرى
البنصر عن إسحاق في الأول والثاني من الأبيات . وفيها لبذل الكبيرة ثقل أول
بالبنصر . ولعلويه في الثالث والرابع ثقل أول . ولإبراهيم ثاني ثقليل بالوسطى
في الخامس والسادس . وفيهما ثقل أول يقال إنه ليزيد حوراء :

(١) الآرام من الفباء : البيض الخالصة البياض ، كما قال ذلك الأصمعي وأبو زيد . وفي اللسان
أنها تسكن الرمال .

نَسَبُ زُهَيْرٍ وَأَخْبَارُهُ

هو زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ ^(١)، وَأَسْمُ أَبِي سُلَيْمٍ رَبِيعَةُ بْنُ رِيَّاحِ بْنِ قُرَّةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ مَازِنِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ قُورِ بْنِ هَرْمَةَ بْنِ الْأَصَمِّ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ أَدَّ بْنِ طَابَخَةَ بْنِ الْيَاسِ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارٍ. وَمُزَيْنَةُ أُمُّ عَمْرِو بْنِ أَدَّ هِيَ بِنْتُ كَلْبِ بْنِ وَبَرَةٍ.

نسبه

وهو أَحَدُ الثَّلَاثَةِ الْمُقَدَّمِينَ عَلَى سَائِرِ الشُّعْرَاءِ، وَإِنَّمَا اخْتَلَفَ فِي تَقْدِيمِ أَحَدِ الثَّلَاثَةِ عَلَى صَاحِبِيهِ. فَمَا الثَّلَاثَةُ فَلَا اخْتِلَافَ فِيهِمْ، وَهُمْ أَمْرُو الْقَيْسِ وَزُهَيْرُ وَالنَّابِغَةُ الذَّبْيَانِيُّ.

هو أحد الثلاثة
المقدمين على سائر
الشعراء

أَخْبَرَنِي أَبُو خَلِيقَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَّامٍ عَنْ أَبِي قَيْسٍ عَنْ عِكْرِمَةَ بْنِ حَرِيرٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: شَاعَرُ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ زُهَيْرٌ.

قال جرير هو شاعر
الجاهلية

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةٍ قَالَ حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ عَمْرِو بْنِ نَافِلٍ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ بْنُ سُؤَيْدٍ قَالَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَزِيدَ عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ اللَّيْثِيِّ [عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ] قَالَ:

قال عمر لابن عباس
إنه شاعر الشعراء

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لَيْلَةَ مَسِيرِهِ إِلَى الْخَنْبَازَةِ: أَيُّنَ ابْنِ عَبَّاسٍ؟ فَأَتَيْتُهُ؛ فَشَكَا تَخَلُّفَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. فَقُلْتُ: أَوَلَمْ يَعْتَذِرْ إِلَيْكَ؟ قَالَ بَلَى،

- (١) سُلَيْمٌ بِضَمِّ السَّيْنِ، وَلَيْسَ فِي الْعَرَبِ سُلَيْمٌ بِضَمِّ السَّيْنِ غَيْرُهُ. (٢) فِي شَرْحِ التَّبْرِيزِيِّ عَلَى الْمُلَقَّاتِ: «... رَبِيعَةُ بْنُ رِيَّاحِ بْنِ قُرَّةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ مَازِنِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ قُورِ بْنِ هَرْمَةَ بْنِ الْأَصَمِّ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ أَدَّ بْنِ طَابَخَةَ بْنِ الْيَاسِ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارٍ. وَمُزَيْنَةُ أُمُّ عَمْرِو بْنِ أَدَّ هِيَ بِنْتُ كَلْبِ بْنِ وَبَرَةٍ.» (٣) فِي ح: «بَنُ عَثْمَانَ وَهُوَ عَمْرُو الْخ.» (٤) تَكْلِمَةُ فِي السَّنَدِ يَقْتَضِيهَا سِيَاقُ الْخَبَرِ. (٥) الْجَاهِلِيَّةُ: قَرْيَةٌ مِنْ أَعْمَالِ دِمَشْقَ ثُمَّ مِنْ عَمَلِ الْجَلِيدِ مِنْ نَاحِيَةِ الْحَوْلَانِ قَرِبَ مَرَجِ الصَّفَرِ فِي شِمَالِ حُورَانَ. وَيُقَالُ لَهَا جَانِبَةُ الْحَوْلَانِ أَيْضًا. (عَنْ حَجْمِ الْبُلْدَانِ لِيَا قُوتَ). (٦) كَذَا فِي أ، م. وَفِي سَائِرِ الْأَصُولِ: «فَأَتَاهُ... فَقَالَ...»

قلت : فهو ما اعتذر به . ثم قال : أول من ريشكم عن هذا الأمر أبو بكر . إن قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم الخلافة والنبوة — ثم ذكر قصة طويلة ليست من هذا الباب فتركها أنا — ثم قال : هل تروى لشاعر الشعراء ؟ قلت : ومن هو ؟ قال : الذي يقول :

١٤٧
٩

ولو أن حمداً يُخلدُ الناسَ أُخلدوا * ولكنَّ حمداً الناسَ ليس بمُخلدٍ

قلت : ذلك زهير . قال : فذاك شاعر الشعراء . قلت : وبم كان شاعر الشعراء ؟ قال : لأنه كان لا يعاقل في الكلام وكان يتجنب وحشي الشعر ، ولم يمدح أحداً إلا بما فيه . قال الأصمعي : يعاقل بين الكلام : يداخل فيه . ويقال : يتبع حوشي الكلام ، ووحشي الكلام ، والمعنى واحد .

أخبرنا أبو خليفة قال قال ابن سلام وأخبرني عمر بن موسى الجُمحي عن أخيه قدامة بن موسى — وكان من أهل العلم — : أنه كان يقدم زهيراً . قلت : فأى منى كان اعجب إليه ؟ قال : الذي يقول فيه :

قد جعل المبتغون الخير من هيرم * والسائلون إلى أبوابه طُرُقاً

قال ابن سلام وأخبرني أبو قيس العنبري — ولم أربوياً يعني به — عن عكرمة ابن جرير قال :

قلت لأبي : يا أبت من أشعر الناس ؟ قال : أعن الجاهلية تسألني أم عن الإسلام ؟ قلت : ما أردت إلا الإسلام . فإذا ذكرت الجاهلية فأخبرني عن أهلها . قال : زهير أشعر أهلها . قلت : فالإسلام ؟ قال : الفرزدق نبعة الشعر .

(١) ذكرت هذه القصة مفصلة في الطبري ق ١ ص ٢٧٦٨ — ٢٧٧١ فراجع .

(٢) يعاقل الكلام : يحول بعضه على بعض ويتكلم بالرجيع من القول ويكرر اللفظ والمعنى . أو يعقده ويوالى بعضه على بعض . وكل شيء ركب شيئاً فقد ماظله . (السان في مادة عاقل) .

قلت : فالأخطل ؟ قال : يُجِيدُ مَدَحَ الملوكِ وَيُصِيبُ وَصَفَ الخمر . قلت :
فما تركبت لنفسك ؟ قال : نَحَرْتُ الشعرَ نَحْرًا .

أخبرني الحسن بن عليّ قال أخبرنا الحارث بن محمد عن المدائنيّ عن عيسى
ابن يزيد قال : قال عنه الأحنف
ابن قيس هو أشعر
الشعراء

سأل معاوية الأحنف بن قيس عن أشعر الشعراء ، فقال : زهير . قال : وكيف ؟
قال : ألقى بن دحيان فضول الكلام . قال : مثل ماذا ؟ قال : مثل قوله :
فما يك من خير أتوه فإئما * توارثه آباء آبائهم قبل

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عبد الله بن
عمرو القيسي قال حدثنا خارجة بن عبد الله بن سليمان عن زيد بن ثابت عن
عبد الله بن أبي سفيان عن أبيه عن ابن عباس ، قال : وحدثني غيره وهو أتم من
حديثه ، قال قال ابن عباس :

خرجت مع عمر في أول غزاة غزاه ، فقال لي ذات ليلة : يا ابن عباس
أنشدني لشاعر الشعراء . قلت : ومن هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : ابن أبي سفيان^(١)
قلت : وبم صار كذلك ؟ قال : لأنه لا يتبع حوشي الكلام ، ولا يعاقل من المنطق ،
ولا يقول إلا ما يعرف ، ولا يمتدح الرجل إلا بما يكون فيه . أليس الذي يقول :
إذا أبتدرت قيس بن عيلان غايه * من المجد من يسبق إليها يسود^(٢)

(١) الذي تقدم في الصفحة السابقة : « يعاقل في الكلام » . والذي في اللسان وشرح القاموس
في استعمالات هذه المادة أنه يتعدى بنفسه ، يقال عاقل الكلام كما يقال عاقل فيه وبينه .

(٢) يقول : إذا تسابقت قيس بن عيلان لإدراك غاية من المجد تسود من سبق إليها كنت السابق
إليها . وقيس بن عيلان : قبيلة . (راجع الجزء السادس من الأغاني حاشية رقم ١ ص ١ من هذه الطبعة) .

..نفت إليها كَلَّ طَاقٍ مُبَرِّزٌ * سُبُوقٌ إِلَى الْغَايَاتِ غَيْرِ مُزْنِدٍ
كفعل جواد يسبق الخيل عَفْوُهُ ال * سَرَّاعٌ وَإِنْ يَجْهَدُ وَيَجْهَدَنَّ يَبْعَدُ
ولو كان حَمْدٌ يُجْلِدُ النَّاسَ لَمْ تَمُتْ * بَلْ كُنَّ حَمْدَ النَّاسِ لَيْسَ بِمُجْلَدٍ
أَنَشِدْنِي لَهُ ، فَأَنَشِدْتُهُ حَتَّى بَرَّقَ الْفَجْرُ . فقال : حَسْبُكَ الْآنَ ، اقْرَأْ الْقُرْآنَ ، قَابَتْ :
وما أقرأ ؟ قال : اقرأ الواقعة ، فقُرأتها وَزَلَّ فَأَذَّنَ وَصَلَّى .

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدثني أبي قال حدثنا أحمد بن عبيد قال
أخبرنا أبو عبيدة عن عيسى بن يزيد بن بكر قال قال ابن عباس : خرجت مع عمر ،
ثم ذكر الحديث نحوه هذا .

١٤٨ وجدت في بعض الكتب عن عبد الله بن شبيب عن الزبير بن بكار عن حميد
ابن محمد بن عبد العزيز الزهري عن أخيه إبراهيم بن محمد يرفعه :
أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَظَرَ إِلَى زُهَيْرِ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ وَلَهُ مِائَةٌ مَنَّةً
فَقَالَ : " اللَّهُمَّ أَعِزَّنِي مِنْ شَيْطَانِهِ " فَمَا لَكَ بَيْتًا حَتَّى مَاتَ .

قال ابن الأعرابي وأبو عمرو الشيباني :
كان من حديث زهير وأهل بيته أنهم كانوا من مُزْنِيَّةَ ، وكان بنو عبد الله بن
عَظْفَانَ جيرانهم ، وَقَدْ مَاتُوا وَلَدَتْهُمْ بَنُو مُرَّةَ . وكان من أمر أبي سُلَيْمٍ أَنَّهُ خَرَجَ
وَجِئَالَهُ أَسْعَدُ بْنُ الْقَدِيرِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ عَوْفٍ بْنِ سَعْدِ بْنِ ذُبْيَانَ بْنِ بَغِيضٍ وَأَبْنَهُ كَعْبَ

خرج أبوه أبو سلمى
مع خاله وابن خاله
لفزو طي فناء
حقه في الغنم ،
وشعره في ذلك

(١) يقال : رجل طلق البدن إذا كان معطاء . وظاهر أنه يريد أن يصف الجواد بأنه ماض بجود بما
عنده من العدو . والمبرز : الذي سبق الناس إلى الكرم والخير . والمزند هنا : البخل أو اللئيم . ويرى :
« غير مجلد » أي انتهى إلى الغايات من غير أن يجلد ويضرب . (٢) في الأصول : « فيسرع » .
والصواب عن اللسان بشرح الأعلام ، ورواية البيت فيه :

كفضل جواد الخيل يسبق عفوهُ ال * سَرَّاعٌ وَإِنْ يَجْهَدَنَّ يَجْهَدُ وَيَبْعَدُ

ابن أسعد في ناس من بني مرة يُغيرون على طي، فأصابوا نَعْمًا كثيرة وأموالًا فرجعوا حتى انتهوا إلى أرضهم . فقال أبو سلمى لخاله أسعد وأبن خاله كعب : أفردا لي سهمي، فأبى عليه ومنعاه حقه، فكفَّ عنهما؛ حتى إذا كان الليل أتى أمه فقال : والذي أحلف به لتقومن إلى بعير من هذه الإبل فلتقعدين عليه أو لأضربن بسيفي تحت قرطيك، فقامت أمه إلى بعير منها فأعتقت سنامه، وساق بها أبو سلمى وهو يرتجز ويقول :

وَيْلٌ لِأَجْمَالِ الْعَجُوزِ مَنِي * إِذَا دَنُوتُ وَدَنُوتَ مَنِي

* كَأَنِّي سَمِعْتُ مَن جَنَّ *

— سَمِعْتُ : لَطِيفُ الْجَسَمِ قَلِيلُ اللَّحْمِ — وَسَاقَ الْإِبِلَ وَأُمَّهُ حَتَّى أَتَتْهُ إِلَى قَوْمِهِ مُزِينَةً .

فذلك حيث يقول :

وَلَتَغْدُونَ إِبِلَ مَجْنُونَةٍ * مِنْ عِنْدِ أَسْعَدَ وَأَبْنِ كَعْبِ

— مَجْنُونَةٍ : مَجْنُوبَةٌ —

الْأَكْلَيْنِ صَرِيحَ قَوْمِيهِمَا * أَكَلَ الْحَبَارَى بِرَعْمِ الرُّطَبِ^(١)

— الْبَرَعْمُ : شَجَرَةٌ وَلَهَا نَوْرٌ — قَالَ : فَلَبِثَ فِيهِمْ حِينًا ، ثُمَّ أَقْبَلَ بِمُزِينَةٍ مُغَيَّرًا عَلَى بَنِي دُبْيَانَ .

حتى إذا مُزِينَةُ أَسْهَلَتْ وَخَلَّفَتْ بِلَادَهَا وَنَظَرُوا إِلَى أَرْضِ غَطَفَانَ ، تَطَايَرُوا عَنْهُ رَاجِعِينَ ، وَتَرَكَوهُ وَحْدَهُ . فذلك حيث يقول :

مَنْ يَشْتَرِي فَرَسًا لَخِيرَ غَزْوُهَا * وَأَبَتْ عَشِيرَةُ رَبِّهَا أَنْ تُسَهِّلَا

(١) الحبارى : طائر يضرب به المثل في البلاهة والجن، وهو طائر صحراوي يبيض في الرمال النائية .

(٢) الرطب : الرعى الأخضر من البقل والشجر، وقيل جماعة العشب الأخضر .

(٣) الذي في اللسان : أن البرعم كم ثمر الشجر والنور، وقيل هو زهرة الشجر ونور النبات قبل أن

يفتح، وقد استشهد بهذا البيت .

يعنى أن: تنزل السهل . قال : وأقبل حين رأى ذلك من مزيئة حتى دخل في أخواله
بنى مرة . فلم يزل هو وولده في بنى عبد الله بن غطفان إلى اليوم .

وقصيدة زهير هذه أعني :

* أَمِنْ أَوْفَى دِمْنَةٍ لَمْ تَكَلِّمْ *

قالها زهير في قتل ورد بن حابس العبسي هريم بن ضمضم المري الذي يقول فيه
عنترة وفي أخيه :

ولقد خشيبتُ بأن أموت ولم تدُر * للحرب دائرة على أبني ضمضم

و يمدح بها هريم بن سنان والحارث بن عوف بن سعد بن ذبيان المريين لأنهما
أحتملا ديته في مالهما؛ وذلك قول زهير :

سعى ساعيا غيظ بن مرة بعدما * تَبَزَّلَ^(١) ما بين العشيِّ بالدم

يعنى بنى غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان .

قال الأثرم أبو الحسن حدثني أبو عبيدة قال :

كان ورد بن حابس العبسي قتل هريم بن ضمضم المري ، فتشاجر عبس وذبيان

قبل الصلح ، وحلف حصين بن ضمضم ألا يغسل رأسه حتى يقتل ورد بن حابس

أو رجلا من بنى عبس ثم من بنى غالب ، ولم يُطْلِعْ^(٢) على ذلك أحدا ، وقد حمل الجمالة^(٣)

الحارث بن عوف بن أبي حارثة ، وقيل بل أخوه حارثة بن سنان . فأقبل رجل^(٤)

(١) ما والفعل بتأويل المصدر . وتبزل : تشقق ، وبالدم : يريد بسفك الدم . يقول : سعى

هذان السيدان (هريم بن سنان والحارث بن عوف) في إحكام المهادين بين عبس وذبيان بعد تشقق الألفة

والمودة بين القبيلة بسبب سفك الدماء بين عبس وذبيان . (انظر شرح ديوان زهير للأعلام الشنمري) .

(٢) الجمالة : الدية . (٣) في شرح التبريزي وابن الأنباري على المعلقات والأعلام الشنمري وشرح

نعلب لديوان زهير : « وقد حمل الجمالة الحارث بن عوف بن أبي حارثة وهريم بن سنان بن أبي حارثة » .

(٤) في الأصول : « فأقبل على رجل الخ » والتصويب عن المصادر المتقدمة :

قال معلقة في مدح
هريم بن سنان
والحارث بن عوف
وقد حملا دية هريم
ابن ضمضم في مالهما

من بني عبس ثم أحد بني مخزوم، حتى نزل بمحصين بن ضمضم. فقال له حصين: مَنْ أَنْتِ أَيُّهَا الرَّجُلُ؟ قال: عَبْسِيٌّ. قال: من أَى عَبْس؟ فلم يزل يَنْتَسِبُ حتى أَنْتَسَبَ إلى بني غالب، ففقتله حصين. وبلغ ذلك الحارث بن عوف وهيرم بن سنان فأشتد عليهما، وبلغ بني عبس فركبوا نحو الحارث. فلما بلغه ركبهم إليه وما قد أشتد عليهم من قتلِ صاحبهم وأنهم يريدون قتل الحارث، بعث إليهم بمائة من الإبل معها أبنته، وقال للرسول: قل لهم: الإبل أحب إليكم أم أنفسكم؟ فأقبل الرسول حتى قال لهم ذلك. فقال لهم الربيع بن زياد: يا قوم إن أخاكم قد أرسل إليكم: «الإبل أحب إليكم أم أبني تقتلونهم مكان قتيلكم». فقالوا نأخذ الإبل ونصالح قومنا، وتتم الصلح. فذلك حين يقول زهير يمدح الحارث وهيرمًا:

١٠ * أَمِنْ أَوْفَى دِمْنَةٍ لَمْ تَكَلِّمْ *
وهي أوَّل قصيدة مدح بها هيرمًا، ثم تابع ذلك بعد.

وقد أخبرني الحسن بن عليّ بهذه القصة، وروايتها أتم من هذه، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا محمد بن إسحاق المسيبي قال حدثني إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن ابن عوف عن أبيه قال:

قصة زواج الحارث
ابن عوف بهيسة
بنت أوس ومجمله
الدية في ماله بين
عبس وذبيان

١٥ قال الحارث بن عوف بن أبي حلثة: أتراني أخطب إلى أحد فيردني؟ قال نعم. قال: ومن ذاك؟ قال: أوس بن حارثة بن لأم الطائي. فقال الحارث لغلامه: أرحل بنا، ففعل. فركبا حتى أتيا أوس بن حارثة في بلاده فوجداه في منزله. فلما رأى الحارث بن عوف قال: مرحبًا بك يا حار. قال:

(١) هكذا في الأصول، ولم يذكر المخاطب الذي كان يحدثه. وباقي القصة يعين أنه خارجة بن سنان.

وبك . قال : ما جاء بك يا حار ؟ قال : جئتُك خاطباً . قال : لست هناك . فانصرف ولم يكلمه . ودخل أوس على امرأته مغضباً وكانت من عبس فقالت : من جئتُ وقف عليك فلم يُطَل ولم تكلمه ؟ قال : ذاك سيد العرب الحارث بن عوف بن أبي حارثة المري . قالت : فما لك لم تستنزل^(١) ؟ قال : إنه استحمق . قالت : وكيف ؟ قال : جاءني خاطباً . قالت : أفتريد أن تزوج بناتك ؟ قال نعم . قالت : فإذا لم تزوج سيد العرب فمن ؟ قال : قد كان ذلك . قالت : فتدارك ما كان منك . قال : بماذا ؟ قالت : تلحقه فترده . قال : وكيف وقد فرط مني ما فرط إليه ؟ قالت تقول له : إنك لقيتني مغضباً بأمر لم تقدم فيه قولاً ، فلم يكن عندي فيه من الجواب إلا ما سمعت ، فانصرف ولك عندي كل ما أحببت فإنه سيفك . فركب في أثرها . قال خارجة بن سنان : فوالله إني لأسير إذ حانت مني آلتفاته فرأيتُهُ ، فأقبلت على الحارث وما يكلمني عما فقلت له : هذا أوس بن حارثة في أثرنا . قال : وما نصنع به ! امضي ! فلما رأنا لا تقف عليه صاح : يا حار اربع على ساعة . فوقفنا له فكلمه بذلك الكلام فرجع مسروراً . فبلغ أن أوساً لما دخل منزله قال لزوجته ادعي لي فلانة (لا كبر بناته) فأتته ، فقال : يا بنية ، هذا الحارث بن عوف سيد من سادات العرب ، قد جاءني طالباً خاطباً ، وقد أردت أن أزوجه منك فما تقولين ؟ قالت : لا تفعل . قال : ولم ؟ قالت : لأنني امرأة في وجهي ردة^(٢) ، وفي خلقي بعض العهدة^(٣) ، ولست بأبنة عمه فيرعى رحي ، وليس بجارك في البلد فيستحي منك ، ولا آمن أن يرى مني ما يكره فيطلقني فيكون عليّ في ذلك ما فيه . قال : قومي بارك الله عليك . ادعي لي فلانة (لا بنته الوسطى) ، فدعتها ، ثم قال لها مثل قوله لأختها ، فأجابته بمثل

٢٠ (١) في ب ، س : « لاستنزله » . (٢) كذا في ج . وفي سائر الأصول : « لم تقدم مني فيه قولاً » . (٣) الردة : القبح مع شيء من الجمال . (٤) العهدة : الضعف .

- جوابها وقالت : إني خرقاء وليست بيدي صناعة ، ولا آمن أن يرى مني ما يكره فيطلقني فيكون عليّ في ذلك ما تعلم ، وليس بابن عمي فيرعى حقّي ، ولا جارك في بلدك فيستحييك . قال : قومي بارك الله عليك . أدعى لي بهيسة (يعني الصغرى) ، فأثني بها فقال لها كما قال لها . فقالت : أنت وذاك . فقال لها : إني قد عرضت ذلك على أختيك فأبتاه . فقالت — ولم يذكر لها مقاتلتيهما — لكنني والله الجميلة وجهاً ، الصانع يداً ، الرفيعة خلقاً ، الحسبية أباً ، فإن طلقني فلا أخلف الله عليه بخير . فقال : بارك الله عليك . ثم خرج إلينا فقال : قد زوجتُك يا حارثُ بهيسة بنت أوس . قال . قد قلتُ . فأمر أمها أن تهيمها وتُصيح من شأنها ، ثم أمر بيت فضرِب له ، وأنزله إياه . فلما هبَّتْ بعث بها إليه . فلما أدخلت إليه لبث هنيهةً ثم خرج إلى .
- ١٠ فقلت : أفرغت من شأنك ؟ قال : لا والله . قلت : وكيف ذاك ؟ قال : لما مددتُ يدي إليها قالت : مه ! أعند أبي وإخوتي ! ! هذا والله مالا يكون . قال : فأمر بالرحلة فارتحلنا ورحلنا بها معنا ، فسيرنا ما شاء الله . ثم قال لي : تقدّم فتقدمتُ ، وعدل بها عن الطريق ، فما لبث أن لحق بي . فقلت : أفرغت ؟ قال لا والله . قلت : ولم ؟ قال : قالت لي : أكلما يفعل بالأمّة الجارية أو السبيّة الأخيذة ! لا والله حتى تنحر الجزر ، وتذبح الغنم ، وتدعو العرب ، وتعمل ما يعمل ١٥ لمشلي . قلتُ : والله إني لأرى همّة وعقلاً ، وأرجو أن تكون المرأة مُنجبةً إن شاء الله . فرحلنا حتى جئنا بلادنا ، فأحضر الإبل والغنم ، ثم دخل عليها وخرج إلى . فقلت : أفرغت ؟ قال لا . قلت : ولم ؟ قال : دخلتُ عليها أريدها ، وقلتُ لها قد أحضرنا من المال ما قد ترين ، فقالت : والله لقد ذكرتُ لي من الشرف مالا أراه فيك . قلت : وكيف ؟ قالت : أفرغت لنكاح النساء والعرب تقتل ٢٠ بعضها ! (وذلك في أيام حرب عبس وذبيان) . قلت : فيكون ما ذا ؟ قالت : اخرج

إلى هؤلاء القوم فأصلح بينهم، ثم أرجع إلى أهلك فلن يفوتك . فقلت : والله إلى لأرى همةً وعقلاً، ولقد قالت قولاً . قال : فأخرج بنا . فخرجنا حتى أتينا القوم . فشيننا فيما بينهم بالصلح، فاصطلحوا على أن يحتسبوا القتلى؛ فيؤخذ الفضل ممن هو عليه، فحملنا عنهم الديات، فكانت ثلاثة آلاف بعير في ثلاث سنين، فانصرفنا بأجل الذكرك . قال محمد بن عبد العزيز : فمدحوا بذلك، وقال فيه زهير بن أبي سلمى قصيدته :

* أَمِنْ أُمَّ أَوْ قِي دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ *

فذكرهما فيها فقال :

تداركتما عبساً وذُبِيَّانَ بعدما * تقانوا ودقوا بينهم عطرَ منشَمٍ^(١)
فأصبح يجرى فيهم من تلادكم * مغانم شتى من إفال المزنم^(٢)
يُجْجَمها قومٌ لقوم غرامه * ولم يهريقوا بينهم ملء محجم^(٣)

وذكر قيامهم في ذلك فقال :

« صَحَا الْقَلْبُ عَنْ سَلَمَى وَقَدْ كَادَ لَا يَسْلُو^(٤) »

(١) منشم زعموا أنها امرأة عطارة من خزاعة، فتخالف قوم فأدخلوا أيديهم في عطرها على أن يقاتلوا حتى يموتوا، فضرب زهير بها المثل، أي صار هؤلاء في شدة الأمر بمنزلة أولئك . وقيل : هي امرأة من خزاعة كانت تباع عطرها فإذا حاربوا اشترى منها كافوراً لموتهم فتشاءموا بها، وكانت تسكن مكة . وفيه أقوال أخرى كثيرة راجعها في لسان العرب (في مادة نثم) وأمثال الميداني في «أشام من منشم» وفي شرح الأعلام الشنري لديوان زهير . (٢) الإفال : جمع أفيل وهو الصغير من الإبل، والمزنم : اسم فحل معروف . والتلاد : المسال القديم الموروث . وإنما خص الإفال لأنهم كانوا يقرعون في الدية صفار الإبل . (عن الأعلام) . ويروي هذا البيت في شرح القاموس (في مادة «زئم») هكذا :

فأصبح يجرى فيهم من تلادكم * مغانم شتى من إفال مزنم

(٣) يججمها قوم : أي تجعل نجوماً أي أقساطاً على غارمها . يريد أن هذين الساعين حملاً دماً من قتل وغرم فيها قوم من رهطهما على أنهم لم يصبوا ملء محجم من دم، أي أعطوا فيها ولم يقتلوا . (عن الأعلام) . (٤) في ١، ٢ : « كان » .

١٥١
٩

وهي قصيدة يقول فيها :

تداركنما الأحلاف^(١) قد نُلَّ عرشها * وذُبيان قد زلَّت بأقدامها النعلُ
وهذه لهم شرفٌ إلى الآن . ورجع فدخل بها ، فولدت له بنين وبنات .
وبما مدح به هيرما وأباه وإخوته وغنى فيه قوله :

مدح بقصيدته
القافية هيرما وأباه
وإخوته

صوت :

إنَّ الخليل^(٢) أجَدَّ البينَ فأنفقا * وعَلَقَ القلبُ من أسماء ما عَلَقا
وأخلفنك أبنةُ البكرى ما وعدتُ * فأصبح الحبلُ منها واهتأ خَلَقا^(٣)
قامت تبدى بذي ضالٍ لِحَزْنِي * ولا محالة أن يشتا قَ مَنْ عَشِقا
يبيد مُغْزِلَةً أدماء خاذلةٍ * من الغباء تُراعى شادنا خَرِقا
انفرك : انفعل ، من الفُرقة . وأجدَّ وجدَّ بمعنى واحد ، من الجدِّ خلاف اللعب .
والواهن والواهي واحد ، والحبل : السَّبَبُ^(٤) في المودة ، والضال : السدْر الصَّغَارُ ، وأحدثها
ضالَّة . والحيد : العُتْق . والمُغْزِلَةُ : الظبية التي لها غزال . والأدماء : البيضاء .
والخاذلة : المقيمة على ولدها ولا تتبع الظباء . والشادن : الذي قد شدَّ ن أي تحرك
ولم يقو بعد ، والخرق : الدهش .

١٥ غنى مالك في الأول والثاني من الأبيات خفيف رمل بالوسطى ، وقيل إنه
لأبن جامع ، وقيل بل لحن أبن جامع بالينصر . وفي الثالث والرابع لأبن المكي رملٌ
صحيح من روايتي بذل والهشام .

(١) الأحلاف : أسد وغطفان وطير . ونل عرشها : أى أصابها ما كسرهما وهدمها . وذبيان :
قبيلة المدوحين وهم من غطفان . وإتما فصلهم منهم لأن حصين بن ضمضم المرى جنى عليهم الحرب وهو منهم
لأن مرة من ذبيان . ويقال « زلت بأقدامها النعل » إذا وقعت القبيلة في حيرة وضلال . (عن الأعل) .
٢٠ (٢) الخليل : الخياط ، ويقال للجمع أيضا خليل . (٣) فى ٢٠١ : « واهيا » بالياء المثناة .
(٤) فى ٢٠١ : « المحبة »

وفي هذه القصيدة يقول يمدح هريماً :

قد جعل المبتغون الخير من هريم * والسائلون إلى أبوابه طُرُقاً
من يَلْقَى يوماً على عِلَّاته هريماً * يَلْقَى السباحة منه والندى خُلُقاً
ليثٌ بعثر يصطاد اللبث إذا ^(٢) * ما اللبث كذب عن أقرانه صدقاً ^(٣)
يطعنهم ما أرتَمُوا حتى إذا أطعنوا * ضارب حتى إذا ما ضاربوا اعتنقاً ^(٤)

ومن مدائحه إياهم قوله يمدح أبا هريم سنان بن أبي حارثة . وذكر ابن الكلبي أنه
هوى امرأة فاستهم بها ، وتفاقم به ذلك حتى فُقِد فلم يُعرف له خبره . فترغم
بنو مرة أن الحن استطارته فادخلته بلادها ، وأواسستعجلته لكرمه . وذكر
أبو عبيدة أنه قد كان هريم حتى بلغ مائة وخمسين سنة ، فهام على وجهه خرقاً
ففقِد . قال : فزعم لي شيخ من علماء بني مرة أنه خرج لحاجته بالليل فأبعد ،
فلما رجع ضل فهام طول ليلته حتى سقط فمات ، وتبع قومه أثره فوجدوه ميتاً .
فرتاه زهير بقوله : ^(٥)

إِنَّ الرِّزْيَةَ لَا رِزْيَةَ مِثْلَهَا * مَا تَبْتَغِي غَطْفَانُ يَوْمَ أَضَلَّتِ ^(٦)

- (١) عثر : (بتشديد التاء) اسم موضع باليمن ، وقيل : هي أرض مأسدة بناحية تبالة .
(٢) في ح والديوان : « الرجال » . (٣) كذب : أى لم يصدق الحملة . يقال : كذب
الرجل عن كذا إذا رجع عنه . يقول : إذا رجع الشجاع عن قرنه ولم يصدق الحملة عليه فهذا الممدوح
يصدقها . (عن الأعم) . (٤) اعتنق : اسرم قرنه . يقول : إذا ارتعى الناس في الحرب بالنبل
دخل هو تحت الرمي فجعل يطاعنهم ، فاذا تطاعنوا ضارب بالسيف ، فاذا تضاربوا بالسيوف اعتنق قرنه
والترمه ، أى أنه يزيد عليهم في كل حال من أحوال الحرب . (عن الأعم) . (٥) الأبيات الآتية
في الرثاء . والرثاء ضرب من المدح . (٦) في الأصول : « مثل » وهو تحريف .
(٧) في الأعم : « وقيل إنما رثى بالآيات حصن بن حذيفة » . (٨) في ١ ، ٢ :
« بعدها » . (٩) يقال : ضل فلان الطريق وأضل بعيره يقال الأول الثابت والثاني لغيره .

خرف سنان بن
أبي حارثة ثم مات
فرتاه

إِنَّ الرِّكَابَ لَتَبْتَغِي ذَا مِرَّةٍ * بِمَجْنُوبٍ نَجْدٌ إِذَا الشُّهُورُ أَحَلَّتِ
يَتَعَيْنَ خَيْرَ النَّاسِ عِنْدَ شَدِيدَةٍ * عَظُمْتُ مَصِيبَتُهُ هُنَاكَ وَجَلَّتِ
وَمُدْفَعٌ ذَاقَ الْمَوَانِ مَلْعِنٌ * رَاخِيَتَ عُقْدَةَ حَبْلِهِ فَأَنْحَلَّتِ
وَلِنَعْمَ حَشْوُ الدَّرْعِ كَانَ إِذَا سَطَا * نَهَلَتْ مِنَ الْعَلَقِ الرَّمَاحُ وَعَلَّتِ
والذي فيه غناء من مدائح زهير قوله :

١٥٢

أشعاره غنى فيها

صوت

أَمِنْ أُمَّ سَأَمَى عَرَفَتَ الطُّلُولَا * بِذِي حُرِيضٍ مَائِلَاتٍ مُثْرَلَا
يَلِينَ وَتَحَسَّبُ آيَاتِهِنَّ * طَوْرُ فَرِطٍ حَوَلَيْنَ رَقًّا مَحِيلَا
المائل هاهنا: اللاطِطُ بالأرض، وفي موضع آخر: المُتَّصِبُ القائم. وذو حُرِيضٍ:
موضع. والحُرُوسُ: الأشنان. وآيَاتُهُنَّ: علامَاتُهُنَّ. وفَرِطُ حَوَلَيْنَ: تَقَدَّمَ
حَوَلَيْنَ، والفَارِطُ: المتقدِّم.
غنى في هذين البيتين إسحاق، وله فيهما لحنان: أحدهما ثاني ثَقِيلٍ بإطلاق
الوَرَفِ بِجَرَى الْبِنْصَر، من كجابه. والآخر مَخُورِيٌّ من مجموع غِنَائِهِ، وروايته عن
الهِشَامِيِّ. وفيهما للزُّبَيْرِ بْنِ دَحْمانَ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْبِنْصَرِ عَنْ عَمْرٍو. يقول فيها:
إِلَيْكَ سِنَانُ الْغَدَاةِ الرَّحِيبِ * لُ أَعْصَى النُّهَاءَ وَأَمْضَى الْفُرُولا
جمع. قال، أى لا أُنْطِيرُ.

- (١) الرِّكَابُ: الإبل، والمراد راكبوها. وذات مرة أى ذا عقل ورأى مبرم. وقوله «إذا
الشُّهُورُ أَحَلَّتْ» أى إذا دخلت الشُّهُورُ التي يحل فيها الفُرُو. (٢) في ديوان زهير بشرح الأَعلَمِ
النحوى: «بمجنوب نخل». (٣) في ١، ٢: «بكله» والكُجَلُ: القيد.
(٤) في شرح الأَعلَمِ: «ولنعم حشو الدرع أنت لنا إذا». (٥) العلق: الدم.
(٦) في شرح الأَعلَمِ: «أمن آل ليلي الخ». (٧) في شرح الأَعلَمِ: «عن».
(٨) المحيل: الذي أتى عليه حول. شهرسوم الدار برق مكتوب قد أتى عليه حول بحيث يتغير ويدرس.

(١) فلا تأمني غزواً فراسيه * بني وائل وأحذريه جديلاً
وكيف آتقاء أمري لا يؤو * ب بالقوم في النزوح حتى يطيل^(٢)
ومن الغناء في مدائح هريم قوله .

صوت

قف بالديار التي لم يعفها القدم * بلي وغيرها الأرواح والديم^(٣)
كأن عيني وقد سال السليل بهم * وعبرة ما هم لو أنهم أمم^(٤)
غرب على بكرة أو لؤلؤ قلق * في السلك خان به رباته النظم^(٥)
الديم : جمع ديمة وهو المطر الذي يدوم يوماً أو يومين مع سكون . سال السليل بهم :
أى ساروا فيه سيراً سريعاً ، والليل : واد . وقوله وعبرة ما هم أى هم عبرة ، وما هاهنا
صلة . لو أنهم أمم أى قصدت أزوهم . والأمم : بين القريب والبعيد ، والقلق :
الذى لم يستقر لها أنقطع الخيط . والنظم : جمع واحداً نظام ، شبه دموعه بلؤلؤ
أنقطع سلكه ، وبماء سال من الغرب .

الغناء في هذه الأبيات رمل لكن المكي بالوسطى عن عمرو . وذ كر عمرو أن
لإسحاق فيها لحناً أيضاً . وذ كر يونس أن فيها لحناً لمالك .

صوت

لمب الديار بقنة الحجر * أقوين مذحج ومذدهر^(٦)

- (١) يريد : يا بني وائل لا تأمني غزواً فرسانه ، ويا جديلة احذريه . وجديلة أمهم وعدوان ، وكان
سنان يجاورهم . (عن الأعمى) . (٢) أى هو مطيل للغزول لأنه يتبع أقصى أعدائه فلا يؤرب بالقوم
من غزوه إلا بعد مدة طويلة . فاتقاء مثل هذا أشد اتقاء . (عن الأعمى) . (٣) روى في لسان
العرب مادة أمم : « وعبرة » وكذلك روى في مادة سلال مردفاً بقوله : « ويروى : وعبرة » .
(٤) أى هم سبب بكائي وحزنى . (٥) الحجر : موضع بعينه وهو حجر الجامة .
(٦) فى ج ودوانه : « من حجج ومن شهر » .

لَعَبَ الرِّيحُ بِهَا وَغَيْرَهَا * بَعْدَى سَوَافِي الرِّيحِ وَالْقَطْرِ^(١)
 دَعَا ذَا وَعْدَ الْقَوْلِ فِي هَيْمٍ * خَيْرَ الْكُهُولِ وَسَيِّدَ الْحَضِيرِ
 لَوْ كُنْتُ مِنْ شَيْءٍ سِوَى بَشِيرٍ * كُنْتُ الْمُنَوَّرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ

الْقَنَةُ : الحبل الذي ليس بمنتشر . أَقْوَيْنَ : خَلَوْنَ . وَالسَّوَافِي : مَا تَسْفِي الرِّيحُ^(٢) .
 قَالَ : وَالْقَطْرُ مَخْفُوضَةٌ بِنَسْقِهِ عَلَى الرِّيحِ^(٣) ، وَالْقَطْرُ لَا سَوَافِي لَهُ^(٤) . وَهَذَا تَفْعَلُهُ الْعَرَبُ
 فِي الْمَجَاوِرَةِ ، وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِمْ : بُحْرُضَبٌ خَرِبٌ .

١٥٣
٩

غَنَى فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ سَائِبُ خَاثِرٍ مِنْ رِوَايَةِ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ ، وَلَمْ يَحْجِثْ . وَفِيهِ ثَقِيلٌ
 أَوَّلُ بِالْيَنْصَرِ نَسَبُهُ عَمْرُو بْنُ بَابَتَةَ إِلَى مَعْبَدٍ ، وَنَسَبُهُ غَيْرُهُ إِلَى سَائِبٍ ، وَإِلَى الْأَوْسِيَّةِ
 مِمَّا ذَكَرَ حَبَشٌ . قَالَ : وَهِيَ مِنْ قِيَانِ الْحِجَازِ الْقِدَائِمِ مَوْلَاةٌ لِلْأَوْسِ .

وَمِنْهَا قَوْلُهُ يَمْدَحُ سِنَانَ بْنَ أَبِي حَارِثَةَ :

صوت

صَحَّ الْقَلْبُ عَنْ سَلَمَى وَقَدْ كَادَ لَا يَسْلُو^(٥) * وَأَقْفَرَ مِنْ سَلَمَى التَّعَانِيقُ فَالْتَقَلُ
 وَقَدْ كُنْتُ مِنْ سَلَمَى سِنِينَ ثَمَانِيًا * عَلَى صَيْرِ أَمْرِ مَا يُمِرُّ وَمَا يَحُلُو
 وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ يَوْمًا لِحَاجَةٍ * مَضَّتْ وَأَجَمْتُ حَاجَةُ الْغَدِ مَا تَحُلُو
 وَكُلُّ مَحَبٍّ أَحْدَثَ النَّأْيُ عِنْدَهُ * سُلُوفُؤَادٍ غَيْرِ حِكِّ مَا يَسْلُو
 تَأَوَّبَنِي ذِكْرُ الْأَحِبَّةِ بَعْدَ مَا * هَجَعْتُ وَدَوْنِي قُلَّةُ الْحَزَنِ فَالرَّمْلُ

(١) فِي شَرْحِ الْأَعْلَمِ : « الْمَوْر » وَهُوَ التَّرَابُ .

(٢) هَذَا عَلَى الرِّوَايَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا الْمُؤَسِّسُ . وَعَلَى رِوَايَةِ الْأَعْلَمِ يَرَادُ بِالسَّوَافِي الرِّيحَ ، يَعْنِي أَنَّ الرِّيحَ
 وَالْأَمْطَارَ تَرَدَّدَتْ عَلَى هَذِهِ الدِّيَارِ حَتَّى عَفَتْ رُسُومَهَا وَغَيَّرَتْ آثَارَهَا بِمَا سَفَتِ الرِّيحُ عَلَيْهَا مِنَ التَّرَابِ وَمَحَتْ

الْأَمْطَارُ مِنَ الْآثَارِ . (٣) فِي الْأَصُولِ : « عَلَى الرِّيحِ » . (٤) إِذَا فَسَرَتِ السَّوَافِي

بِالرِّيحِ نِيصَحُ أَنْ يَكُونَ الْقَطْرُ مَا تَسْفِيهِ الرِّيحُ . (٥) فِي ١ ، ٢ : « كَانَ » .

فَأَسْمَتْ جَهْدًا بِالْمَنَازِلِ مِنْ مَنِيَّ * وَمَا سُحِفَتْ فِيهِ الْمَقَادِيمُ وَالْقَمَلُ^(١)
لَا رَتَحَلَنْ بِالْفَجْرِ ثُمَّ لَأَذَابَتْ * إِلَى اللَّيْلِ إِلَّا أَنْ يُعَرِّجَنِي بَطْلُ
وَهْلٍ يُنْبِتُ الْخَطَى إِلَّا وَشِيجُهُ * وَتُفَرِّسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا النَّخْلُ^(٢)

التَّعَانِيقُ وَالثَّقْلُ : موضعان . وَيُرَوَّى : فَالْخَلْ : وقوله على صيرٍ أمرٍ : أى على
شرفٍ أمرٍ . وَأَجَحْتُ : دَنْتُ . وَتَأَوَّخَى : أَتَانِي لَيْلًا . وَالتَّأَوَّيْبُ : سِيرٌ يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ .
سُحِفَتْ : حُلِقَتْ ، يُقَالُ سَحَفَ رَأْسَهُ وَسَهَتَهُ وَجَلَطَهُ : حَلَقَهُ . وَقَوْلُهُ "يُعَرِّجَنِي بَطْلُ" قَالَ
يُقَالُ الطَّفُلُ : اللَّيْلُ ، وَيُقَالُ الطَّفُلُ : مَغِيبُ الشَّمْسِ ، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : الطَّفُلُ :
الْحَزَنُ ، وَإِقَادَهُ نَارَ التَّحْيِيرِ . وَالْخَطَى : رِيحٌ نَسَبَهَا إِلَى الْخَطِّ وَهِيَ مِنْ جَزِيرَةٍ بِالْبَحْرَيْنِ
تُرْفَأُ إِلَيْهَا سُفُنُ الرِّمَاحِ . وَالْوَشِيجُ : الْقَنَا وَاحِدُهَا وَشِيجَةٌ . وَالْوَشُوجُ : دُخُولُ الشَّيْءِ
بَعْضُهُ فِي بَعْضٍ .

غَنَى إِبْرَاهِيمُ الْمُوَصِّلَى فِي الْأَوَّلِ وَالثَّانِي ثَقِيلًا أَوَّلَ بِالْبِنْصَرِ مِنْ رِوَايَةِ
الْمَشَامِي وَعَمْرُو . وَغَنَى إِبْرَاهِيمُ أَيْضًا فِي السَّادِسِ وَالسَّابِعِ وَالثَّامِنِ خَفِيفَ ثَقِيلٍ .
وَفِي الثَّلَاثِ لِمَعْبَدٍ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ . وَأَحْمَلُوهُ فِي السَّابِعِ وَالثَّامِنِ خَفِيفٌ رَمَلٌ . وَذَكَرَ
حَبَشَ أَنْ لِيَبْرَاهِيمَ فِي الثَّامِنِ . لَحْنًا مَا خُورِيًا .
وَمِنَ الْغِنَاءِ فِي مَدَائِحِهِ هَرَمًا قَوْلُهُ :

صوت

لَمِنْ طَلَّلَ بِرَامَةِ لَا يَرِيمُ * عَفَا وَأَحَالَهُ عَهْدٌ قَدِيمٌ^(٥)

(١) المقاديم : جمع مقدم الرأس ، وأراد بالقمل : الشعر الذى فيه القمل ، على تقدير مضاف ،
أى وشعر القمل . وقد يراد بالقمل على معناه فانه تابع ومسحوف مع المقاديم وشعرها .
(٢) هذا البيت وارد في ديوانه في القصيدة بعد أبيات عدة لم يذكرها أبو الفرج ، وقبله :
فأيك من خير أتوه فانما * توارثه آباء آبائهم قبل
(٣) نار التحير : هى النار التى توقد لهداية الحائر . (٤) لا يريم : لا يبرح .
(٥) رواية الديوان : * عفا وخلاله حقب قديم *

تَطَالَعْنِي خِيَالَاتٌ لَسَامِي * كَمَا يَتَطَالَعُ الدِّينَ الْغَرِيمُ

غَنَاهُ دَحْمَانٌ ثَانِي ثَقِيلُ الْبِنَصْرِ عَنْ عَمْرٍو . وَعَقَا : درس هَاهُنَا ، وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ :
كَثُرَ ، وَهُوَ مِنْ إِضْدَادِ . وَخِيَالَاتٌ : جَمْعُ خِيَالٍ .

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ وَحَبِيبُ بْنُ نَصْرِ الْمُهَلَّبِيُّ قَالَا حَدَّثَنَا
عَمْرُ بْنُ شَبَّةٍ ، وَقَالَ الْمُهَلَّبِيُّ فِي خَبَرٍ لَهُ عَنْ الْأَصَمِّ : قَالَ :

أَنشَدَ عَمْرُ بْنُ هَرَمٍ
عَمَّهُ شِعْرًا لَهُ فِي هَرَمٍ
ابْنِ سِنَانٍ فَلَا مَهْ

أَنشَدَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَوْلَ زُهَيْرٍ فِي هَرَمٍ بْنِ سِنَانٍ يَمْدَحُهُ :

دَعُ ذَا وَعَدَّ الْقَوْلَ فِي هَرَمٍ * خَيْرَ الْكُھُولِ وَسَيِّدَ الْخَضِيرِ
لَوْ كُنْتُ مِنْ شَيْءٍ سِوَى بَشِيرٍ * كُنْتُ الْمُنُورَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ
وَلَأَنْتَ أَوْصَلُ مَنْ سَمِعْتُ بِهِ * إِشْوَابِكَ الْأَرْحَامِ وَالصَّهْرِ
وَلِنَعْمَ حَشْوُ الدَّرْعِ أَنْتَ إِذَا * دُعِيتَ تَزَالُ وَبِجْ فِي الدُّعْرِ
وَأَرَاكَ تَقْرِي مَا خَلَقْتُ وَبَعْدَ * حُضِّ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَقْرِي
أَنْتَنِي عَلَيْكَ بِمَا عَلِمْتُ وَمَا * أَسْلَفْتُ فِي النَّجْدَاتِ مِنْ ذِكْرِ
وَالسُّتْرِ دُونَ الْفَاحِشَاتِ وَلَا * يَلْقَاكَ دُونَ الْخَيْرِ مِنْ سِتْرِ

١٥٤
٩

فَقَالَ عَمْرُ : ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال وقال عمر لبعض ولد هيرم : أنشدني بعض مدح زهير أباك ، فأنشده .
فقال عمر : إن كان ليحسّن فيكم القول . قال : ونحن والله إن كنا لنحسّن له العطاء .
فقال : قد ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم .

قال عمر لبعض
ولد هيرم قد خلد
ذكره لكم

(١) في ٣٠٤ : « لز » بالزاي .

(٢) تقرى : تقطع . وخلقته أى قدرت الأديم وهيأته للقطع والحرز . والمعنى : أنك إذا

تهيات لأمر مضيت له وأنفذته ولم تعجز عنه ، وبعض القوم يقدر الأمر ويتهيأ له ثم لا يقدم عليه ولا يعضيه
عجزاً وضعف همة . (عن شرح الأعم) .

قال : وبلغني أن هريماً كان قد حلف ألا يمدحه زهير إلا أعطاه ، ولا يسأله إلا أعطاه ، ولا يسلم عليه إلا أعطاه : عبداً أو وليدة أو فرساً . فاستجيا زهير بما كان يقبل منه ، فكان إذا رآه في ملاء قال : عموا صباحاً غير هريم ، وخيركم أستثنيتم . وروى المهلب : وخيركم تركت .

حلف هريم أن يعطيه كلما لقيه

سأل عمر ابنه عن الخلل التي كساه إياها هريم فاجابه

أخبرني الحوهرى والمهلبى قالوا حدثنا عمر بن شبة قال :

قال عمر لابن زهير : ما فعلت الخلل التي كساه هريم أبناك ؟ قال : أبلاها الدهر . قال : لكن الخلل التي كساه أبوك هريماً لم يبلها الدهر . وقد ذكر الهنيم ابن عدي أن عائشة خاطبت بهذه المقالة بعض بنات زهير

شعر له مدح هريماً ولم ينسبه إليه أحد

وقال أبو زيد عمر بن شبة : وما سبق فيه زهير في مدح هريم ولم يسبقه إليه أحد قوله :

قد جعل المبتغون الخير من هريم * والسائلون إلى أبوابه طرُفاً
من يلق يوماً على ملاته هرة * يلقى السباحة منه والندى خُلُفاً
يطلب شأواً أمر أين قدماً حسناً * بدأ الملوك وبدأ هذه السوفاً
هو الجواد فإن يلحق بشأوهما * على تكاليفه فثله لحفاً
أو يسبقاه على ما كان من مهيل * فثله ما قدماً من صالح سبفاً

(١) رواية هذا البيت في شرح الأعلام للديوان .

يطلب شأواً أمر أين قدماً حسناً * نالا الملوك وبدأ هذه السوفاً

وأراد بالمرأى : أباه وجده . يقول : تساوى أبواه بالملوك وسبقا أوساط الناس وهو يطلب سبقهما ، وذلك شديد لأنهما لا يجاريان في فعل . (عن شرح الأعلام) . (٢) المهمل : التقدّم . يقال أخذ فلان المهلة والمهمل على فلان إذا تقدمه . يقول : إن الممدوح معذور إذا سبقه أبواه وأخذوا عليه المهلة في الشرف ؛ لأن مثل فعلهما وما قدما من صالح سعيهما سبق من جاراهما . (عن شرح الأعلام) .

أخبرني الجوهري والمهليّ قالاً حدثنا عمر بن شبة قال قال المدائني^(١) :
قال عبد الملك بن مروان : ما يضُرُّ من مدح بما مدح به زهير آل أبي حارثة
من قوله :

مدح عبد الملك
ابن مروان شعره
في مدح آل أبي
حارثة

على مُكثِرِهِمْ رِزْقُ مَنْ يَغْتَرِيهِمْ * وعند المقلّين السّماحة والبسذل

ألا يملك أمور الناس (يعني الخلافة) . قال ثم قال : ما ترك منهم زهير غنياً
ولا فقيراً إلا وصدّ ومدحه .

وقال ابن الأعرابي قال أبو زياد الكلابي : أنشد عثمان بن عفان قول زهير :
ومهما تكن عند امرئ من خَلِيقَةٍ * وإن خالها تخفى على الناس تُعَلِّمُ

مدح عثمان بن
عفان شعره له

فقال : أحسن زهير وصدق ، لو أنّ رجلاً دخل بيتاً في جوف بيت لتحدث به الناس .
قال وقال النبي صلى الله عليه وسلم : " لا تعمل عملاً تكره أن يُحدثَ عنك به " .

قال وقال علي بن محمد المدائني حدثني ابن جعدويه :

أنّ عروة بن الزبير لحق بعبد الملك بن مروان بعد قتل أخيه عبد الله بن
الزبير . فكان إذا دخل إليه منفرداً أكرمه ، وإذا دخل عليه وغنّده أهل الشام
استخفّ به . فقال له يوماً : يا أمير المؤمنين ، بسّ المزور أنت ؛ تُكرّم ضيفك
في الخلّاء ، وتُهينّه في المَلَأ ، وقال : لله دَرُّ زهير حيث يقول :

تمثل عروة بن الزبير
ببيت له وقد
استخف به عبد
الملك بن مروان

فقرى في بلادك إنّ قوماً * متى يدعوا بلادهم يهونوا

١٥٥
٩

ثم استأذنه في الرجوع إلى المدينة ، فقضى حوائجه وأذن له . وهذا البيت من قصيدة
لزهير قالها في بني تميم ، وقد بلغه أنها حسدت لغزو غطفان ؛ أولها :

(١) يغتر بهم : يقصدهم و يطلب ما عندهم .

(٢) في أكثر النسخ : « فقال » وفي ج : « قال »

ألا أبلغُ لديكَ بنى تميم * وقد يأتيتك بالخبر الظنونُ
الظنون : الذى لست منه على ثقة ، والظنين : المتهم .

وقال ابن الأعرابي :

شعره فى الحارث

ابن ورقاء وقوله

أخذ إبله وغلامه

كان الحارث بن ورقاء الصيداوى من بنى أسد أثار على بنى عبد الله بن غطفان

فغنى فاستاق إبل زهير وراعيه يساراً . فقال زهير :

بان الخليط ولم يأووا لمن تركوا . وزودوك أشتياقاً أيةً بداكموا

وهى طويلة يقول فيها :

لئن حللت بجحو فى بنى أسد * فى دين عمرو وحالت بيننا فدك^(٤)

ليأتينك منى منطق قدع * باقى كادس القبطية^(٥) الودك

فأردد يساراً ولا تعنف عليه ولا * تمحك بعرضك إن الغادر الملعك^(٦)

ولا تكونن كأفوام عليهم * يلبون ما عندهم حتى إذا نهكوا^(٧)

طابت نفوسهم عن حق خصمهم * مخافة الشر وأرتدوا لما تركوا^(٨)

(١) كذا فى ب ، س . وفى سائر النسخ : « فاستخف » . (٢) كذا فى الديوان .

وفى الأصول : « إن الخليط » . والخليط : الأصحاب المخالطون فى الدار . ولم يأووا : أى لم يرجعوا

ولم يرجعوا . (٣) جحو : واد . (٤) كذا فى ج والديوان وياقوت فى كلامه على ذلك .

والمراد بدين عمرو : طاعته وسلطانه . وعمرو هو عمرو بن هند الملك . وفى سائر النسخ وياقوت فى كلامه

على دير عمرو : « دير عمرو » . وقال : « دير عمرو : جبال فى طيى قرب قرية لهم يقال لها جحو » .

ثم ذكر هذا البيت الذى بعده . وذلك : قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان أو ثلاثة . (٥) كذا

فى الديوان . والقبطية (بضم القاف) : ثياب كتان بيض رفاق تعمل بمصر منسوبة إلى القبط (بكسر القاف)

على غير قياس . وفى الأصول « القبطية » وهو تحريف . والودك : الدسم . يقول : لئن حللت بجحو

لا أدركك ليردن عليك هجوى ولأدنس به عرضك كما يدنس الودك القبطية . (٦) الملك : المثل

وزنا ومعنى . والملعك (بكسر العين) : المطول . يقول : لا تمطلى يسار فطلاك غدر . وكلها مطلتنى لحق ذلك

بعرضك . (٧) يلبون ما عندهم أى يطلبون بما عليهم من الدين . ونهكوا : شتوا وبلغ فى هجائهم .

(عن شرح الأعمى) . (٨) أى لما أودوا بالهباء دفعوا الحق إلى صاحبه وارتدوا إلى إعطاء ما كانوا

تركوه ومنعوه من الحق مخافة من الشر وإبقاء على أعراضهم . (عن شرح الأعمى) .

وفي هذه القصيدة مما يغني فيه :

صوت

أَهْوَى لها أَسْفَعُ الخَلْدَيْنِ مُطَرِّقٌ * رِيَشَ القَوَادِمِ لَمْ يُنْصَبْ لَهُ شَرَكُ^(١)
وَقَدْ أَكُونُ أَمَامَ أَجْحٍ تَحْمِلُنِي * جَرْدَاءُ لَا فَحْجَ فِيهَا وَلَا صَكَكُ^(٢)

- أَهْوَى لها — يعني الفطاة تقدم وصفه إياها — صَغِيرٌ . ورواه الأصمعي : "هوى لها"
وقال : هوى : آنَقَضَ ، وأهوى : أوفى . ومُطَرِّقٌ : ريشه بعضه على بعض ليس بمنشور ،
وهو أَعْتَقُلُهُ . وقوله لَمْ يُنْصَبْ لَهُ شَرَكُ : أي لَمْ يُصْطَدْ وَلَمْ يُذَلَّلْ . والتموادم : العشر
المتقدمات . والفَحْجُ : تباعد ما بين الفخذين . والصَّكَّكُ : أصطكاك العرقوين
في الدواب ، وفي الناس الركبتين . قال : فلما أُنْشِدَ الحارثُ هذا الشعر بعث بالغلام
إلى زهير . وتيل : بل أُنْشِدَ قول زهير :

تَعْلَمُ أَنَّ شَرَّ النَّاسِ حَيٌّ * يُنَادِي فِي شَعَارِهِمْ يَسَارُ^(٣)
وَلَوْلَا عَسْبُهُ لَرَدَدْتُمُوهُ * وَشَرُّ مَنِيحَةٍ أَيْرَ مَعَارُ^(٤)
إِذَا جَمَعَتْ نِسَاؤُكُمْ إِلَيْهِ * أَشْطَ كَأَنَّهُ مَسَدٌ مُغَارُ^(٥)

- (١) رواية الديوان بشرح الأعم : « لم ينصب له انتبك » . ونصب ريش القوادم على التشبيه
بالمفعول به ، كما تقول : زيد حسن الوجه ، ينصب الوجه . (راجع شرح الأعم) . (٢) هكذا غنى
في هذا البيت . وأصله كرواية الديوان :

وَقَدْ أَرَوْحُ أَمَامَ الْحَيِّ مُقْتَنِصًا * قُرًّا مَرَاتِعَهَا الْقِيَعَانُ وَالنَّبَكُ
وَصَاحِبِي وَرْدَةٍ تَهْدُ مَرَاكِهَا * جَرْدَاءُ لَا فَحْجَ فِيهَا وَلَا صَكَكُ

- (٣) الشعار : علامة القوم في سفرهم : اسم رجل أوشى . قد عرفوه فيما بينهم إذا دعوا به عرفوه .
ولمّا أراد أن يسارا صارعبا عليهم يعرفون به كما يعرف كل قوم بشعارهم . (عن شرح الديوان لثعلب) .
(٤) العسب : الضراب والنكاح أو هو ماء الفحل . (٥) المنيحة : العارية . (٦) في شرح
الأعم : « عسب » . (٧) رواية اللسان في مادة شظط : « جنحت » . (٨) كذا في
الديوان . وأشظ : أنعظ واشتد . وفي الأصول : « أشد » . والمسد : الحبل . والمغار : الشديد الفحل .

(١) يبرر حين يعدو من بعيد * إليها وهو قَبْقَابٌ قَطَارٌ

فردّه عليه . فلامه قومه وقالوا له : اقتله ولا تُرسل به إليه ، فأبى عليهم . فقال زهير عند ذلك :

أبلغ لديب بنى الصيّداء كُلَّهُمْ * أَلَّ يَسَارًا أَمَانًا غَيْرَ مَنُؤُولٍ
ولا مُهَانٍ ولكن عند ذى كَرَمٍ * وفي جِبَالٍ وفي العَهْدِ مَأْمُولٍ

وهى قصيدة . فقال الحارث لقومه : أَيُّ أَصْلَحَ : ما فعلتُ أو ما أردتُم؟ قالوا : بل ما فعلت .

كان يذكّر في شعره
غطفان وأخواله
بنى مرة ويمدحهم

قال ابن الأعرابي وحدثني أبو زياد الكلابي :

١٥٦
٩

أَلَّ زهيراً وأباه وولده كانوا في بنى عبد الله بن غطفان ، ومنزلهم اليوم بالحاجر ،
وكانوا فيه في الجاهلية . وكان أبو سلمي تزوج إلى رجل من بني فهر بن مرة بن
عوف بن سعد بن دُبيان يقال له الغدير — والغدير هو أبو بشامة الشاعر — فولدت له
زهيراً وأوساً ، وولد لزهير من امرأة من بني سُحيم . وكان زهير يذكّر في شعره بنى مرة
وغطفان ويمدحهم . وكان زهير في الجاهلية سيّداً كثير المال حليماً معروفاً بالورع .

(١) يبرر : يصوت . والقَبْقَاب : من القَبْقَبة وهى هدير الفحل . والقَطَار (بضم أوله) : وصف
من القطر أى يسيل ، وقيل عن أبي محمد : المنتصب الرافع رأسه . (عن شرح ثعلب) .

(٢) كذا في ح والديوان بشرح الأعم . وفي الديوان بشرح ثعلب : « يقدو » بالغين المعجمة .
وفي سائر الأصول : « يبدو » . (٣) ورد هذا الشطر في شرح الديوان للأعم الشنمري هكذا :
« وفي جبال وفي غير مجهول » . والحبال : العهود والذمم .

(٤) في الأصول : « بالحاجز » بالزاي وهو تصحيف . (٥) كذا في شرح ثعلب ، وقد
صححه المرحوم الأستاذ الشنقيطى كذلك في نسخه ، ويرجح ما سياتى في ص ٣١٢ من هذه الترجمة .
وفي الأصول هنا : « الغابر » . (٦) كذا في شرح الديوان لثعلب في المدخول على قصيدته
الهمزية . وفي الأصول : « هو أبو يسار هذا » وهو محرف .

١٥

٢٠

شكا اليه رجل من
غطفان بن عليم
ابن جناب فهاجم

قال وحدثني حماد الراوية عن سعيد الراوية عن سعيد بن عمرو بن سعيد :

أنه بلغه أن زهيراً هجا آل بيت من كلب من بني عليم بن جناب، وكان بلغه عنهم
شيء من وراء وراء، وكان رجل من بني عبد الله بن غطفان أتى بني عليم، وأكرموه
لما نزل بهم وأحسنوا جواره، وكان رجلاً مولعاً بالقمار فنهوه عنه، فأبى
إلا المقامرة. فمر مرة فردوا عليه، ثم قرأ أخرى فردوا عليه، ثم قرأ الثالثة فلم يردوا
عليه، فترحل عنهم وشكا ما صنيع به إلى زهير، والعرب حينئذ يتقون الشعراء اتقاءً
شديداً. فقال : ما خرجت في ليلة ظلماء إلا خفت أن يصيبني الله يعقوبة لهجائي
قوماً ظلمتهم. قال : والذي هجاهم به قوله :

عفا من آل فاطمة الجواء * قِيمَنْ^(١) فالقوادم فالحساء^(٢)
فدوعاش فميث عربيتات^(٣) * عفتها^(٤) الریح بعدك والسماء^(٥)
جرت سنها فقلت لها أجزى * نوى مشمولة فتى اللقاء
كان أوابد الثيران فيها * هجان في مغابنها الطلاء
لقد طابها ولكل شيء * وإن طالت بلجاجة آتباء
وقد أغدو على شرب كرام^(٦) * تشاوى واجدين لما نشاء
لهم طاس وراووق ومسك^(٧) * تعل به جلودهم وماء

الجواء : أرض . ويمن والقوادم : في بلاد غطفان . والميث : جمع ميثاء . قال
أبو عمرو : إذا كان مسيل الماء مثل نصف الوادى أو ثلثيه فهي ميثاء . والسماء هاهنا :

(١) كذا في شرح ثعلب والمعارف لابن قتيبة . وفي الأصول : « حيان » وهو تحريف .

(٢) في الأصول : « غليب » وهو تحريف . (٣) الحساء : في بلاد غطفان .

(٤) ذر هاش : موضع في بلاد غطفان . (٥) عربيتات : اسم واد . (٦) رواية الديوان :

* وقد أغدو على ثبة كرام *

والثبة : الجماعة من الناس . (٧) رواية الديوان : « لهم راح » .

المطر، والسيانح : ما أقبل من شمالك يريد يمينك . والبارح : ضده . وقال أبو عبيدة : سمعت يونس بن حبيب يسأل روبة عن السانح والبارح فقال : السانح : ما ولأك ميامنه . والبارح : ما ولأك مشأمة . وأجيزى : أنفذى . قال الأصمعي : يقال أجزت الوادى إذ قطعتة وخلفته ، وجزته : إذا سرت فيه فتجاوزته . والأواید : الوحشية . والمهبائن : لميل بيض . والمغابن : الأرفاغ ، واحدها مغين . ومشمولة^(١) : سريعة الانكشاف . أخذه من الريح الشمال إذا كانت مع السحاب لم يلبث أن يذهب . وجعل مشمولة هاهنا في النوى لأن نيتهم كانت سريعة ، فأجرى ذلك مجرى الدم ، فهذه السنج .

غنى في الأول والثاني والسابع معبد ثقيلًا أول باله سيابة في خبرى الوسطى عن إسحاق . وذكر على بن يحيى أن للغريض فيها خفيف ثقيل . وذكر حبش أن فيه للهذلي ثانی ثقيل بالوسطى . وفي الثالث والرابع مع بدت ليس لزهير أضيف إلى الشعر وهو :

بنفسى من تذكره سقام * أعجله ومطلبه عناء

في هذه الأبيات الثلاثة خفيف ثقيل أول بالوسطى في تجراها ، ذكر إسحاق أنه للغريض ، وغيره ينسبه إلى ابن سريج وإلى ابن عائشة . وفي الرابع والخامس لعلويه رمل لا يشك فيه من غنائه .

١٥٧
٩

طلب من خاله
بشامة وهو يمتنصر
أن يقسم له من
ماله فقال له
أورثك الشعر

وقال ابن الأعرابي حدثني أبو زياد ، وذكر بعض هذا الخبر إسحاق الموصلي عن حماد الراوية وعن ابن الكلبي عن أبيه قال :

(١) في الأصول : « لم تلبث أن تذهب » . وعبارة لسان العرب : « ... وقال ابن السكيت : مشمولة سريعة الانكشاف ، أخذه من أن الريح الشمال إذا هبت بالسحاب لم يلبث أن ينحسر ويذهب » .
(٢) في الأصول : « وفي » .

- وكان بشامة بن الغدير خال [زهير بن] أبي سلمى^(١)، وكان زهير منقطعاً إليه وكان معجباً بشعره . وكان بشامة رجلاً مقعداً ولم يكن له ولد ، وكان مكثراً من المال ، ومن أجل ذلك نزل إلى هذا البيت في غطفان : لئولتهم . وكان بشامة أحزم الناس رأياً ، وكانت غطفان إذا أرادوا أن يغزوا أتوه فاستشاروه وصدروا عن رأيه ، فإذا رجعوا قسموا له مثل ما يقسمون لأفضلهم ، فمن أجل ذلك كثر ماله . وكان أسعد غطفان في زمانه . فلما حضره الموت جعل يقسم ماله في أهل بيته وبين بني إخوانه . فأتاه زهير فقال : يا خالاه لو قسمت لي من مالك !! فقال : والله يا ابن أختي لقد قسمت لك أفضل ذلك وأجزله . قال : وما هو ؟ قال : شعري ورثتيه . وقد كان زهير قبل ذلك قال الشعر ، وقد كان أول ما قال . فقال له زهير : الشعر شيء ما قلته فكيف تعتد به علي ؟ فقال له بشامة : ومن أين جئت بهذا الشعر ! لعلك ترى أنك جئت به من مزية ، وقد علمت العرب أن حصاتها وعين مائها في الشعر لهذا الحى من غطفان ثم لي منهم ، وقد رويته عني^(٢) . وأحذاه نصيباً من ماله ومات^(٣) .

وبشامة شاعر مجيد وهو الذي يقول :

بشامة خاله شاعر
مجيد وشيء من
شعره

صوت

- ١٥ ألا ترين وقد قطعتني قطعاً * ماذا من القوت بين البخل والجود
إلا يكن ورق يوماً أراح به * للنايطين فإني لئن العود^(٤)
الفناء لإسحاق ثقیل أول بالنصر ، وقيل : إنه لإبراهيم .

(١) وضعنا هذه التكملة لما تقدم في ص ٣٠٩

(٢) يحتمل أن يكون : « وقد ورثته عني » . (٣) أحذاه : أعطاه . (٤) كذا

في ب ، س . وفي سائر الأصول : « قطعتني » بالنون . ويظهر أن الخطاب لزوجته أو لامة تلومه في الكرم .

(٥) يقال : راحت الريح الشيء إذا أصابته . ويقال : خبط الشجرة إذا شدها ثم نقض ورقها .

طلق زوجته أم
أوفى ثم ندم فقال
شعرا

قال ابن الأعرابي :

أُمُّ أَوْفَى التي ذكرها زُهَيْرٌ في شعره كانت أَمْرَأَتَهُ ، فَوَلَدَتْ مِنْهُ أَوْلَادًا مَاتُوا ،
ثم تَزَوَّجَ بعد ذلك أَمْرَأَةً أُخْرَى ، وَهِيَ أُمُّ أَبْنَيْهِ كَعْبٌ وَبُجَيْرٌ ؛ فَغَارَتْ مِنْ ذَلِكَ
وَأَذَتْهُ ، فَطَلَّقَهَا ثُمَّ نَدِمَ فَقَالَ فِيهَا :

لَعَمْرُكَ وَالْخَطُوبُ مُغَيَّاتٌ * وَفِي طُولِ الْمَعَاشَةِ النَّقَالِي
لَقَدْ بَالَيْتُ مَطْعَنَ أُمِّ أَوْفَى * وَلَكِنْ أُمُّ أَوْفَى مَا تُبَالِي^(١)
فَأَمَّا إِذْ نَايِتٍ فَلَا تَقُولِي * لَذَى صِهْرٍ أَذَلْتُ وَلَمْ تَدَالِي^(٢)
أَصَبْتُ بَنِيَّ مِنْكِ وَنَلَيْتُ مَتًى * مِنَ اللَّذَاتِ وَالْحُلَلِ الْغَوَالِي

عانت امرأة ابنه
سالمًا فأت فرثاه

وقال ابن الأعرابي :

كَانَ لَزُهَيْرِ بْنِ يُقَالُ لَهُ سَالِمٌ ، جَمِيلُ الْوَجْهِ حَسَنُ الشَّعْرِ . فَأَهْدَى رَجُلٌ إِلَى زُهَيْرِ
بُرْدَيْنَ^(٣) ، فَلَيْسَهُمَا الْفَتَى وَرِكَابُ فَرَسٍ لَهُ ، فَرَبَّأَ امْرَأَةً مِنَ الْعَرَبِ بِمَاءٍ يُقَالُ لَهُ النَّتَاءُ^(٤) ،
فَقَالَتْ : مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ قَطُّ رَجُلًا وَلَا بُرْدَيْنَ^(٣) وَلَا فَرَسًا . فَعَثَرَ بِهِ الْفَرَسُ فَأَنْدَقَتْ^(٥)
عُنُقَهُ وَعَثَى الْفَرَسُ وَأَنْشَقَّ الْبُرْدَانُ . فَقَالَ زُهَيْرٌ يَرِثِيهِ :

رَأْتُ رَجُلًا لَاقَى مِنَ الْعَيْشِ غِبْطَةً * وَأَخْطَاهُ فِيهَا الْأُمُورُ الْعِظَائِمُ
وَسَبَّ لَهُ فِيهَا بَنُونَ وَتَوَيْعَتْ * سَلَامَةً أَعْوَامٍ لَهُ وَغَنَائِمُ

(١) في ١ ، م : « لا تبالي » . (٢) أذال المرأة : هزلها وأهانها . وفي المثل : « أخيل
من مذالة » وهي الأمة لأنها تهان وهي تنبخر من حقها . (٣) في الأصول : « بردتين ...
البردتان » قال ابن سيدة : البرد ثوب فيه خطوط وخص بعضهم به الوشي . والبردة : كساء يلتحف به ،
وقيل غير ذلك . (راجع اللسان في مادة برد) . (٤) النتاء : ماء لبنى عميلة أو هو ماء لغنى . وقال
الحفصى : النتاء : نخيلات لبنى عطار . ويوم النتاء من أيام العرب . (معجم البلدان لياقوت)

فأصبح محبوباً يُنظر حوله ^(١) * بغبطة لو أنت ذلك دائم ^(٢)
وعندى من الأيام ما ليس عنده * فقلت تعلم إنما أنت حالم ^(٣)
لعلك يوماً أن تراعى بفاجع . كما راعى يوم الشتاء سالم

١٥٨
٩

قال ابن الأعرابي :

هو وقومه شعراء . كان زهير في الشعر ما لم يكن لغيره ، وكان أبوه شاعراً ، وخاله شاعراً ، وأخته سلمى شاعرة ، وأبناء كعب وبجير شاعر بن ، وأخته الخنساء شاعرة ، وهي القائلة ترثيه :

وما يُغني توقي الموت شيئاً ^(٤) * ولا عقْدُ التيم ولا الغضارُ

— والغضار : كان أحدهم إذا خشي على نفسه يعلق في عنقه خرقةً أخضر —

إذا لاقى منيته فأمسى * يسأى به وقد حق الحذارُ

ولاقاه من الأيام يوم * كما من قبل لم يتخلد قدار ^(٥)

١٠

وإبن أبنه المضرب بن كعب بن زهير شاعر ، وهو القائل :

إني لأخيس نفسي وهي صادية * عن مضعب ولقد بانت لي الطرق

(١) المحبور : المنعم . ومنه قوله تعالى : (في روضة يجرون) أي ينعمون . وينظر حوله أي ينظر حوله يمينا وشمالا . (٢) كذا في معجم البلدان في الكلام على التاء . وفي الأصول : « تغبطه » . وفي الديوان بشرح تلعب : « بغبطة » . ولم ترد هذه الأبيات في شرح الأعم . (٣) يخاطب ابنه . يقول : ما أنت فيه من السرور والشباب بمنزلة الحلم . (٤) في اللسان (في مادة غضر) : « توقي المرء » . (٥) قدار : هو قدار بن سالف عاقر الناقة . (٦) في شرح القاموس (في مادة ضرب) : « وكحدث (بكسر الدال المشددة) ومعظم (بفتح الظاء المشددة) لقب عقبة بن كعب بن زهير . وبالوجهين ضبط في نسخة الصحاح » . وفي كتاب الشعر والشعراء أنه شبيب بامرأة من بني أسد فقال :

ولا عيب فيها غير أنك واجد * ملاقيها قد دثت بركوب
فتربه أخوها مائة ضربة بالسيف فلم يمت وأخذ الدية ، فسمى المضرب .

٢٠

رُعوى عليه كما أرعى على هيريم * جَدَى زهير وفيما ذلك الخلق
مَدَحُ الملوك وسعى في مَسَرَّتِهِمْ * ثم الغنى ويسد المدح تنطلق

ما امتاز به شعره
وكان سبب تقديمه

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال :

مَنْ قَدَّمَ زُهَيْرًا أَحْتَجَّ بِأَنَّهُ كَانَ أَحْسَنَهُمْ شِعْرًا وَأَبْعَدَهُمْ مِنْ سُخْفٍ ، وَأَجْمَعَهُمْ
لِكَثِيرٍ مِنَ الْمَعَانِي فِي قَلِيلٍ مِنَ الْأَنْمَاطِ ، وَأَشَدَّهُمْ مِبَالِغَةً فِي الْمَدْحِ ، وَأَكْثَرَهُمْ أَمْثَالًا
فِي شِعْرِهِ .

مرثية ابنه سالم

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الأصمعي قال :

كَانَ لَزُهَيْرِ بْنِ يُقَالُ لَهُ سَالِمٌ ، بِكَانَ مِنْ أُمَّ كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ ؛ فَمَاتَ أَوْ قُتِلَ ،
فَجَزِعَ عَلَيْهِ كَعْبٌ جَزَعًا شَدِيدًا ، فَلَامَتْهُ أَمْرَأَتُهُ وَقَالَتْ : كَأَنَّهُ لَمْ يُصَبِّ غَيْرُكَ
مِنَ النَّاسِ ! فَقَالَ :

رَأَيْتُ رَجُلًا لَاقَى مِنَ الْعَيْشِ غِبْطَةً * وَأَخْطَاهُ فِيهَا الْأُمُورُ الْعِظَامُ
وَشَبَّ لَهُ فِيهَا بَنُونَ وَتُوْبَعَتْ * سَلَامَةٌ أَعْوَامٍ لَهُ وَغَنَائِمُ
فَأَصْبَحَ مَحْبُورًا يَنْظُرُ حَوْلَهُ * بَغِطْتَهُ لَوْ أَنَّ ذَلِكَ دَائِمُ
وَعِنْدِي مِنَ الْأَيَّامِ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ * فَقُلْتُ لَهُ مَهْلًا فَإِنَّكَ حَالِمُ
لَعَلَّكَ يَوْمًا أَنَّ تُرَاعِيَ بِفَاجِعٍ * كَمَا رَاعَنِي يَوْمَ النَّتَاءِ سَالِمُ

١٥

*
*
*

صوت

عَزَفَتْ وَلَمْ تَصِرْ وَأَنْتَ صَرُومٌ * وَكَيْفَ تَصَابِي مَنْ يُقَالُ حَلِيمُ
صَدَدَتْ فَأَطَوَلَتِ الصُّدُودَ وَلَا أَرَى * وَصَالًا عَلَى طُولِ الصُّدُودِ يَدُومُ

(١) رُعوى عليه : أى بقيا عليه ؛ يقال : أرعى فلان على فلان إذا أبقي عليه .

(٢) تقدم في ص ٣١٣ أن هذا الشعر قاله زهير في ابنه سالم .

٢٠

عَرَّوْضُهُ مِنَ الطَّوِيلِ ، عَزَفَتْ عَنِ الشَّيْءِ : إِذَا تَرَكْتَهُ وَأَبْتَهُ نَفْسُكَ . قَالَ ابْنُ
 الْأَعْرَابِيِّ : يَقُولُ لَمْ تَهْصِرْ صُرْمَ بَتَاتٍ ؛ وَلَكِنْ صَرَمْتَ صُرْمَ دَلَالٍ . وَأَطَوَلَتْ
 الصَّدُودُ أَيْ أَطْنَهُ . وَإِنَّمَا قَالَ هَذَا ذَرْوَرَةٌ^(١) . الشَّعْرُ لِلتَّزَارِ بْنِ سَعِيدِ الْفَقْعَعِيِّ .
 وَالْغِنَاءُ لِإِسْحَاقَ رَمَلٍ .

(١) فِي لِسَانِ الْعَرَبِ (فِي مَادَّةِ طَوَّل) : « وَأَطَلْتُ الشَّيْءَ وَأَطَوَلْتُ عَلَى النِّقْصَانِ وَالتَّمَامِ بِمَعْنَى .
 الْحَكْمِ : وَأَطَالَ الشَّيْءُ وَطَوَّلَهُ وَأَطَوَّلَهُ : جَعَلَهُ طَوِيلًا . وَكَانَ الَّذِينَ قَالُوا ذَلِكَ إِنَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَنْهَوْا عَلَى
 أَصْلِ الْبَابِ . قَالَ : فَلَا يُقَاسُ هَذَا إِنَّمَا بَاقِيَ لِلتَّنْيِيزِ عَلَى الْأَصْلِ » .

ذكر المزار وخبره ونسبه

هو المزار بن سعيد بن حبيب بن خالد بن نضلة بن الأشم بن جحوان بن ققعس^(١)
 ابن طريف بن عمرو بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن ذودان بن أسد بن خزيمه^(٢)
 ابن مدركة بن الياس بن مضر بن ريار . وأم المزار بنت مروان بن منقذ الذي أغار^(٣)
 على بني عامر بتهلان فقتل منهم مائة بحبيب بن منقذ عمه ، وكانوا قتلوه .^(٤)
 وكان المزار قصيراً مفترطاً القصير ضئيل الجسم . وفي ذلك يقول :
 عدوني الثعلب عند العدد * حتى استثاروا لي إحدى الإحد^(٥)
 ليشاً هزبراً ذا سلاح معتدى * يرني بطرف كالحريق الموقد^(٦)

نسبه وكان قصيراً
 ضئيل الجسم

١٥٩
 ٩

- (١) كذا في ج وهو الصحيح كما في شرح القاموس (في مادة جحو) . وفي سائر الأصول : « هوازن » وهو تحريف .
 (٢) كذا في ح . وفي سائر الأصول : « معين » بالميم وهو تحريف .
 (٣) في جميع الأصول : « تغلب » . والتصويب عن شرح القاموس : « في مادتي قعن وجحو » .
 (٤) كذا في أ ، م ونهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقائشندي وقد أورده في باب الدال المعجمة مع الوار . وفي سائر الأصول : « دودان » بالدال المهملة . (٥) كذا في ح .
 وفي أ ، م : « منقذ » بالدال المهملة . ويظهر أنه مصحف عن منقذ بالدال المعجمة إذ لم يسم بهذا الاسم .
 وفي ب ، س : « منقر » بالراء المهملة . (٦) تهلان : جبل ضخم بالعالية عن أبي عبيدة .
 وقال نصر : تهلان جبل لبني نعيم بن عامر بن صعصعة بناحية الشريفة به ماء ونخيل . (عن معجم البلدان لياقوت) .
 (٧) يلاحظ أنه أخوه لا عمه إلا أن يكون منقذ جد مروان وسقط اسم أبيه .
 (٨) إحدى الإحد : الأمر المنكر الكبير . قال الشاعر : * بعكاظ فعلوا إحدى الإحد *
 وإحدى الإحد الداهية . يقول : حسبوني من عداد الثعالب عند لقاء الأبطال أروغ عنهم ولا أكافهم
 حتى استثاروا مني داهية . (٩) المعتدى : وصف من العدوان إلا أنه وقف على لغة ربيعة في تسكين المنسوب .
 وفي الأصول : « معتد » بالنون وبدون ياء . ويحتمل أن يكون مصحفاً عن « معتد » وصف من أعتد
 الشيء إذا هياه وأعدّه ، وعلى هذا يكون وصفاً للسلاح . ويرى بطرف كالحريق الموقد : أراد أن يهيه في غضبه
 هراء كالنار الموقدة الملتبة . (راجع لسان العرب في مادة أحد ، ونزاة الأدب للبغدادى ج ٣ ص ٢٩٣ و ٢٩٤) .

وكان يهاجى المساور بن هند بن قيس بن زهير بن جذيمة العبسى . وفيه يقول المرار :
 شقيت بنو سعد بشعر مساور * إن الشق بكل حبل يحنق
 والمساور القائل فيه :

كان يهاجى
 المساور بن هند

ما سرنى أن أحمى من بنى أسيد * وأن ربى ينجنى من النار
 أو أنهم زرجوني من بناتهم * وأن لي كل يوم ألف دينار
 والمرار من مخضري الدولتين . وقد قيل : إنه لم يدرك الدولة العباسية .

من مخضري
 الدولتين
 أغار هو وأخوه
 بدر على بنى عبس
 ونها إليهم فبسما
 الوالى

وقال هذه القصيدة وهو محبوس . ذكر محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي
 عن المفصل والكوفيين :

- أن المرار بن سعيد كان أتى حصين بن برق من بنى عبس ، فوقف على بيوتهم
 فجعل يحدث نساءهم وينشدن الشعر . فنظروا إليه وهم مجتمعون على الماء فظنوا
 أنه يعظهن . ثم أنصرف من عند النساء حتى وقف على الرجال . فقال له بعضهم :
 أنت يا مرار تقف على أبياتنا وتشد النساء الشعر ! فقال : إنما كنت أسألن . فخرى
 بينه وبينهم كلام غليظ ، فوثبوا عليه وضربوه وعقروا بعيره ، فأنصرف من عندهم
 إلى بنى فقّس فأخبرهم الخبر ، فركبوا معه حتى أتوا بنى عبس فقاتلوهم فهزموهم ،
 وفقات بنو فقّس من بنى عبس عينا وقتلوا رجلا ثم أنصرفوا . فحمل أبو شداد
 النصرى لبني عبس مائتي بعير وغلظوا عليهم في الدية . ثم إن بدر بن سعيد أخا
 المرار قال : قد استوفت عبس حقها ، فعلاّم أترك ضرب أخى وعقر جملي ! فخرج
 حتى أتى جمالا لبني عبس في المرأة ، فرمى بعضها فعقرها ثم أنصرف . فقال للمرار :
 إنه والله ما يقنع بهذا ولكن اخرج بنا . فخرجوا حتى أغارا على لبني عبس
 فطرداها وتوجها بها نحو تيماء^(١) . فلما كانا في بعض الطريق أنقطع بطن راحلة بدر

٢٠

(١) تيماء : بلاد في أطراف الشام بين الشام وراى القرى على طريق حاج الشام ودمشق .

(١) فنَدَرَ عَنْ رَحْلِهِ . فقال له المَرَّارُ : يا أُنْحَى أَطْعُنِي وَأَنْصِرْفِ ودَعْ هذه الإِبِلَ في النارِ ، فأَبَى عليه . ثم سارا ، فلَمَّا كَانَا في بعض الطريق عَرَضَ لهما ظَبْيٌ أَغْضَبَ أَحَدَ الْقَرْنَيْنِ . فقال المَرَّارُ لبدرٍ : قد تَطَيَّرْتُ من هذا السفرِ ، ولا والله ما نرجع من هذا السفرِ أَبداً ، فأَبَى عليه بدرٌ . فتنَفَرَّتْ عَبَسُ فِرْقَتَيْنِ في طلب الإِبِلِ ، فعمَدَت فرقةٌ إلى وادى القرى (٢) ، وفرقةٌ إلى تَبْمَاءٍ فصَادَفُوا الإِبِلَ بَنِي عَمِيَّاعٍ ، فأَخَذُوا المَرَّارَ وَبَدْرًا فرفعوهما إلى الوالى . وعُرفَت سِمَاتُ عَبَسٍ على الإِبِلِ فَدُفِعَتْ لِيهِمَ ، وَرُفِعَ المَرَّارُ وَأُخْرِجَ إلى المدينة فُضِرَبا وَحُجِسَا ، فمَاتَ بدرٌ في الحبسِ . فَكَلَّمْتُ عِدَّةً من قريش زيَادَ بن عبد الله النَّصْرِيَّ في المَرَّارِ نَحْلَاهُ . وقال في حبسه :

* صَرَمْتُ وَلَمْ تَصِرْمِ وَأَنْتَ صَرُومٌ *

١٠ . وهى طويلة .

وقال يَرِي أَخَاهُ بَدْرًا :

أَلَا يَا لِقَوْمِي لِلتَّجَلُّدِ وَالصَّبْرِ * وَلِلْقَدْرِ السَّارَى لِلْبَلِّ وَمَا تَدْرِي
وَلِلشَّيْءِ تَنْسَاهُ وَتَنْذَكُرُ غَيْرَهُ * وَلِلشَّيْءِ لَا تَنْسَاهُ إِلَّا عَلَى ذِكْرٍ
وَمَا لَكِ بِالْغَيْبِ عِلْمٌ فَتُخَرَّأَ * وَمَا لَكِ فِي أَمْرِ عُثْمَانَ مِنْ أَمْرِ

١٥ . وهى طويلة ، يقول فيها :

أَلَا قَاتِلَ اللَّهِ الْمَقَادِيرَ وَالْمُنَى * وَطَيَّرَ بَحْرَتَ بَيْنِ السُّعَافَاتِ وَالْخَبْرِ (٤) (٥)
وَقَاتِلَ تَكْذِيبِي الْعِيفَةَ بَعْدَ مَا * زَجَرْتُ فَمَا أَغْنَى أَعْتِيَافِي وَلَا زَجَرِي (٦)

(١) نَدَرَ عَنْ رَحْلِهِ : سقط . (٢) الْأَغْضَبُ : المكسور . (٣) وادى القرى :
واد بين المدينة والشام من أعمال المدينة كثير القرى . (٤) في معجم البلدان : « السعافات بضم
أولها وبعد الألف فاء وآخره تاء مثناة من فوق موضع في قول المرار » . واستشهد بهذا البيت .
(٥) الخبر (بالكسر ثم السكون) : اسم واد ، كذا ذكره ياقوت في معجم البلدان واستشهد بأبيات من
هذه القصيدة . وفي الأصول : « الجبر » بالجيم . (٦) في ياقوت : « وقَاتِلَ تَهْ يَبِ
العِيفَةِ » .

مات أخوه بدر
في الحبس فرثاه

١٦٠
٩

تَرَوَّحَ فَقَدْ طَالَ الثَّوَاءُ وَقُضِّيتْ * مَشَارِيطُ كَانَتْ نَحْوَ غَايَتِهَا نَجْرُ

— المشاريط : العلامات والأمارات —

وَمَا لَقُفُولٍ بَعْدَ بَدْرِ بِشَاشَةٍ^(١) * وَلَا الْحَى آتِيهِمْ وَلَا أُوْبَةَ السَّفْرِ

تَذَكَّرْنِي بَدْرًا زَعَاذُ^(٢) حَمْرَةٍ * إِذَا عَصَفَتْ إِحْدَى عَشِيَّاتِهَا الْغُبْرِ

— الزعازع : الشديدة الهبوب . والحجرة : السينة الشديدة —

إِذَا شَوْلُنَا^(٣) لَمْ نُؤْتَ مِنْهَا مِجْلِبٌ * قَرَى الصَّيْفَ مِنْهَا بِالْمَهْدِ ذَى الْأَثْرِ

وَأَضْيَانَا إِنْ نَبَّهْنَا ذِكْرُهُ * فَكَفَ إِذَا أَنْسَاهُ غَاةَ الدَّهْرِ

إِذَا سَلَّمَ السَّارَى تَهَلَّلَ وَجْهُهُ * عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ يَسَارٍ وَمِنْ عُسْرِ

تَذَكَّرْتُ بَدْرًا بَعْدَ مَا قِيلَ عَارِفٌ^(٤) * لِمَا نَابَهُ يَا هُفَّ نَفْسِي عَلَى بَدْرِ

إِذَا خَطَرْتُ مِنْهُ عَلَى النَّفْسِ خَطَرَةً * مَرَّتْ دَمْعَ عَيْنِي فَاسْتَهَلَّ عَلَى تَحْرِي

وَمَا كُنْتُ بَكَاءً وَلَكِنْ يَبْهِيجُ لِي^(٥) * عَلَى ذِكْرِهِ طِيبُ الْخِلَاقِ وَالْخُبْرِ

أَعِني إِذْ شَاكِرًا مَا فَعَلْتَا * وَحَقَّ لِمَا أَبْلَيْتَانِي بِالشُّكْرِ

سَأَلْتُكُمْ أَنْ تُسْعِدَانِي بِفُذُمَا * تَوَاتَيْنِ^(٦) بِالتَّسْجَامِ بَاقِيَتِي قَطْرِ^(٧)

(١) في - : « وما لقفولي » . (٢) في الأصول : « حجرة » بتقديم الحاء المهمة

على الجيم وهو تصحيف . وفي ياقوت : « لزبة » وسنة لزبة : سديدة .

(٣) الشول : جمع شائلة ، وهي من الإبل ما أتى عليها من رضعها أو حملها سبعة أشهر فارفع رضعها

وخف لبنها . والمجلب : إناء يجلب فيه . والأثر (بالفتح وبالكسر وبضمين) : فرند السيف وروقه .

ورواية هذا البيت في كتاب الشعر والشعراء ص ٤١٤ طبع أوربا : « إذا شولنا لم نسع فيها بمرفد... الخ » .

(٤) عرف للأمر : صبر . (٥) مرت دمع عيني : أرسلته وأسبلته . واستهل : سال .

(٦) في ب ، س : « يبهيجني » . (٧) العوان : النصف في سنأ من كل شيء . والحرب

العوان : التي قوتل فيها مرة بعد أخرى ، كأنهم جعلوا الأولى بكرا . والحرب للعوان هي أشد الحروب .

فعله يريد أن عينيه تجمعا الدمع أي أسالته مرة بعد أخرى . (٨) كذا في كتاب الشعر والشعراء .

ووردت هذه الكلمة في الأصول مصحفة ، ففي بعضها : « يا قنتي » وفي بعضها الآخر : « يا قنتي » .

فَلَبَّ شَفَانِي الْيَأْسُ عَنْهُ بَسْلُوَةٌ * وَأَعْذَرْتُمَا لَا بَلْ أَجَلٌ مِنَ الْعَذْرِ
نَهَيْتُكَ أَنْ تُسْهِرَانِي فَكُنْتُ^(١) * صَبُورِينَ بَعْدَ الْيَأْسِ طَاوِيَتِي ذُبُرُ
يقول : طَوِيَّتَا أَغْبَارَ دَمْعِكَ . وَالْأَغْبَارُ . الْبَقَايَا كَأَغْبَارِ اللَّابَنِ .

نخرج حاجا وأضانه
قرشي بالأبطح

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني رجل عن واصل بن
زكريا بن المزار أن المزار قال :

نَخَرَجْتُ حَاجًّا فَانْتَحْتُ بِنَاحِيَةِ الْأَبْطَحِ ، بَخَاءُ قَوْمٍ فَتَحَّوْنِي عَنْ مَرْضَعِي وَضُرِبُوا
فِيهِ قُبَّةٌ لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ . فَلَمَّا جَاءَ وَجَلَسَ أَتَيْتُهُ فَقُلْتُ :
هَذَا قَعُودِي بَارِكًا بِالْأَبْطَحِ * عَلَيْهِ عَيْكَ^(٢) أَكْبَرُ^(٣) لَمْ تُفْتَحْ
فَقَالَ : وَمَا قِصَّتُكَ ؟ فَأَخْبَرْتُهُ . فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا تَفْتَحُ مِنْهُمَا شَيْئًا حَتَّى تَنْصَرِفَ ، فَأَقِمْ
مَعَنَا ، يَدُكَ مَعَ أَيْدِينَا ، وَقَعُودُكَ مَعَ آبَائِنَا^(٤) ، فَوَاللَّهِ مَا فَتَحْتُ الْعِدْلِينَ حَتَّى أَنْصَرِفَ
بِهِمَا إِلَى أَهْلِي . فَمَا هَجَانِي أَحَدٌ قَطُّ هِجَاءَهُ .

حبس هو وأخوه
بدر ، وشعره
في الحبس

أخبرني هاشم بن محمد الخزازي قال حدثنا أبو غسان دَمَاز عن أبي عبيدة قال
أخبرني أبو موهب رَتِيلُ الزُّبَيْرِيِّ أَحَدَ بَنِي زُبَيْرٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ قُعَيْنٍ قَالَ :
كَانَ الْمَرَارُ بْنُ سَعِيدٍ وَأَخُوهُ بَدْرُ لَصِينٍ ، وَكَانَ بَدْرُ أَشْهَرَ مِنْهُ بِالسَّرْقَةِ وَأَكْثَرَ
ظَارَاتٍ عَلَى النَّاسِ . فَأَغَارَ بَدْرٌ عَلَى ذُوْدٍ لِبَعْضِ بَنِي غَنَمٍ بَنِ ذُوْدَانَ فَطَرَدَهَا ، فَأَخَذَ^(٥)
^(٦)

(١) في كتاب الشعر والشعراء : « أن تشمتني » .

(٢) العكم : العدل وهو الغرارة . (٣) أكبر : جمع كمر (بكسر الكاف وسكون الميم) نحو
ذئب وأذئب . وهذا الجمع سماعي في مثل هذا الوزن . والكمر من البسر : ما لم يربط على نخله ولكنه
سقط فأرطب على الأرض . (٤) كذا في ١ ، م . وفي سائر الأصول : « أقاعدنا » وهذا الجمع
لم يرد في كتب اللغة في جمع قعود . (٥) الذود : ثلاثة أبعة إلى التسعة ، وقيل إلى العشرة ، وقيل
غير ذلك . ولا يكون إلا من الإناث . وهو واحد وجمع كالفلك . (٦) راجع الحاشية رقم ٤
ص ٣١٧ وهو أخو ثعلبة المذكور في تلك الصفحة . (راجع كتاب سبائك الذهب في معرفة قبائل
العرب للسويدي ص ٥٨ طبع بغداد سنة ١٢٧٠ هجرية) .

ورُفِعَ إلى عثمان بن حيان المُرِّي، وهو يومئذ على المدينة فحبسه، وطرَدَ المَرَّارُ طَيِّدَةً فَأَخَذَهَا وهو يَبِيعُهَا ؛ ادى القُرَى أو بَرَمَةَ^(١)، فُرِفِعَ إلى عثمان بن حيان فحبسه . قال : فأجتمعا ومكنا في السجن مدة ؛ ثم أَقْلَتِ المَرَّارُ وبقي بدرُّ في السجن حتى مات مَمْسًا مَقِيدًا ، فقال المَرَّارُ وهو في الحبس :

أَنَارُ بَدَتْ مِنْ كُورَةِ السَّجْنِ ضَوْءُهَا * عَشِيَّةَ حَلِّ الْحَيِّ بِالْجَرَعِ^(٢) الْعُقْرِ
عَشِيَّةَ حَلِّ الْجَبِّ أَرْضًا خَصِيبَةً * يَطِيبُ بِهَا مَسَّ الْجَنَائِبِ وَالْقَطْرِ^(٤)
فَيَاوِيلَتَا سَجْنِ الْيَمَامَةِ أَطْلَقَا * أَسِيرًا يَنْظُرُ إِلَى الْبَرْقِ مَا يَفْرِى^(٦)
فَإِنْ تَفْعَلَا أَحْمَدُكُمْ لَدَارِي * بَأَنَّا لَا يَنْبَغِي لَكُمَا شُكْرِي
وَلَوْ فَارَقْتُ رَجُلَ الْقَبُودِ وَجَدْتُنِي * رَجُلًا بَنَصَّ الْعَيْسِ فِي الْبَلَدِ الْقَفْرِ^(٧)
جَدِيدًا إِذَا أُمْسَى بِأَرْضٍ مُضَلَّةٍ * بَتَقْوِيمِهَا حَتَّى يَرَى وَضْعَ الْفَجْرِ^(٨)

١٠

وقال أبو عمرو الشَّيبَانِي :

كان بين المَرَّارِ بن سعيد وبين رجل من قومه لَحَاءً، فتقاذفا وتسابَّأ، ثم صارا إلى الضرب بالعصا؛ فقال في ذلك :

خاصم رجلا من
قومه وسابه ، وقال
في ذلك شعرا

(١) برمة (بكسر أوله) : عرض من أعراض المدينة بين خير ووادى القرى . (٢) كذا في الأصول
بتأنيث الفعل لإضافة الفاعل إلى ضمير المؤنث . (٣) كذا في - بالراء المهملة - والجرج بالتحريك :
جمع جرمة بالتحريك أيضا وهي هنا الرملة العذاة الطيبة التي لا وعوة فيها . وفي سائر الأصول : الجرج بالزاي
المعجمة وهو تصحيف . (٤) الجنائب : جمع جنوب وهي الريح التي تقابل الشمال . ومنه إذا جاءت
الجنوب جاء معها خير وتلقح . (٥) هكذا في جميع الأصول : وياويلتا بمعنى يا فضيحتا .
وقد أشكل علينا مرجع الضمير المثنى في قوله « أطلقا أسيركما » . ولهذا يحتمل أن تكون هذه الكلمة محرفة
عن مثل قوله « فياحارسى سجن اليمامة » أو نحو ذلك . (٦) يفرى : يشق ؛ والبرق يشق الطلام .
(٧) فص العيس : استحاثها واستقصاء آخر ما عندها من السير . (٨) أرض مضلة (بفتح
الضاد وتكسر) : يضل فيها الطريق .

١٥

٣٠

صوت

ألم تَرَيْسَعُ فَتُخْصِرَكَ الْمَغَانِي * فَكَيْفَ وَهْنٌ سُذْجَجَ مَمَّا
بَرِثْتُ مِنَ الْمَنَازِلِ مِيرَ شَوْقًا * إِلَى الدَّارِ الَّتِي يَلُوحُ أَبَانُ^(١)
لِإِسْحَاقَ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ هَزَجٌ بِالْخَنْصَرِ فِي مِرٍّ، الْبَنْصَرِ مِنْ كِتَابِ ابْنِ الْمَكِّيِّ .
وَكَانَ بَدْرُ بْنُ سَعِيدٍ أَخُو ابْنِ أَرِ شَاعِرًا وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ :

يَكُنْ أَخُوهُ بَدْرُ
شَاعِرًا، وَشَيْءٌ مِنْ
شَعْرِهِ

صوت

يَا حَبَسْذَا حِينَ تُنْمِى الرِّيحُ بَارِدَةً * وَادِي أَشْيَى وَفِتْيَانٌ بِهِ هَضْمٌ^(٢)
مُحْدَمُونَ كِرَامٌ فِي مَجَالِسِهِمْ * وَفِي الرَّحَانِ إِذَا لَاقَيْتَهُمْ خَيْدَمٌ^(٣)
وَمَا أَصَابِحُ مِنْ قَوْمٍ فَـ كُرْهُمُ * إِلَّا يَزِيدُهُمْ حُبًّا إِلَى هُمْ^(٤)
الْغِنَاءُ لِابْنِ مُحَرَّرٍ ثَانِي ثَقِيلٌ بِالْخَنْصَرِ وَالْبَنْصَرِ عَنْ ابْنِ الْمَكِّيِّ . وَفِيهِ لِمَتِّمْ خَفِيفٌ رَمَلٌ .
وَذَكَرَ حَمَّشٌ ، أَنَّ الثَّقِيلَ لِلْهُدَلِيِّ . وَفِيهِ لِمُحَمَّدِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ بُسْخَرٍ ثَقِيلٌ أَوَّلُ
عَنِ الْهَشَامِيِّ .

- (١) أَبَانُ : يَطْلُقُ عَلَى مَوْضِعَيْنِ هُمَا أَبَانُ الْأَبْيَضِ وَأَبَانُ الْأَسْوَدِ . فَالْأَبْيَضُ شَرْقُ الْحَاجِرِ
فِيهِ نَخْلٌ وَمَاءٌ وَهُوَ لَبَنِي فَرَارَةٌ وَعَبَسُ . وَالْأَسْوَدُ : جَبَلُ لَبَنِي فَرَارَةٍ خَاصَّةٌ ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَبْيَضِ
مِيلَانٌ . (عَنْ مَعِيضِ الْبُلْدَانِ لِيَا قُوتِ) . (٢) فِي لِسَانِ الْعَرَبِ (فِي مَادَةِ هَضْمٍ) وَمَعِيضِ الْبُلْدَانِ
فِي الْكَلَامِ عَلَى أَشْيَى وَشُعُوبٍ وَنَقَمُ أَنَّ قَائِلَهُ زِيَادُ بْنُ مَتْقَدٍ . وَفِي شَرْحِ الْحَمَاسَةِ لِلتَّبْرِيزِيِّ طَبِيعُ أَوْ رِبَا
ص ٨٠٨ نَحْنُ قَائِلُهُ زِيَادُ بْنُ حَمَلٍ . بَنُ سَعْدِ بْنِ عَمِيرَةَ بْنِ حَرِثٍ وَيُقَالُ زِيَادُ بْنُ مَتْقَدٍ . وَمِثْلُهُ فِي لِسَانِ
الْعَرَبِ (فِي مَادَةِ أَشْيَى) غَيْرُ أَنَّهُ وَرَدَ فِيهِ : « زِيَادُ بْنُ حَمْدٍ » بِالْهَاءِ مَحْرُفًا . (٣) أَشْيَى : مَوْضِعٌ
بِالْوُشْمِ . وَالْوُشْمُ : وَادٍ بِالْإِمَامَةِ ؛ ذَكَرَ ذَلِكَ يَاقُوتٌ وَاسْتَشْهَدَ بِالْأَبْيَاتِ . (٤) هَضْمٌ : جَمْعُ هَضُومٍ .
وَفِتْيَانٌ هَضْمٌ : يَهْضُمُونَ الْمَسَالَ أَيْ يَكْمُرُونَهُ وَيَنْفِقُونَهُ . (٥) ارْتَفَعَ « هَمْ » الْأَخِيرُ يَزِيدُ .
وَقَدْ وَضَعَ الضَّمِيرَ الْمُنْفَصِلَ مَوْضِعَ الْمُتَّصِلِ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ الْوَجْهَ أَنْ يَقُولَ إِلَّا يَزِيدُونَهُمْ حُبًّا إِلَى ؛ وَمِثْلُهُ لَطَرَةٌ :
أَصْرَمْتُ حَبْلَ الْحَيِّ إِذْ صَرَمُوا * يَا صَاحِبَ بِلِ صَرَمِ الْوَصَالِ هَمْ
(عَنْ شَرْحِ دِيْوَانِ الْحَمَاسَةِ لِلتَّبْرِيزِيِّ) .



صوت

صوت ابن صاحب
الوضوء في شعر
الناطقة

خَطَّاطِيفُ حُجْنٍ فِي حِبَالٍ مَتِينَةٍ * تَمُدُّ بِهَا أَيْدٍ إِلَيْكَ نَوَازِعُ
فَإِنْ كُنْتَ لَإِذَا الضَّغْنِ عَنِّي مَكْذِبًا * وَلَا حَلْفِي عِنْدَ الْبَرَاءَةِ نَافِعُ
فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي * وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ الْمُتَتَايَ عَنْكَ وَاسِعُ

عروضه من الطويل . يقول : أنا في قبضتك متى شئت قدرت على كَأَنِّي
فِي خَطَّاطِيفٍ تَجِدُّنِي إِلَيْكَ وَلَا أَقْدِرُ عَلَى الْمَرْبِ مِنْكَ . وَيُرْوَى "وإِنْ خِلْتُ أَنَّ
الْمُتَتَايَ" أَيْ الْمَوْضِعَ الَّذِي تَتَوَى قَصْدُهُ . وَالْمُتَتَايَ : الْمُفْتَعَلُ مِنَ النَّأْيِ .
وَالْحُجْنُ : الْمُعْوَجَّةُ . وَالنَّوَازِعُ : الْجَوَائِبُ . وَالضَّغْنُ : الْحَقْدُ .

الشعر للناطقة الدُّبْيَانِيَّةُ . والغناء لابن صاحب الوضوء من رواية إسحاق وعمرو
مأخوذين بالبنصر .



اتتهى الجزء العاشر من كتاب الأغاني

ويليه الجزء الحادى عشر

وأوله أخيار النابغة ونسبه